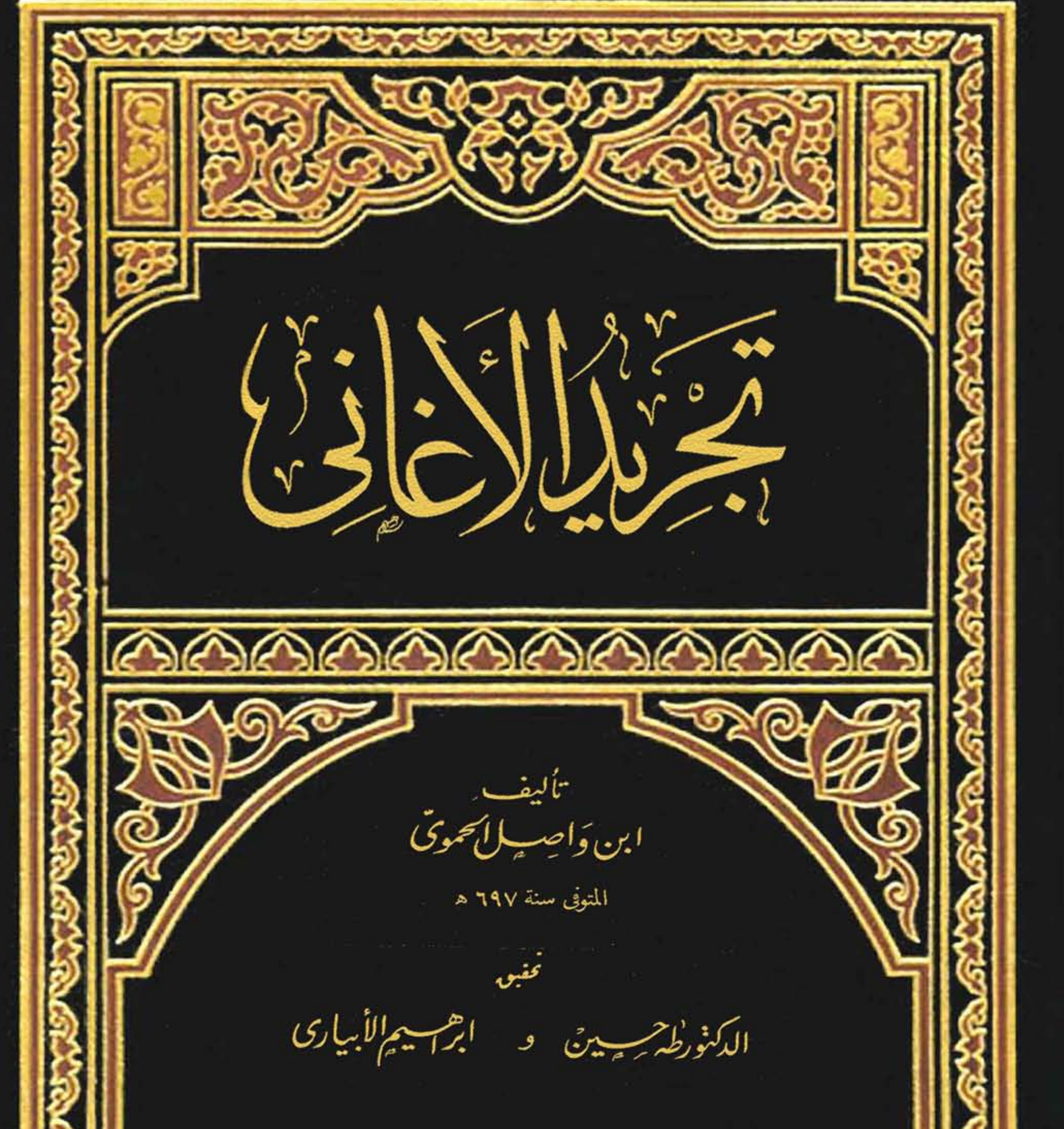


تجريد الأغاني

تأليف

ابن واصل الحموي

المتوفى سنة ٦٩٧ هـ

تحقيق

الدكتور طه حسين و ابراهيم الأبياري

القاهرة
مطبعة مصر شركة مساهمة مصرية
٤٠ شارع نوبار باشا (سابقا شارع الدواوين)
١٣٧٤ — ١٩٥٥



تجريد الأغاني

تأليف

ابن واصل الحموى

المتوفى سنة ٦٩٧ هـ

القسم الأول — الجزء الثانى

تحقيق

الدكتور طه حسين و ابراهيم الأبيارى

دار الكاتب العربي للطباعة والنشر
بالقاهرة
١٣٧٤ — ١٩٥٥

أخبار أبي العتاهية

اسمه ولقبه وكنيته

وهو إسماعيل بن القاسم بن سُوَيد بن كَيْسان ، مولى عَنَزة . وكُنيته أبو إسحاق . وأُمه أم زَيد بنت زِياد ، مولى بنى زُهرة . وأبو العتاهية لقبٌ غَلب عليه . وفيه يقول أبو قابوس النَّصرانيّ ، وقد بَلغه أنّه فَضّل عليه العتَّابى :

قل للمُكَنِّى نفسَه ... مُتخيِّرًا بعتاهِيَهْ

والمُرسلِ الكَلِم القَبِيـ ... ـح وَعتْه أُذْنٌ واعِيه

فعليكَ لعنةُ ذى الجَلا ... لِ وأُمُّ زَيد زانيه

نشأته ومنزلته فى الشعر وشيء عنه

ومنشؤه بالكوفة . وكان فى أوّل أمره يتخنَّث ويَحمل زاملة المُخنَّثين . ثم كان يَبيع الفَخّار بالكُوفة . ثم قال الشعر ، فبَرع فيه وتقدَّم .

ويقال : أطبع الناس بشّار ، والسيِّد الحِمْيرىّ ، وأبو العتاهية . وما قَدر أَحدٌ قطُّ على جَمع شعر هؤلاء الثلاثة بأَسره لكثرته . وكان أبو العتاهية مع ذلك كثيرَ السَّقط والمَرذول ، وأكثر شعره فى الزُّهد والأمثال . ونُسب مع ذلك إلى الزَّندقة وإنكار البَعث . وكان أبخل النَّاس مع يَسارِه وكثرةِ ما جمعه من الأموال .

أبوه وشعره فيه

وقد قيل : إنّ أباه كان حجَّاماً ، وفى ذلك يقول أبو العتاهية :

ألَا إنما التَّقْوى هو العِزُّ والكَرمْ ... وحُبُّك للدُّنيا هو الفقر[1] والنَّدمْ

وليستْ على عبْدٍ تَقِيٍّ نَقيصةٌ ... إذا صَحَّح التقْوى وإن حاكَ أو حَجَم

عقيدته وما كان بينه وبين ثمامة فى حضرة المأمون

وقد قيل : إنه كانَ يتشيَّع ويرى رأى الزَّيديّة والبَتَريّة[2] ، لا يتنقّص أحداً

---

(١) فى بعض أصول الأغانى : « والعدم » مكان و « الندم » .

(٢) الزيدية : فرقة نسبت إلى زيد بن على بن الحسين بن على بن أبى طالب رضى الله عنه ، تقصر الإمامة على أولاد فاطمة ، ولا تجيز الإمامة فى غيرهم . والبترية : طائفة منهم ، أصحاب كثير الأبتر . توقفوا فى أمر عثمان ، أهو مؤمن أم كافر ، وفضلوا علياً على جميع الناس بعد رسول الله صلى الله عليه وسلم .

ولا يرى الخروج على السلطان . وكان جَبْريًّا[١] . فذُكر أنه قال أبو العتاهية لثمامة بن أشرس بين يدى المأمون ، وكان كثيراً ما يعارضه فى الإجبار : أسألك عن مسألة ؟ فقال المأمون : عليك شِعْرَك . فقال : إن رأى أمير المؤمنين أن يأذن لى فى مسألته و يأمرَه بإجابتى ! فقال : أجبه إذا سألك . فقال له : أنا أقول : كلُّ ما فعله العِباد من خير وشرٍّ فهو من الله ، وأنت تأبى ذلك ، فمن حرّك يدى هذه ؟ وجعل أبو العتاهية يُحَرِّكها . فقال له ثمامة : حَرَّكها من أمه زانية . فقال : شتمنى والله يا أمير المؤمنين . فقال ثُمامة : ناقَض الماصُّ بظر أمه والله يا أمير المؤمنين ! فضحك المأمون وقال : ألم آمُرْك أن تشتغل بشعرك وتَدع ماليس من عَملك . قال ثُمامة : فلقينى بعد ذلك فقال : ما أغناك الجوابُ عن السَّفه ؟ فقلت : إنّ مِن أتمّ الكلام ما قطع الحُجة ، وعاقَب على الإساءة ، وشَفى من الغَيظ ، وأُنتصر من الجاهل .

لبعضهم فيه حين أخذ نفسه بالحجامة

وقيل : إنه لما نَسك وتزهّد أخذ نفسَه بحجامة اليَتامى والفُقراء للسبيل ، وقال : إنّ غرضه بذلك التواضُع . فقال بعضُهم : ألم يكن يَبيع الجِرَار ! فقيل له : بلى . فقال : أمَا فى بَيع الجِرار من الذُّل ما يَكفيه ويَستغنى به عن الحجامة !

من وصفه وشىء عن صناعته

وقيل : كان أبو العتاهية قَضِيفاً[٢] أبيض اللَّون أسود الشعر، له وَفْرة جَعْدة وهَيئة حَسنة وحَصافة ولباقة ، وكان له عَبيد من السُّودان ، ولأخيه زيد أيضاً عَبيد منهم يَعملون الخزف فى أتُّون لهم ، فإذا أُجتمع منه شىء ألقَوْه على أجير لهم يقال له : أبو عبّاد اليَزيدى ، كُوفىّ ، فيبيعه على يديه و يَردّ فضله إليهم .

رأى مصعب فى شعره

وحُكى عن مصعب بن عبد الله الزُّبيرى أنه قال : أبو العتاهية أشعرُ الناس . فقيل له : بأىّ شىء أستحقّ ذلك عندك ؟ فقال : بقوله :

(١) الجبرى ، بالتحريك : المنسوب إلى الجبر ، وهو القول بأن الله يجبر العباد على الذنوب ، أى يكرههم عليها . (٢) القضيف : الدقيق العظم القليل اللحم .

تَعلّقتُ بآمالٍ طوالٍ أىِّ آمالِ
وأقبلتُ على الدُّنيا مُلحًّا أىَّ إقبالِ
أيا هذا تجهَّز لـ فراق الأَهل والمال
ولا بُدّ من الموتِ على حالٍ من الحال

ثم قال مُصعب : هذا كلام حَسن سَهل لا نُقصان فيه ، يَعرفه العاقل ويُقِرّ به الجاهل .

للأصمعى فى شعره

وكان الأصمعىُّ يَستحسن قولَ أبى العتاهية :

أنت ما اُستَغْنيتَ عن صا حِبك الدَّهرَ أخوهُ
فإذا اُحتجْت إليه ساعةً مجّك فُوه

بين الشهرزورى وسلم فى شعره

وحكى صالح الشَّهرزورىّ قال : أتيت سَلْماً الخاسر فقلت له : أنشدنى لنفسك. فقال : لا ، ولكنْ أُنشدك لأشعر الجنّ والإنس ، لأبى العتاهية . ثم أنشدنى له :

سَكنٌ يَبقى له سَكَنُ ما بهذا يُؤْذِن الزَّمَنُ
نحن فى دارٍ يُخبِّرنا ببِلَاها ناطقٌ لَسِن
دارُ سَوْء لم يَدُمْ فَرَحٌ لاُمرىءٍ فيها ولا حَزَن
فى سبيل الله أنفسُنا كلُّنا للموت مُرتَهن
كلُّ نفسٍ عند مِيتتها حظُّها من مالها الكَفن
إنّ مال المَرء ليس له منه إلّا ذكرُه الحَسن

رأى ابن رزين فيه

وقيل لداود بن زيد بن رَزين : من أشعرُ أهل زماننا ؟ فقال : أبو نُواس . فقلت : ما تقول فى أبى العتاهية ؟ قال : أبو العتاهية أشعرُ الجنّ والإنس .

له فى قوله الشعر

وقيل لأبى العتاهية : كيف تقول الشعر ؟ قال : ما أردتُه قطُّ إلّا امْتَثَل لى، فأقُول ما أُريد وأترك ما أُريد .

وكان يقول : لو شئتُ أن أجعل كلامى كُلّه شعراً لفعلتُ .

هو وبشار وأشجع فى حضرة المهدى

وذُكر أنّ المهدىّ جَلس للشُّعراء يوماً ، وفيهم بشّار بن بُرد، وأشجع — وكان أشجع يأخذ عن بشّار ويُعظمه — وغيرُ هذين . وكان فى القوم أبو العتاهية . قال أشجع : فلمّا سمع بشّار بن بُرد كلامه ، قال: يا أخا سُلَيم، أهذا ذاك الكُوفىّ الملقّب ؟ فقلت : نعم . فقال : لا جَزى اللهُ خيراً مَن جَمعنا معه ! ثم قال له المَهدى : أَنشد . فقال لى بشّار : ويحك ! ويُستنشد فيُنشد قبلنا أيضاً ! فقلت : قد ترى . فأنشد :

أَلا ما لسيِّدتى ما لَهَا ... أَدَلًّا فأَحمِل إدلالَهَا
وإلّا فَفِيمَ تَجنّت وما ... جَنيتُ سَقَى اللهُ أَطلالها
أَلَا إنّ جاريةً للإما ... م قد أُسكن الحُسن[1] سِرْبالها
مَشتْ بين حُورٍ قِصارِ الخطا ... تُجاذِب فى المَشْى أَكْفالها
وقد أَتعب اللهُ نَفسى بها ... وأَتعب باللَّوم عُذّالها

قال أَشجع : فقال لى بشّار : ويحك يا أخا سُليم ! ما أدرى من أىّ أمرَيْه أعجب : أمن ضَعف شعره ، أم من تَشبيبه بجارية الخليفة ، يُسمعه[2] ذلك بأُذنه ! حتى أتى على قوله :

أَتتْه الخلافةُ مُنقادةً ... إليه تُجرِّر أذيالها
ولم تَكُ تَصلُح إلا لَه ... ولم يَكُ يَصلُح إلّا لَها
ولو رامها أَحدٌ غيرُه ... لزُلزلت الأرضُ زِلْزالها
ولو لم تُطعْه بناتُ[3] القلوب ... لمَا قَبِل اللهُ أَعمالها
وإنّ الخليفةَ من بُغض « لا » ... إليه ليُبْغض مَن قالها

(١) فى بعض أصول الأغانى : « الحب » .
(٢) فى بعض أصول الأغانى : « يسمع » .
(٣) بنات القلوب : النيات .

فقال له بشّار ، وقد اهتزّ طرباً : ويحك يا أخا سُليم ! أترى الخليفةَ لم يَطِر عن فَرشه طَرباً لِمَا يأتى به هذا الكوفى !

شعره فى التوحيد وقد اتهم بالزندقة

وحكى الخليلُ بن أسد قال :

جاءنا أبو العتاهيــة إلى منزلنا فقال : زَعم الناسُ أنِّى زِنْديق ، والله ما دِينى إلا التَّوحيد . فقلنا : قُل شيئاً نتحدَّثْ به عنك . فقال :

أَلَا إنّنـــا كُلّنــا بائدُ ... وأىّ بَـنى آدمٍ خالِدُ

وبَدْؤهم كان مِن ربّهم ... وكُلٌّ إلى ربّه عائد

فياعجباً كيف يُعْصَى الإلٰـ ... ـهُ أم كيف يَجْحده الجاحِد

وفى كُل شىءٍ له آيةٌ ... تدُلُّ على أنّه واحــد

مزدوجة له

ولأبى العتاهيــة مُزْدوجة طويلة بديعــة ، قد اشتملت على غرائب الحِـكم والأمثال ، يقال إنها اشتملت على أربعة آلاف مَثل . وقد ذكرتُ جميعَ ما أورده أبو الفرج فى كتابه :

حَسْبك ممــا تَبْتغيـــه القُوتُ ... ما أكثرَ القُوتَ لمن يَموتُ

الفقـــرُ فيما جاوز الـكَفَافَا ... مَن اتّقى اللهَ رجا وخَافَا

هى المقــاديرُ فلُمْنى أو فَذَرْ ... إن كنتُ أخطأتُ فما أَخْطا القَدَرْ

لـكُل ما يُؤذِى وإن قَلّ أَلَمْ ... ما أطولَ الليلَ على من لم يَنَمْ

ما انتفع المرء بمثــل عَقْــلِهِ ... وخيرُ ذُخر المرء حُسن فِعْلِهِ

إنّ الفَساد ضِدُّه الصـــلاحُ ... ورُبَّ جِـــدٍّ جَرَّه المُزاحُ

مَن جعــل النَّمّامَ عَيناً هَلــكَا ... مُبلغك الشَّرَّ كباغيــه لــكَا

إنّ الشَّــباب والفَراغ والجِـدَهْ ... مَفســدةٌ للمرء أىُّ مَفسَــدهْ

يُغْنيك عن كُلِّ قَبيحٍ تَرْكُهُ ... يَرْتَهن الرَّأىَ الأصيلَ شَـكُّهُ

ما عيشُ من آفتُه بقاؤُهُ نَغَّص عيشاً كلَّه[1] فناؤُهُ
يا رُبَّ مَن أسخطنا بجَهْدِهِ قد سَرَّنا اللهُ بغير حَمْدِهِ
ما تطلُع الشمسُ ولا تَغيبُ إلّا لأمرٍ شأنُه عَجيبُ
لكُلّ شىءٍ مَعدنٌ[2] وجَوهرُ وأوسطٌ وأصغرٌ وأكبرُ
فكُلّ شىءٍ لاحقٌ بجَوهرِهْ أصغرُه متَّصلٌ بأكبرِهْ
مَن لك بالمَحْض وكُلٌّ مُمتزِجْ وساوسٌ فى الصَّدر منك تَعتلجْ
ما زالت الدُّنيا لنا دارَ أذَى ممزوجةَ الصَّفْو بألوان القَذَى
الخيرُ والشرُّ بها أزواجُ لِذا نِتاجٌ ولذا نِتاجُ
مَن لك بالمَحض وليس مَحْضُ يَخبُث بعضٌ ويَطيب بعْضُ
لكُل إنسانٍ طبيعتانِ خيرٌ وشرٌّ وهما ضِدّانِ
والخيرُ والشرُّ إذا ما عُدَّا بينهما بَوْنٌ بعيدٌ جدًّا
إنّك لو تَستنشق الشَّحِيحَا وجدتَه أنتَن شىءٍ ريحَا
عَجبتُ حتى غَمَّنى السُّكوتُ صِرتُ كأنّى حائرٌ مَبهوتُ
كذا قَضى اللهُ فكيف أصنعُ والصمتُ إن ضاق الكلامُ أوسعُ

هو ورجل سأله ماينقشه على خاتمه

وقيل: شاور رجلٌ أبا العتاهية فيما ينقُش على خاتمه. فقال: أُنقُش عليه: «لَعنة الله على الناس». ثم أنشد:

برِمتُ بالنّاس وأخلاقهم فصِرْتُ أستأنس بالوُحدَهْ
ما أكثرَ الناسَ لَعَمْرِى وما أقلَّهم فى حاصل العِدَّهْ

ابن العلاء وبعض من عاب عليه صلته أبا العتاهية

وذُكر أنّ عُمر بن العلاء، مولى عَمرو بن حُريث صاحب المهدىّ، كان مُمدَّحاً، فمدحه أبو العتاهية. فأمر له بسبعين ألفَ درهم. فأنكر ذلك بعضُ

(١) فى الديوان: «طيبا» مكان «كله».
(٢) فى الأصل: «قدر» مكان «معدن».

الشعراء وقال : كيف فَعل هـذا بهذا الـكُوفى ! وأىّ شىء مقدارُ شعره ! فبلغه ذلك . فأَحضر الرجلَ وقال له : والله إنّ الواحد منكم ليدُور على المَعنى فلا يُصيبه ، ويَتعاطاه فلا يُحسنه ، يُشبِّب بخمسين بيتاً ثم يَمدحنا ببعضها . وهذا كأن المعانى تتجمّع له ، مدَحنى فقصَّر التَّشبيب وقال :

إنّى أمنتُ من الزمان ورَيْبِـه لمّا عَلِقْتُ من الأَمير حِبالَا

لو يستطيع الناسُ من إجـلاله لَحذَوْا له حُرَّ الوُجـوه نِعالا

إنّ المطَايا تشْتكيك لأنّها قَطعتْ إليك سَباسباً ورِمالا

فإذا وَرَدْن بنا وَرَدْن[1] مُخِفَّةً وإذا رَجعن بنا رَجعن ثِقالا

أَخذ هذا المعنى من قول نُصيب :

فعـاجُوا فأَثنوا بالذى أنت أهلُه ولو سكتُوا أَثنت عليك الحقَائِبُ

للأصمعى فى شعره

وكان الأصمعىّ يقول :

شعر أبى العتاهية مِثل كُساحة[2] المُلوك ، يَقع فيها الجوهرُ والذَّهب والتُّراب والخَزف والنَّوى .

شعره للرشيد فى مرضه

وقيل : حُمَّ الرشيدُ ، فصار أبو العتاهية إلى الفَضل بن الرَّبيع برُقعة فيها :

لو عَلِم الناسُ كيف أنت لهم ماتُوا إذا ما أَلِمْتَ أجمعُهمْ

خليفةَ الله أنت ترجَح بالنَّـاس إذا ما وُزِنْت أنت وهُم

قد عَلِم الناسُ أنّ وجهك يَسْـ تَغنى إذا ما رآه مُعـدِمُهم

فأنشدها الفضلُ بن الرَّبيع للرَّشـيد . فأمر بإحضار أبى العتاهية . فما زال يُسامره و يحدِّثه إلى أن برَىء ، ووصل إليه بذلك السبب مالٌ جليل .

---

(١) مخفة : قليلة الحمل .

(٢) الكساحة : الكناسة . والذى فى بعض أصول الأغانى : « العتاهية كساحة » .

بين ابن الأعرابي وبعضهم في شعر أبي العتاهية

وذُكر أن ابن الأعرابي حدّث بهذا الحديث . فقال له رجلٌ في مجلسه : ما هذا الشِّعر بمُستحق لما قلت ! قال : ولِم ؟ قال : لأنه شعر ضعيف . فقال ابن الأعرابيّ : الضعيفُ والله عقلُك لا شعر أبي العتاهية ! ألأبي العتاهية تقول : إنه ضعيف الشعر ! فوالله ما رأيتُ شاعراً قطُّ أطبعَ ولا أقدرَ على بيت شعر منه ، وما أحسب مذهبه إلا ضرباً من السِّحر . ثم أنشد له :

قطّعتُ منك حبائلَ الآمالِ ... وحَططتُ عن ظَهْر المَطيّ رِحَالِي

ووجدتُ بَرْد اليأس بين جوانحي ... فأَرحتُ من حِلٍّ ومن تَرْحال

فالآن يا دُنيا عرفتُك فاذهبي ... يا دارَ كُل تنقُّل وزَوال

يأيها البَطِر الذي هو من غدٍ ... في قَبره متمزِّق الأَوْصال

حذَف المُنى عنه المُشمِّرُ في الهُدى ... وأرى مُناك طويلةَ الأذيال

حِيَلُ ابنِ آدم في الأُمور كثيرةٌ ... والموتُ يَقطع حيلةَ المُحتال

قِسْتُ السُّؤال فكان أعظمَ قيمةً ... من كُل عارفةٍ جَرت بسُؤال

فإذا ابتُليتَ ببَذل وجهك سائلاً ... فابذُله للمتكرِّم المِفضال

وإذا خَشيتَ تعذُّراً في بلدةٍ ... فاشدُدْ يدَيْك بعاجِل التَّرحال

واُصبرْ على غِيَرِ الزَّمان فإنما ... فَرجُ الشَّدائد مثلُ حَلِّ عِقال

ثم قال للرجل : أتعرف أن أحداً يقول مثلَ هذا الشعر ؟ فقال له الرجل : يا أبا عبد الله ، جَعلني الله فِداك ، إنِّي لم أردُدْ عليك ما قلتَ ، ولكن الزُّهد مَذهب أبي العتاهية ، وشعره في المَديح ليس كشعره في الزُّهد . قال : أفليس الذي يقول في المديح :

وهارونُ ماء المُزن يُشفَى به الصَّدَى ... إذا ما الصَّدى بالرِّيق غَصَّت حناجرُهْ

وأوسطُ بيت في قُريش لبَيْتُه ... وأولُ عِزٍّ في قريش وآخرُه

وزحْفٍ له تحكِي البُروقَ سُيوفُه ... وتحكي الرُّعودَ القاصفاتِ حوافرُه

إذا حَمِيتْ شمسُ النَّهار تَضاحكتْ ... إلى الشَّمس فيه بَيْضُه[1] ومَغافره

إذا نُـكب الإسلامُ يوماً بنَـكْبةٍ ... فهارونُ من بين البرية ثائره

ومَن ذا يفُوت الموتَ والموتُ مُدرِكٌ ... كذا لم يَفُتْ هارونَ ضِدٌّ يُنافره

فخلص الرجلُ من شرّ ابن الأعرابى بأن قال له : القولُ كما قلتَ ، وما كنتُ سمعتُ له بمثل هذين الشعرين ، وكتبهما عنه .

بينه وبين ثمامة فى البخل

وحكى ثُمامة بن أشرس قال : أنشدنى أبو العتاهية :

إذا المرء لم يُعتِق من المـال نفسه ... تمَلّـكه المـالُ الذى هو مالـكُه

ألَا إنمـا مالى الذى أنا مُنْفِق ... وليس لى المـالُ الذى أنا تاركه

إذا كنتَ ذا مالٍ فبادرْ به الذى ... يَحقُّ وإلّا استَهلَـكتْه مَهالِـكه

فقلت له : من أين قضيتَ بهذا ؟ فقال : من قول رسول الله صلّى الله عليه وسلّم : إنما لك من مالك ما أكلتَ فأفنيتَ ، أو لَبِست فأبليت ، أو تصدّقت فأمضيت . فقلت له : أتؤمن أن هـذا قولُ رسول الله صلّى الله عليه وسلّم ، وأنه الحق ؟ قال : نعم . قلت : فِلمَ تحبس عنـدك سبعاً وعشرين بَدْرة[2] فى دارك ، لا تأكل منها ولا تشرب ولا تزكّى ، ولا تُقدّمها ذُخراً ليوم فقرك وفاقتك ؟ فقال : يا أبا مَعن ، والله إنّ ما قلتَ لهو الحقّ ، ولـكنى أخافُ الفقرَ والحاجة إلى الناس . قلتُ : وبم تزيد حالُ من افتقر على حالك ، وأنت دائمُ الحرص دائم الجمع ، تضَنّ على نفسك ، لا تَشـترى اللحم إلّا من عيدٍ إلى عيـد ! فترك جواب كلامى ثم قال : والله لقـد اشتريتُ فى يوم عاشـوراء لحماً وتوابـلَه وما يتبعه بخمسة دراهم . فلما قال لى هذا القول أضحكنى حتى أذهلنى عن جوابه ومُعاتبته ، فأمسكتُ عنه وعلمتُ أنه ليس ممّن شَرح الله صدرَه للإسلام .

(١) البيض : جمع بيضة ، وهى الخوذة .

(٢) البدرة : عشرة آلاف درهم .

وحكى بعضُهم قال :

هو وسائل

وقف على أبى العتاهية سائلٌ من العيَّارين[1] الظُّرفاء ، وجماعةٌ من جيرانه حوالَيْه ، فسأله مِن بين الجيران ، فقال : صَنع الله لك . فأعاد السؤال . فردّ عليه . فأعاد عليه ثالثةً . فردّعليه مثلَ ذلك . فغَضب وقال له : ألستَ الذى تقول :

كل حَيٍّ عنـد مِيتته حظُّه من ماله الكَفَنُ ؟

قال : نعم . قال : فبالله عليك ، أتريد أن تُعِدّ مالَك كله لثمن كفنك ؟ قال : لا . قال : فبالله كم قدَّرت لكفنك ؟ قال : خمسة دنانير . قال : هى إذاً حظُّك من مالك ؟ قال : نعم . قال : فتصدَّق علىّ من غير حظّك بدِرهم واحد . قال : لو تصدَّقتُ عليك لكان حظّى . قال : فاُعمل على أنّ ديناراً من الخمسة الدنانير وَضيعة[2] قيراط ، وادفع إلىّ قيراطاً واحداً ، وإلّا فواحدة أُخرى . قال : وما هى ؟ قال : القبور تُحفر بثلاثة دَراهم ، فأعطنى درهماً وأُقيم لك كفيلاً بأنى أحفر لك قَبرك به متى متَّ ، وتَربحَ دِرْهمين لم يكونا فى حِسابك ، فإن لم أحفر رددتُه على ورثتك ، أو ردّه كفيلى عليهم . فخَجِل أبو العتاهية وقال : اُعْزُبْ لعنك الله وغَضب عليك ! وضَحك جميعُ مَن كان حاضراً . ومَرّ السائل يضحك . والتفت إلينا أبو العتاهية ، وقد اُغتاظ ، فقال : من أَجل هذا وأمثاله حُرِّمت الصدقة . فقلنا له : ومن حَرّمها ؟ ومتى حُرّمت ؟ فما رأيت أحداً قبله ولا بعده ادّعى أنّ الصدقة حُرّمت .

وداعه لأبى غزية

وقال أبو غَزيّة :

كان أبو العتاهية إذا قدم المدينةَ يجلس إلىّ ، فأراد مرةً الخروج من المدينة ، فودّعنى ثم قال :

---

(١) العيار : الذى يتردد بلا عمل .

(٢) الوضيعة : الحطيطة .

إنْ نَعِش نجتمعْ وإلّا فما أشْـ ـغلَ مَن مات عن جميع الأنامِ

بينه وبين غلام لبعض التجار طالبه بمال

وقيل :

كان لبعض التجّار من أهل باب الطاق[1] على أبى العتاهيــة ثمنُ ثيابٍ أخذها منه، فمرّ به يوماً، فقال صاحبُ الدّكان لغُلام ممّن كان يخدُمه حَسنِ الوجه : أَدرِكْ أبا العتاهية ولا تُفارقه حتى تأخُذَ منه مالنا عليه . فأدركه على رأس الجسر ، فأخذ بعِنان حِماره ووَقفه . فقال له : ما حاجتُك يا غلام ؟ قال : أنا رسول فلان بَعثنى إليك لآخُذَ ما له عليك . فأمسك عنه أبو العتاهية ، وكان كُلُّ مَن رأى الغُلام متعلّقاً به وقَف ينظرُ ، حتى رضى أبو العتاهيــة جَمْع الناس وحَفْلهم ، ثم أنشأ يقول :

واللهِ ربّى[2] إنّنى لأُجِلُّ وجهك عن فِعالِكْ
لو كان وَجْهك مثــلَ فِعْـ ـلك[3] كنتُ مُكتفياً بذلك

فخَجل الغــلامُ ، ورَجع إلى صاحبه وقال : بعثْتَنى إلى شَــيطان ، جمع علىّ الناس وقال فىّ الشّعر حتى أخجلنى ، فهرَبتُ منه .

شعره لابن مسعدة وكان قد حجب عنــه

وذُكر أن أبا العتاهية كان يَختلف إلى عمرو بن مَسعدة ، لوُدٍّ كان بينه وبين أخيه مُجاشع ، فاستأذن عليه يوماً ، فحُجب عنــه ، فلزَم منزلَه . واستبطأه عمرو . فكتب إليه : إنّ الــكسل مَنعنى من لقائك . وكتب فى أسفل رُقعته :

كسّلنى اليأسُ منكَ عنك فمــا أرفع طَرْفى إليك من كَسَلِ
أىّ امرىء لم يكن أخا[4] ثقةٍ قطّعتُ منــه حبــائلَ الأَمل

---

(١) باب الطاق : محلة كبيرة ببغداد بالجانب الشرقى .
(٢) فى بعض أصول الأغانى : « ربك » .
(٣) فى بعض أصول الأغانى : « لو كان فعلك مثل وجهك » .
(٤) فى بعض أصول الأغانى : « إنى إذا لم يكن أخى » .

وقيل : إنّه كتب إليه مَرة :

مالَكَ قد حُلت عن إخائك واُستبدلتَ يا عَمرُو شِيمةً كَدِرَهْ

إنّى إذا البابُ تاه حاجبُه لم يك عندى فى هَجْره نَظِره

لستُم تُرجّون للوفاء[1] ولا يومَ تكون السّماء مُنفطره

لكنْ لدُنيا كالظِّل بَهْجتُها سريعةُ الانقضاء مُنْشمره

قد كان وجهى لديكَ معرفةً فاليومَ أضحى حَرْفاً من النّكره

هجاؤه جارية كان يهواها

وقيل :

كان أبو العتاهية يَهوى فى حداثته اُمرأةً نائحة من أهل الحِيرة ، لها حُسن ودَمامة ، يقال لها : سُعدى . وكان عبد الله بن معن بن زائدة الشّيبانى ، المُكنّى بأبى الفضل ، يهواها أيضاً ، وكانت مولاةً لهم ، ثم اُتهمها أبو العتاهية بالنساء ، فقال فيها :

ألا يا ذَواتِ السَّحقِ فى الغَرب والشّرق أفِقْنَ فإنّ النَّيْك أشْفَى من السَّحْقِ

أفِقْنَ فإنّ الخُبز بالأُدم يُشْتَهَى وليس يَسُوغ الخُبزُ بالخُبز فى الحَلْق

أرا كنّ تَرْقعن الخُروق بمثلها وأىّ لبيبٍ يرقَع الخَرْق بالخَرق

وهل يَصلُح المِهْراس[2] إلّا بعُوده إذا اُحتِيج منه ذاتَ يوم إلى الدَّق

هجاؤه لابن معن

وتهدَّد عبدُ الله بن مَعن بن زائدة أبا العتاهية وخَوّفه ، ونهاه أن يُعرِّض لمولاته سُعدى . فقال أبو العتاهية يهجوه :

لقد بُلّغتُ ما قالَا فما باليتُ ما قالَا

فلو كان من الأُسْد لما صَال ولا هَالا

فصُغْ من حلْيةِ السَّيف الّذى أُلبست[3] خَلْخالا

---

(١) فى بعض أصول الأغانى : « للحساب » مكان « للوفاء » . (٢) المهراس : الهاون .

(٣) رواية البيت فى بعض أصول الأغانى :

فصغ ما كنت حليت به سيفك خلخالا

وبهذه الرواية أعاد ابن واصل البيت بعد قليل .

فما تَصنع بالسَّيف … إذا لم تَكُ قتَّالا
فلو مَدَّ إلى أُذْنَيْـ … ـه كفّيه لما نَالا
قَصيرُ الطُّول والطِّيلـ … ـةِ (١) لا شَبَّ ولا طالا

وقال فيه يهجوه :

يا صاحبَىْ رَحْلِىَ لا تُكثِرا … فى شَتْم عبد الله من عَذْلِ
سُبحانَ من خَصّ ابنَ معن بما … أرى به من قِلَّة العَقْل
قال ابنُ مَعْنٍ وجَلا نَفْسَه … على مَنِ الجَلْوةُ يا أهْلى
أنا فتاةُ الحىّ من وائلٍ … فى الشَّرَف الشّامخ والنُّبْل
وَيْلى ويالَهْفى على أمْرِدٍ … يُلْصِق منّى القُرطَ (٢) بالحِجْل
صافحتُه يوماً على خَلْوةٍ … فقال دَعْ كفِّى وخُذْ رِجْلى
أختُ بنى شَيْبان مرَّت بنا … ممشوطةً كُوراً (٣) على بَغْل
تُكْنَى أبا الفَضل فيامَن رأى … جاريةً تُكْنى أبا الفضل
قد نَقَّطت فى وجهها نُقْطةً … مَخافةَ العين من الكُحل
إن زُرْتموها قال حُجّابها … نحن عن الزُّوّار فى شُغل
مولاتُنا مشغولةٌ عندها … بَعْلٌ ولا إذنَ على البَعل
يا بنتَ مَعْنِ الخير لا تَجْهلى … وأين تقصيرٌ (٤) عن الجَهل
أتَجْلِدُ الناسَ وأنت امرؤٌ … تُجْلَد فى دُبرك (٥) بالفَسْل
ما يَنبغى للنّاس أن يَنْسُبوا … مَن كان ذا جُودٍ إلى البُخل
يَبْذُل ما يمنع أهلُ النَّدى … هذا لَعمرى مُنتهى البَذْل

(١) الطيلة : العمر . (٢) الحجل : الخلخال . (٣) الكور : الرحل .
(٤) فى بعض أصول الأغانى : « إقصار » مكان « تقصير » .
(٥) الرواية فى بعض أصول الأغانى : * تجلد فى الدبر وفى القبل *
والفسل : قضبان الكرم . يورى .

ما قلتُ هـــذا فيك إلّا وقد جَفَّت به الأقــلامُ من قَبلى

قيل : فاحْتال عبدُ الله بن مَعن على أبى العتاهية حتى أخذه فى مكان فضَربه مائة سَوط ضَرباً ليس بالمُبرِّح غيظاً عليه . و إنما لم يُعنِّف به فى الضَّرب خوفاً من كثرة مَن يُعنى به . فقال أبو العتاهية يهجوه :

جَـــلدتْنى بكفِّها بنتُ مَعن بن زائـدَهْ
جَـــلدتْنى فأَوجعتْ بأَبى أنتِ[1] جالده
جَـــلدتْنى وبالغتْ مائةً غـيرَ واحـدَه
أُجْلدى أُجلدى[2] أُجلدى إنمـــا أنتِ والِـده

وغَضب من ذلك يزيدُ بن مَعن أخو عبـدُ الله وتوعّد أبا العتاهيــة . فقال أبو العتاهية يَهجوه ، من قصيدة أولها :

بَنَى مَعْنٌ ويَهـدمه يزيدُ كذاك الله يَفعـل ما يُريدُ
فمعنٌ كان للحُسَّاد غَيْظاً وهـذا قد يُسَرُّ به الحَسُود

وقيل : إن عبد الله بن مَعن أحضر أبا العتاهية ودعا بغِلْمان له ، ثم أمرهم أن يَفْسقوا به . ففعلوا . ثم أَجلسه وقال : قد جازيتُك على قولك ، فهل لك بعد هذا فى الصُّلح ومعــه مَرْكبٌ وعشرة آلاف درهم ، أو تقيم على الحرب وما تَرى ؟ قال : بل الصُّلح . قال : فأَسمعنى ما تقوله فى معنى الصُّلح . فقال :

ما لعُـــذّالى ومالِى أَمرونى بالضَّـــلال
عَذلونى فى اُغتفـارِى لاُبن مَعْن واُحتمالى
إنْ يكُن ما كان منْـه فبجُرْمى وفِعـــالى

(١) فى بعض أصول الأغانى : « تلك » مكان « أنت » .

(٢) رواية هذا الشطر فى بعض أصول الأغانى :

* اجلدينى واجلدى *

أنا منـه كنتُ أسوا عِشرةً فى كلّ حال

قُل لمن يَعجب من حُسـ ـن رُجوعى ومَقالى

رُبَّ صَفْح بعد[١] جُرم وهوًى بعد[٢] تقالى

قد رأينـاك كبيراً جائزاً[٣] بين الرِّجال

إنمـا كانت يَمينى لطمتْ منى شِمالى

وقيل : إن عبد الله بن مَعن لما قال فيه أبو العتاهية :

فصُغ ما كنت حلّيْت به سيفَك خَلْخالاَ

فما تَصنع بالسَّيف إذا لم تكُ قتّالا

قال : والله ما لبستُ سيفى قط ، فرأيتُ إنساناً يلمحنى إلّا ظننته يحفظ قولَ أبى العتاهية فى ذلك ، فأَخجل .

تمثل الرشيد ببيت له عند رؤيته ابن معن

وكان الرشيدُ إذا رأى عبدَ الله بن مَعن تمثّل ببيت أبى العتاهية :

أُختُ بنى شَيبان مرّت بنا مَمْشوطةً كُوراً[٤] على بَغْلِ

بينه و بين مسلم ابن الوليد

وقيل :

اجتمع أبو العتاهية ومُسلم بن الوليد صَريع الغَوانى ، فجرى بينهما كلامٌ . فقال له مسلم : والله لو كنتُ أرضى مثل قولك :

الحمـدُ والنِّعمةُ لكْ والمُلْك لا شَريكَ لكْ

لبيك إنّ المُلْك لَكْ

(١) فى بعض أصول الأغانى : « صد » مكان « جرم » .
(٢) التقالى : التباغض .
(٣) الرواية فى بعض أصول الأغانى :
« قد رأيناك كثيراً * جارياً »
(٤) الكور : الرحل .

لقلتُ اليوم عشرة آلاف بيت ، ولكنِّى أقول :

مُوفٍ على مُهَجٍ فى يوم ذى رَهجٍ — كأنه أجلٌ يَسعى إلى أملِ
يَنال بالرِّفق ما يَعيا الرِّجالُ به — كالموتِ مُستعجلاً يأتى على مَهل
يكسو السُّيوفَ نفوسَ الناكثين به — ويجعلُ الهامَ تيجانَ القَنا الذُّبُل
لله من هاشمٍ فى أرضه جَبلٌ — وأنت وأبنُك رُكْنا ذلك الجَبَل

فقال أبو العتاهية : يا بن أخى ، قُل مثل قولى :

* الحمدُ والنِّعمةَ لك *

حتى أقول مثل قولك :

* كأنه أجلٌ يَسعى إلى أمل *

بينه و بين بشار

وقيل : قال بشّار لأبى العتاهية : أنا والله أستحسن أعتذارَك من دَمعك حيث تقول :

كم من صَديق لى أسا — رقه البُكاء من الحَياء
و إذا تأمَّل لامَنى — فأقول مابى من بُكاء
لكنْ ذهبتُ لأَرتدى — فطَرفتُ عينى بالرِّداء

فقال له أبو العتاهية : يا أبا مُعاذ ، ما لُذتُ إلا بمَعناك ، ولا أجتنيتُ إلا من غَرْسك ، حيث تقول :

شكوتُ إلى الغَوانى ما أُلاقى — فقلتُ لهن ما يومى بَعيدُ
فقُلْن بكيتَ قلتُ لهن كلاّ — وقد يَبْكى من الشَّوق الجَليد
ولكنِّى أَصابَ سوادَ عَينى — عُويدُ قَذًى له طَرَفٌ حَديد

بينه و بين الرشيد وقد وجد عليه

وذكر الفضلُ بن الرَّبيع قال :

وَجَد الرَّشيدُ ، وهو بالرّقة ، على أبى العتاهية فى شىء ، وأبو العتاهية بمدينة

السّلام . وكان أبو العتاهية يرجو أن أتكلّم فى أمره . فأبطأتُ عليه بذلك . فكتب إليه أبو العتاهية :

أجفوتَنى فيمن جفانى وجعلتَ شأنك غيرَ شانى
ولطالما أمَّنْتَنى ممّا أرى كُلَّ الأمان
حتى إذا انقلب الزّما نُ علىّ صرتَ مع الزّمان

فكلّمتُ الرشيدَ فيه ، فرضى عنه . وأرسلتُ إليه آمرُه بالشُّخوص وأذكر له أن أمير المُؤمنين قد رَضى عنه . فشَخص إلىّ بالرّقة . فلما دَخل إلىّ أنشدنى قولَه فيه :

قد دعوناه نائياً فوجدنا ه على نأيه قريباً سَميعاً

فأدخلتُه إلى الرشيد . فرجَع إلى حالته الأُولى .

بينه و بين عبدالله ابن الحسن

وحَكى عبدُ الله بن الحسن قال :

جاءنى أبو العتاهية وأنا فى الديوان فجلس إلىّ ، فقلت له : يا أبا إسحاق ، أما يصعُب عليك شيء من الألفاظ فتحتاج فيه إلى استعمال الغريب كما يحتاج إليه سائرُ الناس ممن يقول الشعر ، أو إلى لفظ مُستكره ؟ فقال : لا . فقلت له : إنى أحسب ذلك من كثرة ركوبك القوافى السهلة . قال : فاعرض علىّ ما شئت من القوافى الصعبة . فقلت : قُل أبياتاً على مثل « البلاغ » . فقال من ساعته :

أىُّ عيشٍ يكون أفضل من عَيْـ ـشٍ كَفافٍ قُوتٍ بِقَدْر البلاغِ
صاحبُ البغْى ليس يسلَم منه وعلى نَفْسه بغَى كلُّ باغِى
رُبَّ ذى نِعمة تعرَّض منها حائلٌ بينه و بين المَساغ
أبْلَغ الدهرُ فى مَواعظه بل زاد فيهنّ لى على الإبلاغ
غَبَنْتنى الأيامُ عقلى ومالى وشبابى وصحّتى وفراغى

صلة الرشيد له من بين الشعراء

وقيل : أجتمعت الشعراء بباب الرَّشيد ، فأَذن لهم فدخلوا وأَنشدوا ، وأنشد أبو العتاهية :

يا من تَبَغَّى[1] زمناً صالحاً   صلاحُ هارونَ صلاحُ الزَّمنْ
كُلُّ لسانٍ هُو فى مُلكه   بالشُّكر فى إحسانه مُرْتَهن

فاهتزّ الرشيدُ وقال : أحسنتَ والله ! وما خَرج فى ذلك اليوم أحدٌ من الشعراء بصلة غيرُه .

رثاؤه لابن ثابت

قيل :

وكان علىّ بن ثابت صديقاً لأبى العتاهية ، و بينهما مُجاوبات كثيرة فى الزُّهد والحكمة ، فتُوفِّى ابن ثابت قبله ، فقال يرثيه :

مؤْنِسٌ كان لى هَلَكْ   والسبيلُ التى سَلَكْ
يا علىّ بنَ ثابتٍ   غَفَر الله لى ولَك
كُلُّ حىٍّ مُملَّكٍ   سوف يَفْنَى وما مَلَك

وحضر أبو العتاهية علىَّ بن ثابت وهو يجُود بنفسه ، فلم يزل يَلتزمه و يبكى حتى فاظ . فلما شُدّ لَحياه بكى طويلاً ، ثم أنشأ يقول :

يا شَرِيكى فى الخير قرَّبك اللّـه فنِعمْ الشَّريكُ فى الخير كُنْتَا
قد لعَمْرى حَكَيْتَ لى غُصَص المو ت فحرَّكْتَنى لها وسَكَنْتا

ولما دُفن وقف على قبره يبكى بأحرّ بكاء و يردّد هذه الأبيات :

أَلَا من لى بأُنسك يا أُخَيّا   ومَن لى أن أبُثَّك ما لديَّا
طوتْك خُطوبُ دهرك بعد نَشْرٍ   كذاك خُطوبُه نَشراً وطَيّا

---

(١) تبغى : تطلب .

كفى حزناً بفقدك ثم إنى نفضتُ تُرابَ قبرك مِن يديّا
بكيتُك يا علىّ بدمع عَينى فما أغنى البُكاء عليك شيّا
وكانتْ فى حياتك لى عظاتٌ فأنتَ اليومَ أوعظُ منك حيّا

وهذه الكلمات أخذها أبو العتاهية من الحكماء الذى حضروا تابوت الإسكندر ذى القَرْنين بن فيلبس لمّا مات . فقال أحدُهم : كان الملك أمسِ أهيبَ منه اليوم ، وهو اليوم أوعظُ منه أمس .

وقال آخر : سكنتْ حركة الملك فى لذّاته ، وقد حرّكنا اليوم بسُكونه جزعاً لفقده .

هو وفتيان قامرهم على قول الشعر

وقيل :

اجتاز أبو العتاهية فى أول أمره ، وعلى ظَهره قَفصٌ فيه فخّار يدُور به بالكُوفة و يَبيع منه ، بِفتْيان جُلوس يتذاكرون الشِّعر و يتناشدونه ، فسلّم ووضع القفص عن ظَهره ، ثم قال لهم : يا فِتيان، أراكم تتذاكرون الشّعر وتقولونه ، أفأقول شيئاً منه وتُجيزونه ، فإنْ فعلتم فلكم علىّ عشرة دراهم ، و إن لم تفعلوا فعليكم عشرة دراهم ؟ فهزِئوا منه وسَخروا وقالوا : نعم ، لا بُدّ أن يُشترى بأحدالقَمْرين رُطبٌ يؤكل ، فإنه قِمْر[1] حاصل . وجعل رَهْنه على يد أحدهم[2] . ففعلوا . فقال : أجيزوا :

* ساكنِى الأجداث أنتم *

وجعل بينه و بينهم وقتاً وعلامة فى ذلك الموضع إذا بلغتْه الشمسُ ولم يُجيزوا البيتَ، وجب القَمرُ عليهم . فلم يأتُوا بشىء . فأخذ الدراهم ، وجعل يهزأ منهم وتمّمه :

. . . . مثلَنا بالأمس كنتم
ليت شِعْرى ما صَنعتُم أربِحتم أم خَسِرتم

(١) فى بعض أصول الأغانى : « القمارين . . . قمار » .
(٢) فى بعض أصول الأغانى : « تحت يد أحدهم » .

وهى قصيدة طويلة من شعره .

جائزة المأمون له على بيتين

وقيل :

وقعت رقعةٌ فى عسكر المأمون ، فجىء بها إلى مُجاشع بن مَسعدة ، فقال : هذا الكلامُ لأبى العتاهية ، وهو صديقى ، وليست المُخاطبة لى ولكنها للأمير الفَضل بن سَهل . فبعثوا بها إليه ، فقرأها فقال : ما أعرف هذه العلامة . فبلغ خبرُها المأمونَ ، فقال : هذه لى ، وأنا أعرف العلامةَ . والبيتان :

ما على ذا كُنّا اتفقْنا[1] بسَندا ن وما هكذا عَهِدْنا الإخاءَ

تَضرب الناسَ بالمُهنَّدة البِيـ ضِ على غَـدْرهم وتَنْسى الوفاء

فبعث إليه المأمونُ بمال .

أطلقه الرشيد من الحبس لشعر سمعه له

وقيل :

حَبس الرشيدُ أبا العتاهية ليرجع إلى قول الغزل ، وكان تركه واقتصر على الزُّهديّات ، ولما لَجَّ فى امتناعه ضَربه وحَبسه ووكّل به صاحبَ خَبَرٍ يكتب إليه بكُل ما يَسمعه منه . فكتب إليه : إنه سَمعه يُنشد :

أمَا والله إنّ الظُّلم لُومُ وما زال المسىء هو الظَّلومُ

إلى ديّان يومِ الدِّين نَمضى وعنـد الله تجتمع الخُصوم

فبكى الرشيدُ وأمر بإحضار أبى العتاهية و إطلاقه .

إجابته لبعضهم وقد سأله عن أحسن ما قال

وقال بعضُهم :

قلتُ لأبى العتاهية : فى أىّ شعرك أنت أشعر ؟ قال : قولى :

الناسُ فى غَفلاتهمْ ورَحَى المَنيّة تَطْحَنُ

ما دُون دائرة الرَّدى حِصْنٌ لمن يَتحصَّن

---

(١) سندان : مدينة ملاصقة للسند . والرواية فى بعض أصول الأغانى : « افترقنا بسندان » .

شعر له فى الموت أنشده المأمون

وذكر المُعلَّى بن أيوب قال :

دخلتُ على المأمون يوماً وهو مُقبل على شيخ حَسن اللِّحية خَضيب شديدِ بياض الثياب، على رأسه لاطئة[1] ، فقلت للحسن بن أبى سعيد — وهو ابن خالة المُعلَّى بن أيوب ، وكان الحسن كاتبَ المأمون على العامّة— : مَن هذا ؟ فقال : أوَما تعرفه ؟ فقلت : لو عرفتُه ما سألتك عنه . قال : هذا أبو العتاهية . فسمعتُ المأمونَ يقول : أنشدنى ما قلت فى الموتِ . فأنشده :

أَنساكَ مَحْيــاكَ المَماتَا ... فطلبْتَ فى الدُّنيا الثَّباتَا

أَوثِقْتَ بالدُّنيــا وأنـ ... ـتَ ترى جَماعتها شَتاتا

وعزَمتَ منك على الحيـا ... ة وطُولِهــا عَـزْماً بَتاتا

يا مَن رأى أبَويْه فيـ ... ـمَنْ قد رأى كانا فماتا

هل فيهما لك عِــبرةٌ ... أم خِلْتَ أنّ لك انفلاتا

ومَن الذى طلب التفلُّـ ... ـتَ من منيّتِــه ففاتا

كلٌّ تُصبِّحــه المَنيّـ ... ـة أو تُبيِّتُــه بَياتا

فلما نَهض تَبعتُه ، فقبضتُ عليه فى الصَّحن ، أو فى الدِّهليز ، فكتبتُها عنه .

أخذ عليه الرشياد معنى فى شعره فعله فأجاد فجازاه

وقيل :

دخل أبو العتاهية على المأمون فأنشده :

ما أحسَن الدُّنيا وإقبالَها ... إذا أطاع اللهَ مَنْ نالَها

مَن لم يُواسِ الناسَ فى فضله ... عَرَّض للإدبار إقبالَهــا

فقال له المأمون : ما أجودَ البيتَ الأول ! وأما الثانى فما صنعتَ فيه شيئاً ، الدُّنيا مُدبرة عمّن واسى بها أو ضنّ منها ، وإنما تُوجب السَّماحةُ بها الأجرَ ، والضنُّ

(١) اللاطئة : قلنسوة صغيرة تلطأ بالرأس .

بها الوِزْرَ . فقال : صدقتَ يا أمير المؤمنين ، أهل الفضل أولى بالفضل ، وأهل النَّقص أولى بالنَّقص . فقال المأمون : يا ثابت ، أدفع إليه عَشْرة آلاف درهم لأعترافه بالحقّ . فلما كان بعد أيّام عاد فأنشده :

كم غافلٍ أودى به الموتُ لم يأخُذ الأُهبــةَ للفَوْتِ
من لم تَزُلْ نعمتُه قبــلَه زال عن النِّعمة بالموت

فقال له المأمون : الآن أحسنت وطبّقت[1] المعنى ، وأمر له بعشرين ألف درهم .

لم يبعث إليه المأمون على هديته فكتب إليه شعراً

وقيل :

كان أبو العتاهية يحُج فى كل سنة ، فإذا قَدم أهــدى إلى المأمون بُرداً ومِطْرفاً ومَساويكَ أراكٍ ونَعلاً سوداء ، فيبعث إليه بعشرين ألف درهم . فأهدى إليه سنةً كما كان يُهدى ، فلم يَبعث إليه شيئاً . فكتب إليه :

خبَّرُونى أنّ مِن ضَرْب السَّـنَهْ جُـــدُداً بيضاً وصُفْراً حسَنَهْ
أُحْـــدِثتْ لـكنّنى لم أرها مثـلَ ما كنتُ أرى كلَّ سنه

فأمر المأمون بحمل العشرين ألف إليه . وقال : أغفلناه حتى أذكرنا .

تهنئته الهادى بمولود

وقيل :

وُلد لموسى الهادى ولدٌ فى أول يومٍ وَلى فيه الخلافة ، فدخل عليه أبو العتاهية فأنشده :

أكثر مُوسى غيظَ حُسَّادِهِ وزَيَّن الأرضَ بأولادِهِ
وجاءنا من صُلْبه سـيِّدٌ أَصْـيدُ فى تَقْطيع أجــداده
واكتستِ الأرضُ به بهجةً واستبشر الملكُ بميــلاده

(١) فى بعض أصول الأغانى : « طيبت » .

وأبتسم المنبر عن فرحة بقوم[1] صدق فوق أعواده
كأننى بعد قليل به بين مواليه وقواده
فى جحفل[2] تخفق راياته قد طبق الأرض بأجناده

فأمر له الهادى بألف دينار ، وكان ساخطاً عليه لانقطاعه إلى أخيه هارون الرشيد فى أيام أبيهما المهدى ، ورضى عنه .

تعقيب لابن واصل فى عهد المهدى لأولاده

قلت : كان المهدىُّ قد جعل ولاية عهده إلى أبنه موسى الهادى ، ثم بعده لأبنه هارون الرشيد . فلما مات المهدىُّ تقلّد موسى الهادى الأمر وتغيّر لأخيه هارون الرشيد وعزم على خلعه من ولاية عهده ، ونقل ذلك إلى ولده جعفر بن الهادى . فلم تطل أيامه إلا سنةً وشهراً وأياماً . ثم مات الهادى وصفت الخلافةُ لهارون الرشيد وطالت أيامه . ولم يلِ الخلافةَ بعده إلا مَن هو مِن عَقِبه إلى يومنا هذا ، ولم يُقدِّر الله للهادى إتمامَ ما نواه من الغدْر .

أنشد المهدى فى غضبه على أبى عبيد الله

وقيل :

دخل أبو عُبيد الله على المهدىّ، وقد وَجد عليه فى أمر بلغه عنه ، وأبو العتاهية حاضرُ المجلس ، فجعل المهدىُّ يشتُم أبا عُبيد الله ويتغيّظ عليه ، فجرَّ برجله وحُبس . ثم أطرق المهدىُّ طويلاً ، فلما سكن أنشده أبو العتاهية :

أرى الدُّنيا لمن هى فى يديهْ عَذاباً كلما كثرت لديهْ
تُهين المُكرِمين لها[3] بصغْرٍ وتُكرم كلَّ من هانت عليه
إذا استغنيْت عن شىء فَدعْه وخُذ ما أنت محتاجٌ إليه

فتبسّم المهدىُّ وقال لأبى العتاهية : أحسنت ! فقام أبو العتاهية ثم قال : والله

(١) رواية هذا العجز فى بعض أصول الأغانى :
* علت به ذروة أعواده *
(٢) فى بعض أصول الأغانى : « فى محفل » .
(٣) الصغر : الضيم والذل .

يا أمير المؤمنين ما رأيتُ أحداً أشدَّ إكراماً للدُّنيا ولا أصونَ لها ولا أَضَنَّ بها ولا أشحَّ عليها من هذا الذى جُرَّ برجله الساعةَ ، ولقد دخلتُ على أمير المؤمنين إذ دخل ، وهو أعز الناس ، فما برحتُ حتى رأيتُه أذلَّ الناس ، ولو رَضى من الدُّنيا بما يَكفيه لاستوتْ أحوالُه ولم تتفاوت . فتبسّم المهدىُّ ودعا بأبى عُبيد الله ورضى عنه . فكان أبو عُبيد الله يشكُر ذلك لأبى العتاهية .

تعقيب لابن واصل عن أبى عبيد الله وموته

قلت : كان أبو عُبيد الله وزيرَ المهدىّ فى أيام أبيه أبى جَعفر المنصور ، فلما أفضت إليه الخلافةُ غَلب عليه وصارت الأُمور كلها إليه ، ثم تغيَّرت أحوالُه عنده واستوزر يعقوب بن داود بن طهمان ، الذى تقدّم ذكره فى أخبار هشام ، ثم غَضب عليه المهدىُّ وأَودعه المُطْبَق . فلم يزل فيه لا يُفرِّق بين الليل والنهار حتى انقضت أيّام المهدىّ وأيّام موسى الهادى وصدراً من خلافة هارون الرشيد ، فأَخرجه وأَطلقه ، فتوجّه إلى مكة فأقام بها حتى مات .

تفضيل ابن مناذر له

وحكى مَسعود بن بِشر المازنىّ قال :

لقيتُ ابن مُناذر بمكة فقلت له : من أشعر أهل الإسلام ؟ قال : من إذا شئتَ هَزل ، وإذا شئتَ جدّ . قلت : من ؟ قال : مثل جرير حيث يقول فى النَّسيب :

إنّ الذين غَدَوْا بلُبِّك غادَرُوا ... وشَلاً بعَينك لا يزال مَعِينَا
غيَّضْن من عَبراتهنّ وقُلْن لى ... ماذا لَقِيتَ من الهَوى ولَقِينا

ثم قال حين جَدّ :

إنّ الذى حَرم المكارمَ تَغْلباً ... جَعل النُّبوةَ والخلافةَ فينا
مُضَرٌ أبى وأبو المُلوك فهل لكم ... يا خُزْرَ[1] تَغْلِبَ من أَبٍ كأَبينا
هذا ابنُ عمِّى فى دِمَشْق خليفةٌ ... لو شئتُ ساقكمُ إلىّ[2] قَطِينا

(١) فى بعض أصول الأغانى : « يا آل » مكان « يا خزر » .
(٢) القطين : الخدم والأتباع .

ومن المُحدَثين هـذا الخبيثُ الذى يتناول شـعرَه من كُمِّه . فقلت : من ؟ قال : أبو العتاهية . قلت : فبماذا ؟ قال : فى قوله :

اللهُ بينى و بين مَـولاتى ... أبدتْ لنا الصَّـدَّ والمَلالاتِ
لا تَغفِرُ الذَّنب إن أسأتُ ولا ... تقبـل عُذرى ولا مُواتاتى
منحتُهـا مُهجتى وخَالصتى ... فـكان هِجْرانُهـا مُـكافاتى
أقلقنى حُبُّهـا وصَـيَّرنى ... أُحـدوثةً فى جميع[1] حالاتى

ثم قال حين جدّ :

ومَهْمهٍ قد قطعتُ[2] طامِسَـه ... قَفْرٍ على الهَوْل والمُحـاماةِ
بحُـرَّةٍ جَسْرة عُـذافرة ... خَوْصـاءَ عَـيْرانةٍ[3] عَلَنْـداة
تُبـادر الشَّمسَ كلما طَلعتْ ... بالسَّـير تبغى بذاك مَرْضـاتى
يا ناقُ خُبِّى بنا ولا تَعـدِى ... نَفْسَـك ممّـا ترَيْن راحات
حتى تُنـاخَىْ بنـا إلى مَلِكٍ ... توَّجَـه الله بالمَهـابات
عليـه تاجان فوق مَفْرِقه ... تاجُ جَـلالٍ وتاجُ[4] إخبـات
يقُول للـرِّيح كلما عَصفتْ ... هل لكِ ياريحُ فى مُبـاراتى
مَنْ مِثْـلُ مَنْ عَمُّه الرسولُ ومَنْ ... أخوالُه أكـرَمُ الخؤولات

تمثل الفضل بشعر له

وقيل :

كانت مَرتبةُ أبى العتاهية مع مَرتبة الفضل بن الرَّبيع فى موضع واحد فى دار

---

(١) فى بعض أصول الأغانى : « جاراتى » مكان « حالاتى » .

(٢) الطامس : البعيد الذى لا مسلك فيه .

(٣) الحرة : الناقة العتيقة . والجسرة : العظيمة . والعذافرة : الشديدة . والخوصاء : الضيقة العينين . والعيرانة : النشيطة . والعلنداة : الطويلة .

(٤) الإخبات : الخضوع .

المأمون ، فقال الفضلُ لأبى العتاهية : يا أبا إسحاق ، ما أحسنَ بيتين لك وأصدقَهما ! قال : وما هما ؟ قال : قولُك :

ما الناسُ إلّا للكثير المال أو لمُسلَّطٍ ما زال فى سُلطانه
فإذا الزمانُ رَماهما[1] بمُلمّةٍ كان الثِّقاتُ هناك من أعوانه

يعنى : من أعوان الزمان . وإنما تمثّل الفضلُ بن الرَّبيع بهذين البيتين لانحطاط مَرتبته فى دار المأمون . وكان المأمون أمر بذلك لتحبيذه العداوة له مع أخيه محمد الأمين .

تنسك فحبسه الرشيد ثم أطلقه

وحكى محمد بن أبى العتاهية قال :

كان أبي لا يُفارق الرَّشيد فى سفر ولا حَضر إلا فى طريق الحجّ ، وكان يُجرى عليه فى كل سنة خمسين ألف درهم سوى الجوائز والمَعاوِن . فلما قدم الرَّشيد الرقَّةَ لَبِس أَبِى الصوفَ وتزهّد وترَك حُضور المُنادمة والقولَ فى الغزل . فأمر الرشيدُ بحَبْسه ، فحُبس . فكتب إليه من مَحْبِسه :

أنا اليومَ لى والحمدُ لله أشهرُ يَرُوح علىّ الهمُّ منكم ويَبْكُرُ
تذَكَّرْ أمينَ الله حقِّى وحُرْمَتى وما كنتَ تُولينى[2] كذلك يُذكر
ليالىَ تُدنى منك بالقُرب مَجْلسى ووجهُك من ماء البَشاشة يَقْطُر
فمَن لىَ بالعَيْن التى كُنتَ مرةً إلىَّ بها ـ نَفْسى فِداؤك ـ تَنْظُر

قال : فلمّا قرأ الرشيدُ الأبياتَ قال : قُولوا له : لا بأس عليك . فكتب إليه :

أرِقْتُ وطار عن عَيْنى النُّعاسُ ونام الساهرون[3] ولم يُواسُوا

---

(١) فى بعض أصول الأغانى : « ببلية » مكان « بملمة » .
(٢) الرواية فى الديوان : « لعلك تذكر » .
(٣) فى بعض أصول الأغانى : « السامرون » .

أَمينَ الله أَمْنُكَ خيرُ[1] أمنٍ عليـه من التُّقى فيـه لِباس
تُسـاس من السَّماء بكُل برٍّ وأنت به تَسُوس كما تُسـاس
كأنَّ الخلق رُكّبَ فيـه رُوح له جَسد وأنت عليـه راس
أمينَ الله إنَّ الحَبْس بأسٌ وقدوَقَّعت[2] : ليس عليك باس

فأمر بإطلاقه .

إجازة الرشيد والفضل له

وقيل :

ورد على الرَّشيد مالٌ عظيم من جهة المَوصل ، فأَمر بصَرفه أجمع إلى بعض جَواريه ، وٱستعظم الناسُ ذلك وتحدّثوا به . فرُئى أبو العتاهية وقد أَخذه شبهُ الجنون . فقيل له : مالك ؟ ويلك ! قال : سبحان الله ! أيُدفع هذا المالُ الجليل إلى ٱمرأة ولا يتعلّق بكفّى منه شىء ! ثم دخل على الرشيد بعد أيام وأنشده :

الله هوَّن عندك الدُّنيا وبَغَّضها إليكا
فأبيتَ إلّا أن تُصغِّر كلَّ شىء فى يَدَيْكا
ما هانت الدُّنيا على أحد كما هانت عَلَيكا

فقال الفضلُ بن الرَّبيع : يا أمير المؤمنين ، ما مُدحت الخلفاء بأصدقَ من هذا المَدح . فقال : يا فضل ، أَعطه عشرين ألف درهم . فغدا أبو العتاهية على الفَضل فأَنشده :

إذا ما كنتَ متَّخذاً خليلاَ فمثلَ الفَضل فاتَّخذ الخليلاَ
يَرى الشُّكر القليل له عَظيماً ويُعطى من مَواهبه الجَليلا
أرانى حيثما يمَّمتُ طَرْفى وجدتُ على مكارمه دَليلا

(١) الرواية فى بعض الأصول : « أمرك خير أمر » .
(٢) فى بعض الأصول : « وقد أرسلت » .

فقال له الفضل : والله لولا أنى أكره أن أساوى أمير المؤمنين لأعطيتُك مثلَها ، ولكنّى سأوصلها إليك فى دَفَعات . ثم أعطاه ما أَمر له به الرّشيد وزاده خمسة آلاف درهم من عنده .

حبس الرشيد له لامتناعه عن قول الغزل ثم إطلاقه إياه

وذُكر أنّ أبا العتاهية كتب إلى الرشيد لمّا حَبسه لامتناعه من قول الغَزل، وكان قد لَبِس كساءَ صُوف ودُرّاعة صُوف :

يابْنَ عَمّ النّبىّ سمعاً وطاعَه ... قد خَلعْنا الكِساءَ والدُّرّاعَه
ورَجعنا إلى الصِّناعة لمّا ... كان سُخْطُ الإمام تَرْكَ الصِّناعه

وقيل : لم يزل الرّشيدُ مُتوانياً فى إخراجه إلى أن قال :

لأَمرٍ مَا تصَّرفتِ اللّيالى ... وأمرٍ ما تقلّبت النُّجومُ
تموت غداً وأنت قَريرُ عَيْنٍ ... من الغَفَلات فى لُجَج تَعُوم
تَنام ولم تَنم عنك المَنايا ... تنبّه للمنيّة يا نَؤُوم
سَلِ الأيام عن أُمم تَقَضّت ... ستُخبرك المَعالم والرُسوم
تَروم الخُلْد فى دار المَنايا ... وكم قد رام قبلك[1] ما تروم
ألا يأيُّها الملك المُرجَّى ... عليه نواهضُ الدُّنيا تَحوم
أَقِلْنى زَلّةً لم أَجْرِ فيها ... إلى لومٍ وما مثلى مَلُوم
وخَلِّصْنى تُخلَّص يومَ بَعْثٍ ... إذا للنّاسُ بُرِّزت الجَحِيم

فرقّ له وأمر بإطلاقه .

هو وابن أبى الأبيض وأبو نواس

وحكى ابنُ أبى الأَبيض قال :

أتيتُ أبا العتاهية فقلت له : إنى رجل أقول الشعر فى الزُّهد ، ولى فيه أشعار كثيرة ، وهو مَذهبٌ أرجو ألّا آثم فيه ، وقد سمعتُ شعرك فى هذا المعنى

(١) فى بعض الأصول : « غيرك » مكان « قبلك » .

وأحببتُ أن أستزيد منه ، فأُحب أن تُنشدنى من جيّد ما قلتَ . فقال : أعلم أن أكثر ما قُلتَه ردىء . قلت : وكيف ! قال : لأن الشّعر ينبغى أن يكون مثل أشعار الفُحول المتقدّمين ، أو مثلَ شعر بشار أو ابن هرمة ، فإن لم يكن كذلك فالصَّواب لقائله أن تكون ألفاظُه مالا تخفى على جُمهور الناس مثل شعرى ، ولا سيما الأشعارُ التى فى الزُّهد ، فإنّ الزُّهد ليس من مَذاهب المُلوك ولا من مَذاهب رُواة الشعر وطُلّاب الغَريب ، وهو مَذهبٌ أشغفُ الناس به الزُّهاد وأصحابُ الحديث والفُقهاء وأصحاب الرأى[1] والعامّة ، فأعجبُ الأشياء إليهم ما فَهموه . فقلتُ : صدقتَ . ثم أنشدنى قصيدتَه التى يقول فيها :

لِدُوا للموت وابنُوا للخَرابِ ... فكلُّكمُ يَصِيرإلى[2] ذَهابِ
ألا يا موتُ لم أر منك بُدًّا ... أتيتَ وما تَحافُ[3] وما تُحابى
كأنّك قد هَجمتَ على مَشِيبى ... كما هجم المَشيبُ على شَبابى

قال : فصرتُ إلى أبى نُواس فأعلمتُه ما دار بيننا . فقال : والله ما أحسب فى شعره[4] بعد ما أنشدك بيتاً آخر . فصرتُ إليه فأخبرتُه بقول أبى نواس . فأنشدنى قصيدتَه التى يقول فيها :

طُول التّعاشُر بين الناس مَملولُ ... مالابن آدمَ إن كَشَّفت[5] مَعقُولُ
يا راعىَ النَّفس لا تُغفلِ رعايتها ... فأنت عن كُل مااُسترعيت مَسئول
إنّى لفى منْزلٍ ما زلتُ أعمرُه ... على يَقينٍ بأنّى عنه مَنقول
وليس من مَوْضع يأتيه ذو نَفَسٍ ... إلّا وللموت سيفٌ فيه مَسْلول

(١) فى بعض الأصول : « الرياء » .
(٢) فى بعض الأصول : « تباب » ، وهو الهلاك .
(٣) فى بعض الأصول : « وما تخاف » .
(٤) فى بعض الأصول : « مثل ما » مكان « بعد ما » .
(٥) فى بعض الأصول والديوان : « فتشت » مكان « كشفت » .

لم يُشغَل الموتُ عنّا مُذْ أُعِـدّ لنا وكُلّنا عنــه باللّذات مَشْغول
ومن يَمُت فهو مَقْطوع ومُجْتَنَبٌ والحىُّ ما عاش مَغْشىٌّ ومَوْصول
كُلْ ما بدالك فالآجالُ فانيةٌ وكُلُّ ذِى أُكُل لابُدّ مأكول

ثم أنشدنى عِدّة قصائد، ما هى بدون هذه . فصرتُ إلى أبى نُواس فأخبرتُه. فتغيّر لونُه، وقال : لم خَبّرته بما قلتُ ! قد والله أجاد ! ولم يقُل فيه سُوءاً .

هو والمهدى وقد ماتت له بنت

وحَكى أبو العتاهية قال :

ماتت بنتٌ للمهدىّ فَحزن عليها حُزناً شديداً حتى اُمتنع من الطعــام . فقلت أبياتاً أُعزِّيه فيها ، فوافيتُه وقد سَــلا وضَحِك وأَكل وهو يقول : لا بُدَّ من الصَّبر على مالا بُدَّ منه ، ولئن سلَوْنا عمن فقدناه ليسلُونّ عنّا من يَفْقدنا ، وما يأتى الليلُ والنهار على شىء إلا أبلياه . فلما سمعتُ هذا منه ، قلت : يا أمير المؤمنين ، أتأذن لى أن أُنشدك ؟ قال : هات . فأنشدتُه :

ما لْلجَديدَيْن لا يَبْلَى اُختلافُهما وكُلُّ غَضٍّ جــديدٍ فيهما بالِى
يا مَن سَلا عن حَبيبٍ بعد مِيتته كم بعد موتِك أيضاً من فتًى سالِى
كأنّ كُلّ نَعيم أنت ذائقُــه من لذّة العيش يَحكى لُمْعَةَ الآلِ
لا تَلعبنَّ بك الدُّنيا وأنت ترَى ما شئتَ من عِــبَرٍ فيها وأَمثال
ما حيــلة ُالمَرء إلا كُلّ صالحة أو لاَ فما حيــــلةٌ فيه لمُحْتال

فقال لى : أحسنت ! ويحك ! وأصبتَ ما فى نفسى ووعظتَ فأوجزت ! ثم أَمر لى لــكُل بيت بألفِ درهم .

شعر له فى سلم سمعه المأمون

وقيل :

أَنشد المأمون بيتَىْ[1] أبى العتاهية يُخاطب سَلْماً الخاسر :

(١) فى بعض أصول الأغانى : « بيت » بالإفراد . ولم يرد فيها غير الأول من البيتين .

تعالَى اللهُ يا سَلْمَ بن عمرٍو أذلَّ الحِرصُ أعناقَ الرِّجالِ
هَبِ الدُّنيا تُساق إليك جَمْعاً أليس مَصيرُ ذاك إلى زَوال

فقال المأمون : إنّ الحِرص لَمَفْسدةٌ للدِّين والمُروءة ، والله ما عرفتُ مِن رجلٍ قطُّ حِرْصاً ولا شَرَهاً فرأيتُ فيه مُصْطنعاً . فبلغ ذلك سَلْماً ، فقال : ويلى على المخنَّث الخرّاف الزِّنديق ! جمع الأَموال فكنَزها ، وعبّأ[1] البِدَر فى بيته ، ثم تزهّد مُراآةً ونِفاقاً ، وأَخذ يهتف بى إذا أنا تصدَّيت للطَّلب .

هو والجماز فى حضرة قثم

وحكى بعضُهم قال :

كنت عند قُثَمَ بن جَعفر بن سُليمان ، وعنده أبو العتاهية يُنشده فى الزُّهد ، فقال : اطلُب الساعة الجمّازَ حيث كان ، ولك عندى ما شئتَ . فطلبتُه فوجدتُه عند رُكن دار جعفر بن سُليمان ، فقلت : أَجِب الأَمير . فقام حتى أَتى قُثَم ، وجلس فى ناحية مجلسه ، وأبو العتاهية يُنشده . فأنشأ الجمّاز يقول :

ما أقبَح التَّزْهيدَ من واعظٍ يُزهِّد الناسَ ولا يَزْهَدُ
لو كان فى تَزْهيده صادقاً أَضحى وأَمسى بيتُه المسجد
يخاف أن تَنفَد أرزاقُه والرِّزق عند الله لا يَنفَد
والرِّزقُ مَقْسوم على مَن تَرى يناله الأَبيض والأَسود

فالتفت أبو العتاهية وقال : مَن هذا ؟ قالوا : هذا الجمّاز ، وهو ابن أخت سَلْم الخاسر ، اُقتصّ لخاله منك . فأقبل عليه وقال : يا ابنَ أخى ! إنى لم أذهب حيث ظننتَ ولا حيثُ ظنّ خالُك ، ولا أردت أن أهتِف به ، وإنما خاطبتُه كما يُخاطب الرَّجل صديقَه ، والله يغفر لكما . ثم قام وخَرج .

---

(١) البدر : جمع بدرة . وهى كيس فيه ألف ، أو عشرة آلاف درهم .

أهدى الفضل نعلا فأهداها للأمين فجازاه

وقيل :

لما دخل عَوْنٌ، حاجب الفَضل بن الرَّبيع، على الفَضل ، وقد عَزم على الرُّكوب إلى محمد بن زُبيدة الأمين ، فقال : هذا أبو العتاهية يُسلِّم عليك وقد قَدِم من مكة. فقال : أَعْفِنى منه ، فالساعةَ يشغلنى عن ركوبى . فخَرَج إليه عَون فقال : إنه على الرُّكوب إلى أمير المؤمنين . فأخرج من كُمه نعلاً على شِراكها كتابٌ . فأمر بقراءته ، فإذا هو :

نعلٌ بعثتُ بها لتَلْبسها قَدَمٌ[1] بها تَمشى إلى المَجْدِ
لو كان يَصْلُح[2] أن أُشَرِّكَها خَدِّى جعلتُ شِراكها خدِّى

فقال لحاجبه عَوْن : أَحْمِلها معنا . فلمَّا دخل بها على الأمين ، قال له : يا عبَّاسىّ ، ما هذه النَّعل ؟ قال : أهداها إلىّ أبو العتاهية وكَتب عليها بيتين ، وكان أمير المؤمنين أولى بلبسها لِمَا وُصف به لابسُها . فقال : وما هما ؟ فقرأهما عليه . فقال : أجاد والله ! ما سَبقه إلى هذا المعنى أحد ، هَبُوا له عشرة آلاف درهم . فأُخرجت إليه فى بَدْرة وهو راكبٌ على حِماره . فقَبضها وانصرف .

شعره إلى ابن المعتمر فى حبسه

وقيل : كتب بكر بن المُعتمِر إلى أبى العتاهية يشكو إليه ضِيق القَيْد وغَمّ الحَبْس ، فكتب إليه أبو العتاهية :

هى الأيّام والغِيَرُ وأَمْر الله[3] مُنْتَظَرُ
أتيأسُ أن تَرى فرجاً فأين اللهُ والقَدَر

هو وأعرابى مر به فى الحج

وقيل :

حَج أبو العتاهية فرأى أعرابيًّا فى ظِلّ مِيل[4] وعليه شَملةٌ ، إذا غَطَّى

(١) فى بعض الأصول : « قرم » وهو السيد .
(٢) أشركها : أجعل لها شراكا .
(٣) فى بعض الأصول : « والعبر ... ينتظر » مكان « والغير .... منتظر » .
(٤) الميل : منار يبنى للمسافرين فى مرتفع من الأرض .

بها رأسه بَدتْ رجلاه ، وإذا غَطَّى بها رجليْه بدا رأسُه . فقال : مِن أين معاشُكم ؟ فقال : منكم معشر الحاجّ ، تمرُّون بنا فننال من فُضولكم ، وتنْصرفون فيكون ذلك . فقال له : إنما نَمرُّ ونَنصرف فى وقت من السنة ، فمن أين معاشُكم فى سائر السَّنة ؟ فقال الأعرابىّ : لا أدرى ما أقول ، إلا أنّا نُرزق من حيث لا نَحْتسب أكثرَ مما نُرزق من حيث نَحتسب . فولَّى أبو العتاهية وهو يقول :

ألا يا طالبَ الدُّنيا ... دَعِ الدُّنيا لشانيكَ

وما تَصْنع بالدُّنيا ... وظِلُّ المِيل يَكْفيك

إعجابه بشعر ابن أبى أمية

وقيل :

حَضر أبو العتاهية عند جعفر بن يَحيى بن خالد بن بَرمك ، فقال لجعفر : جعلنى الله فِداك ! معكم شاعر يُعرف بابن أبى أُمَية ، أُحب أن أَسمعه يُنْشد . فقال له جعفر : هو أقرب الناس منك . فأَقبل أبو العتاهية على محمد بن أبى أُمية ، وكان إلى جانبه ، وسأله أن يُنشده . فأَنشده لنفسه :

رُبَّ وعدٍ منك لا أَنساه لى ... أَوْجب الشُّكرَ وإن لم تَفْعَلِ

أَقطع الدَّهرَ بوعدٍ حَسَنٍ ... وأُجلِّى غمرةً ما تَنْجلى

كلّما أمّلتُ يوماً صالحاً ... عَرض المَكروه لى[1] فى أَملى

وأرى الأَيّام لا تُدْنى الّذى ... أَرتجى منك وتُدنى أَجلى

فأَقبل أبو العتاهية يردِّد البيت الأَخير ويقبِّل رأس ابن أبى أُمية ، وقال : وَدِدْتُ والله أنه لى بكثيرٍ من شِعْرى .

بنتاه وإباؤه تزويج إحداهما لابن المهدى

وقيل :

كان لأبى العتاهة بنتان ، اسم إحداهما « لله » والأُخرى « بالله » . فخَطب

(١) فى بعض الأصول : « دون الأمل » مكان « لى فى أملى » .

مَنْصور بن المهدىّ « لله » ، فلم يزوّجه ، وقال : إنما طَلَبها لأنها بِنْت أبى العتاهية ، وكأني بها قد مَلّها ، فلم يكن لى إلى الانتصاف منه سَبيل ، وما كنت أُزوِّجها إلّا ببائع خَزف وجرّار ، ولكنّى أختاره لها مُوسراً .

ابنه محمد

وكان لأبى العتاهية ابنٌ يقال له : محمد ، وكان شاعراً ، وهو القائل :

قد أفلح السالمُ الصَّمُوتُ ... كلامُ راعِى الكلام قُوتُ

ما كل نُطْقٍ له جوابٌ ... جوابُ مايُكْره السُّكوت

ياعَجباً لأمرىء ظَلومٍ ... مُسْتَيقِنٍ أنّه يَمُوت

استنشده ابن الحسن الكاتب

وحكى عبد الله بن الحَسن بن سَهل الكاتب قال :

قلت لأبى العتاهية : أنْشدني من شعرك ما تَستحسن . فأنشدنى :

ما أَسْرعَ الأيامَ فى الشَّهرِ ... وأسرعَ الأشْهُرَ فى العُمْرِ

ليس لِما ليستْ له حيلةٌ ... موجودةٌ خيرٌ من الصَّبر

فاخْطُ مع الدّهر إذا ما خَطا ... وأجْرِ مع الدّهر كما يَجْرى

مَن سابَق الدّهر كَبا كَبْوَةً ... لم يَسْتَقِلْها آخرَ العُمر

أنشد الفضل فى البرامكة فتغير له

وذكر أبو العتاهية قال :

ما زال الفضلُ بن الرَّبيع من أَميل الناس إلىّ ، فلما رجَع من خُراسان بعد موت الرشيد دخلتُ إليه ، فاستنشدنى فأنشدته :

أفنيتَ عُمركَ إدباراً وإقبالَا ... تبْغى البَنين وتبْغى الأهلَ والمالَا

الموتُ هولٌ فكُن ما عِشْتَ مُلتمساً ... مِن هوله حِيلةً إن كنتَ مُحْتالا

ألم ترَ المَلِك الأُمْسِىَّ حين مَضى ... هل نالَ حىٌّ من الدُّنيا كما نالا

أغناه مَن لم يزل يُغنى القُرون فقد ... أَضحى فأَصبح عنه المُلك قد زالا

كم مِن مُلوكٍ مَضى رَيْبُ الزّمان بهم ... قد أَصبحوا عِبَراً فينا وآمالا

فاستحسنها وقال : أنت تعرف شُغلى ، فعُــد إلىّ وقت فَراغى أَقْعد معك وآنس بك . فلم أزل أُراقب أيامه حتى كان يومُ فراغه ، فصرتُ إليــه ، فبينا هو مُقبل علىّ يَستنشدنى فأُنشده ، و يسألنى فأُحدثه ، إذ أنشدتُه :

وَلّى الشَّبابُ فما له من حِيلةٍ   وكسا ذُؤَابتىَ المَشيبُ خِمَــــارا

أين البرامكةُ الذين عَهِدْتُهم   بالأَمس أعظمَ أهلهـــا أخطارا

فلما سمع ذكر البرامكة تغيَّر لونُه ورأيت الكراهية فى وجهه . فما رأيتُ منه خَيْراً بعد ذلك .

وكان أبو العتاهية يحدِّث بهذا الحديث أبا محمد بن سَهل ، فقال له : لئن كان ذلك ضرَّك عند الفضل بن الرَّبيع لقد نَفعك عندنا . ثم أمر له بعشرة آلاف درهم وعَشرة أثواب ، وأجرى له كلّ شهر ثلاثة آلاف درهم . فلم يزل يَقْبضهـا دارَّةً حتى مات .

تعقيب لابن واصل عن الفضل بن الربيع

قلت :

وكان الفَضل بن الرَّبيع عدوًّا للبرامكة بسبب تقــدُّمهم عليه واُستيلائهم على الرشيد ، وما زالَ يضرب عليهم عند الرشيد ، و يَسعى فى إفساد أمرهم . فلما أوقع بهم الرشيدُ ، وقَتــل جعفر بن يحيى ، استقلّ الفضلُ بأمر الرشيد فى آخر أيامه . ثم قام بأمر محمــد بن الأمين وأَفسد بينه و بين أخيه المأمون . فلما ظهر المأمون استَخْفى الفضل ، ثم أَمّنه المأمون ، وكان عنده نازلَ الرُّتبة .

مع داعية عيسى بن زيد فى السجن

وحكى أبو العتاهية قال :

حَبسنى الرشيدُ لما تركتُ قولَ الشعر ، فأُدخلت السجن وأُغلق الباب علىّ . فدَهِشت كما يَدْهش غيرى لتلك الحال ، فإذا أنا برجل جالسٍ فى جانب الحَبْس ، فجعلت أنظر إليه ساعةً وهو ينظر إلىّ ، ثم تمثّل :

تعوّدتُ مَسَّ الضُّرِّ حتى أَلِفْتُه ... وأَسلمنى حُسن العَزاء إلى الصَّبْرِ

وصيَّرنى يأسى من النـاس راجياً ... لُحسن صَنيع الله من حيثُ لا أَدرى

فقلت له : أَعد ، أعزَّك الله ، هذين البيتين . فقال لى : و يلك يا أبا العتاهية ! ما أسوأ أدَبك ، وأقلَّ عقلك ! دخلتَ علىّ الحبس فما سلَّمت تسليم المُسْلم على المسْلم، ولا سألت مسألة الُحر للحُرّ ، ولا توجَّعت توجُّع المُبتلَى للمبتلى ، حتى إذا سمعتَ بيتين من الشّعر ، الذى لا فَضل فيك غيرُه ، لم تَصبر عن اُستعادتهما ، ولم تُقدِّم قبل مسألتك عنهما عُذْراً فى طلبهما . فقلت : يا أخى ، إنّى دَهِشْت لهذه الحال، فلا تَعْذُلنى واُعذِرنى متفضِّلاً بذلك . فقال : أنا والله أولى بالدَّهش والَحيْرة ، لأنك حُبِست فى أن تقول شعراً به ارتفعتَ و بلغت ، فإذا قلتَ أُمِّنت ، وأنا مأخوذ بأن أَدُل على اُبن رسول الله صلّى الله عليه وسلّم ليُقتل أو أُقتل دونه ، والله لا أدُل عليه أبداً ، والساعةَ يُدْعى بى فأُقْتل ، فأيُّنا أحقُّ بالدَّهش ! فقلت : أنت والله ! سلَّمك الله وكفاك ! ولو علمتُ أن هذه حالك ما سألتُك . فقال : فلا نَبخل عليك إذن . ثم أعاد البَيتين حتى حفظتُهما . قال . فسألته : من هو ؟ فقال : أنا داعيةُ عيسى بن زيد واُبنِه أحمد . ولم نَلْبث أن سمعنا صوتَ الأقفال . فقام فسكب عليه ماءً كان عنده فى جَرّة ، ولَبِس ثوباً نَظيفاً . ودخل الَحرسُ والُجند ومعهم الشَّمع فأخرجونا جميعاً ، وقُدِّم إلى الرشيد قَبلى ، فسأله عن أحمد ابن عيسى ، فقال : لا تسألنى عنه واُصنَع ما أنت صانع ، فلو أنه تحت ثوبى هذا ما كشفتُه عنه . فأمر بضرب عُنقــه . ثم قال : أظنّك قد اُرْتعت يا إسماعيل ؟ فقلت : دون ما رأيتُه تَسيل النُّفوس منه . فقال : ردُّوه إلى مَحْبسِه . فرُدِدْت واُنتحلت البيتين، وزدتُ فيهما :

إذا أنا لم أَقبل من الدَّهر كُلَّ ما ... تكرَّهتُ منه طال عَتْبى على الدَّهْرِ

تمثل المعتصم ببيتين له

وقيل :

لما أَحسّ المُعتصم بالله أبو إسحاق بن الرّشيد بالموت ، قال لابنه الواثق : ذهب والله أبوك يا هارون ! لله دَرُّ أبي العتاهية حيث يقول :

الموتُ بين الخلْق مُشْتَرَكُ ... لا سُوقةٌ يبقَى ولا مَلِكُ

ما ضَرّ أصحابُ القَليل وما ... أَغْنَى عن الأَملاك ما مَلكوا

فضله أبو تمام بخمسة أبيات

وقيل :

قال أبو تمّام الطائي الشاعر : لأبي العتاهية خمسة أبيات ما يَشْرَكه فيها أحد ، ولا قَدر على مثلها مُتقدِّم ولا متأخر ، وهي قولُه :

الناسُ في غَفَلاتهم ... ورَحَى المنيّة تَطْحَنُ

وقوله في موسى الهادي :

ولما اُستقلّوا بأَثقالهم ... وقد أَزمعوا بالّذي أَزْمَعُوا

قَرنتُ اُلتفاتي بآثارهم ... وأَتبعتُهم مُقْلةً تَدْمع

وقوله لأحمد بن يوسف :

أَلم تر أَنّ الفَقْرَ يُرْجى له الغِنَى ... وأَنّ الغِنى يُخشى عليه من الفَقْرِ

وقوله :

هبِ الدُّنيا تَصير إليك عَفْواً ... أَليس مَصير ذاك إلى زوالِ

عزاؤه لبغدادي في أخيه

وقيل :

مات شيخ ببغداد ، فلما دُفن أَقبل الناس على أخيه يُعزُّونه . فجاء أبو العتاهية إليه و به جزع شديد ، فعزّاه ثم أنشده :

لا تأمن الدّهرَ وألبس ... لكُلّ حين لباسا

ليَدْفِننّا أُناسٌ ... كما دفنّا أُناسا

فانصرف الناس وما حَفِظوا غير قول أبى العتاهية .

جائزة ابن مزيد له وقد أنشده

وقيل :

قال أبو العتاهية : دخلتُ على يزيد بن مَزْيد فأنشدتُه قصيدتى التى أقول فيها :

وما ذاكَ إلا أننى واثقٌ بمــا لدَيْكَ وأنّى عالمٌ بوفائِكا
كأنك فى صَدرى إذا جئتُ زائراً تُقَدِّر فيــه حاجتى بابْتدائكا
وإنّ أميرَ المُؤمنين وغــيرَه لَيَعْلَم فى الهيجاء فضْلَ غَنائكا
كأنّك عنـد الكَرِّ فى الحرْب إنما تفِرُّ من السِّلم الذى من وَرائكا
فما آفةُ الأملاكِ غَــيْرُك فى الوَغى ولا آفةُ الأموال غير حِبــائكا

قال : فأعطانى عشرة آلاف دِرْهم ودابّة بسَرجها ولجامها .

راهب يعظ بشعره

وقيل :

مرَّ عابد براهب فى صَومعة ، فقال: عِظنى . فقال : أعظك وعليكم نَزل القُرآن، ونبيُّكم محمّد صلّى الله عليه وسلّم قريب العَهد بكم ! قلت : نعم . قال : فاتّعظْ ببيت من شعر شاعركم أبى العتاهية حيث يقول :

تجرَّدْ من الدُّنيـا فإنك إنمـا وقعتَ إلى الدُّنيـا وأنت مُجَرَّدُ

بينه و بين إبراهيم ابن المهدى وقد رماه بالزندقة

وقيل :

بلغ أبا العتاهيــة أن إبراهيم بن المهدىّ رماه فى مجلسه بالزَّندقة وذكره بها ، فَبَعث إليــه يُعاتبه على لسان إسحاق بن إبراهيم المَوصلى ، فأدّى إليــه إسحاق الرّسالة . فكَتب إليه إبراهيم أبياتاً منها :

إنّي رأيتُك مُظْهِــراً لزَهادةٍ تحتــاجُ منك لهـا إلى أشباهِ
ما الزُّهد من رجُل ألدَّ مُـكذب بالبعث غــير ضَلالةٍ وسِفاه

وأرى المَقَالة غيرَ صالحةٍ وإن ... أظهرتَ سَمْتَ الصَّالح الأوّاه
إن كان لُبْسُ الصُّوف حُجّتَك التى ... ترجو فدَعْه فإنّنى لك ناهى
مافى يدَيْك من اللّباس إذا غوتْ ... منك السَّريرةُ غيرُ حَبْل واهى
لا شئ يُقْبَل منك إلا ما به ... حَكمتْ عليك نواطقُ الأفواه
والأَمر بعدُ عليك ويحك واسعٌ ... ما لم تكُن يالاهياً باللّاهى

شعره الذى غنى فيه الملاحون الرشيد

وقيل :

كان الرّشيد يعجبه غِناء المَلّاحين فى الزّلّالات[1] إذا ركبها ، وكان يتأذّى بفساد كلامهم ولَحْنهم . فقال : قُولوا لمن معنا من الشُّعراء يَعمل لهؤلاء شعراً يغنّون فيه . فقيل له : ليس أحد أَقدرَ على هذا من أبى العتاهية ، وهو فى الحبس . فوجّه إليه الرّشيدُ : قُل شعراً حتّى أسمعه منهم . قال أبو العتاهية : ولمْ يأمر بإطلاقى ، فغاظنى ذلك وقلت : والله لأقولنّ شعراً يَحزنه ولا يَسرُّه . فعملتُ فيه شعراً ودفعتُه إلى مَن حَفظه من المَلّاحين . فلما ركب سَمِعه ، وهو :

خانك الطَّرْفُ الطَّموحُ ... أيُّها القَلب الجَمُوحُ
لِدَواعى الخَيْر والشَّرِّ ... دُنُوٌّ ونُزُوح
هل لمَطْلوب بذَنبٍ ... تَوبةٌ منه نَصُوح
كيف إصلاحُ قُلوبٍ ... إنّما هُنّ قُروح
أَحسنَ اللهُ بنا أنّ ... الخطايا لا تفُوح
فإذا المَسْتُور منّا ... بين ثَوْبيه نُضُوح
كم رأينا من عَزيزٍ ... طُويت عنه الكُشوح
صاحَ منه برَحيلٍ ... صائحُ الدّهر الصَّدُوح

(١) الزلالات : نوع من السفن .

موتُ بعضِ النّاسِ فى الأر ض على قــوم فتُوح
سيَصير المــرء يوماً جَسداً ما فيــه رُوح
بين عينَىْ كُلِّ حىٍّ عَــلمُ المــوت يلوح
كُلُّنا فى غفــلةٍ والـ ـموتُ يغْــدو ويَرُوح
لبنى الدُّنيا من الدُّنْـ ـيا غَبوقٌ وصَــبُوح
رُحْن فى الوَشْى وأَصبحـ ـن عليهنّ المُسُــوح
كُلّ نَطّاح من الدَّهـ ـر له يومٌ نَطُــوح
نُحْ على نَفْســك يامِسْـ ـكينُ إن كُنت تَنوح
لتموتن ولَوْ عُمِّـ ـرْتَ ما عُمِّــر نُوح

فلما سَمعها الرشيدُ جعل يبكى ويَنتحب، وكان الرَّشيد من أغزر الناس دموعاً فى وقت المَوعظة ، وأشــدّهم عَسْفاً فى وقت الغضب والغِلْظة . فلمــا رأى الفضلُ ابن الرَّبيع كثرةَ بُكائه أومأ إلى المّلاحين أن يَسكتوا .

شعره حين عقد الرشيد ولاية العهد لأبنائه

وقيل :

لما عَقد الرشيدُ ولايةَ العهد بعده لمحمد الأمين ، وعبــد الله المأمون ، والقاسم المؤتمن ، قال أبو العتاهية :

رحلتُ عن الرَّبْع المُحيــل قَعودى إلى ذى زُحوفٍ[1] جَمّــة وجُنودِ
وراعٍ يُراعى الليــلَ فى حِفظ أُمّة يُدافع عنهــا الشرَّ غــيرِ رَقود
بألويةٍ جبريلُ يقــدُم أهلَهــا وراياتِ نصرٍ حــولَه وبُنود
تَجافى عن الدُّنيــا وأيقن أنّها مُفــارقةٌ ليست بدار خُــلود
وشَــدَّ عُرى الإسـلام منــه بِفتْية ثلاثةِ أملاكٍ وُلاة عُهــود

(١) زحوف : جمع زحف ، وهو الجيش .

هُمُ خيرُ أولادٍ لهم خيرُ والدٍ ... له خيرُ آباءٍ مَضَت وجُدود
بنو المُصطفى هارونَ حولَ سَريره ... فخيرُ قيامٍ حولَه وقُعود
تُقلِّبُ ألحاظَ المَهابةِ بينهم ... عُيونُ ظِباءٍ فى قُلوب أُسود

فوصله الرَّشيد صلةً ما وصل بها شاعراً قطُّ .

تعقيب لابن واصل فى ولاة عهد الرشيد

قلت : إنَّ الرَّشيد جعل الأمر بعده لهؤلاء الثلاثة على التَّرتيب ، وقَسم الدُّنيا بينهم ، وأَخذ عليهم المَواثيق والعُهود ألّا ينكُثوا ولا يَنقُضوا ما عَقَده . وأَنزل المأمون بخُراسان وضَمّ إليه جُنوداً كثيرة . فلما بُويع محمد الأمين بالخلافة أغراه الفضلُ بن الرَّبيع بنقض عهد المأمون وتَحويل العهد إلى ابنه مُوسى، ولَقبه الناطق ، وسيَّر محمد الأمين عسكراً كبيراً لقتال أخيه المأمون ، وقَدّم عليهم علىَّ بن عيسى ابن ماهان . فسيّر المأمون للقاء علىٍّ طاهرَ بن الحُسين ، فقَتَل علىّ ، واحتوى طاهرٌ على عسكره . و بايعَ المأمونَ أهلُ خُراسان بالخلافة وخلعوا الأمين . فقَدِم طاهرٌ العِراقَ وحاصَر الأَمين حتى ظَفِر به وقَتله و بَعث برأسه إلى المأمون ، وصفت الدُّنيا للمأمون .

طلب ملك الروم له

وقيل :

قَدم رسولٌ لملك الرُّوم إلى الرشيد ، فسأَل عن أَبى العتاهية ، فلقيه أبو العتاهية. فأنشده شيئاً من شعره ، وكان يُحسن العربيَّة ، فمَضى إلى بلاد الرُّوم وذَكره للملك . فكتب ملك الرُّوم إلى الرَّشيد يسأله أن يوجِّه إليه بأبى العتاهية و يأخذَ فيه رهائن مَن أراد، وألحَّ فى ذلك . فكلّم الرَّشيد أبا العتاهية فى هذا . فاستعفى منه وأباه . واتصل بالرَّشيد أن ملك الرُّوم أمر أن يُكتب بيتان من شعر أبى العتاهية على أبواب مجالسه و باب مدينته ، وهما :

ما اختلف الليلُ والنَّهار ولا ... دارتْ نُجوم السَّماء فى الفَلَكِ
إلّا لنَقْل السُّلطان عن مَلِكٍ ... قدِ انقضى مُلْكه إلى مَلِكِ

بينه وبين الرشيد بعد ما أطلقه

وقيل :

إنّ الرّشيد لما أطلق أبا العتاهية من الحَبس لَزم بيْتَه وقَطع النّاس عنه . فذكره الرشيدُ فعُرِّف خبرُه . فقال : قُولوا له : صِرْتَ زِيرَ نِساء وحِلْس[1] بيت . فكتب إليه أبو العتاهية :

بَرِمْتُ بالنّاس وأخلاقهم فصِرْتُ أستأنسُ بالوُحْدهْ
ما أكثرَ الناسَ لعَمْرى وما أقلَّهم فى حاصل[2] العِدّه

ثم قال : لا يَمْضى[3] شِعر إلى أمير المؤمنين ليس فيه مَدْح له . فقَرن هذين بأربعة أبيات مَدحه بها ، وهى :

عادَ لى من ذِكرها نَصَبُ فدُموع العَيْن تَنْسكبُ
وكذاك الحبُّ صاحبُه يَعْتريه الهمُّ والوَصَب
خيرُ ما يُرجَى ومن يَهب مَلِكٌ دانتْ له العَرب
وحقيقٌ أن يُدانَ له مَن أبوه للنبىِّ أَب

بينه وبين الرشيد وقد استوعظه

وقيل :

قال الرشيد لأبى العتاهية : عِظْنى . فقال له : أخافك . فقال : أنت آمن . فأنشده :

لا تأمنِ الموتَ فى طَرْفٍ ولا نَفَسٍ إذا تَستَّرْتَ بالأبواب والحَرسِ
واعلم بأن سِهام المَوت قاصدةٌ لكُلِّ مُدَّرِعٍ منّا ومُتّرِس
ترجو النّجاة ولا تَسلُك[4] مسالكَها إنّ السّفينة لا تَجرى على اليَبَس

(١) حلس بيت : أى ملازمه . وهو مما يذم به الرجل .
(٢) فى بعض أصول الأغانى : « فى منتهى » .
(٣) فى بعض أصول الأغانى : « لا ينبغى أن يمضى » .
(٤) فى بعض أصول الأغانى : « طريقها » مكان « مسالكها » .

فبكى الرشيدُ حتى بلَّ كُمَّه .

سئل عند الموت عما يشتهيه فأجاب

وقيل لأبي العتاهية عند الموت : ما تشتهي ؟ قال : أشتهي أن يجيء مُخارق فيضع فمه على أذني فيُغنِّيني :

سيُعْرَض عن ذكرى وتُنْسى مودَّتى ... ويَحْدُث بعدى للخليل خليلُ
إذا ما انقضتْ عنِّي من الدَّهر مُدَّتى ... فإنَّ غناء الباكيات قليل

شعره في مرضه الأخير

وقيل :

إن آخر شعر أبي العتاهية الذى قاله في مرضه الذى مات فيه هو :

إلهى لا تُعذِّبنى فإنّى ... مُقِرٌّ بالذى قد كان منِّى
فمالى حيلةٌ إلّا رجائى ... لِعَفْوك فاحطُط الأوزارَ[1] عنِّى
وكم من زَلَّةٍ لى فى الخطايا ... وأنت علىَّ ذو فَضْل ومَنٍّ
إذا فكَّرتُ فى نَدمى عليها ... عَضِضْتُ أناملى وقَرَعتُ سنِّى
أُجَنُّ بزَهرة الدنيا جُنوناً ... وأَقطع طولَ عُمرى فى التمنِّى
ولو أنِّى صدقتُ الزُّهد عنها ... قلبتُ لأهلها ظَهر المِجَنّ
يظنُّ الناسُ بى خيراً وإنِّى ... لشرُّ النّاسِ إن لم تَعْفُ عنِّى

شعره الذى ندبته به ابنته

وقيل :

قال أبو العتاهية لابنته رُقيَّة في علّته التى مات فيها : يا بُنية ، ارثى أباك واندُبيه بهذين البيتين . فندبتْه بقوله :

لَعِبَ البِلَى بمَعالِمِى ورُسومى ... وقُبِرتُ حيًّا تحت رَدْم هُمومِى
لَزِم البِلَى جِسْمى فأوْهن قوَّتى ... إنَّ البِلى لمُوَكّل بلُزومى

---

(١) رواية هذا الشطر فى بعض الأصول : « لعفوك إن عفوت وحسن ظنى » .

ما أمر أن يكتب به على قبره من شعره

وأمر أن يُكتب على قبره :

أُذْنَ حيٍّ تَسمَّعى أَسمعى ثم عِى وعِى
أنا رهنٌ بمَضْجعى فاحذرُوامثلَ[1] مَصْرعى
عِشْتُ[2] تِسعين حِجّةً أَسْلمتْنى لَمَضْجعى
كم تَرى الحقَّ ثابتاً فى دِيار[2] التَّزعزُع
ليس زادٌ سوى التُّقى فخُذى منه أوْ دَعِى

رثاء ابنه له

ورثاه محمد ابُنه بقوله :

رَحم اللهُ مَصْرعكْ بَرَّد الله مَضْجعكْ

أبياته التى فيها الغناء

والأبيات التى فيها الغناء، واُفتتح بها أبو الفرج أخبارَ أبى العتاهية :

يا ويْح قَلْبى لو أنّه[3] أقْصَرْ ما كان عَيْش مما[4] أرى أَكدَرْ
يا مَن عَذيرى ممن كَلِفْتُ به يَشهد قَلبى بأنه يَسْحَر
يا ربَّ يومٍ رأيتُنى مَرِحاً أخُوض[5] فى اللّهو مُسبلَ المِئْزر
بين نَدامى تحُثُّ كأسَهم عليهمُ كفُّ شادنٍ أحور

وقد أفرد أبو الفرج لأبى العتاهية أخباراً مع عُتبة صاحبته فأوردها فى موضع آخر .

---

(١) فى بعض أصول الأغانى : « فاحذرى » مكان « فاحذروا » .

(٢) الرواية فى بعض أصول الأغانى :

عشت تسعين حجة فى ديار التزعزع

(٣) أقصر : كف وانتهى .

(٤) فى بعض أصول الأغانى : « عيش كما » مكان « عيش مما » .

(٥) فى بعض الأصول : « آخذ » مكان « أخوض » .

أخبار فريدة

قال أبو الفرج :

الكبرى والصغرى

هما اثنتان لهما صَنعة : إحداهما ، وهي الكبرى ، وكانت مولَّدة ، نشأت بالحجاز ثم وقعت إلى آل الرَّبيع فعُلِّمت الغناء في دُورهم ، ثم صارت إلى البرامكة ، ثم إلى الأمين بن زُبيدة ، وماتت بعده .

وأمّا الأُخرى فكانت للواثق ، ثم صارت إلى أخيه المتوكّل . وكانت من المَوْصوفات المُحْسنات ، وكانت حَسنةَ الوجه ، حادّة الفِطنة والفَهم .

حديث ابن الحارث عن قصتها مع الواثق وغيرته من المتوكل

وحكى محمدُ بن الحارث قال :

كانت لي نوبةٌ في خِدمة الواثق في كُل جُمعة ، إذا حضرتْ ركبتُ إلى الدار ، فإن نَشط إلى الشَّراب أقمتُ عنده ، وإن لم يَنْشط انصرفتُ . وكان رَسْمنا ألا يحضُر أحدٌ منّا إلّا في يوم نَوبته . فإني لفي منزلي في غير نَوبتي ، وإذا بُرسل الخليفة قد هَجموا عليّ وقالوا : احضُر . فقلتُ : أَلخيْر؟ قالوا : خَير . قلتُ : إنّ هذا يومٌ لم يُحضرني فيه أميرُ المؤمنين ، ولعلكم غَلِطْتم . فقالوا : الله المُستعان . قُم[1] وبادر ، فقد أُمرنا ألّا نَدَعَك تَستقرّ على الأرض . فدَخلني فَزع شديدٌ ، وخِفْت أن يكون ساعٍ قد سَعى بي ، أو بليّةٌ قد حدثت في رأي الخليفة عليّ . فتقدمتُ بما أردتُ وركبتُ حتى وافيتُ الدار ، فذهبتُ لأدخل على رَسْمي من حيث كنتُ أدخل ، فمُنعتُ وأُخذ بيدي الخدمُ فعَدلوا بي إلى ممرّاتٍ لا أعرفها، فزاد ذلك في جَزعي وغمّي. ثم لم يزَل الخدم يُسْلمونني من خادم إلى خادم حتى

(١) في بعض الأصول : « لا تطل » .

أفضيتُ إلى دار مفروشة الصَّحن ، مُلْبسة الحيطان بالوَشى المَنسوج بالذَّهب ، ثم أفضيتُ إلى رِواقٍ أرضُه وحيطانُه مُلْبسة بمثل ذلك ، و إذا الواثقُ فى صدره على سَريرٍ مُرصَّع بالجوهر ، وعليه ثيابٌ مَنْسوجة بالذَّهب ، و إلى جانبه فريدةُ جاريته عليها مثلُ ثيابه ، فى حجرها عُود . فلما رآنى قال : جَوَّدتَ[1] والله يا محمد إلينا ! فقبّلتُ الأرضَ ثم قلتُ : يا أمير المؤمنين ، خيراً ، قال : خيراً ، أما ترانا ! طلبتُ والله ثالثاً يُؤنسنا فلم أر أحقَّ بذلك منك ، فبحياتى بادِرْ فكُلْ شيئاً وبادرْ إلينا . فقلت : قد والله يا أمير المؤمنين أكلتُ وشربتُ أيضاً . قال : اجلس . فجلستُ . وقال : هاتُوا لمحمّد رِطلاً فى قَدَح . فأُحضرتُ ذلك . ثم اندفعتْ فريدةُ تُغنى :

أهابُكِ إجلالاً وما بكِ قُدرةٌ ... علىّ ولكنْ ملءُ نفسٍ[2] حَبيبُها
وما هجرتْكِ النفسُ يا ليْلَ أنّها ... قَلَتْكِ ولا أن قَلّ منكِ نَصيبُها
ولكنّهم يا أحسنَ الناس أُولعوا ... بقولٍ إذا ما جئتُ : هذا حَبيبُها

فجاءتْ والله بالسِّحر ، وجَعل الواثقُ يُجاذبها ، وفى خلال ذلك تُغنِّى الصوتَ بعد الصوت . وأُغنى أنا خلال غنائها . فمرّ لنا يومٌ أحسنُ ما مرّ لأحد . فإنّا لكذلك إذ رفع رجلَه فضرب بها صدر فريدة ضربةً تدحرجتْ منها من أعلى السرير إلى الأرض ، وتفتّت عودُها ، ومرّت تعدو ، وتَصيح و بَقيتُ كالمَنزوع الرُّوح ، ولم أشكّ فى أنّ عَينه وقعتْ عليها وقد نَظرت إلىّ أو نظرتُ إليها ، فأطرق ساعةً إلى الأرض مُتحيِّراً ، وأطرقتُ أتوقّع ضَرب العُنق . فإنِّى لكذلك إذ قال : يا محمد . فوثبتُ قائماً . فقال : ويحك ! أرأيتَ أعجبَ مما تهيّأ علينا ! فقلت : يا سيّدى ، الساعةَ والله تخرج رُوحى ، فعلى مَن أصابنا بعينٍ لعنةُ الله ! فما كان السبب ؟ ألذنبٍ ؟ قال : لا والله ، ولكن فكرتُ فى أن جعفراً يقعُد هذا المَقعد وتَقعد معه كما هى

(١) جودت : أسرعت .

(٢) فى بعض أصول الأغانى : « عين » مكان « نفس » .

قاعدة معى ، فلم أُطِقِ الصَّبر ، وخامرنى ما أخرجنى إلى ما رأيتَ . فسُرِّىَ عنّى وقلت : بل يقتُل الله جعفراً ويحيا أميرُ المؤمنين أبداً ، وقبّلتُ الأرض وقلت : يا سيدى ، اللهَ اللهَ ! أرْحمها ومُرْ بردِّها . فقال لبعض الخدم الوُقوفِ مَن يجىء بها . فلم يكُن بأسرعَ من أن خرجتْ وفى يدها عودُها وعليها غيرُ الثياب التى كانت عليها ، فلما رآها جَذبها إليه وعانقها . فبكتْ ، وجعل يبكى ، واُندفعتُ أنا فى البُكاء . فقالت : ما ذَنبى يا مولاى ؟ وبأى شىء اُستوجبتُ هذا ؟ فأعاد عليها ما قاله لى وهو يبكى . فقالت : سألتُك بالله يا أمير المؤمنين إلّا ضربتَ عُنقى الساعةَ وأرحتَنى من الفِكر فى هذا ، وأرحتَ قلبك من الهمّ بى . وجعلتْ تبكى ويَبكى ، ثم مَسحا عينَيْهما ، ثم رجعتْ إلى الغِناء . وأومأ إلى خدم وُقوف بشىء لا أعرفه . فمضَوْا وأحضروا أكياساً فيها عَيْنٌ ووَرِق[1] ورُزَماً فيها ثياب كثيرة . وجاء خادمٌ بدُرْجٍ ، ففتحه وأخرج منه عِقداً ما رأيتُ قطُّ مثلَ جوهرٍ كان فيه ، فألبسه إيّاها ، وأُحضرتْ بَدْرة فيها عشرة آلاف دِرهم فحُلّت بين يدىّ ، وخمسةُ تُخوت فيها ثياب ، وعُدْنا إلى أمرنا وإلى أحسن ما كُنا . فلم نزل كذلك إلى الليل ، ثم تفرّقنا ، وضَرب الدهرُ ضَرباته وتُوفِّى الواثق وتقلّد المُتوكِّل الخلافةَ. فوالله إنّى لفى منزلى فى غير نَوبتى إذ هجم علىّ رسُل الخليفة ، فما أمهلونى حتى ركبتُ وصرتُ إلى الدار ، فأُدخلت والله الحجرة بعَينها ، وإذا المتوكل فى الموضع الذى كان فيه الواثقُ وعلى السِّرير بعينه ، وإلى جانبه فريدةُ . فلما رآنى قال لى : ويحكَ ! أما ترَى ما أنا فيه من هذه ! أنا منذ غُدوة أُطالبها بأن تُغنِّى ، فتأبى ذلك. فقلتُ : سبحان الله ! أتُخالفين سيّدك وسيّدنا وسيّد البَشر ! بحياته غَنِّى . فضربتْ والله ثم اُندفعت تُغنِّى :

مُقيم بالمَجازةِ من قَنَوْنَى وأهلُك بالأُجَيْفر[2] فالثِّمادِ

---

(١) العين : الذهب . والورق : الفضة . (٢) المجازة : من منازل طريق مكة . وقنونى : واد من جهة مكة . والأجيفر : موضع فى بلاد قيس . والثماد : موضع فى ديار بنى تميم .

فلا تَبْعَد فكلُّ فتًى سيأتى عليه الموتُ يطرُق أو يُغادِى

ثم ضربت بالعُود الأرض ورمتْ بنفسها عن السَّرير ، ثم مرّت تعدُو وتَصيح : وا سيداه ! فقال لى : ويحك ! ماهذا ؟ فقلت : لا أدرى والله يا سيّدى . قال : فما ترَى ؟ قلت : أرى والله يا سيّدى أن أنصرف وتحضُر هذه ومعها غيرُها ، فإن الأمر يؤُول إلى ما يُريد أميرُ المُؤمنين . قال : فانصرفْ فى حِفظ الله. فانصرفتُ ولم أدر ما كانت القِصّة[1] .

(١) ساق ابن واصل بعد الحديث عن « فريدة » أخبار « ذى الطمحان القينى » وموضعها فى الجزء الحادى عشر من المطبوع . وهذا مكانها فى المخطوطات أيضاً . فآثرنا ما عليه الكثرة وأخرنا هذه الترجمة إلى مكانها .

أخبار أُميّة بن أبى الصَّلت

تسبه

واسم أبى الصَّلت عبدُ الله بن أبى رَبيعة بن عَوْف بن عُقْدة بن عَنَزة ابن قَسِيّ ، وهو ثَقيف بن مُنَبِّه بن بَكْر بن هَوازن . وأُمه آمنة بنت عبد شَمس ابن عَبد مناف .

شىء عن أبى الصلت

وكان أبو الصَّلت شاعراً ، وهو الذى يَمدح سيف بن ذى يَزَن بقوله :

لِيَطْلُبِ الثَّأْرَ أمثالُ ابن ذى يَزَنٍ ... فى البحر خَيَّمَ للأعداء أَحوالَا

على ما يُذكر فى مَوضعه .

منزلة أمية فى الشعر وشىء عنه

وكان أُمية شاعراً مُجيداً ، لأنّه لقراءته الكُتب المُنزَّلة كان يأتى فى شعره بأشياء لا تَعرفها العربُ ، فلذلك العُلماء لا يَحتجّون بشعره . وكان قد نَظر فى الكُتب وقرأها ولبس المُسوح تَعَبُّدا ، وأكثر من ذكر إبراهيم وإسماعيل والحنيفيّة ، وحَرّم الخمر ، والتمس الدِّين وطَمِع فى النُّبوة ، لأنه قرأ فى الكُتب أن نبيًّا يُبعث من العرب ، فكان يرجو أن يكون هو ، فلما بُعث النبيُّ صلّى الله عليه وسلّم قِيل له : هذا الذى كنتَ تَنتظر وتقول فيه . فَحسده عدوُّ الله وقال : إنما كنتُ أرجو أن أكونَه . فأنزل الله تعالى فيه : (واتْلُ عَلَيْهِم نبأَ الَّذِى آتَيْنَاهُ آياتنا فانْسَلَخَ مِنها) .

وأُميةُ الذى يقول :

كُلّ دين يومَ القيامة عند اللّـه إلّا دينَ الحنيفةِ زُورُ

شعره فى رثاء مشركى بدر

ولما أوقع النبيُّ صلى الله عليه وسلم بالمُشركين ببدر ، وقُتل من قُتل وأُسر من أُسر ، قال عدوُّ الله أُمية يرثيهم بقصيدة ، منها :

مَنْذا ببـــدرٍ والعَقَنْـ قَلِ من مَرازِبةٍ جَحاجِحْ[1]

وقد نَهى النبىُّ صلّى الله عليه وسلّم عن رواية هذه القَصيدة .

ثم كان أُمية بعد وقعة بدر يحرِّض المشركين بالنبىّ صلى الله عليه وسلم .

طمعه فى النبوة

وقيل :

إن أُمية بن أبى الصلت كان خَرج فى بعض أسفاره إلى الشأم ، فمرّ بكنيسة ، وكان معه جماعةٌ من العرب وقُريش ، فقال أُمية : إن لى حاجة فى هذه الكنيسة فانتظرونى . فدخل الكنيسةَ فأَبطأ ، ثم رجع كاسفاً مُتغيِّراً ، فرمى بنفسه . فأقاموا عليه حتى تسرَّى عنه . ثم مضوْا وقضَوْا حوائجهم ، ثم رجعوا . فلما صاروا إلى الكنيسة قال : انتظرونى ، ودخل أيضاً ، فأبطأ ثم خرج إليهم بأسوأَ من حاله الأُولى . فقال له أبو سفيان بن حَرب : قد شَققت على رُفقائك . فقال : خلُّونى فإنى أرتاد لنفسى وأنظر لَمعادى ، إن هاهنا راهباً عالماً أخبرنى أنه يكون بعد عيسى ابن مَريم ستُّ رَجعات ، وقد مضتْ منهـا خَمس و بقيتْ واحدة ، فخرجتُ وأنا أطمع فى النُبوة وأخاف أن تُخطئنى ، فأصابنى ما رأيت ، فلما رجعتُ أتيته فقال لى : قد كانت الرَّجعـةُ ، وقد بُعث نبىٌّ العرب ، فأَيِستُ من النُّبوة ، فأصابنى ما رأيت ، إذ فاتنى ما كنتُ أطمع فيه .

وقيل :

خَرج أُميـة بن أبى الصَّلت فى سَـفر فنزلُوا منزلاً ، فأَمَّ أُميةُ وجهاً وصَـعِد فى كَثيب ، فرُفعتْ له كَنيسـةٌ فانتهى إليها ، فإذا شيخٌ جالس ، فقال لأُميَّـة حين رآه : إنك لَمتبوع ، فمن أين يأتيك رَئيُّك[2] ؟ قال : من شِقِّى الأَيسر .

---

(١) العقنقل : كثيب رمل ببدر . ومرازبة : جمع مرزبان ، وهو الفارس الشجاع . معرب . وجحاجح . جمع جحجح ، وهو السيد المسارع فى المكارم . والرواية فى أكثر أصول الأغانى : «ماذا» . مكان « منذا » .

(٢) الرئى : جنى ، زعمت العرب أنه كان يلهم صاحبه الكهانة والطب ويلقى عليه الشعر .

قال : فأى الثّياب أحبّ إليه أن يأتيك فيها ؟ قال : السّواد . قال : كِدْتَ والله تكون نبىّ العرب ، ولستَ هو ، هذا خاطرٌ من الجنّ وليس بمَلَك ، فإن نبىّ العرب صاحبَ هذا الإمر يأتيه من شِقّه الأيمن ، وأَحبّ الثياب إليـه أن يلقاه فيها البَياض .

وأتى أُميةُ أبا بكر فقال : يا أبا بكر ، عَمِى الخبرُ ، فهل أحسستَ شيئاً ؟ قال : لا . قال : قد وجدتُه يخرُج العامَ .

زعمه فى شاة ثغث

وذُكر أن أُمية بن أبى الصَّلت كان جالساً ومعه قومٌ ، فمرّت بهم غنمٌ[1] فثغت ، شاة . فقال لقوم : هل تَدرون ما قالت الشاة ؟ قالوا : لا . قال : إنهـا قالت لسَخلتهـا : مُرِّى لا يجىء الذِّئب فيأكلك كما أكل أُختك عام أول فى هـذا الموضع . فقام بعضُ القوم إلى الرّاعى فقال : أخبرنا عن هـذه الشاة التى ثَغت ، ألها سَخلة ؟ قال : نعم ، هذه سَخلتها. قالوا : فكان لها عامَ أول سَخلة ؟ قال : نعم ، وأكلها الذّئب فى هذا الموضع .

حديث توقيه من عظـاية

وقيل :

خَرج رَكْب من ثَقيف إلى الشأم ، وفيهم أُمية بن أبى الصَّلت ، فلمـا قَفلوا راجعين نَزلوا منزلاً ليتعشَّوا ، إذ قد أقبلت عَظَاية[2] حتى دنتْ منهم ، فحَصبها بعضُهم بشىء فى وجهها فرجعت ، وكَفتُوا سُفْرتهم[3] ، ثم قاموا يَرحلون مُمْسين . فطلعت عليهم عَجوز من وراء كُثيب مُقابل لهم تتوكّأ على عصا ، فقالت : مامنعكم أن تُطعموا رَحيمة ، الجارية اليتيمة ، التى جاءتكم عُتَيمة[4] ؟ فقالوا : وما أنت ؟ قالت : أنا أُم العوّام ، إمْت[5] منذ أعوام ؛ أما وربِّ العباد ، لتفترقُنّ فى البلاد .

---

(١) ثغت : صاحت وصوتت . (٢) العظاية : دويبة ملساء تشبه سام أبرص .

(٣) كفتوا : ضموا . والسفرة : ما يبسط تحت الخوان من جلد أو غيره .

(٤) عتيمة ، تصغير : عتمة ، و هى ثلث الليل الأول . والذى فى أكثر أصول الأغانى : « عشية » . (٥) آمت المرأة : فقدت زوجها .

وضَربت بعصاها الأرض ثم قالت : أَطيلى إيابهم ، ونَفِّرى رِكابهم. فوثبت الإبلُ كأن على ذِرْوة كل بعير شيطاناً ، فلم يُملَك منها شىء حتى افترقت فى الوادى . فجمعناها آخر النّهار ومن غدٍ فلم نكد. فلما أنخناها لنَرْحلها طلعت علينا العَجوز بعصاها وقالت كقولها بالأمس. ففعلت الإبل كفِعْلها بالأمس . فلم نجمعها إلّا الغدَ عشيًّا ، فلما أَنخناها لنَرْحلها أَقبلت العجوز فقالت كقولها فى اليومين ، وتفرّقت الإبل. فقلت لأُمية : أين ما كنتَ تُخبرنا عن نفسك ؟ فقال: اذهبوا أنتم فى طلب الإبل ودَعوني . فتوجّه إلى الكثيب الذى كانت العجوز تأتي منه حتى عَلاه ، وهَبط منه إلى وادٍ فيه كنيسةٌ وقَناديل ، و إذا رجل مُضطجع مُعترض على بابها ، و إذا آخر أبيضُ الرأس واللِّحية ، فلما رأى أُمية قال : إنك لَمتبوع ، فمن أين يأتى صاحبُك ؟ وجرى بينهما فى ذلك ما تقدّم ذِكْره(1) . ثم قال : ما حاجتُك ؟ فحدّثه بحديث العجوز . فقال : صدقتْ وليست بصادقة ، هى امرأة يهوديّة من الجِنّ هَلك زوجُها منذ أعوام ، و إنها لا تزال تَصنع بكم ذلك حتّى تُهلككم إن استطاعتْ . فقال أُمية : وما الحيلةُ ؟ قال : أَجمعوا ظَهْركم(2)، فإذا جاءتْكم ففعلت كما كانت تفعل، فقُولوا : سبعٌ من فوق وسبعٌ من أسفل ، باسمك اللّهم . فلن تَضُرّكم . فرجع أُميةُ إليهم وقد جمعوا الظّهر . فلما أقبلت العجوز . قال لها ما أمر به الشيخ ، فلم تضُرهم . فلما رأت الإبلَ لم تتحرّك ، قالت : قد عرفتُ صاحبَكم ، لَيَبْيَضَنّ أعلاه ، ولَيَسْودنّ أسفلُه . فأَصبح أُمية وقد بَرِصَ فى عِذَارَيْه واسودّ أسفلُه . فلما قَدِموا مكة ذكروا لهم الحديثَ . فكان ذلك أولَ ما كتب أهلُ مكة « باسمك اللهم » .

حديث شق صدره

وقيل :

دَخل أُمية بن أبى الصَّلت على أُخته ، وهى تُهيىء أَدَماً لها ، فنام على سرير

(١) انظر (ص ٤٩٩) من هذا الجزء . (٢) الظهر : ما يحمل عليه من الإبل .

فى ناحية البيت، فانشق جانب من السقف، فإذا بطائرين، فوقع أحدهما على صدره فشقّه وأخرج قلبه، ووقف الآخر مكانه. فقال الطائر الواقف للطائر الذى على صدره: أوعى؟ قال: وَعَى. قال: أقَبِلَ؟ قال: أبَى. فردّ الطائرُ قلبه فى موضعه ثم نَهض. فأتبعه أمية طَرْفَه وقال:

لبّيكما لبّيكما هاأنذا لدَيْكما

لا بَرِىء فأعتذر، ولا ذو عَشيرة فأنتصر. فرجع الطائر فوقع على صَدره فشقّه، ثم أخرج قلبه فشقّه. فقال الأعلى: أوَعَى؟ قال: وَعَى. قال: أقَبِل؟ قال: أبَى. فنهَض. فأتبعهما أمية طَرفه وقال:

لبّيكما لبّيكما هاأنذا لدَيْكما

محفوف بالنّعم، محفوظ من الرِّيب. فرجع الطائر فوقع على صَدره فشقّه. فقال الأعلى: أوعى؟ قال: وَعى. قال: أقَبِل؟ قال: أبَى. ونهَض. فأتبعهما أميّة طَرفَه فقال:

لبّيكما لبّيكما هاأنذا لدَيْكما

إن تَغفر اللهم تَغفر جَمّا وأىُّ عبدٍ لك لا ألمّا[1]

قالت أخته: ثم انطبق السقفُ وجلس أمية يَمسح صدرَه. فقلتُ: يا أخى، هل تجد شيئاً؟ قال: لا، ولكنّى أجد حرًّا فى صدرى. ثم أنشأ يقول:

ليتنى كنتُ قبل ما قَدْ بدا لِى فى رُءوس الجبال أرْعى الوُعولا

اجْعلِ الموتَ[2] بين عَيْنيك واحْذَرْ غَولةَ الدّهْر إن للدّهر غُولا

وروى ابن عبّاس أن رسول الله صلّى الله عليه وسلّم صدّق أمية فى قوله:

(١) ألم: وقع فى اللمم، وهو صغار الذنوب.

(٢) فى بعض أصول الأغانى: «نصب» مكان «بين».

رَجلٌ وثور[١] تحت رِجْل يَمينه | والنَّسر للأُخرى وليثٌ مُرْصَدُ

فقال رسول الله صلّى الله عليه وسلّم : صدَق .

النبي صلى الله عليه وسلم حين أنشد من شعره

وقيل :

أَنشد رسولُ الله صلّى الله عليه وسلّم قول أُمية بن أَبى الصَّلت :

الحمدُ لله مُمسانا ومُصْبَحنا | بالخير صَبَّحنا ربِّى ومسَّانَا

ربُّ الحَنيفة لم[٢] تَنفد خزائنُها | مَملوءةً طبَّق الآفاق سُلطانا

أَلَا نَبىٌّ لنا منّا فيُخبرَنا | ما بعد غايتنا من رأس مَحْيانا

بينا يُرَبِّبنا آباؤنا هَلكوا | و بينا نَقْتنى الأَوْلادَ أفنانا

وقد علمنا لو اُنّ العِلْم يَنْفعنا | أنْ سوف يَلْحق أُولانا بأُخرانا

فقال النبيُّ صلى الله عليه وسلم : إن كاد أمية ليُسلم .

شعره يعتب على ابن له

وقيل :

إن أُمية بن أَبى الصَّلت عَتب على اَبنٍ له ، فقال :

غَذوتُك مولوداً وعُلْتُك يافعًا | تُعَلُّ بما أَجنى عليك[٣] وتَنْهَلُ

إذا ليلةٌ نابتْك بالشَّكْو لم أبتْ | لشَكْواك إلّا ساهراً أَتململ

كأَنِّى أنا المَطروق دونك بالَّذى | طُرقت به دونى فعينىَ تَهْمُل

تخافُ الرَّدى نَفْسى عليك و إنَّها | لَتعْلم أنّ الموتَ حَتْمٌ[٤] مؤجَّل

فلما بلغتَ السنَّ والغايةَ التى | إليها مَدى ما كنتُ منك أُؤمِّل

جعلتَ جَزائى غِلْظةً وفَظاظةً | كأنك أنت المُنْعِم المُتفضِّل

وسَمَّيتنى[٥] باسم المُفنَّد رأيُه | وقلت ولم تصدُق أناسك أَفضل

(١) فى التجريد : « أسد ونسر » .
(٢) فى التجريد : « لم يفتت خواتمها » مكان : « لم تنفد خزائنها » .
(٣) أجنى ، عليك ، أى أكسب لك . (٤) فى التجريد : « وقت » مكان « حتم » .
(٥) لم تذكر أصول الأغانى هذا البيت والبيتين بعده .

فليتَك إذ لم تَرْعَ حقَّ أُبوتى ... كما يَفعل الجارُ المجاور تَفْعل
تَراه مُعــدًّا للخِــلاف كأنه ... برَغْمى على رَيْبِ الزَّمان موكَّل

وقيل :

حديث موته

إنه لما بُعث رسول الله صلَّى الله عليه وسلَّم أخذ أُميــة بن أبى الصَّلت أبنيه وهَرب بهما إلى اليمن ، ثم عاد إلى الطائف . فبينا هو يَشرب مع إخوانٍ له فى قَصر غَيلان[1] بالطائف إذ سَقط غُراب على شُرفة القَصر ، فنَعَب نَعبةً ، فقال أمية : بفيك الـكَثْـكث – وهو التراب — فقال أصحابُه : ما يقول ؟ قال : إنه يقول : إذا شربتَ الـكاس التى بيــدك متَّ . فقلت له : بفيك الـكَثكث . ثم نَعب نَعبة أُخرى . فقال أُميــة نحو ذلك . فقال أصحابُه : ما يقول ؟ قال : زَعم أنّه يقع على هذه المَزبلة أسفلَ القصر فيستثير عظماً فيَبتلعه فيموت ، فقلت له نحو ذلك . فوقع الغُراب أسفل القصر فأثار العظم فاُبتلعه وشَجِى به فمات . فانكسر أُميــة ووضع الـكأس من يده وتغيَّر لونُه . فقال له أصحابُه : ما أكثر ما سمعنا مثل هذا وكان باطلاً ، وألحّوا عليه حتى شرب الـكأس . فمال فى شِقٍّ وأُغمى عليــه ، ثم أفاق فقال : لا برىءٌ فأَعتذر ، ولا قوىٌّ فأَنتصر . ثم خرجت نفسُه .

(١) هو غيلان بن سلمة بن معتب ، أعجب به كسرى حين وفد عليه فبنى له هذا القصر .

أخبار حسّان

نسبه

هو حسَّان بن ثابت بن المُنذر بن حَرام بن عمرو بن زَيد مَناةَ بن عدىّ بن عَمرو ابن مالك بن النجَّار . وهو تَيم الله بن ثَعلبة بن عمرو بن الخزرج بن حارثة بن ثَعلبة ، وهو العَنقاء — و إنما سُمى العَنقاء لطُول عُنقه — ابن عمرو ، وهو مُزَيقياء ، ابن عامر بن ماء السماء بن حارثة الغِطريف بن أمرىء القيس البِطْريق بن ثعلبة البُهلول بن مازن بن الأَزد ، وهو دِرء[1] — وقيل : دِراء ، ممدود — بن الغَوث ابن نَبْت بن مالك بن زَيد بن كَهلان بن سَبأ بن يشجُب بن يَعْرُب بن قَحْطان .

و بنو عمرو بن عدىّ بن النجّار يُسَمّون بنى مَعالة . ومَعالة أُمهم ، وهى أمرأة من القَين ، و إليها كانوا يُنسبون . وأُم حسّان بن ثابت الفُريعة بنت خالد بن قيس بن لَوذَان بن عبد وُدّ بن زَيد بن ثَعلبة بن الخزرج بن ساعدة بن كَعْب ابن الخزرج .

وكان أسم النَّجار تيمَ اللات ، فجعله رسولُ الله صلّى الله عليه وسلم « تيم الله » لئلا يكون فى أنساب الأنصار « تيم اللات » .

فحل من المعمرين

وحسَّان بن ثابت فَحل من فُحول الشُّعراء . وقد قيل : إنه أشعر أهل المَدر ، وكان من المعمَّرين ، عُمِّر مائةً وعشرين سنة ، ستِّين فى الجاهلية وستِّين فى الإسلام .

عمره

ورُوى عن حسّان بن ثابت قال : إنِّى لغُلام يَفَع أبن سَبع سنين أو ثمان ،

---

(١) فى بعض أصول الأغانى : « ذرئ » بالذال . تصحيف .

إذا يهودىّ بيَثْرب يصرُخ ذات ليلة : يا معشر يهود . فلمّا أُجتمعوا قالوا : و يلك ! مالك ؟ قال : طَلع نَجم أَحمد الذى وُلد به فى هذه اللَّيلة . وأدركه ولم يُـؤمن به . وهذا يدلُّ أنه عُمِّر فى الجاهلية ستين سنة ، لأنه ذَكر أنه أَدرك ليلة وُلد رسول الله صلى الله عليه وسلم ، وله يومئذ ثمانى سنين ، والنبىّ صلى الله عليـه وسلم بُعث وله أربعون سنة، فأقام بمكة ثلاثَ عشرة سنة، وقدمالمدينةَ ولحسّان يومئذ، على ما ذَكر، ستّون سنة ، أو إحدى وستون سنة . وحينئذ أسلم .

خضـابه

وكان يَخضب شار به وعَنْفقته(١) بالحِنَّاء ، ولا يَخْضب سائر لحيته .

فضله على الشعراء

وكان يُفضَّل حسّان على الشُّعراء بثلاث : كان شاعرَ الأنصار فى الجاهليّة ، وشاعر رسول الله صلَّى الله عليه وسلم فى النُّبوّة ، وشاعر اليمن كُلها فى الإسلام .

استشهاده بأبى هريرة

وقيل :

جاء حسَّان إلى نَفر منهم أبو هُريرة رضى الله عنه ، فقال: أَنشُدك الله! أَسمعتَ رسول الله صلّى الله عليه وسلم يقول : أَجِبْ عنِّى . ثم قال : اللّهم أيِّده برُوح القُدس ؟ فقال أبو هريرة : اللهم نَعم .

من الثلاثة الذين عارضوا شعراء قريش

وقيل :

كان يهجو رسولَ الله صلّى الله عليه وسلم ثلاثةُ رَهْط من قُريش : عبـدُ الله ابن الزِّبَعْرى ، وأبو سُفيان بن الحارث بن عبد المُطلب ، وعمرو بن العاص . فقال قائل لعلىّ بن أبى طالب رضى الله عنه : اهْج عنّا القوم الذين هَجَونا . فقال علىّ رضى الله عنه . إنْ أَذن لى رسولُ الله صلّى الله عليـه وسلم فَعلتُ . فقال رجل : يا رسول الله ، إيذن لعلىّ كيما يَهجو عنّا هؤلاء القومَ الذين هَجَونا . فقـال : ليس هناك ، أو ليس عنـده ذاك . ثم قال للأنصار : ما يمنَع الذين نَصروا رسولَ الله

(١) العنفقة : شعرات بين الشفة السفلى والذقن .

بسلاحهم أن ينصُروه بألسنتهم؟ فقال حسّان بن ثابت: أنا لها، وأَخذ بطَرف لسانه وقال: والله ما يسُرّنى به مِقْوَلٌ من بُصْرى وصَنْعاء. فقال: كيف تَهْجوهم وأنا منهم؟ فقال: إنى أَسُلّك منهم كما تُسَلّ الشّعرة من العَجين. فكان يَهجوهم ثلاثةٌ من الأنصار: حسّان بن ثابت، وكعب بن مالك، وعبد الله بن رَواحة. فكان حسّان وكعب يُعارضانهم بمثل قولهم بالوقائع والأيام والمآثر، ويعيّرانهم بالمَثالب. وكان عبد الله بن رَواحة يعيّرهم بالكُفر، ويُعلم أنّه ليس فيهم شرٌّ من الكُفر. وكان فى ذلك الزمان أشدُّ القول على الكُفار قولَ حسان بن ثابت، وأهونُ القول عليهم قولَ ابن رواحة. فلما أسلموا وتفقّهوا فى الإسلام كان أشدّ القول عليهم قول ابن رَواحة.

استئذانه النبى صلى الله عليه وسلم فى هجائه أبا سفيان

وقيل:

قام حسّان بن ثابت فقال: يا رسول الله، إيذن لى فيه — يعنى أبا سُفيان ابن الحارث — وأَخرج لساناً أسود، وقال: يا رسول الله، لو شئتُ لفَريتُ به المَزاد[1]، إيذن لى فيه. فقال: اُذهب إلى أبى بكر ليحدّثك بحديث القوم وأيامهم وأحسابهم، ثم اُهْجُهم وجبريلُ معك. فأتى أبا بكر رضى الله عنه فأَعلمه بما قال رسولُ الله صلّى الله عليه وسلّم. فقال: كُفَّ عن فُلانَة واُذكر فلانة. فقال حسّان:

هجوتَ محمداً فأجبتُ عنه ... وعند الله فى ذاك الجزاء

فإنّ أَبى ووالدَه وعِرْضى ... لِعرض محمّد منكم وِقاء

أتهجُوه ولستَ له بكُفء ... فشرُّكما لخيركما الفِداء

وقيل:

لمّا أُنشدت قُريش شعر حسّان بن ثابت قالت: إن هذا الشّتم ما غاب عنه ابنُ أبى قُحافة.

(١) المزاد: جمع مزادة، وهى التى يحمل فيها الماء.

وذُكر أنّ عُمر بن الخطّاب رضى الله عنه فى أيّام خلافته نَهى الناس أن يُنشدوا شيئاً من مُناقضة الأنصار ومُشركى قُريش ، وقال : فى ذلك شَتم للحىّ والميت وتجديدُ الضغائن ، وقد هدَم الله أمر الجاهليّة بما جاء من الإسلام . فقدم المدينةَ عبدُ الله بن الزِّبعرى السَّهمى ، وضِرار بن الخطّاب الفِهرى ثم المُحاربىّ ، فنزلَا على أحمد بن جَحش وقالا : نُحب أن ترسل إلى حسّان بن ثابت حتى يأتيكَ فنُنشده ويُنشدنا ماقُلناه وما قاله . فأرسل إليه فجاء . فقال : يا أبا الوليد ، هذان أخَواك : أبن الزِّبعرى ، وضرار ، وقد أحبّا أن يُسْمعاك وتُسمعهما ما قالا لك وقلت لهما . فقال ابنُ الزِّبعرى ، وضِرار : نعم يا أبا الوليد ، إنّ شعرك كان يُحتمل فى الإسلام ولا يُحتمل شعرنا ، وقد أحببنا أن نُسمعك وتُسمعنا . فقال حسان : أفتبدآن أم أبدأ ؟ قالا : نبدأ نحن . قال : أنشِدا . فأنشداه حتى فار فصار كالمِرجل غضباً ، ثم استويا على راحلتَيهما يُريدان مكة . فخرج حسّان حتى دَخل على عُمر بن الخطّاب رضى الله عنه فقَصّ عليه قصّتهما وقصته . فقال له عُمر : لن يَذْهبا عنك بشىء إن شاء الله ، وأرسل من يرُدّهما ، وقال له عمر : إن لم تُدركهما إلا بمكة فارددْهما علىّ . وخَرجا ، فلما كان بالرَّوْحاء[1] رَجع ضِرار إلى صاحبه وقال له : يابن الزِّبعرى ، أنا أعرف عُمر وذَبَّه عن الإسلام وأهله ، وأعرف حسّان وقلّة صبره على ما فعلنا به . وكأنّى به قد جاءه وشكا إليه ما فعلنا ، فأرسل فى آثارنا وقال لرسوله : إن لم تَلْحقهما إلا بمكة فاُرددهما علىّ ، فاُرْبَح بنا ترك العَناء وأَقِم بنا فى مكاننا هـذا ، فإن كان الذى ظننتُ فالرُّجوع من الرَّوحاء أسهلُ منـه منْ أبعدَ منها ، وإن أخطأ ظنِّى فذلك الذى نُحب ونحن من وراء المُضىّ . فقال ابنُ الزِّبعرى : نِعْم ما رأيتَ . فأقاما بالرَّوحاء ، فما كان إلا كمَرّ طائر حتى وافاهما رسولُ عُمر بن الخَطّاب ، فرَجعا إليه[2] . فدعا لهما بحسّان ، وعُمر فى جماعة من

(١) الروحاء : موضع بين مكة والمدينة على نحو ثلاثين ميلا من المدينة .
(٢) فى بعض الأصول : « فردهما إليه » .

أصحاب رسول الله صلّى الله عليه وسلّم ، فقال لحسان : أَنْشدهما ما قلتَ لهما . فأَنشدهما حتى فرَغ ممّا قال لهما . فقال عمر : أفرغت ؟ قال : نعم . قال : أَنْشداك فى الخلاء وأنشدتَهما فى الملأ . وقال لهما عمر : إن شئتُما فأَقيما و إن شئتُما فانصرفا . وقال لمن حَضره من الأنصار : إنّى قد نهيتُكم أن تذْكروا ممّا كان بين المُسلمين والمُشركين شــيئاً دفعاً للتضاغُن عنكم ، و بَثِّ القَبيح فيما بينكم . فأمّا إذ أَبَوْا فاكتُبوه واُحفظوه . فدوّنوا ذلك عنهم[1] .

من هجائه لأبى سفيان بن الحارث

وممّا قاله حسانُ فى أبى سُفيان بن الحارث يهجوه :

و إن سناء[2] المَجد من آلِ هاشمٍ ... بنو بِنْتِ مَخزومٍ[3] ووالدُك العَبْدُ

ومن ولدتْ أبنــاء زُهْــرة منهمُ ... كرامٌ ولم يبلُغ عجــائزَك[4] المجدُ

و إنْ امرأً كانت سُمَيّةُ[5] أُمّه ... وسَمْراء[6] مغلوبٌ إذا بلغ الجَهْد

وأنت هَجينٌ[7] نِيطَ فى آلِ هاشمٍ ... كما نِيطَ خلفَ الرَّاكبِ القَدَحُ الفَرْد

فقال العبّاس رضى الله : مالى أنا وحسّان ! يعنى فى ذِكْره نُتيلة[8] أمه . فقال حسّان فيها :

ولَسْتَ كعبّاس ولا كابن أُمّه ... ولكنْ هَجِينٌ ليس يُورَى له زَنْدُ

---

(١) فى بعض الأصول : « عندهم » . (٢) فى أصول الأغانى : « سنام » .

(٣) بنت مخزوم ، هى فاطمة بنت عمرو بن عائذ بن عمران بن مخزوم ، وهى أم عبد الله ، أبي النبى صلى الله عليه وسلم ، والزبير ، وأبى طالب ، أبناء عبد المطلب . و« والدك العبد » : يريد به : الحارث ابن عبد المطلب ، وهو ابن أبى سفيان المهجو ، وكانت أمه أم ولد .

(٤) يمدح آمنة أم النبى صلى الله عليه وسلم ، وهالة أم حمزة ، وصفية ، وكلتاهما زهرية . و« لم يلحق عجائزك المجد » يهجو أبا سفيان بأن أمهاته لسن أحراراً ، فأم أبى سفيان أم ولد ، وأم أبيه كذلك أم ولد .

(٥) سمية : هى أم الحارث بن عبد المطلب . والذى فى الأصل : « نتيلة » تحريف .

(٦) سمراء : أم أبى سفيان . (٧) الهجين : من أبوه عربى وأمه ليست عربية .

(٨) هى نتيلة بنت كليب بن مالك بن جناب ، أم العباس وضرار ، ابنى عبد المطلب .

حداؤه بين يدى رسول الله صلى الله عليه وسلم

وقيل :

قال النبىّ صلّى الله عليه وسلّم ليلةً وهو فى سَفر : أين حسّان بن ثابت ؟ فقال حسان : لبَّيك يا رسولَ الله وسَعْديك . قال : أُحْدُ . فجعل يُنْشد ويُصْغى إليه رسولُ الله صلّى الله عليه وسلم ويَستمع ، فما زال يَسمع إليه وهو سائقٌ راحلَته حتى كاد رأسُ راحلته يَمسّ الوَرِكَ ، حتى فرَغ من نَشيده . فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم : لَهَذا أشدُّ عليهم من وَقْع النَّبْل .

مجاوبته شاعر وفد تميم

وقيل :

لمّا قَدِم على النبىّ صلى الله عليه وسلم وفدُ بنى تَميم ، وهم سَبعون رجلاً ، منهم الأقرعُ بن حابس ، والزِّبْرقان بن بَدر ، وعُطارِد بن حاجب ، وقيس أبن عاصم ، وعَمرو بن الأهتم ، وانطلق معهم عُيَينة بن حِصْن ، فقدِموا المدينةَ فدخلوا المسجد، فوقَفوا عند الحُجُرات، نادَوْا بصوتٍ عالٍ جافٍ : أُخرُج يا محمد ، فقد جئنا لنُفاخرَك ، وجئنا بشاعرنا وخَطيبنا . فخرج إليهم رسولُ الله صلى الله عليه وسلم فجلس . فقام الأقرعُ بن حابس فقال : والله إن مَدحى لزَيْن ، وإن ذَمِّى لشَيْن . فقال رسولُ الله صلى الله عليه وسلم : ذلك الله . فقالوا : إنّا لأكرمُ العرب . فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم : أكرمُ منكم يوسُف بن يعقوب أبن إسحاق بن إبراهيم . فقالوا : إيذَن لشاعرنا وخطيبنا . فقام رسولُ الله صلى الله عليه وسلم فجلس وجَلس معه الناسُ . فقام عُطارد بن حاجب فقال : الحمد لله الذى له الفضلُ علينا بهدايته ، الذى جَعلنا مُلوكاً وجعلنا أعزّ أهل الشَّرق[1] ، وأتانا أموالاً عظاماً نفعل فيها المَعروف ، وليس فى الدُّنيا مثلُنا ، أوَ لسنا برُءوس الناس وذَوى فَضْلهم ! فمن فاخرنا فَلْيعُدَّ علينا مثلَ ما عَدَدْناه ، ولو نشاء لأكثرنا ، ولكنّا نستحى من الإكثار فيما خَوّلنا الله وأعطانا . أقول قولى هذا

(١) فى بعض أصول الأغانى : « المشرق » .

فَأْتُوا بقولٍ أفضلَ من قولنا ، أو أمرٍ أَبْين من أَمْرنا . ثم جلس . فقام ثابت أبن شَمّاس فقال : الحمد لله الذى السمواتُ والأرض خَلْقُه ، قَضى فيهن أمرَه ، ووَسِع كُرسيَّه علْمُه ، ولا يَقْضى شيئاً إلا من فَضله وقُدرته ، وكان من قُدرته أن اصطفى لنا رسولاً أكرمهم حَسَباً ، وأصدقهم حديثاً ، وأحسنَهم رأياً . وأنزل عليه كتاباً ، وأئتمنه على خَلْقه ، وكان خِيرةَ الله من العالَمين . ثم دعا رسولُ الله صلّى الله عليه وسلّم إلى الإيمان ، فأجابه من قومه وذَوى رَحمه المُهاجرون ، أكرمُ الناس أنساباً ، وأصبحُ الناس وجُوهاً ، وأفضل الناسُ أفعالاً . ثم كان أول من أتبع رسول الله صلى الله عليه وسلم من العرب وأستجاب له نحن مَعْشَر الأَنصار . فنحن أنصار الله ووزراء رسول الله صلى الله عليه وسلم ، نُقاتل الناسَ حتى يؤمنوا أو يقولُوا : لا إله إلا الله . فمن آمن بالله ورسوله مَنع منّا مالَه ودمَه ، ومَن كفر جاهَدْناه فى الله وكان جهادُه علينا يسيراً . أقول قولى هذا وأستغفر الله للمؤمنين والمؤمنات . فقام الزِّبرقان فقال :

نحن المُلوك فلا شيء[1] يقاربُنا ... منّا المُلوك وفينا يُؤْخَذ[2] الرُّبُعُ
ونَنْحر الكُومَ[3] عُبْطًا فى منازلنا ... للنّازلين إذا ما أستَطْعموا شَبعوا
ونحن نُطْعِم عند القَحْط ما أكلوا ... من العَبيط إذا لم يَظهر[4] القَزع
تلك المكارمُ حُزْناها مُقارَعةً ... إذا الكِرامُ على أمثالها أقترعوا
كم قد قَسَرْنا[5] من الأحياء كلِّهم ... عند النِّهاب وفضلُ العزِّ يتّبع
وتُبصر الناسَ تأتينا[6] سَراتُهم ... فى كُلِّ أمرٍ فنَمْضى ثم نُتَّبَع

---

(١) فى الأغانى : « قلاص ».

(٢) كان من عادة العرب فى الجاهلية أن يأخذ الرئيس ربع الغنيمة خالصاً دون أصحابه .

(٣) الكوم : جمع أكوم ، وهو البعير الضخم . والأنثى : كوماء . والعبط ، بضمتين ، وقد تسكن عينه : جمع عبيطة ، وهى الناقة تنحر عن غير داء .

(٤) القزع : السحاب . يشير إلى إطعامهم أيام المحل .

(٥) فى بعض أصول الأغانى : « نشدنا » . (٦) رواية أصول الأغانى :

* وننصر الناس تأتينا سراتهم *

فأرسل رسولُ الله صلّى الله عليه وسلم إلى حسّان بن ثابت فجاء ، فأمره أن يُجيبه . فقال حسّان :

إنّ الذّوائب من فِهْرٍ و إخْوتهم ... قد بَيَّنوا سُنَّةً للنـاس تُتَّبعُ
يَرْضَى بها كُلُّ مَن كانت سريرتُه ... تَقْوى الإلٰه وبالأمر الذى شَرَعوا
قومٌ إذا حاربوا ضَرُّوا عـدوَّهمُ ... أو حاولوا النَّفعَ فى أشياعهم نَفعوا
سـجيةٌ تلك فيهم غيرُ مُحدثةٍ ... إنّ الخلائق فاعْلم شرُّها البِـدَع
لا يَرْقَع النـاسُ ما أوهت أكفُّهم ... عنـد الدِّفاع ولا يُوهون ما رَقعوا
إنْ كان فى النَّاس سبَّاقون بعـدهمُ ... فـكلُّ سَبْقٍ لأَدْنى سَبْقهم تبَع
أعِفَّـةٌ ذُكرتْ فى الْوَحْى عِفَّتُهم ... لا يَطْبعون(١) ولا يُزْرِى بهم طَبَع
ولا يَضَنُّون عن جارٍ بفَضْلهمُ ... ولا يَمسُّهمُ من مَطْمَعٍ طَمع
يَسْمُون للحَرْب تَبْـدُو وهى كالحـةٌ ... إذا الزَّعانفُ(٢) من أظفارها خَشَعوا
لا يَفرحون إذا نالُوا عـدوَّهمُ ... وإن أُصيبُوا فلا خُورٌ ولا جُزُع
كأنّهم فى الوَغَى والموتُ مُكْتَنع ... أُسُودُ بِيشَةَ فى أرْساغها(٣) فَدَع
خُذ منهمُ ما أتَوْا عفواً وما(٤) غَضِبُوا ... فلا يكُن هَمُّكَ الأمرَ الذى مَنعوا
فإنّ فى حَرْبهم فاتْرُكْ عَداوتَهم ... سُمًّا عليـه يُخاض الصَّابُ(٥) والسَّلَع
أكْرِم بقَوْمٍ رسولُ الله قائدهم ... إذا تفـرَّقت الأهواء والشِّيَع
أَهْـدَى لهمْ مِـدَحى قَلْبٌ يُؤازِره ... فيما أراد لسـانٌ حاذِقٌ(٦) صَنَع

(١) لايطبعون ، أى لا يأتون مايدنسهم و يعيبهم و يشينهم . والطبع : الدنس والعيب والشين .
(٢) الزعانف : أرذال الناس .
(٣) مكتنع : قريب . و بيشـة : من أعمال مكة مما يلى اليمن ، كثيرة الأسد . والفـدع : اعوجاج فى الرسغ .
(٤) فى بعض أصول الأغانى : « خذ منهم ما أتى عفواً وإن » .
(٥) يخاض : يخلط . والصاب والسلع : من الأشجار المرة .
(٦) فى بعض أصول الأغانى : « حائك » .

وإنّهم[١] أفضلُ الأحيــاء كُلهمُ إنْ جدّ بالنّاس جِدُّ القول[٢] أو شَمَعوا

فقام عُطارد بن حاجب فقال :

أتيناكَ كيما يَعــلَمَ النــاسُ فضلَنا إذا اُجتمعوا وقت اُحتضــار المَواسِمِ
بأنّا فُروعُ النّاسِ فى كُلِّ موطنٍ وأنْ لَيْس فى أرض الحجاز[٣] كدَارِمِ

فقام حسّان فقال :

مَنَعْنا رسولَ الله من غَضَبٍ له على أنْفِ راضٍ من مَعــدٍّ وراغِمِ
هل المجدُ إلا السُّودَدُ الفَرْد[٤] والنَّدَى وجاهُ[٥] الملوكِ واُحتمال العَظائمِ

فقال الأقرع بن حابس : والله إنّ هــذا الرّجلَ لمُؤَتًّى له[٦] ، والله لشاعره أشعرُ من شاعرنا ، ولخَطيبه أخطبُ من خَطيبنا . فنزل قولُه تعالى : (إِنَّ الَّذِينَ يُنَادُونَكَ مِنْ وَرَاءِ الْحُجُرَاتِ أَكْثَرُهُمْ لَا يَعْقِلُونَ . وَلَوْ أَنَّهُمْ صَبَرُوا حَتَّى تَخْرُجَ إِلَيْهِمْ لَكَانَ خَيْرًا لَهُمْ وَاللَّهُ غَفُورٌ رَحِيمٌ) . ثم إنّ القوم أسلموا وأقاموا عنـد النّبىّ صلّى الله عليه وسلّم يتعلّمون القُرآن ويتفقّهون فى الدِّين ، ثم أرادوا الخُروج إلى بُيوتهم ، فأعطاهم رسولُ الله صلَّى اللهُ عليه وسلَّم وكَساهم وقال : أما بَقِى منكم أحدٌ ؟ وكان عَمرو بن الأهتم فى رِكابهم . فقال قيسُ بن عاصم ، وكان من رَهْطه وكان مُشاحناً له : لم يبْق إلا غُلام حديثُ السِّن فى ركابنــا . فأعطاه رسولُ الله صلَّى الله عليه وسلّم مثل ما أعطاهم . فبلغ عمرواً ما قال قَيسٌ . فقال عمرو لقيس :

ظَلِلْتَ مُفْــتَرِشَ الهَلْبــاء[٧] تَشْتُمنى عنــد الرّسول فلم تَصْدُق ولم تُصِبِ

---

(١) فى الديوان : « فإنهم » .
(٢) شمعوا : مزحوا .
(٣) دارم : أبوحى من تميم .
(٤) فى بعض أصول الأغانى : « العود » وهو القديم .
(٥) فى الأصل : « وجار » .
(٦) مؤتى له : ميسر له مسهل . (٧) الهلباء : الاست .

إنْ تُبغضونا فإنّ الرُّوم أَصْلُكمُ ... والرُّوم لا تملِك البَغْضاء للعَرَبِ
فإنّ سُؤْدَدَنا عَوْدٌ وسُؤْدَدكم ... مُؤخَّر عند أصل العَجْبِ[1] والذَّنب

ما كان بين جهجاه وفتية من الأنصار وشعر حسان

وذُكر أن رسول الله صلى الله عليه وسلم لمّا غزا بنى المُصْطَلِق[2] من خُزاعة، كان فى أصحاب رسول الله صلّى الله عليه وسلّم رجلٌ من بنى غِفار يقال له: جهْجاه، فخرج بفَرسٍ لرسول الله صلّى الله عليه وسلّم وفرسٍ له يومئذٍ يَسقيهما، فأوردها الماء، فوَجد على الماء فِتْيةً من الأنصار، فتنازَعوا عليه فاقْتتلوا، فقال عبدُ الله ابن أُبَىّ بن سَلُول المُنافق: هذا ما جَزَوْنا به، آوَيناهم ثم هم يُقاتلونا!

قلت: وفى هذه الوَقعة يقول عبد الله بن أُبَىّ ـ لعنه الله ـ: (لَئِنْ رَجَعْنَا إِلَى الْمَدِينَةِ لَيُخْرِجَنَّ الْأَعَزُّ مِنْهَا الْأَذَلَّ). و بلغ ذلك رسولَ الله صلَّى الله عليه وسلَّم، فأشار عمر بن الخطّاب رضى الله عنه على رسول الله صلّى الله عليه وسلم بضَرْب عُنُق عبد الله، فأبى ذلك رسولُ الله صلّى الله عليه وسلّم.

قال أبو الفَرَج:

و بلغ حَسّانَ بن ثابت الذى جرى بين جَهجاه والفِتيـة من الأَنصار فغضب وقال، وهو يريد المهاجرين من القبائل الذين قَدموا على رسول الله صلّى الله عليه وسلّم، ومنهم صَفْوانُ بن مُعطِّل السُّلَمى:

أَمسى الجَلابيبُ قد عَزُّوا وقد كَثُروا ... وابْنُ الفُرَيعة أَمسى بيضةَ[3] البَلدِ

(١) العجب: أصل الذنب.

(٢) اسمه جذيمة بن سعد. ولقب المصطلق لحسن صوته.

(٣) الجلابيب: سفلة الناس. وكان المنافقون يسمون المهاجرين: الجلابيب. وابن الفريعة، هو حسان بن ثابت. وبيضة البلد، كما يراد بها المدح يراد بها الذم. فعلى الأولى فالمراد بها بيضة الظليم لأنه يحضنها و يقيها وفيها فرخه. وعلى الثانى، فالمراد بها البيضة المنبوذة بالعراء التى لا حائط لها. وقيل: إذا كانت النسبة إلى مثل المدينة ومكة فبيضة البلد مدح، و إذا نسب إلى بلد أهلها على ضعة، فهو على الذم.

يَرْمُونَ بالقَول سِرًّا فى مُهادنةٍ تَهَدُّدًا لى كأنّي لستُ من أَحَد

قد ثَكِلتْ أُمُّه مَن كنتُ صاحِبَه أو كانَ مُنْتشباً فى بُرْثُن الأَسد

ما للْقَتيلِ الذى أَسْمُو فأَقْتُلُه مِن دِيةٍ فيه أُعطيها ولا قَوَد

ما البحرُ حين تَهُبُّ الرِّيحُ شاميةً فَيَغْطئِلّ ويَرْمِى العَبْرُ[1] بالزَّبَد

يوماً بأَبلغ[2] منِّى حين تبصرنى أَفرِى من الغَيْظ فَرْى العارض البَرِد

أَمّا قُرَيشٌ فإنّي لستُ تاركَهم حتى يُنيبوا من الغَيّاتِ للرَّشَد

ويَتْرُكوا اللّاتَ والعُزَّى بمَعْزِلَة ويَسْجُدوا كُلُّهم للواحد الصَّمَد

ويَشْهدوا أنَّ ما قال الرسولُ لهم حقٌّ ويُوفُوا بعَهدِ الله فى[3] سَدَد

أَبْلغ بَنِيَّ بأَنّي قد تركتُ لهم مِن خَيْر ما يَتْرك الآباء للوَلَد

الدارُ واسطةٌ والنَّخْل شارعةٌ والبِيضُ يَرْفُلن فى القَسّيِّ[4] كالبَرَد

فقال رسولُ الله صلّى الله عليه وسلّم : يا حسّان ، نَفِسْتَ عليّ إسلامَ قَومى ! وأَغضبه كلامُه .

وحسّان أحدُ أهل الإفْك الذين رَمَوا عائشة رضى الله عنها .

تعقيب لابن واصل عن الإفك

قلت : كانت قِصة الإفك فى هذه الغَزاة ، وكانت عائشة رضى الله عنها مع رسول الله صلّى الله عليه وسلّم فيها ، وكان قد وقع عِقْدٌ لها فذَهبت تطلُبه ، فرحل الجيش وحَملها الذى عليه هودجُها وظَنَّ أنها فيه . فلما وجدت العِقْد جاءت تطلُب هودجَها فوجدته قد ذَهب ، ووجدها صَفوان بن المُعطِّل السُّلمى ، فأَناخ لها جَمله وأدار وجهه عنها حتى ركبتْه ولحق بها الجيشَ . فقال أهلُ الإفك ما قالوا من

(١) يغطئل : يركب بعضه بعضا . والعبر : الساحل .

(٢) فى بعض أصول الأغانى : « بأغلب »

(٣) السدد : القصد .

(٤) القسى : ثياب من كتان مخلوط بحرير ، منسوبة إلى قرية كانت على ساحل البحر قريبة من تنيس ، بمصر .

الإفك . والذى تولّى كِبْرِه منهم عبدُ الله بن أُبَىّ . فأنزل الله سبحانه براءتها من السماء بآياتٍ من القرآن ، وهى (إِنَّ الَّذِينَ جَاءُوا بِالْإِفْكِ) الآيات . فغَضب صَفوانُ لِما قَذفه به حسّان ، ولهذه الأبيات .

غضب الرسول على حسان ثم رضاؤه عنه

قال أبو الفَرَج :

فعَدا[1] صفوانُ بن المُعطِّل على حسّان فضَربه بالسَّيف . وقال صفوان :

تَلقَّ ذُبابَ السّيف عنّى[2] فإنّنى غلامٌ إذا هُوجيتُ لستُ بشاعرِ

فوثب قومُ حسّان على صَفوان فحبَسوه ، ثم جاءوا سعدَ بن عُبادة بن دُليم ابن حارثة بن أبى حَزِيمة بن ثعلبة بن طَرِيف بن الخَزْرج بن ساعدة بن كَعْب ابن الخَزْرج بن حارثة بن ثعلبة بن عمرو بن عامر ، فذكروا له ما فعل حسّان وفعلوا به . فقال لهم : أشعرتُم[3] بذلك رسولَالله صلّى الله عليه وسلّم ؟ قالوا : لا . فقَعد إلى الأرض وقال : وانقطاعَ ظَهراه ! تأخذون بأيديكم ورسولُ الله صلّى عليه وسلّم بين ظَهْرانَيْكم ! ودعا بصَفْوان ، فأُتى به ، فكساه وخلّاه . فجاء صفوان إلى النبىِّ صلّى الله عليه وسلّم . وقيل : إنَّ النبىَّ صلّى الله عليه وسلّم دخل المسجدَ ليصلّى فرآه فقال : مَن كساكَ كساه الله من ثياب الجنة ! وقال حسّان لأصحابه : أحملونى إلى رسولُ الله صلّى الله عليه وسلّم أترضّاه . ففعَلوا . فأَعرض عنه رسول الله صلّى الله عليه وسلّم ، فردّوه . ثم سألهم، فحملوه ثانيةً . فأعرض عنه رسولُ الله صلّى الله عليه وسلّم . فانصرفوا به. ثم قال لهم : عُودوا بى على رسول الله صلّى الله عليه وسلّم. فقالوا : جئنا بك مرّتين ، كُلُّ ذلك يُعْرِض عنك ، فلا نُبْرِمه بك . فقال : أحملونى

(١) فى بعض أصول الأغانى : « فغدا » .
(٢) فى بعض أصول الأغانى : « عنك » .
(٣) فى بعض أصول الأغانى : « أشاورتم فى ذلك » .

إليه هـذه المرةَ . فحماوه . فأَعرض عنــه رسولُ الله صلّى الله عليه وســلّم ، فقال : يا رسولَ الله ، بأَبى أنت وأُمى ! أُحفظ قولى :

هجوتَ مُحمداً فأجبتُ عنه وعند الله فى ذاكَ الجزاء
فإنّ أَبى ووالدَه وعِرْضى لِعِرْض محمّـد منكم وِقاء

فرضى عنه رسولُ الله صلى الله عليه وسلم ، ووَهب له سِيرينَ القِبْطيّة ، أُخت مارية ، أُم إبراهيم ، ابن رسول الله صلى الله عليه وسلم . فولدت سيرينُ لحسّان عبدَ الرحمن بن حسّان .

تعقيب لابن واصل

قلت : إنّ مارية وأُختها سيرين أَهداهما المُقوقس جُرَيج بن مَتَّى صاحبُ مِصر إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم ، لما كتب إليه رسولُ الله صلى الله عليه وسلم يدعوه إلى الإسلام ، وأَهدى معهما له حمارَه « يَعْفور » و بَغْلته « دُلْدل » .

لعائشة عن صفوان

قال أبو الفرج :

وكانت عائشةُ رضى الله عنها تقول : لقد سُئِل عن صَفوان بن المُعطّل فَوَجدوه رجلاً حَصُوراً ما يأتى النّساء ، ثم قُتل بعد ذلك شهيداً .

لحسان يعتذر عن قوله فى عائشة

وقال حسّان يَعتذر مِن الذى قاله فى عائشة رضى الله عنها :

حَصَانٌ رَزَانٌ ما تُزَنُّ بِريبةٍ وتُصْبح غَرْثَى من لُحوم الغَوافِلِ
فإن كنتُ قد قلتُ الذى قد زعمتُمُ فلا رفعتْ سَوْطى إلىّ أَنامِلى
وكيف ووُدّى ماحَييتُ ونُصْرَتى لِآلِ رســول الله زَيْن المَحافل
و إنّ الذى قد قيل ليس بِلَائِطٍ ولـكنّه قولُ امرىء بى[1] ماحِل

بين عروة وعائشة وقد مرت جنازة حسان

وحَكى عُروة بن الزُّبير قال :

كنت قاعداً عند عائشة فُمرَّ بجنازة حسَّان بن ثابت فنِلْتُ منه . فقالت :

---

(١) لائط : لا تق . وماحل : ساع .

مهـــلاً . فقلتُ : أليس الذى يقول فيكِ ويقُول ! قالت : فكيف بقوله :

فإنّ أبى ووالدَه وعِرْضى لعِرْضِ محمـد منكم وِقَاء

ورُوى عنها رضى الله عنها أنها كانت تقول : إنى لأرجو أن يُدخله الله الجنة بقوله هذا .

صفية وحسان فى يهودى أطاف بالحصن

وقيل :

كانت صفيّة بنت عبد المُطّلب فى فارع ، حِصْن حسان بن ثابت ، يوم الخَنْدق . قالت صفيةُ رضى الله عنها : وكان حسّان معنا فيه مع النِّساء والصِّبيان ، فمرّ بنا رجلٌ من اليهود ، فجعل يُطيف بالحِصْن ، وقد حار بتْ بنو قُريظة وقَطعت ما بينها و بين رسول الله صلى الله عليه وسلم ، وليس بيننا و بينه أحدٌ يدفع عنّا ، ورسولُ الله صلى الله عليه وسلم فى نُحور عدوِّهم لا يَستطيعون أن يَنْصرفوا إلينا عنهم ، إذ أتانا آتٍ . قالت : فقلت : يا حسان ، إنّ هـذا اليهودى كما ترى يُطيف بالحِصْن ، و إنّى والله ما آمَنُه أن يدُلّ على عَوْراتنا مَن وراءنا من اليهود ، وقد شُغل عنّا رسولُ الله صلى الله عليه وسلم كما تَرى وأصحابُه ، فانْزِل إليه فاقْتله . فقال : يَغفر الله لك يا بنت عبد المُطلب ، لقد عرفتِ ما أنا بصاحب هذا . قالت: فلما قال ذلك ، ولم أر عنده شيئاً ، اعتجرتُ[1] ثم أخذتُ عوداً ثم نزلتُ من الحصن إليه ، فضربتُه بالعمود حتى قتلتُه ، فلما فرغتُ منه رجعتُ إلى الحِصن فقلت : يا حسّان ، انزل إليه فاسلُبْه فإنه لم يَمنعنى من سَلْبه إلا أنه رجل . فقال : مالى بسَلْبه حاجةٌ يا بنت عبد المُطلب .

وحدّث عبدُ الله بن الزُّبير بن العوّام أنه كان فى فارع، أُطُم حسّان بن ثابت يوم الخندق ، ومعهم عُمَرُ بن أبى سَلمة . قال ابن الزُّبير : ومعنا حسّــان بن ثابت

(١) الاعتجار : لف الثوب على الرأس من غير إدارة تحت الحنك .

ضارباً وَتداً فى ناحية الأُطم ، فإذا حَمل أصحابُ رسول الله صلى الله عليه وسلم على المُشركين حَمل على الوَتِد فضَربه بالسَّيف، فإذا أقْبل المُشركون انحاز عن الوَتِد حتى كأنه يُقاتل قِرْناً له ، كأنه يرى أنه يُجاهد حين جَبُن .

ابن الزبير وابن أبى سلمة يوم الخندق

قال ابنُ الزُّبير: وإنى لأَظْلم ابن أبى سَلمة وهو أكبر منِّى بسنَتين، فأقول له : تَحملنى على عُنقك حتى أنظر، فإنى أحملك إذا نزلتُ . فإذا حَملنى وسألنى أن يركب قلتُ : هذه المرّة أيضاً .

تعقيب لابن واصل

قلت : كان سنّ ابن الزُّبير يومئذٍ نحو خمس سنين ، لأن مولده بعد الهجرة ، وكانت غزوة الخندق سنة خَمس .

قال أبو الفرج :

قال ابنُ الزُّبير : وإنى لانظُر إلى أبى مُعْلَماً بصُفْرة ، فأخبرتُها أبى بعدُ ، فقال : أين كنتَ حينئذٍ ؟ فقلت : على عُنق ابن أبى سَلمة يَحْملنى . فقال : أمَا والذى نَفْسى بيده ، إنّ رسول الله صلى الله عليه وسلم ليجمع لى أبَوَيْه[1] .

قال ابنُ الزُّبير : وجاءنا يهودىّ يرْتقى إلى الحِصْن ، فقالت صَفيّة له : أعطنى السَّيف . فأعطاها . فلما ارتقى ضربتْه حتى قتلتْه ، ثم أخذت رأسه وقالت : طَوِّح به ، فإن الرَّجل أشدُّ من المرأة ، تُريد أن تُرْعِبَ به أصحابَه .

ضحك الرسول صلى الله عليه وسلم وقد أنشده حسان

وقيل : أنشد حسانُ بن ثابت رسولَ الله صلى الله عليه وسلم :

لقد غدوتُ أمامَ القومِ[2] مُنْطلقاً بصارِمٍ مثلِ لون المِلْح قَطَّاعِ
يُميط عنّى نِجادَ السَّيفِ سابغةٌ فَضْفاضةٌ مثلَ لونِ النِّهْى[3] بالقاعِ

(١) يعنى أن النبى صلى الله عليه وسلم كان يقول لى : فداك أبى وأمى .

(٢) فى بعض أصول الأغانى : « منتطقا » .

(٣) فى بعض أصول الأغانى : « يدفع » مكان « يميط » . والسابغة : الدرع . والنهى : الغدير .

فضحك رسولُ الله صلى الله عليه وسلم . فظنّ حسّان أنه يَضْحك من صِفته نَفْسَه مع جُبْنه .

بين الحطيئة وحسان

وقيل :

وقف الُحطيئة على حسّان بن ثابت ، وحسّان يُنشد من شعره ، فقال له حسانُ ، وهو لا يعرفه : كيف تَسمع هذا الشعر يا أعرابىّ ؟ قال الُحطيئة : لا أرى به بأساً . فغَضب حسّان وقال : اُسمعوا إلى كلام الأعرابىّ ! ما كُنيتك ؟ قال : أبو مُليكة . قال حسّان : ما كنتَ قطُّ أهونَ علىَّ منك حين اُكتنيتَ باُمرأة ! فما اُسمك ؟ قال : الحطيئةُ : قال اُمْضِ بسلام .

شعر حسان الذى فيه الغناء

والشِّعر الذى فيه الغِناء واُفتتح به أبو الفَرج أخبار حسّان ، هو :

تَبَلَتْ فُؤادَكَ فى المَنام[1] خَريدةٌ   تَشْفِى الضَّجيعَ ببـاردٍ بَسّامِ

كالمِسْك تَخْلِطُه بمـاء سَحابةٍ   أو عاتِقٍ[2] كدَمِ الذَّبيح مُدام

وهذه القصيدة يقولها حسّان بن ثابت فى وَقعة بدر ، و يَفْخر بها ، و يُعيِّر الحارثَ اُبن هشام المَخزومىّ بفراره عن أخيه أبى جهل بنِ هشام :

ترك الأحبّةَ أن يُقاتل دُونهم   ونَجا برأس طِمِرّةٍ[3] ولِجام

فأجابه الحارثُ بن هشام ، وهو يومئذٍ مُشركٌ :

الله يعلم ما تركتُ قِتـالَهم   حتى عَلَوْا فَرسِى بأَشْقرَ[4] مُزْبدِ

وشَممتُ رِيح الموت من تِلْقائهم   فى مأزِقٍ والخيـلُ لم تَتبدَّدِ

وعلمتُ أنِّى إن أُقاتِل واحـداً   أُقْتلْ ولا يَضْرُرْ عدوِّىَ مَشْهدى

ثم استطرد أبو الفَرج بذكر غَزوة بدر ، فنَذكرها على سياقتها ، لما فيها من الفوائد .

---

(١) تبلت : أسقمت . والخريدة : الحيية .   (٢) عاتق ، أى خمر قديمة .

(٣) الطمرة : الأنثى من الجياد المستفزة للوثب والعدو .   (٤) الأشقر : الدم صار علقا .

غزوة بدر

كانت فى رمضان يوم الجمعة لسبعَ عشرةَ ليلةً مضتْ من رمضان ، سنة أُثنتين من الهجرة ، وهى أول حَرب حَضرها رسولُ الله صلى الله عليه وسلم ، وهى الغَزاة التى أعزَّ الله بها الدِّين وأَعلى كلمة المُؤمنين .

قيل : إن رسول الله صلى الله عليه وسلم سمع بأبى سُفيان صخر بن حَرب مُقْبلاً من الشأم بعِيرٍ عظيمة ، فنَدب رسولُ الله صلى الله عليه وسلم المُسلمين إليها ، وقال : هذه عِيرُ قُريش فيها أموالُهم، فاُخرجوا إليها فلعلّ الله أن يُنَفِّلكموها[1] . فاُنتَدب الناسُ ، فخفَّ بعضُهم وثَقُل بعضٌ ، وذلك أنهم لم يظنُّوا أن رسول الله صلى الله عليه وسلم يَلْقى حرباً .

وكان أبو سُفيان اُستنفر[2] حين دنا من الحجاز ، وجعل يَتجسَّس الأَخبارَ ويسأل مَن لَقِيَ من الرُّكبان تخوفاً على أموال الناس ، حتى أصاب خبراً من بعض الرُّكبان أنّ محمداً قد اُستنفر أصحابَه لكَ ولعيرك ، فجدَّ عند ذلك واُستأجر ضَمضم بن عمرو الغِفاريّ ، فبعث به إلى مكة وأمره أن يأتى قُريشاً يَستنفرهم إلى أموالهم، ويُخبرهم أنّ محمداً قد عَرض لها فى أصحابه . وكانت عاتكةُ بنت عبد المُطلب قد رأت قبل قُدوم ضَمْضم رُؤيا أَفْزعتها ، فبعثتْ إلى أخيها العبّاس بن عبد المُطَّلب وقالت : يا أخى ، قد رأيتُ الليلةَ والله رُؤيا قد أَفزعتْنى وتخوّفتُ أن يدخُل بها على قومك شرٌّ أو مُصيبة ، فاكتُم علىّ ما أُحدّثك . قال لها : ما رأيتِ ؟ قالت : رأيت راكباً قد أقبل على بعيرٍ له حتى وقَف بالأَبطح ، ثم صَرخ بأَعلى صوته : أن

---

(١) ينفلكموها : يجعلها لكم غنيمة .

(٢) فى بعض أصول الأغانى : « استقدم » .

أنفروا يا آل غُدَرَ[1] إلى مَصارعكم، فى ثلاث . وأرى الناس قد اجتمعوا إليه . ثم دخل المسجدَ الحرام ، والناسُ يتبعونه ، فبينما هم حولَه إذ مَثَل به بعيرُه على ظهر الكعبة ، ثم صَرخ بأعلى صوته بمثلها : أنفروا يا آل غُدَر إلى مصارعكم ، فى ثلاث . ثم مَثَل به بعيرُه على أبى قُبَيس ، فصرخ بمثلها ، ثم أخذ صَخرة فأرسلها ، فأقبلتْ حتى إذا كانت بأسفل الجبل ارفَضَّت[2] تَهْوِى ، فما بقى بيتٌ من بُيوت مكة إلا دخلتْه منها فِلْذة[3] . قال العبّاس : إن هذه لَرُؤيا عجيبة ، فأنت فاكتُميها ولا تُظْهِريها لأحد . ثم خَرج العبّاس فلَقِى الوليد بن عُتبة ، وكان صديقاً له ، فذكرها له واستكتمه إيّاها . فذكرها الوليد لأبيه عُتبة . ففَشا الحديثُ حتى تحدّثت به قُريش . قال العبّاس : فغدوتُ أطُوف بالبيت ، وأبو جهل بن هشام ورَهْطٌ من قريش يتحدّثون برُؤيا عاتكة ، فلما رآنى أبو جهل قال : يا أبا الفضل ، إذا فَرَغْتَ من طوافك فأقبِل إلىّ . فلما فرغتُ أقبلتُ إليه حتى جلستُ معهم . فقال لى أبو جهل : يا بَنِى عَبد المطلب ، متَى حَدَثت فيكم هذه النَّبيَّة ؟ قال : قلت : وما ذاك ؟ قال : الرُّؤيا التى رأت عاتكةُ . قال : قلت : وما رأتْ ؟ قال : يا بَنى عبد المطلب ، أما رضيتم أن يتنبَّأ رجالُكم حتى تنبَّأت نساؤُكم ! وقد زعمت عاتكةُ فى رؤياها أنه قال : أنفروا ، فى ثلاث . فسَنتربّص بكم هذه الثلاث ، فإنْ يَكُ حقًّا ما قالت فسيكون ، وإن تَمض الثلاثُ ولم يكن من ذلك شىء نكتب عليكم كتاباً أنكم أكذبُ بيت فى العرب . قال العبّاس : فوالله ما كان منِّى إليه نَكير ، إلا أنّى جحدتُ ذلك وأنكرتُ أن تكون رأتْ شيئاً . ثم تفرّقنا ، فما بقيتْ امرأة من بنى عبد المُطلب إلا أتَتْنى فقالت : أقْررتُم لهذا الفاسق الخبيث

---

(١) غدر : من غادر ، للمبالغة ، وأكثر مايستعمل فى النداء فى الشتم . تقول للمفرد : ياغدر . وللجمع : يا آل غدر .

(٢) ارفضت : تكسرت وتفرقت .

(٣) فى بعض أصول الأغانى : « فلقة » .

أن يقع فى رجالكم ثم يتناول النساء وأنت تسمع ، ثم لم يكن عندك غيرةٌ لِما تسمع ! قال : قد والله فعلتُ ما كان منّى إليه من نُكر [١] ، وايم الله لأتعرّضن له ، فإن عاد لأكفيكموه [٢] . قال : فغدوتُ فى اليوم الثالث من رؤيا عاتكة ، وأنا حَديدٌ مُغْضَب أرى أن قد فاتنى منه أمرٌ أُحِب أن أُدْرِكه منه . فدخلتُ المسجد فرأيتُه . فوالله إنّى لأمشى نحوه أتعرّضه ليعود لبعض ما قال فأقع [٣] به ، وكان رجلاً خَفيفاً حَديدَ الوجه حديد اللسان حديد النظر ، إذ خَرج نحو باب المسجد يشتدُّ ، فقلت : ماله لَعنه الله ! أ كُل هذا فرقاً منّى أن أُشاتمه ! فإذا هو قد سَمع ما لم أسمعْه : صوتَ ضَمضم الغِفاريّ وهو يصرُخ ببطن الوادى : يا معشر قُريش ، اللَّطيمة [٤] ! اللّطيمة ! أموالكم ! أموالكم ! قد تعرّض لها محمد فى أصحابه، لا أرى أن تدركوها ! الغوث ! الغوث ! قال : فشغلنى عنه وشَغله عنّى ما جاء من الأمر . فنفَر الناسُ سراعاً وقالوا : لا يظُنُّ محمدٌ وأصحابُه أن تكون كعِيرِ ابن الحَضرمى [٥] ! كلا والله ! ليعلمُنَّ غير ذلك . فكانوا بين رجلَيْن: إما خارج أو باعث . وأوعبتْ قريشٌ فلم يتخلَّف من أشرافها أحدٌ إلا أبو لهب بن عبد المطلب ، فبعث مكانه العاصَ بن هشام . وكان أُمية بن خَلف قد أجمع القُعود ، وكان شيخاً ثقيلاً ، فأتاه عُقبة بن أبى مُعَيط ، وهو جالس فى المسجد بين ظَهْرانَىْ قومه ، بمِجْمرة فيها نارٌ ومِجْمر [٦] حتى وَضعها بين يديه ، ثم قال : يا أبا علىّ ، استَجْمر فإنما أنت من النِّساء . ولما أجمعت قريشٌ المسيرَ ذكرتْ الذى بينها و بين بنى بكر [٧] ، فكاد

(١) فى بعض أصول الأغانى : « كبير » .

(٢) فى السيرة : «لأكفيكنه» . والكلام يتجه بهذا وذاك . فعلى رواية الأغانى فالمراد : آل عبد المطلب رجالا ونساء . وعلى رواية السيرة فالخطاب للنسوة اللاتى جئنه .

(٣) فى بعض أصول الأغانى : «فأوقع به» . (٤) اللطيمة : العير عليها الطيب والتجارة .

(٥) هو عمرو بن الحضرمى . (٦) المجمر : العود يتبخر به .

(٧) كانت الحرب بين قريش وبين بنى بكر بن عبد مناة فى ابن لحفص بن الأخيف ، أحد بنى معيص بن عامر بن لؤى. قتله بنو بكر ، بإيعاز من سيدهم عامر بن يزيد . فثار للغلام أخوه مكرز بن عامر ابن يزيد ، فقتله ثم أتى الكعبة فعلق السيف بأستارها . فلما أصبحت قريش ورأت السيف عرفت أنه سيف مكرز .

ذلك أن يُثَبِّطهم ، فتبدَّى لهم إبليسُ فى صُورة سُراقةَ المُدْلِجىّ ، وكان من أشراف كنانة ، فقال : إنِّى جارٌ لـكم أن تأتيكم كنانةُ بشىء تكرهونه .

وخرج رسولُ صلّى الله عليه وسلّم فى أصحابه ، وكانوا ثلثمائة وثلاثةَ عشر : المُهاجرون منهم سبعة وسَبعون رجلاً ، والأنصار مائتان وستة وثلاثون رجلاً . وصاحبُ راية رسول الله صلّي الله عليه وسلّم علىّ بن أبى طالب رضى الله عنه . وصاحب راية الأَنصار سعدُ بن عُبادة . وعلى الساقة قيسُ بن أبى صَعصعة ، أخو بنى مازن بن النَّجار . وكان خُروجه صلّى الله عليه وسلّم من المدينة لليالٍ مضتْ من شهر رَمضان . فسار حتى إذا كان قريباً من الصَّفراء بعث بَسبس بن عَمرو الجُهنىّ ، حليف بنى ساعدة ، وعدىّ بن أبى الزَّغْباء ، حليف بنى النَّجار، إلى بدر يتحسّسان له الأخبار . ثم ارتحل وقد قدّمهما . فلما استقبل الصَّفراء ، وهى قريةٌ بين جَبلين ، فسأل عن جبليهما : ما اسماهما ؟ فقيل : يقال لأحدهما : مُسْلِح ، وللآخر : مُخْرِىء . وسأل عن أهلهما ، فقالوا : بنو النّار ، و بنو حُرَاق — بَطْنان من بنى غِفار — فكرههما رسولُ الله صلّى الله عليه وسلّم والمُرورَ بينهما[1] تفاؤلاً باسميهما وأسماء أهليهما، فتركهما والصفراءَ بيَسار، وسَلك ذاتَ اليمين على وادٍ يقال له : ذَفِران[2]. فخرج منه، حتّى إذا كان ببعضه نَزل. وأتاه الخبرُ عن قريش بمَسيرهم ليمنعوا عِيرَهم . فاستشار رسولُ الله صلّى الله عليه وسلّم الناس ، وأخبرهم عن قُريش . فقام أبو بكر رضى الله عنه فقال فأحسن . ثم قام عُمر رضى الله عنه فقال فأحسن . ثم المِقدادُ بن عمرو رضى الله عنه فقال : يا رسول الله ، امض لِمَا أمركَ الله ، فوالله لا نقول لك ما قالت بنو اسرائيل لموسى عليه السلام : (فَاذْهَبْ أَنْتَ وَرَبُّكَ فَقَاتِلاَ إِنَّا هَاهُنَا قَاعِدُونَ) ، ولـكن اذهب أنت وربُّك فقاتلا

(١) التفاؤل ، فيما يحسن ويسوء .

(٢) الذفران : واد قرب الصفراء .

إنا معكما مُقاتلون . فوالذى بَعثك بالحقِّ لو سِرْتَ بنا إلى بَرْكِ الغِماد — يعنى مدينة الحبشة — لجالَدْنا معك من دونه حتى تَبْلُغه . فقال له رسولُ الله صلى الله عليه وسلم خيراً ودعا له . ثم قال رسولُ الله صلّى الله عليه وسلّم : أشيروا علىّ أيها الناسُ. وإنما يريد الأنْصار . وذلك لأنهم كانوا عددَ الناس ، ولأنهم حين بايعوه على العَقبة قالوا : يا رسولَ الله إنّا بُرآء من ذِمامك حتى تَصل إلى ديارنا ، فإذا وصلتَ إلينا نمنعُك ممّا نَمنع منه أبناءنا ونِساءنا . فكان رسولُ الله صلى الله عليه وسلم يتخوّف ألا تكون الأنصار ترى عليهم نُصرته إلّا ممّن دَهَم المدينةَ من عدوّه ، وأن ليس عليهم أن يسيرَ بهم إلى عدوّ فى غير بلادهم . فلما قال ذلك رسولُ الله صلَّى الله عليه وسلم قال له سعدُ بن مُعاذ ، رضى الله عنه : والله لكأنك تُريدنا يا رسول الله ؟ قال : أجل . قال : فإنّا قد آمنّا بك وصدّقناك وشَهدنا أن ماجئتَ به هو الحق ، وأعطيناك على ذلك عُهودنا ومواثيقَنا على السّمع والطَّاعة . فامضِ بنا يارسولَ الله لما أردتَ، فوالذى بَعثك بالحق لو استعرضت بنا هذا البحر فخُضته لخضناه معك، ما تخلَّف منّا رجل واحد ، وما نكره أن تَلقى بنا عدوّنا غداً ، وإنا لصُبر عند الحرب ، صُدْق عند اللقاء ، لعلّ الله أن يُريك ما تقرّ به عينُك ، فسِرْ بنا على بركة الله . فسار رسولُ الله صلّى الله عليه وسلّم ونَشَّطه ذلك القول ، ثم قال : سيروا على بركة الله وأَبْشروا ، فإن الله عزّ وجل قد وَعدنى إحدى الطَّائفتَيْن ، والله لكأنى أنظُر إلى مَصارع القوم الآن . ثم ارتحل رسولُ الله صلّى الله عليه وسلّم من ذَفِران ، فَسلك ثَنايا يُقال لها : الأصافر[1] ، ثم انتهى به السيرُ إلى قَريبٍ من بَدر ، فنزل وركب هو ورجلٌ من أصحابه حتّى وقَف على شيخ من العَرب ، فسأله عن قُريش وعن محمّد وأصحابه وما بلغه عنهم . فقال الشيخ : لا أُخبركما حتى تُخبرانى من أنتما . فقال رسولُ الله صلى الله عليه وسلم : إذا أخبرتَنا

(١) الأصافر : جبال قرب الجحفة .

أخبرناك. قال : أوذاك بذاك ؟ قال : نعم . قال الشيخ : فإنه بلغني أن محمداً وأصحابه خرجوا يوم كذا وكذا ، فإن كان الذى أخبرني صدقني فهم اليوم بمكان كذا وكذا ، للمكان الذى به رسولُ الله صلى الله عليه وسلم ، و إنّ قُريشاً خرجوا يوم كذا وكذا ، فإن كان الذى أخبرنى صَدقنى، فهم اليوم بمكان كذا وكذا ، يعنى المكان الذى به قُريش . فلما فَرغ من خَبره قال : من أنتما ؟ فقال له رسول الله صلّى الله عليه وسلم : نحن من ماء . ثم انصرف عنه . قال : يقول الشيخ : ما من ماء ! أم من ماء بالعراق ؟

ثم رَجع رسول الله صلى الله عليه وسلم إلى أصحابه ، فلما أمسى بعث عليّ ابن أبي طالب رضى الله عنه ، والزُّبير بن العوّام ، وسَعد بن أبي وقّاص ، فى نفر من أصحابه إلى بدر يكشفون له الخبر ، فأصابوا راوية[1] لقُريش، فيها أَسْلَمُ، غُلام بنى الحجّاج ، وعَريضُ بن يسار[2] ، غلام بنى العاص بن سَعيد ، فأتَوْا بهما رسولَ الله صلى الله عليه وسلم ، فقالا: نحن سُقاة لقُريش. فضَربوهما ، فلما[3] أذلقوهما قالا : نحن لأبى سُفيان . فتركوهما . فركع رسولُ الله صلى الله عليه وسلم وسجد ، ثم سَلّم فقال : إذا صَدقا كم ضربتموهما ! و إذا كذبا كم تركتموهما ! صَدقا كم والله إنهما لقُريش ! أخبِرانى: أين قُريش ؟ قالا : هُم وراء الكَثيب الذى ترى بالعُدْوة القُصْوى ــ والكثيب : العَقَنقل ــ فقال رسول الله صلّى عليه وسلّم : كم القوم ؟ قالا : كثير . قال : ماعِدَّتهم ؟ قالا : لا ندرى . قال : كم يَنْحرون كُلَّ يوم ؟ قالا : يوماً تِسعاً ويوماً عشراً . فقال رسولُ الله صلّى الله عليه وسلّم : القوم ما بين التِّسعمائة إلى الألف . ثم قال لهما رسولُ الله صلى الله عليه وسلم : فمَن فيهم من قُريش ؟ قالا : عُتبة بن رَبيعة ، وشَيبة بن ربيعة ، وأبو البَختريّ بن هشام ،

---

(١) الراوية : القوم الذين يستقون الماء على الدواب .

(٢) فى السيرة لابن هشام والطبرى : «عريض أبو يسار » . (٣) أذلقه : أضعفه وأقلقه .

وحَكيم بن حِزام، ونَوفل بن خُويلد ، والحارث بن عامر بن نوفل ، وطُعيمة بن عَدىّ ، والنَّضر بن الحارث ، وزَمَعة بن الأسود ، وأبو جَهل بن هشام ، وأُميــة ابن خَلف ، ونُبيه ومُنَبِّه ، ابنا الحجّاج ، وسُهيل بن عمرو ، وعَمرو بن عبد وُدّ .
فأقبل رسُولُ الله صلّى الله عليه وسلّم على النّاس فقال : هذه مكة قد أَلقت إليكم أفلاذ كَبِدها ! وقد كان بَسْبس بن عمرو ، وعدىّ بن أبى الزَّغْباء مَضَيا حتى نَزَلا بدراً ، فأناخا إلى تلّ قَريب من الماء، ثم أخذا شَنّاً[١] يَستقيان فيه، وعليه مجدىُّ ابن عَمرو الجُهنىّ ، فَسمع عَدِىٌّ و بَسبس جاريتَيْن من جوارى الحاضر وهما تَتلازمان[٢] على الماء ، والمَلْزومةُ تقول لصاحبتها : إنما تأتى العِير غداً أو بعــده ، وأعمل لهم ثم أَقْضيكِ الذى لك . قال مجدىّ : صدقتِ . ثم خَلَّص بينها . وسَمع ذلك بَسبسٌ وصاحبُه فجلسا على بعيرهما ، ثم انطلقا حتى أتَيا النَّبىَّ صلى الله عليه وسلم، فأخبراه بما سَمعا . وأقبل أبو سُفيان يقدُم العِير حَذراً حتى وَرد المــاء . فقال لمجدىٍّ بن عمرو : هل أحسستَ أحداً ؟ قال : لا ، ما رأيتُ أحداً، إلّا أنّى رأيتُ راكبَيْن أناخا إلى هــذا التّل ، ثم استقيا فى شَنٍّ لهما ثم انطلقا . فأتى أبو سفيان مُناخَهما فأَخذ من أبعار بعيرَيْهما ففتّه فإذا فيه نَوًى . فقال : هذه والله عَلائفُ يَثْرب ! ورجع إلى أصحابه سريعاً . فضَرب وجه عِيره عن الطَّريق ، وتَرك بَدراً يساراً ، ثم انطلق حتى أَسرع . وأقبلت قُريش ، فلما نَزلوا الُجحفة رأى جُهيم بن أبى الصَّلت بن مَخْرمة بن عبد المطلب بن عبد مناف رُؤْيا ، فقال : إنى رأيتُ فيما يرى النائمُ ، و إنى لبين النائم واليَقْظان ، إذ نظرتُ إلى رجل أقبل على فَرسٍ حتى وَقف ومعه بعير له ثم قال : قُتل عُتبة بن ربيعة، وشَيبة بن ربيعة ، وأبو الحَكم بن هشام ، وأُمية بن خَلف ، وفلان وفلان ، يعدِّد رجالاً ممن قُتل

(١) الشن : القربة الخلق الصغيرة .

(٢) أى تعلقت إحداهما بالأخرى .

يومئذ من أشراف قُريش . ورأيتُه قد ضَرب فى لَبَّة[(١)] بعيره ، ثم أرسله فى العَسكر ، فما بَقى خِباءٌ من أخبية العسكر إلا وأصابه نَضْحٌ من دمه . و بلغتْ أبا جهل ، فقال : وهذا أيضاً نبيٌّ آخر من بَنى عبد المطلب ! سيعلم غداً من المَقتول إن نحن ألتقينا ! فلما رأى أبو سُفيان أنه قد أحرز عِيَره ، أرسل إلى قُريش : أنتم إنما خرجتم لتَمنعوا عِيرَكم ورِحالَكم وأموالكم ، وقد نَجّاها الله ، فأرجعوا . فقال أبو جهل ، لَعنه الله : والله لا نَرجع حتى نَرد بدراً ـ وكانت بَدْر موسماً من مواسم العرب تَجتمع فيها فى كُل سنة ـ نُقيم عليها ثلاثاً ونَنْحر الإبل ، ونُطعم الطعام ، ونَسقى الخمر ، وتَعزف علينا القِيان وتَسمع بنا العرب ، فلا يزالون يَهابُوننا ، فامضُوا. فقال الأخنس بن شَريق بن عمرو الثَّقفى ، وكان حليفاً فى بنى زُهرة ، وهم بالُجحْفة : يا بنى زُهرة ، قد نَجّى الله عِيرَكم وخَلَّص لكم صاحبَكم مَخْرمة بن نَوْفل ، و إنما خَرجتم لتَمنعوه ومالَه ، فأرجعوا فلا حاجةَ لكم فى أن تَخْرجوا فى غير ضَيْعة لما يقول هذا — يعنى أبا جهل — فرجعوا ، فلم يَشْهدها زُهرىٌّ واحد . وكان فيهم مُطاعاً، فرجعتْ بنو زُهرة مع الأَخنس . ولم يَشهدها من بنى عدىٍّ إلا رجل واحد. وأمّا سائر البطون فخَرج من كُل بَطن ناسٌ ، وطالبُ بن أبى طالب أخو علىّ رضى الله عنه ، قيل : إنه رَجع ، وقيل : إنه شَهدها مُكْرهاً ، وعُدم يومئذ فلم يُوجد فى القتلى ولا الأَسرى ولا رَجع إلى أهله ، وكان شاعراً ، وهو الذى يقول :

يا ربِّ إمّا يغْزُونّ طالبْ ... فى مِقْنَبٍ[(٢)] من هذه المَتانبْ
فليكن المَسْلوبَ غيرَ السالبْ ... وليكن المغلوبَ غيرَ الغالب

ونزلت قُريش بالعُدْوة القُصوى ، و بَعث الله سُبحانه السَّماء ، وكان الوادى دَهْساً[(٣)] . فأَصاب رسولَ الله صلّى الله عليه وسلّم ما لبّد لهم الأرض فلم يَمنعهم

(١) اللبة : المنحر. (٢) المقنب : الجماعة من الخيل والفرسان .
(٣) الدهس : الأرض السهلة يثقل فيها المشى .

المسير . وأصاب قريشاً منه ما لم يقدِروا معه على المَسير . وخَرج رسولُ الله صلَّى الله عليه وسلم يُبادرهم إلى الماء، حتى إذا حاذَى أدنى ماء من بَدْر نَزل فيه . فقال الحُبَاب ابن المنذر بن الجَموح : يا رسول الله ، أرأيت هذا المنزل ؟ أمنزلٌ أنزلكه الله عزّ وجلّ وليس لنا أن نتقدّمه ولا نتأخر عنه ، أم هو الرأى فى الحرب والمكيدة ؟ قال : بل هو الرأىُ فى الحرب والمكيدة . قال : يا رسول الله ، إن هذا ليس بمَنزل، فانهض بالنّاس حتى تأتى أدنى ماء من القوم فتَنْزِله . فقال رسولُ الله صلى الله عليه وسلم : لقد أشرتَ بالرأى . ونَهض صلى الله عليه وسلم ومَن معه مِن الناس حتى أَتى أدنى ماء من القوم ، فنزلوا عليه . ثم أمر بالقُلُب فعُوِّرت[1]، و بنى حَوضاً على القَليب الذى نَزل عليه فمُلئ ماء ، ثم قذفُوا فيه الآنية . وقال سعد ابن مُعاذ رضى الله : يا رسول الله ، أنَبْنى لك عَريشاً من جَريد فتكونَ فيه، ونُعدّ لك رَكائبك ثم نَلقى عدوّنا ، فإن نحن أعزّنا الله وأظهرنا على عدوّنا كان ذلك ما أَحببنا ، و إن كانت الأُخرى جلستَ على ركائبك فلحقتَ بمن وراءنا من قومنا ؟ فقد تخلَّف عنك أقوامٌ يا نبىّ الله ما نحن بأَشدَّ حُبًّا لك منهم ، ولو ظنُّوا أنك تَلقى حرباً ما تخلَّفوا عنك ، يَمنعك الله بهم فيُناصحونك و يجاهدون معك . فأثنى عليه رسولُ الله صلّى الله عليه وسلّم خيراً ودعا له بخير . ثم بُنى لرسول الله صلّى الله عليه وسلم عَريشٌ فكان فيه . وقد ارتحلت قُريش حتى أَصبحتْ وأقبلتْ ، فلما رآها رسولُ الله صلّى الله عليه وسلّم تَصوَّب من العَقَنْقَل — وهو الكثيب الذى منه جاءوا — إلى الوادى ، قال : اللهم هذه قُريش قد أَقبلت بخُيلائها وفَخْرها تُحادُّك وتكذِّب نبيَّك ورسُولَك ، اللهم فَنصرَك الذى وعدتَنى ، اللهم فأحِنْهم[2] الغداةَ . وقال رسولُ الله صلى الله عليه وسلم : وقد رأى عُتبة بن رَبيعة مع

(١) القلب : الآبار . الواحد : قليب . وعورت : ردمت وطمرت .

(٢) أحنهم : أهلكهم .

القوم على جمل له أحمر : إن يكن عند أحد من القوم خيرٌ فعند صاحب الجمل الأحمر ، إن يُطيعوه يَرْشدوا . فلما نزل أقبل نَفرٌ من قُريش حتى وردُوا حَوض رسول الله صلى الله عليه وسلم ، فيهم حَكيم بن حِزام على فَرس له . فقال رسولُ الله صلى الله عليه وسلم : دعُوهم . فما شَرب منهم رجلٌ إلاّ قُتل يومئذ ، إلا حكيم بن حِزام فإنه لم يُقتل ، نَجا على فَرسٍ له يُقال له : الوَجيه ، وأَسلم بعد ذلك وحَسُن إسلامُه . وكان إذا اُجتهد فى يَمينه قال : والذى نجّانى يومَ بدر . ولمّا اُطمأن القومُ بعثوا عُمير بن وَهْب الجُمحىّ فقالوا له : اُحزُر[١] لنا أصحاب محمد . فاُستجال بفَرسه حول العسكر ثم رَجع إلى القوم ، فقال : ثلثمائة رجل ، يزيدون قليلاً أو ينقصونه . ولكن أمهلونى حتى أنظُر : هل للقوم كَمِين أو مَدد ؟ فضَرب فى الوادى حتى أَمعن فلم ير شيئاً ، فرجع إلى القوم وقال : إنِّى لم أَرَ مدداً ، ولكنِّى يا معشر قُريش قد رأيتُ الوَلايا[٢] تحمل المَنايا ، نَواضِح يَثْرب تَحمل الموتَ الناقع ، قوم ليس لهم مَخلص ولا ملجأ إلا سيوفُهم ، والله ما أُرى رجلاً منهم يُقْتَل حتى يقتل رجلاً منكم ! فما خَير العيش بعد ذلك !

فلمّا سَمع حَكيم بن حِزَام ذلك مَشى فى الناس فأتى عُتبة بن ربيعة فقال : يا أبا الوليد ، إنك كبير قُريش الليلة وسيِّدها والمُطاع فيها ، هل لك إلى أمر لا تزال تُذكر منه بخير إلى آخر الدهر ؟ قال : وما ذاك ؟ قال : تَرجع بالناس وتَحمل دَم حليفك عمرو بن الحَضْرمى . قال : قد فعلتُ ، أنت علىّ بذلك شهيد . إنما هو حليفى فعلىَّ عَقْلُه[٣] ، وما أُصيب من ماله ، فأْتِ اُبن الحَنْظلية فإنِّى لا أَخْشى أن يُفسد أَمر الناس غيرُه ، يعنى أبا جهل بن هشام . ثم قام عُتبة بن ربيعة خطيباً

(١) الحزر : التخمين والتقدير .

(٢) الولايا : البراذع . الواحدة : ولية .

(٣) العقل : الدية .

فقال: يا معشر قُريش، إنكم والله ما تَصنعون بأن تَلْقَوا محمداً وأصحابه شيئاً، ولئن أصبتموه فلا يزال الرجُل ينظرُ فى وجه الرَّجل يكره النَّظر إليه، رجلٍ قتل ابنَ عمه أو ٱبن خاله أو رجلاً من عشيرته، فارجعوا وخلُّوا بين محمد وسائر العرب، فإن أصابوه فذلك الذى أردتُم، و إن كان غير ذلك ألفاهم ولم تَعدموا منه ما تُريدون. قال حَكيم بن حِزام: فانطلقتُ أؤُمّ أبا جَهل بن هشام، فوجدتُه قد نَثَل[1] درعاً من جِرابها وهو يُهيِّئُها، فقلت له: أبا الحَكم، إن عُتبة قد أَرسلنى إليك بكذا وكذا. قال: ٱنتفخ والله سَحْره حين رأى محمداً وأصحابَه، وما بعُتبة ما قال، ولكنه قد رأى محمداً وأصحابه أُكلةَ جَزُور[2]، وفيهم ٱبنُه، فقد تَخوّفكم عليه. ثم بعث إلى عامر بن الحَضْرمىّ فقال: هذا حليفُك يريد أن يَرجع بالناس، وقد رأيتَ ثأركَ بعينك، فقُم وٱنشُد خُفْرَتك[3] ومقتَل أخيك. فقام عامر بن الحَضْرمىّ فٱكتشف[4] ثم صاح: واعَمْراه! واعَمْراه! فحَمِيت الحربُ وحَقِب[5] أمرُ الناس وٱستَوْسقوا[6] على ما هم عليه من الشَّر. وأفسد أبو جهل على الناس الرأى الذى دعاهم إليه عُتبة بن ربيعة. فلمّا بلغ عُتبة قولُ أبى جَهل، قال: سَيعلم مُصفِّر ٱستِه من ٱنتفخ سَحره، أنا أم هو؟ ثم ٱلتمس بيضةً يُدخلها فى رأسه، فما وجد فى الجيش بيضةً تَسعه من عِظَم رأسِه. فلما رأى ذلك ٱعتجر[7] على رأسِه بُبْرد، ثم خَرج الأَسْود بن عبد الأَسَد المَخزومىّ، وكان رجلاً شرساً سيِّىء الخلُق، فقال: أُعاهد الله لأشربنّ من حوضهم أو لأهدمنّه أو لأموتن دونه. فلما خَرج عرض له حمزةُ ابن عبد المطلب رضى الله عنه، فلمّا ٱلتقيا ضَربه حمزةُ فأَطَنّ[8] قدمه بنِصف ساقه، وهو دون الحَوض، فوقع على ظهره تَشْخب رجلُه دماً. ثم حَبا إلى الحوض

(١) نثل: أخرج. (٢) يريد أنهم قلة تكفيهم جزور واحدة لطعامهم.
(٣) الخفرة: الذمة والعهد. (٤) اكتشف، أى أشرف على مرتفع حتى بان للناس وظهر.
(٥) حقب: فسد. (٦) استوسقوا: اجتمعوا.
(٧) الاعتجار: لف العمامة على الرأس. (٨) أطن: قطع.

حتى اُقتحم فيه يريد أن يُبِرَّ يَمِينَه ، وأَتبعه حمزةُ فضر به حتى قتله فى الحوض . ثم خَرَج بعده عُتبة بن رَبيعة بين أخيه شَيبة بن ربيعة وابنه الوليد بن عُتبة ، حتى إذا فَصَل من الصفّ دعا إلى المُبارزة ، فَخرج إليــه فِتيةٌ من الأنصار ثلاثة نفر ، منهم : عَوف ومُعوِّذ ، أبنا الحارث ــ وأُمهما عَفْراء ــ ورجلٌ آخر يقال له : عبد الله ابنَ رَواحة . فقالوا : من أنتم ؟ قالوا : رَهط من الأنصار . قالوا : ما لنا بكم من حاجة . ثم نادى مُناديهم : يامحمد ، أَخرج إلينا أكفاءنا من قومنا . فقال رسولُ الله صلّى الله عليه وسلّم : قُم ياحمزة بن عبد المُطلب ، قُم يا عُبيدة بن الحارث ، قُم يا علىّ ابن أبى طالب . فلما قاموا ودَنَوْا منهم قالوا : من أنتم ؟ قال عُبيدة : عُبيدة . وقال حمزة : حمزة . وقال علىّ : علىّ . فقالوا : نعم ، أكفاء كِرام . فبارز عُبيدة — وكان أسَنَّ القوم — عُتبةَ بن ربيعة ، وبارز حمزةُ شيبةَ بن ربيعة ، وبارز علىٌّ الوليدَ بن عُتْبة . فأمّا حمزة فلم يُمهــل شَيبَة أن قتله . وأمّا علىٌّ فلم يُمهل الوليــدَ أنْ قتله . واُختلف عُبيدة وعُتبة بينهما بضَربتين ، كلاهما أثبت[1] صاحبَه ، فكرَّ علىٌّ وحمزةُ بأسيافهما على عُتبة فقتلاه ، واُحتملا صاحبَهما عُبيــدة ، فجاءا به إلى أصحابه ، وقد قُطعت رِجلُه فمُخُّها يَسِيل . فلما أتَوْا بعُبيدة إلى رسول الله صلّى الله عليه وسلّم قال : لستُ شهيــداً يا رسول الله ؟ قال : بلى . فقال أبو عُبيدة : لو كان أبو طالب حيًّا لعَلِم أنى أحقُّ بما قال منه حيث يقول :

ونُسْلِمــه حتى نُصرَّع حولَه ... ونَذْهَل عن أبنائنا والحلائل

ثم تزاحف الناسُ ودنا بعضُهم من بعض ، وأمر رسولُ الله صلّى الله عليه وسلم ألّا يَحْملوا حتى يأمرَهم ، وقال : إن اُكتنفكم القومُ فاُنْضَحوهم عنكم بالنَّبـــل . ورسول الله صلى الله عليه وسلم فى العَريش ، ومعه أبو بكر الصدِّيق رضى الله عنه ، وقد اُستقبل القِبلةَ يدعو ويقول : اللّهم إنْ تَهْلِك هذه العصابة من أهل الإسلام

(١) أثبت صاحبه : أثخنه بالجراح .

لا تُعْبَـد فى الأرض . فلم يزل كذلك حتى سَقَط رداؤُه . فأخذ أبو بكر فوضع رداءه عليه ثم قال له : كفاكَ يا نبيَّ الله ! بأبى أنت وأُمى ! بعضَ مُناشدتك لربّك ، فإنه سيُنْجِز ماوعدك . فأنزل الله سُبحانه وتعالى : (إِذْ تَسْتَغِيثُونَ رَبَّـكُمْ فَاسْتَجَابَ لَـكُمْ أَنِّى مُمِـدُّ كُمْ بِأَلْفٍ مِنَ الْمَلاَئِـكَةِ مُرْدِفِينَ) . وخَفق رسُولُ الله صلى الله عليه وسلم خَفْقة وهو فى العريش ثم أُنتبه فقال : يا أبا بكر ، أتاكَ نَصرُ الله ، هذا جبريلُ آخذٌ بعنان فَرَسِه يقودُه وعلى ثَناياه النَّقْع [1] . ثم خَرج رسُول الله صلى الله عليه وسلم إلى النَّاس فحرَّضهم ، ونَفَّل كُلَّ أمرىء منهم ما أصاب ، وقال : والذى نَفْسُ محمد بيده لا يُقاتلهم اليومَ رجلٌ فيُقْتَلَ صابراً مُحْتسِباً مُقْبلاً غيرَ مُدبر إلّا أدخله الله الجنة . فقال عُمير بن الحُمام ، أخو بنى سَلَمة ، وفى يده تمراتٌ يأكلها : بَخٍ بَخٍ ! أمَا بينى و بين أن أدخلَ الجنّة إلّا أن يَقْتُلنى هؤلاء . ثم قَذف التَّمراتِ من يده وأخذ سيفَه فقاتل القومَ حتى قُتل ، وهو يقول :

رَكْضاً إلى الله بغَـير زادِ ... إلا التُّقى وعَمَل المَعَـادِ
والصَّبْرَ فى الله على الجِهادِ ... وكلُّ زادٍ عُرضَـةُ النَّفادِ

وقال عوفُ بن الحارث ، وهو أبن عَفْراء : يا رسولَ الله ، ما يُضْحِك الربَّ من عَبده ؟ قال : غَمْسُه يدَه فى العدوِّ حاسراً . فنَزع دِرْعاً كانت عليه فقذفَها ثم أخذ سيفَه فقاتل حتى قُتل .

ولما التَقى الناسُ ودنا بعضُهم من بعض ، قال أبو جهل : اللهم أَقطعُنا للرَّحم وآتانا بما لا يُعْرف فأَحِنْه الغَداة . فنزل قولُه تعالى : (إِنْ تَسْتَفْتِحُوا فَقَدْ جَاءَكُمُ الْفَتْح) الآية .

ثم إنّ رسولَ الله صلى الله عليه وسلم أخذ حَفنةً من الحصْباء فأُستَقْبل بها

(١) النقع : الغبار .

قُريشاً ثم قال : شاهتِ الوُجوه ! ثم نفحهم بها . فنزل قولُه تعالى : (وَمَا رَمَيْتَ إِذْ رَمَيْتَ ولَكِنَّ اللهَ رَمَى) . ثم قال لأصحابه : شُدُّوا . فكانت الهزيمةُ . فقَتَل اللهُ مَن قتل من صناديد قُريش ، وأَسر مَن أَسر منهم . فلما وَضع القومُ أيديَهم يَأسِرون ، ورسولُ الله صلى الله عليه وسلم فى العَريش ، وسعدُ بن مُعاذ متوشِّح السَّيفَ فى نفر من الأنصار يحرُسون رسول الله صلى الله عليه وسلم يخافُون عليه كَرَّة العدوّ ، رأى رسولُ الله صلى الله عليه وسلم فى وجه سَعد بن مُعاذ الكراهيةَ لما يَصنع ، فقال : كأنّك كرهتَ ما يُصنع بالمُشركين ؟ قال : نعم يا رسُولَ الله ، وكان الإثخانُ فى القَتل أعجبَ إلىّ من اُسْتبقاء الرِّجال .

وقاتلت الملائكةُ يومَ بَدْر . فحَكى رجلٌ من بَنى غِفار قال : أقبلتُ أنا وابنُ عمٍّ لى حتى أصعدنا فى جَبل يُشرف بنا على بَدر ، ونحن مُشركان نَنتظر الوقعةَ على من تكون الدَّبرة [1] فنَنْهب مع من يَنهب . فبينا نحن فى الجَبل إذ دَنت منّا سحابةٌ فسمعنا فيها حَمحمة الخيل ، فسمعتُ قائلاً يقول : أَقْدم حَيْزوم [2] ! فأمّا ابنُ عمّى فانكشف قِناع قَلْبه فمات مكانه ، وأمّا أنا فكِدْتُ أَهْلك ، فتماسكتُ .

وقال رجلٌ من مازن ، وكان شَهِد بدراً : إنِّي لأَتبع رجلاً من المُشركين يوم بَدر لأَضْربَه ، إذ وقع رأسُه من قبل أن يَصل إليه سيفى ، فعلمتُ أنه قد قَتله غيرى .

وقال ابنُ عبّاس : كانت سِيما المَلائكة يومَ بدر عمائم بيضاً وقد أَرسلوها على ظُهورهم ، ويومَ حُنَين عمائم حُمْراً . ولم تُقاتل الملائكة فى يوم من الأيّام سوى يوم بَدْر ، وكانوا يكونون فيما سواه من الأيّام عدداً ومَدداً لا يَضْربون .

---

(١) الدبرة : العاقبة .

(٢) حيزوم : اسم فرس جبريل .

وكان رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول : اللهم لا يُعجزنَّك — يعنى أبا جهل — فكان أولَ مَن لقيه مُعاذُ بن عمرو بن الجَموح . قال مُعاذ : فسمعتُ القوم ، وأبو جَهل فى مثل الحَرَجة ، وهم يقولون : أبو الحكم لا يُخْلَص إليه ! فلما سمعتُها جعلتُها من شأنى ، فعَمدتُ نحوَه . فلما أمكننى حملتُ عليه ، فضربتُه ضربةً أطنَّت[1] قَدمه بنصف ساقه . فوالله ما شبّهتُها حين طاحتْ إلّا كالنواة تَطِيح من تحت مِرْضخة[2] النَّوى حين يُضرب بها . قال : وضَربنى ابنُه عكرمةُ على عاتقى فطَرح يدى فتعلّقتْ بجلدة من جَنبى . وأَجهضنى القِتالُ عنها . ولقد قاتلتُ عامةَ يومى و إنِّى لأَسحبها خَلفى ، فلما آذتْنى جعلتُ عليها رِجلى ثم تمطيتُ بها حتى طرحتُها . ثم عاش مُعاذ بعد ذلك حتى مات فى خلافة عُثمان رضى الله عنه .

ثم مَرّ بأبى جهل ، وهو عَقير[3] ، مُعوِّذ بن عَفراء فضَربه حتى أَثْبته ، وتركه وبه رمَق . وقاتل مُعوِّذ حتى قُتل . ومَرّ عبدُ الله بن مسعود رضى الله عنه بأبى جَهل ، وقد أمر رسول الله صلى الله عليه وسلم أن يُلتمس فى القَتْلى وقال : انظرُوا إن خَفى عليكم فى القتْلى إلى أثر جُرح برُكْبته ، فإنى ٱزدحمتُ أنا وهو يوماً على مأدبةٍ لعبد الله بن جُدْعان ، ونحن غُلامان ، وكنتُ أشبَّ منه بيَسير ، فدفعتُه فوقَع على رُكبته فجُحش[4] فى إحداهما جَحْشاً لم يزَل به أثرُه فيها بعدُ . فقال عبدُ الله بن مَسعود : فوجدتُه بآخِر رَمَقٍ فعرفتُه ، فوضعت رجلى على عُنقه ، وقد كان ضَبَث[5] بى مرةً بمكة ولَكَزنى ، ثم قلتُ : هل أخْزاك الله يا عدوَّ الله ؟ قال : و بماذا أخزانى ! أعْمدُ[6] من رجلٍ قتلتموه ! لمن الدَّبرةُ ؟ قلت : لله ولرسوله .

---

(١) أطنت : قطعت . (٢) المرضخة : حجر يرضخ به النوى . (٣) العقير : الجريح .

(٤) جحش : خدش . والرواية فى بعض أصول الأغانى : « خدش » ... خدشا .

(٥) ضبث بالشىء : قبض عليه بكفه .

(٦) أعمد : أعجب . يريد : هل زاد على سيد قتله قومه ! وهل كان إلا هذا ! أى إن هذا ليس بعار .

وقيل : إنه قال له أبو جهل : رُوَيعى غَنم ! لقد ارتقيتَ مُرتقًى صَعْبا . ثم قال : احتززتُ رأسه ثم جئتُ به إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم وقلت : يا رسول الله ، هذا رأس عدوّ الله أبى جَهل . فقال له رسولُ الله صلى الله عليه وسلم : آللهِ الذى لا إله غيرُه ! وكانت هذه يمينَ رسول الله صلى الله عليه وسلم . فقلتُ : نعم ، والله الذى لا إله غيره . ثم ألقيتُ رأسَه بين يدى رسول الله صلى الله عليه وسلم . فحمد الله جَلّ وعزّ .

وقال رسولُ الله صلى الله عليه وسلم لأصحابه يومئذٍ : إنى عرفتُ أن رجالاً من بنى هاشم قد أُخرجوا كَرْهاً لا حاجةَ لهم بقتالنا ، فمن لَقِى منكم أحداً من بنى هاشم فلا يقتله ، ومن لقى العبّاس بن عبد المُطّلب فلا يقتُلْه ، فإنه إنما أُخرج مُستكرهاً . فقال أبو حُذيفة بن عُتْبة بن رَبيعة : أنَقتل أباءنا وإخواننَا وعَشيرتَنا ونَترك العبّاس ! أمَا والله لئن لقيتُه لأُلجمنَّه السيفَ . فبلغت رسول الله صلى الله عليه وسلم ، فجعل يقول لعُمر بن الخطّاب رضى الله عنه : يا أبا حَفْص ، أما تَسمع إلى قول أبى حُذيفة : أضربُ وَجه عمّ رسول الله ! فقال عُمر : يا رسول الله ، دَعْني فَلأضرب عُنقه بالسَّيف ، فوالله لقد نافَق . قال عمر : فوالله إنّه لأول يوم كَنّانى رسول الله صلى الله عليه وسلم بأبى حَفص . وكان أبو حُذيفة رضى الله عنه يقول : ما أنا بآمن من تلك الكلمة التى قلتُ يومئذٍ ، ولا أزال خائفاً إلى أن يكفِّرها الله عنِّى . فقُتل يومَ اليمامة شَهيداً فى خلافة أبى بكر رضى الله عنه . ونَهى رسول الله صلى الله عليه وسلم عن قَتل أبى البَخْترىّ . وإنما نَهى عن قتله لأنه كان أكفَّ الناس عن النبى صلى الله عليه وسلم وهو بمكة ، وكان لا يُؤذيه ولا يَبلغه عنه شىء يكرهه . وهو الذى قام فى نَقض الصَّحيفة التى كَتبت قُريشٌ على بنى هاشم وبَنى المُطلب . فلقيه المُجذَّر بن ذِياد ، فقال له : إن رسول الله صلى الله عليه وسلم قد نَهى عن قتلك ــ ومع أبى البَخترىّ زميلٌ له خَرج من مكة ــ

قال : وزَميلى ؟ فقال المُجذَّر : لا والله ، ما نحن بتاركى زميلكَ ، ما أمرنا رسول الله صلى الله عليه وسلم إلّا بك وحدَك . قال : إذن والله لأموتنّ أنا وهو جميعاً ، لا تحدَّثتْ عنّى نساءُ قُريش وأهلُ[1] مكة أنى تركتُ زَميلى حِرْصاً على الحياة !
وقال أبو البَخترىّ حين نَازله المُجذَّر وأبىَ إلّا القتالَ ، وهو يرتجز :

لَن يُسْلِمَ ابنُ حُرّة زَميلَه حتى يموتَ أو يَرى سَبيلَه

فاُقتتلا . فقَتله المُجذَّر بن ذياد . ثم أتى رسولُ الله صلّى الله عليه وسلّم فقال : والذى بَعثك بالحق يا رسول الله ، لقد جَهِدتُ عليه أن يَستأسر ، فأبى إلّا القتال ، فقاتلتُه فقتلتُه .

وكان أُميــة بن خَلف الجَهْمىّ يُعذِّب بلالاً بمكة على أن يتركَ الإسلامَ ، فيُخْرِجه إلى رَمضاء مكة إذا حَميت فيُضْجِعه، ثم يأمر بالصَّخرة العَظيمة فتُجعل على صَدره ، فيقول : لا تزالُ هكذا حتى تُفارق دينَ محمد . فيقول بلال : أَحد ! أَحد !

فحَكى عبــدُ الرَّحمن بن عَوف رضى الله عنه قال : كان أُميــة بن خَلف صديقاً لى بمكة ، وكان اُسمى عبد عَمرو . فلما أسلمتُ سُمِّيت : عبد الرحمن . فكان يَلقانى ونحن بمكة فيقول : ياعبد عمرو ، أَرغبتَ عن اُسم سمّاك به أبوك ؟ فأقول : نعم . فيقول : إنى لا أعرف عبــد الرحمن ، اُجْعل بينى و بينك شيئاً أدعوك به . أمَّا أنت فإنك لا تجيبنى باسمك الأول ، وأما أنا فلا أدعوك إلا بما أعرف . وكان إذا دعانى: عبد عمرو، لا أُجيبه . فقلتُ: اُجْعل بينى و بينك يا أبا علىّ ماشئتَ . قال : فأنت عبدُ الإله . قلتُ : نعم . فكنتُ إذا مررتُ به قال : يا عبد الإله . فأُجيبه فأتحدَّث معه . حتى إذا كان يوم بَدْر مررتُ به ، وهو واقفٌ مع اُبنه علىّ بن أُمية آخذ بيــده ، ومعى أَدْراع قد اُسْتلبتُها وأنا أَحملها ، فلما رآنى قال : يا عبد عمرو ،

(١) فى بعض أصول الأغانى : « بين أهل » مكان « وأهل » .

فلم أُجبه . فقال لى ، وأنا بينه و بين أبنه آخذ بأيديهما : يا عبد الإله ، مَن الرجلُ المُعلَم بريش النَّعامة فى صـدره ؟ قال : قلت : ذاك حمزةُ بن عبد المطلب . قال : الذى فَعل بنا الأفاعيل ! قال : فوالله إنى لأقودهما إذ رآه بلالٌ معى، فقال بلال ، حين رآه : رأس الـكُفر أميـة بن خَلف ! لا نجوتُ إن نجا ! فقلتُ : يا بلال ، أبأسيرى ؟ قال : لا نجوتُ إن نجا ! قلتُ : أبأسيرى تُسمِّع يا بن السَّوداء ! قال : لا نجوتُ إن نجا . ثم صاح بأعلى صوته : رأسُ الـكُفر أُمية بن خَلف ! لا نجوتُ إن نجا ! قال : فأحاطوا بنا، وأنا أذُبُّ عنه ، فضَرب رجلٌ أبنَه فوقع . وصاح أُمية صيحةً ما سمعتُ مثلها قطُّ . فقلت : أنْجُ بنَفسك ولا نَجاء ! فوالله ما أُغْنى عنك شيئا. فهَبَروهما بأسيافهم حتى فَرغوا منهما . فكان عبدُ الرحمن يقول : رحم الله بلالاً ، ذَهب بأدراعى وفَجعنى بأسيرى !

ثم أمر رسولُ الله صلّى الله عليه وسلّم بطَرح القَتْلى فى قَليب هُناك ، فطُرحوا فيه ، إلّا ما كان من أُميـة بن خَلف فإنّه أنْتَفخ فى دِرْعه حتى ملأَها ، فذهَبوا ليَجُرُّوه، فتزَايل ، فألْقوا عليه ما غيَّبه من التُّراب والحجارة .

ولما أَمر بهم النبيُّ صلّى الله عليه وسلّم أن يُلقوا فى القَليب أُخذ عُتبة بن رَبيعة فسُحب إلى القَليب . فنظَر رسولُ الله صلّى الله عليه وسلّم إلى وجه أبى حُذيفة بن عُتبة ، فإذا هو كَئيب قد تغيّر . فقال رسولُ الله صلى الله عليه وسلم : لعلّك دخَلك مِن حال أبيك شىء ؟ قال : فقلت : لا والله يا رسولَ الله ، ماشككتُ فى حال أبى ولا مَصْرعه ، ولـكنى كنتُ أعرف له رأياً وفضلاً وحِلْماً ، فكنتُ أرجو أن يَهديه الله بذلك إلى الإسلام، فلما رأيتُ ما أَصابه ، وذكرتُ ما صار إليه من الـكُفر بعد الذى كُنت أرجو ، أحزننى ذلك . فدعا رسولُ الله صلّى الله عليـه وسلم له بخير وقال له خيراً . فلما أُلقوا فى القَليب وَقف رسولُ الله صلى الله عليـه وقال : يأهل القليب ، هل وجدتُم ما وَعد ربُّكم حقًّا ، فإنى وجدتُ ما وَعـدنى ربى

حقًّا ؟ فقال له أصحابُه : يا رسول الله ، أتُكلّم قوماً موتَى ؟ قال : لقد علموا أنّ ما وَعدهم ربُّهم حقًّا .

وفى رواية : أنه قال صلّى الله عليه وسلَّم : ما أنتم بأسمع لما أقول منهم ، ولكنهم لا يَستطيعون أن يُجيبونى .

وجمع رسولُ الله صلى الله عليه وسلم الأَسارى ، فكانوا أربعةً وأربعين ، وكان من القتلى مثلُ ذلك . وكان فى الأسارى عُقبةُ بن أبى مُعَيط ، والنَّضر بن الحارث ، فضُربت أعناقهما بين يَديْه صَبْراً . وقد تقدَّم ذكر ذلك فى أَخبار أبى قَطيفة .

وكان فى الأَسارى العبّاس بن عبد المُطلب رضى الله عنه . فرَوى ابنُ عبّاس قال : لما أمسى القومُ من يوم بَدر ، والأَسارى محبوسون فى الوَثاق ، بات رسولُ الله صلى الله عليه وسلم ساهراً أولَ ليلة . فقال له أصحابُه : يا رسول الله ، مالك لا تَنام ؟ فقال : سمعتُ تَضوُّر العبّاس فى وثاقه . فقاموا إلى العباس فأطلقوه . فنام رسول الله صلى الله عليه وسلم .

وقال رسول الله صلى الله عليه وسلم لعمّه العباس ، حين اُنتُهى به إلى المدينة : اُفْد نَفْسك وابنى أخيك : عَقيل بن أبى طالب ، ونَوفل بن الحارث ، وحليفَك عُتْبة بن عمرو بن جَحدم ، فإنك ذو مال . فقال : يا رسول الله ، إنى كنتُ مُسلماً ، ولكن القوم استكرهونى . قال : الله أعلم بإسلامك، إن يكن ما تقول حقًّا فالله يَجْزيك به ، فأما ظاهر أمرك فقد كان علينا ، فافْدِ نفسك .

وكان رسولُ الله صلّى الله عليه وسلّم قد أخذ منه عشرين أُوقيـة من ذَهب . فقال العبَّاس : يا رسول الله ، احسُبْها لى فى فدائى . قال : ذاك شىء أعطاناه الله منك . قال : فإنه ليس لى مال . قال : فأين المال الذى وضعتَه بمكة حين خرجتَ

من عنـد أُم الفضل بنت الحارث ليس معكما أحد ؟ ثم قلتَ لها : إن أُصبتُ فى سفرى هذا فلِلفضل كذا ، ولعبد الله كذا ، ولقثم كذا ، ولعُبيد الله كذا . قال : والذى بعثك بالحق ما علم بهذا أحدٌ غيرى وغيرها ، و إنّى لأَعلم أنك رسولُ الله . ففدا نفسَه وأبنى أخيه وحليفَه .

وقيل :

أول من قَدم مكة بمُصاب قريش الحَيْسُمان بن عبد الله الخُزاعىّ ، فقالوا : ما وراءك ؟ فقال : قُتل عُتبة ، وشيبة ، وأبو الحكم ، وأُمية بن خلف ، وفلان . وجَعل يعدّد أَشراف قُريش . فقال صَفوان بن أُمية ، وهو قاعدٌ فى الحِجْر : والله إن يَعقل هـذا فَسلوه عنّى . فقالوا : ما فَعل صَفوان بن أُميـة ؟ قال : هو ذا جالسٌ فى الحِجر ، وقد والله رأيتُ أباه وأخاه حين قُتلا .

وحدث أبو رافع مولى رسولِ الله صلّى الله عليه وسلّم قال :

كنت غلاماً للعبّاس بن عبد المُطلب ، وكان الإسلامُ قد دَخلنا أهلَ البيت ، وأسلمتْ أمُّ الفضل . وكان العبّاس يَهاب قومَه ويكره أن يُخالفَهم ، وكان يكتُم إسلامه ، وكان ذا مالٍ كثيرٍ متفرّق فى قومه . وكان أبو لهب عدوُّ الله قد تخلَّف عن بَدر و بَعث مكانَه العاص بن هشام بن المغيرة . وكذلك صنعوا لم يتخلف رجل إلا بعث . فلما جاء الخبر عن مصاب بدر من قريش ، كبتـه الله فأخزاه ، ووجدْنا فى أنفسنا قُوة ومَنعة وعِزة ، وكنت رجلاً ضعيفاً أعمل القِداح وأَنْحتها فى حُجرة زَمزم . فوالله إنّى لجالسٌ فيها أَنْحت القِداح ، وعندى أُم الفَضل جالسةٌ ، وقد سرّنا ماجاءنا من الخبر ، إذ أَقبل الفاسقُ أبو لهب يَجُرّ رِجْليه بشرٍّ[1] ، حتى جَلس على طنُب الحُجرة ، وكان ظهره إلى ظهرى . فبينا هو جالسٌ إذ قال الناس : هذا أبو سفيان بن الحارث بن عبد المُطلب قد قَدم . فقال له أبو لهب : هلم إلىّ يا بن أخى ، فعندك الخبر . قال : فجلس والناسُ قيامٌ عليه : فقال ، يابن أخى ، أخبرنى

(١) فى بعض أصول الأغانى : « يسير » مكان « بشر » .

كيف كان الناسُ؟ قال: لا شيء والله، إن هو إلا لَقيناهم فمَنحناهم أكتافنا يقتلون ويأسرون كيف شاءوا. وأيمُ الله ما لُمتُ الناس، لقينا رجالاً بيضاً على خَيل بُلْقٍ بين السَّماء والأَرض ما تُليق شيئاً[1] ولا يقوم لها شيء. قال أبو رافع: فرفعتُ طُنُب الحجرة بيدى، وقلتُ: تلك الملائكةُ. فَرفع أبو لهب يَده فضَرب وَجهى ضربةً شديدةً. فساورتُه، فاحتملنى فضَرب بى الأرض وبَرك علىّ يَضربنى، وكنتُ رجلاً ضعيفاً. فقامت أُم الفَضلِ إلى عَمود من عُمُد الحجرة فضَربتْه به ضربةً فلقتْ رأسه شجَّة مُنكرة، وقالت: تَسْتَضعفه أَنْ غاب سيده! فقام مولِّياً ذَليلا. فوالله ما عاش بعدها إلّا سَبع ليالٍ حتى رماه الله[2] بالعَدَسة فقَتلتْه. فلقد تركه ابناه ليلتَين أو ثلاثاً لم يَدْفناه حتى أنْتن فى بيته — وكانت قُريش تَتَّقى العدسة كما يتَّقى الناسُ الطاعون — حتى قال لهما رجلٌ من قُريش: ويحكما! لا تَستحييان أن أباكما قد أنتن فى بيته لاتُغَيِّبانه! قالا: نَخشى هذه القَرحة. قال: فانطلِقا وأنا معكما، فما غسَّلوه إلا قَذْفاً بالمـاء عليه من بَعيد، ما يمسُّونه. ثم احتملوه يَدْفنونه بأعلى مكة على جِـدار. وقذفوا عليه الحجارةَ حتى وارَوْه.

وروت عائشةُ رضى الله عنها قالت:

لمّا بعث أهلُ مكة فى فداء أسراهم، بعثت زينبُ بنت رسول الله صلى الله عليه وسلم فى فداء زوجهـا أبى العاص بن الرَّبيع بِقلادة لها. وكانت خديجةُ رضى الله عنها أدخلتها بها على أبى العاص حين تبنّى بها. فلما رآها رسول الله صلى الله عليه وسلم رَقّ لها رِقَّةً شديدة وقال: إن رأيتم أن تُطْلقوا لها أسيرها وتردُّوا عليها الذى لها فافعلوا. فقالوا: نعم يا رسول الله. فأطلقوه وردُّوا عليها الذى لها. ولمـا انقضت نَوبة بدر ناحت قُريش على قَتلاها ثم قالوا: لا تفعلوا

(١) ما تليق شيئاً، أى ما تبقى على شىء.

(٢) العدسة: بثرة قاتلة تخرج فى البدن.

فيبلغ محمداً وأصحابه فَيَشْمتوها[1] . وكان الأسود بن عبد المُطلب[2] قد أُصيب له ثلاثة من ولده : زَمعة ، وعَقيل ، والحارث . وكان يُحب أن يبكى على بَنيه . فبينا هو كذلك إذ سَمع نائحةً من اللّيل ، فقال لغلام له وقد ذهب بصره : انظُر هل أُحل النَّحيب وهل بكتْ قُريش على قتلاها ، فلعلّى أبكى على أبى حَكيمة — يعنى زَمعه — فإنّ جَوفى قد احترق ! فلما رجع إليه الغلام قال : إنما هى امرأةٌ تبكى على بعيرٍ لها أضلّته ، فذلك حين يقول الأسود :

أتبكى أنْ يَضِلَّ لها بعيرٌ ... ويَمنعها من النَّوم[3] السُّهودُ

ولا تَبكى على بَكْرٍ ولكنْ ... على بَدْرٍ تَقاصرت[4] الجُدود

ألا قد ساد بعدَهمُ رجالٌ ... ولولا يومُ بدرٍ لم يسودُوا

وقالت هِند بنت عُتبة :

مَن حَسَّ لىَ الأَخوَيْن كالْـ ... غُصْنين أم مَن راهُمَا

قَرْمان لا يَتَظالمـا ... نِ ولا يُرام حِماهما

وَيْلِى على أبوىّ والْـ ... قَبر الذى وَاراهما

لا مِثْل كَهْلِى فى الكُهو ... لِ ولا فَتًى كفَتاهما

أَسَدان لا يتذلّلا ... نِ ولا يُرامُ حِماهما

رُمحَيْن خَطّيين فى ... كَبد السَّماء تراهما

ما خَلَّفا إذ وَدَّعا ... فى سُودَدٍ[5] شَرْواهما

سادَا بغَير تكلُّفٍ ... عفواً يَفِيض نَداهما

(١) فى بعض أصول الأغانى : « فيشمتوا بكم » .
(٢) فى الأصول : « الأسود بن عبديغوث » . والتصويب من السيرة والحماسة والاشتقاق .
(٣) فى بعض أصول الأغانى : « ويمنعها البكاء من الهجود » .
(٤) البكر : الفتى من الإبل . وتقاصرت الجدود : أى تواضعت الحظوظ . يستهين فقد المال ويستعظم فقد النفوس .
(٥) شرواهما : مثلهما .

هند والخنساء

وقيل : بلغ هنداً بنت عُتبة تَسْويمُ[1] الخنساء هَوْدجها فى الموسم، ومُعاظمتُها للعرب بمُصيبتها بأبيها عمرو بن الشَّريد ، وأخويها : صَخر ومُعاوية ، وأنها جعلت تَشهد المَوسمَ وتَبكيهم، وأنها سوَّمت هَودجها براية ، وأنّها تقول : أنا أعظم العرب مُصيبةً ، وأن العرب قد عرفت لها بعضَ ذلك . فلما أُصيبت هِنْد بما أُصيبت به ، وهو قتل أبيها عُتبة ، وعمّها شيبة ، وأخيها الوليد ، وولدها حَنْظلة بن أبى سفيان ، يومَ بدر ، قالت : أنا أعظم من الخنساء مُصيبةً ، وأمرت بهَوْدجها فسوَّمتْه براية وشهدتْ الموسم بعُكاظ ، وكانت سُوقاً يجتمع فيها العرب ، فقالت : أقْرِنوا جَملى بجمل الخنساء . ففعلوا . فلما دنت منها قالت لها الخنساء : يا اخيّة ، من أنت ؟ قالت : أنا هند بنت عُتبة أعظم العرب مُصيبة ، وقد بَلغنى أنك تُعاظمين العرب بمُصيبتك ، فبِم تُعاظمينهم ؟ قالت الخنساء : بأبى عمرو بن الشَّريد ، وأخوىّ : صَخر ، ومُعاوية ، وأبنى عمرو ، فبِم تُعاظمينهم أنت ؟ قالت : بأبى عُتبة ، وعمّى شَيبة ، وأخى الوليد . قالت الخنساء : أو سواءٌ هم عندكِ ؟ ثم أنشأت تقول :

أبكّى أبى عمراً بعَينٍ غزيرةٍ ... قليلٍ إذا نام الخلىُّ هُجودُها
وصِنْوَىَّ لا أَنْسى مُعاويةَ الذى ... له من سَراة الحرَّتَين[2] وُفودها
وصَخراً ومَن ذا مِثْلُ صَخرٍ إذا غَدا ... بَسلْهبة الآطال قَبّاً[3] يَقُودها
فذلكِ يا هندُ الرزيّةُ فاْعلمى ... ونيرانُ حَرب حين شَبّ وَقُودها

فقالت هند تُجيبها :

أبكّى عَميد الأَبْطَحيْن[4] كِلَيهما ... وحامِيهما من كُل باغٍ يُريدُها
أَبى عُتْبةَ الخيراتِ ويحكِ فاُعْلمى ... وشيبةُ والحامِى الذِّمار وليدُها (*)

(١) التسويم : أن تجعل لشىء سومة ، أى علامة يعرف بها ويتميز .

(٢) الحرتان : هما حرة بنى سليم وحرة بنى هلال ، بالحجاز . والحرة : الأرض ذات الحجارة السود . (٣) السلهبة : الطويلة من الخيل . والآطال : جمع أطل ، وهو الخاصرة . وقباء، بالمد وقصرها للشعر : دقيقة ضامرة .

(٤) العميد : السيد : والأبطحان : بطحاء مكة وسهل تهامة . والأبطح : المسيل الواسع .

(*) ذكر أبو الفرج بعد هذا شيئاً عن نسب « علس ذى جدن » ثم عاد فترجم لطويس . وقد مرت ترجمته فى الجزء الأول .

أخبار الأحوص

نسبه ولقبه

هو عبدُ الله . وإنما لُقِّب الأَحوص لحَوَص كان فى عينَيْه . وهو ابنُ محمد ابن عبد الله بن عاصِم بن ثابت بن الأَقلح . واسم أبى الأَقلح قَيس بن عُصيمة ابن النُّعمان بن أُميــة بن ضُبَيعة بن مالك بن عَوف بن مالك بن الأوس .

خبر جده عاصم

وكان يُقال لجدّه عاصم بن ثابت : حَمِيُّ الدَّبْر ، لأنه لما استشهد حمت الدَّبر ، وهى النَّحل ، جُثَّته .

ذكر مقتل عاصم :

قيل : قَدِم على رسول الله صلّى الله عليه وسلّم بعد « أُحُد » رَهْطٌ من عَضَل والقارة ، فقالوا : يا رسول الله ، إنّ فينا إسلاماً وخيراً ، فابعث معنا نفراً من أصحابك يُفَقِّهوننا فى الدِّين ويُقرِئوننا القُرآن ، ويُعلِّموننا شرائع الإسلام . فبعث رسولُ الله صلّى الله عليه وسلّم نفراً ستةً من أصحابه : مَرْثَد بن أبى مَرْثَد الغَنوىّ ، حليفَ حمزة بن عبد المطّلب ، وخالدَ بن البُكَير ، حليفَ بنى عدىّ بن كعب ، وعاصمَ بن ثابت بن أبى الأقلح الأنصارى ، وزيدَ بن الدَّثِنَّة ، أخا بنى بَيَاضَة بن عامر ، وعبدَالله بن طارق ، حَليف بنى ظَفَر ، من بَلِيّ ، وخُبيب بن عدىّ . وأمَّر رسولُ الله صلّى الله عليــه وسلّم عليهم مَرْثد بن أبى مَرْثد . فخرجُوا مع القوم ، حتى إذا كانوا بالرَّجيع ــ ماء لبنى هُذيل ــ غدرُوا بهم واُسْتصرخُوا عليهم هُذيلاً ، فلم يُرَع القوم وهم فى رِحالهم إلّا بالرجال فى أيديهم السُّيوف قد غَشُوهم . فأخذوا أسيافَهم ليُقاتلوا القوم . فقــالوا : إنّا والله ما نُريد قتلَكم ، ولكنّا نُريد أن نُصيب بكم شيئاً من أهل مكة ، ولكم عهدُ الله وميثاقه ألّا نقتلكم . فأمّا مَرثد بن أبى مَرثد ، وخالدُ بن البُكَير ، وعاصمُ بن ثابت ، فقالوا : لا نَقبل والله من مُشرك عهداً

ولا عقداً . فقاتلوهم حتّى قُتلوا جميعاً . وأمّا زيدُ بن الدَّثِنَّة ، وخُبَيب بن عدىّ ، وعبد الله بن طارق ، فلانوا ورقّوا ورَغبوا فى الحياة ، فأعطوا بأيديهم[١] . فأسروهم وخَرجوا بهم إلى مكة ليَبيعوهم بها ، حتى إذا كانوا بالظَّهْران[٢] انتزع عبدُ الله ابن طارق يدَه من القِرَان ثم أَخذ سيفَه واستأخر عن القوم ، فرَمَوْه بالحجارة حتى قَتلوه، فقَبْره بالظَّهران . وأما خُبيب بن عدىّ، وزيد بن الدَّثِنَّة . فقَدِموا بهما مكّة فباعُوهما . فابتاع خُبيباً حُجَيرُ بن أبى إهاب التّميمى ، حليفُ بنى نوفل ، لعُقْبة ابن الحارث بن عامر بن نوفل ـ وكان حُجير أخا الحارث بن عامر لأُمه ـ ليقتله بأبيه الحارث . وقد كانت هُذيل حين قُتل عاصم بن ثابت أرادوا أخذ رأسَه ليبيعوه من سُلافةَ بنت سعد بن شُهيد[٣] . وكانت قد نَذرت ، حين أُصيب ابنُها يومَ أُحد، لئن قدرتْ على رأس عاصم لتشربنّ فى قِحفه الخمرَ، فمنعتْه الدَّبر . فلما حالت بينهم و بينه قالوا : دعوهُ حتى نُمسى فتذهب الدَّبْر عنه فنأخذه . فبعث الله عزَّ وجل الوادى فاحتمل عاصماً رضى الله عنه فذهب به . وكان عاصم قد أعطى الله عهداً لا يمسه مشركٌ أبداً ولا يمسُّ مشركاً أبداً فى حياته . فمنعه الله بعد وفاته .

وكان عُمر بن الخطّاب يقول ، حين بلغه أنّ الدّبر منعتْه : عجباً لحفظ الله العبدَ المُؤمن ! وفى ذلك يقول الأَحوص :

وأنا ابنُ الّذى حَمت لحمَه الدَّبْـ ـرُ قَتيل اللَّحْيان[٤] يومَ الرَّجيعِ

مقتل خبيب

وأُنزل خُبيب فى دار الحارث بن عامر ليُقتل به ، فاستعار يوماً من إحدى بنات الحارث موسى ليستحدَّ[٥] بها للقتل ، فما راع المرأةَ ، ولها صبىٌّ يَدْرُج ، إلّا بخُبيب

(١) أعطى بيده : انقاد .
(٢) الظهران : واد بين مكة وعسفان .
(٣) فى أصول الأغانى : « سهيل » خطأ . والتصويب عن الطبقات ، والطبرى ، والسيرة .
(٤) اللحيان : حى من هذيل .
(٥) يستحد : يحلق شعر عانته .

قد أجلس الصبيَّ على فَخِذه والموسى فى يده ، فصاحت المرأةُ . فقال خبيب : أتخشَيْن أن أقتُلَه ! إنّ الغدر ليس من شأننا . فقالت المرأةُ بعد ذلك : ما رأيتُ أسيراً أكرمَ من خُبيب ، لقد رأيتُه وما بمكة من ثمرة و إن فى يده لقِطْفاً من عِنَب يأكُله، إن كان إلا رزقاً رَزَقه الله خُبيباً . ولما خَرجوا بخُبيب ليقتُلوه قال : ذرونى أُصلِّ ركعتَيْن . فصلَّى ركعتين ، فجرتْ سُنةً لمن قُتل صبراً أن يُصلِّى ركعتين . ثم قال : لولا أن يُقال جَزِع لزدتُ ، وما أُبالى :

* على أىّ شِقٍّ كان لله مَصْرعى *

وقال :

وذلك فى ذاتِ الإلٰه و إنْ يَشَأْ يُبارِكْ على أَوصالِ شِلْوٍ مُمزَّعِ

اللهم أَحصِهم عَدَداً ، وخُذهم بِدَداً [١] ، ولا تُفْلت منهم أحداً . ثم خَرج أبو سِرْوعة [٢] بن الحارث بن عامر بن نَوْفَل بن عبد مناف ، فقتله .

وحدّث أُمية قال :

بعثنى رسولُ الله صلّى الله عليه وسلّم وَحْدى عيناً إلى قُريش . قال : فجئتُ إلى خَشبة خُبيب ، وأنا أتخوّف العيون ، فرَقِيتُ فيها ، فحللتُ خُبيباً فوقع إلى الأرض . فانتبذتُ غيرَ بعيد ثم التفتُّ فلم أرَ لخُبيب أثراً ، كأنّ الأرض ابتلعتْه . فلم تُذكر لخُبيب رمّة إلى الساعة .

مقتل ابن الدثنة

وأما زَيد بن الدَّثِنَّة فإنّ صَفوان بن أُمية بعث مولًى له إلى التَّنعيم ، فأَخرجه من الحَرم ليقتُلَه ، فاجتمع رهطٌ من قُريش ، منهم أبو سفيان بن حَرب . فقال له

(١) أحصهم عددا ، أى أهلكهم بحيث لاتبق من عددهم أحداً . وخذهم بدداً ، أى . اقتلهم حصصا مقسمة لكل واحد حصته ونصيبه . هذا على كسر « بدد » فتكون جمع : بدة ، وهى الحصة والنصيب . ويروى « بددا » بالفتح ، من التبديد ، أى اقتلهم متفرقين فى القتل واحدا بعد واحد .

(٢) كنية عقبة بن الحارث النوفلى .

أبو سُفيان حين قُدِّم ليُقتل : يا زيد ، أَنشُدك الله، أتُحب أن محمداً يكون مكانَك تُضرب عُنقه وأنك فى أهلك ؟ فقال : لا والله ، ما أُحب أن محمداً فى مكانه الذى هو فيه تُصيبه شوكةٌ تُؤذيه وأنا جالس فى أهلى . قال : يقول أبو سُفيان : ما رأيتُ من الناس أحداً يُحب أحداً كحُبِّ أصحاب محمّد محمداً . ثم قُتل زَيد .

كنية الأحوص واسم أمه

وقيل :

كان الأَحوصُ يكنى أبا محمد . وأمه أُثيلة بنت عُمير[1] بن مَخْشىّ ، وكان أحمر أحوصَ العينَين .

منزلته فى الشعر

وهو شاعر مُجيد فى طبقة ابن قيس الرُّقيات ، ونُصيب ، وجَميل .

وقيل : إنه لولا ما وَضع الأحوَص من دنىء الأفعال والأخلاق لكان أشدَّ تَقدُّماً منهم عند أهل الحجاز وأكثر الرُّواة . وهو أَسمح طبعاً ، وأسهل كلاماً ، وأصحُّ معنًى ، ولِشعْره رَوْنق ، وديباجةٌ صافية وحلاوة ، وعُذوبةُ ألفاظه ليست لواحدٍ منهم . وكان قليل المُروءة والدِّين ، هجّاءً للناس مأبوناً .

مفاخرته سكينة

وذُكر أنه كان يوماً عند سُكينَه فأذَّن المؤذن ، فلما قال : أشهد أن لا إله إلا الله ، أشهد أن محمداً رسولُ الله ، فخرت سكينة بما سمعت . فقال الأحوصُ :

فَخرتْ وأُنتمتْ فقلتُ ذَرينى ... ليس جهــلٌ أتيتِه ببَديعِ
وأنا ابنُ الذى حَمتْ لحمَه الدَّبْـ ... ـرُ قَتيلِ اللّحيان يومَ الرَّجيع
غسَّلت خالىَ الملائكةُ الأَبـ ... ـرارُ مَيْتاً طُوبَى له من صَريع

ولقد فَخر بفخر عظيم لو كان على غير سُكينة فَخر به . وأمّا سُكينة فإن بأبيها صلواتُ الله عليه حَمت لحمَ عاصم الدَّبْرُ ، وغسّلت الملائكةُ حنظلة الشَّهيد ، خال الأَحوص . فمَا ذكره بعضُ مناقب الرسولِ صلّى الله عليه وسلّم . ففَخْر الأحوص به على سُكينة حماقةٌ منه ورقاعة .

---

(١) فى الأصل : « عمرو » .

جلد الوليد له وسبب ذلك

وذُكر أن الأحوص وفَد على الوليد بن عبد الملك بن مَروان ، فأنزله منزلاً وأَمر بمَطْبخه أَن يُمال عليه . ونَزل على الوليد شُعيب بن عبد الله بن عمرو ابن العاصى . وكان الأَحوص يُراود وُصفاء الوليد ويُريد أن يفعلوا به . وكان شُعيب قد غَضب على مولًى له ونحّاه . فلما خاف الأحوصُ أن يفتَضح بمُراودته الغِلْمان أندسّ لمولَى شُعيب فقال له : ادخُل على أمير المُؤمنين ثم اذكُر له أن شُعيباً راودك عن نفسه . ففَعل المولى ذلك . فالتفت الوليدُ إلى شُعيب وقال : ما يقول هذا ؟ فقال : لكلامه غَوْر[1] ، فاشْدُد به يَديْك يا أَمير المُؤمنين يصدُقْك . فشدَّد عليه . فقال : أمرنى بذلك الأحوصُ . وقال قَيِّم الخبّازين : أَصلحك الله ، إن الأحوص يُراود غلمانَك على أنفسهم . فأَرسل به الوليدُ إلى أبي بكر بن محمد بن عمرو بن حَزْم والى المدينة وأَمره أن يَجلده مائةً ويَصُبّ على رأسه زيتاً ويُقيمه للنّاس . ففعل ذلك به ونَصبه للناس فى السُّوق ، فكان يَصيح ويقول :

ما من مُصيبة نَكبةٍ أُمْنَى بها ... إلا تُشَرِّفنى وتَرفع شانِى
وتَزول حين تزولُ عن[2] مُتخمِّط ... تُخْشَى بَوادرُه على الأَقرانِ
إنِّى إذا خَفِى اللِّئام رأيتَنى ... كالشَّمس لا تَخفَى بكُلِّ مكان
إنى على ما قَد تَرَوْن مُحسَّدٌ ... أَنمِى على البَغْضاء والشَّنآن
أصبحتُ للأَنصار فيما نابَهم ... خَلَفاً وللشُّعراء من حسَّان

وقال الأحوصُ يهجو ابن حَزم :

أقول وأبصرتُ ابنَ حَزم بنَ فَرْتَنى ... وُقوفاً له بالمأزِمَيْن[3] القَبائلُ
تُرى فَرتنى كانت بما بَلغَ ابنُها ... مُصدّقةً لو قال ذلك قائل

(١) غور ، أى شىء خفى غير واضح .
(٢) المتخمط : المتكبر. (٣) المأزمان : جبلا مكة .

نفاه سليمان إلى دهلك ولم يرده عمر ثم رده يزيد

وذُكر أن الأحوص كان ينسُب بنساء ذواتِ أخطار من أهل المدينة ، ويتغنَّى فى شعره معبدٌ ومالك ، ويَشيعُ ذلك فى النّاس . فنُهِى فلم يَنْتَه . فشَكى إلى عامل سُليمان بن عبد الملك بالمدينة ، وسألوه الكتابَ فيه إليه . ففعل ذلك . وكَتب سُليمان إلى عامله يأمره أن يَضرِبه مائةَ سوط ويُقيمَه على البُلُس[1] للناس ، ثم يسيِّره إلى دَهْلَك[2] . ففعل ذلك . فثَوى هنالك مدةَ خِلافة سُليمان ، ثم وَلِى عُمرُ بن عبد العزيز رضى الله عنه الخلافةَ ، فكتب إليه يستأذنه فى القُدوم يَمدحه ، فأبى أن يأذن له ، وكان فيما يكتُب إليه به :

أيا راكباً إمّا عرضتَ فبلِّغن ... هُديتَ أميرَ المُؤمنين رَسائِلى
وقُل لأبى حَفْصٍ إذا ما لَقِيتَه ... لقد كنتَ نَفَّاعاً قليلَ الغوائل
فكيف ترى للعَيْش طيباً ولذَّةً ... وخالُك أمسى مُوثقاً فى الحبائل

فأتى رجالٌ من الأنصار عُمرَ بن عبد العزيز رحمه الله ، فكلّموه فيه وسألوه أن يُقْدِمَه . فقالوا : قد عرفتَ نَسبه وموضعه وقديمه ، وقد أُخرج إلى أرض الشِّرك ، فنطلُب إليك أن تَرُدَّه إلى حَرَم رسول الله صلى الله عليه وسلّم ودارَ قومه . فقال لهم عُمر : من الذى يقول :

أدُور ولولا أنْ أرى أُمَّ جَعفر ... بأبياتكم ما دُرْتُ حيثُ أدورُ
وما كنتُ زَوّاراً ولكنّ ذا الهوى ... إذا لم يُزرْ لا بُدَّ أن سَيزُور

قالوا : الأحوص . قال : فمن الذى يقول :

كأنّ لُبْنى صَبيرُ[3] غادِيةٍ ... أو دُميةٌ زُيِّنت بها البِيَعُ
اللهُ بَيْنى وبين قَيِّمها ... يَفِرّ منى بها وأتّبع

(١) البلس : غرائر كبار من مسوح يجعل فيها التين ويشهر عليها من ينكل به وينادى عليه .
(٢) دهلك : جزيرة فى بحر اليمن ، أو هى مرسى بين بلاد اليمن والحبشة .
(٣) الصبير : السحاب الأبيض . والغادية : السحابة تنشأ غدوة .

قالوا : الأحوص . قال : بل الله بين قَيِّمها و بينه . قال : فمن الذى يقول :

سيبقى لها فى مُضْمَرِ القلب والحَشى ... سَريرةُ حُبٍّ يوم تُبْلَى السَّرائرُ

قالوا : الأحوص . قال : إنّ الفاسق عنها يومئذٍ لَمشغول . والله لا أرُدّه مادام لِي سلطان . فمكث هناك بقيّةَ خلافة عمر بن عبد العزيز ، وصدراً من خِلافة يزيد بن عبد الملك . فبينا يزيدُ وجاريته حَبابةُ ذاتَ ليلة على سطح تُغَنِّيه بشعر من شعر الأَحوص — قيل : إن الشعر :

أيُّهـذا المُخْبِرى عن يزيدٍ ... بصلاحٍ فِدَاكَ أهلى ومالِى

ما أُبالى إذا تَبَقَّى[1] يزيدٌ ... من تولّت به صُروفُ اللَّيالى

— فقال لها : مَن يقول هـذا الشِّعر ؟ قالت : لا وعَيْشك ما أَدرى . وكان قد مَضى من الليل شَطْره . فقال: أبعثُوا إلى أبن شِهاب الزُّهرى، فعسى أن يكون عنده عِلْم من ذلك . فأُتى فقُرِع عليه البابُ ، فخَرج مُروَّعاً إلى يزيد . فلما صَعِد إليه قال له : لا تُرَعْ ، لم نَدْعُك إلا لخير ، أجلس . من الذى يقول هذا الشعر ؟ فقال: الأحوصُ بن محمد يا أمير المؤمنين . قال : ما فَعل ؟ قال : طال حَبْسه بدَهْلك . فقال : عجبتُ لعُمر كيف أغفله ! وأمر بتَخليته ووَهبَ له أربعمائة دينـار . وأَقبل الزُّهرى من ليلته إلى قَومه من الأنصار ، فبشّرهم بذلك .

وقيل : إن الشعر الذى غنّته حبابةُ ليزيد من شعر الأحوص ، هو :

كريمُ قُريشٍ حين يُنْسَب والذى ... أَقرَّت له بالمُلك كهلاً وأَمردَا

وليس و إن أَعطاكَ فى اليـوم مانعاً ... إذا عُدْتَ من إعطاء[2] أضعافه غَدا

أَهانَ تِلادَ المـال فى الحَمْـد إنه ... إمامُ هُـدًى يَجْرِى على ما تَعوّدا

---

(١) فى بعض أصول الأغانى : « ما أبالى إذا يزيد بقى لى » .

(٢) فى بعض أصول الأغانى : « أضعاف أضعافه » .

وقيل : إن الأَحوص دَخل على يزيدَ بن عبد الملك ، وهو خليفة ، فقال له يزيد : والله لو لم تَمُتَّ إلينا بحُرمة ، ولم تَصِرْ إلينا بدالّة ، ولم تُجدد لنا مدحة ، غير أنك مقتصر على البيتين اللذين قلتهما فينا لـكنتَ مُستوجباً لجزيل الصِّلة منى حيث قلت :

وإنّى لأَسْتحييكُم أن يقودَنى ... إلى غيركم من سائر النّاس مَطْمَعُ
وأن أجتدِى للنَّفع غيرَكَ منهمُ ... وأنتَ إمامٌ للرعيَّة[1] مَقْنَعُ

وهذان البيتان فى قصيدة مدح الأحوصُ بها عُمر بن عبد العزيز رحمه الله .

وقيل : إن يزيدَ بن عبد الملك لما أقدم الأحوصَ أكرمه وأجازه بثلاثين ألف درهم . فلما قدم قُبَاء صبّ المالَ على نِطْع ودَعا بجماعةٍ من قومه ، وقال لهم : إنِّى قد عملتُ لـكم طَعاماً ، فلما دَخلوا عليه كَشف لهم عن ذلك المال ، وقال : (أَفَسِحْرٌ هٰذَا أَمْ أَنْتُمْ لَا تُبْصِرُونَ) .

مدحه ليزيد

ومَدح يزيدَ بن عبد الملك بقصيدة أولها :

صَرَمَتْ حبلَكَ الغداةَ نَوَارُ ... إنّ صَرْماً لـكُل حَبل[2] قُصَارُ
بَشَرٌ لو يَدِبُّ ذَرٌّ عليه ... كانَ فيه لِمَشْيه آثار
إنّ أَرْوى إذا تذكّر أروى ... قلبُه كاد قلبُه يُسْتطار

يقول فيها :

من يكُن سائلًا فإنّ يزيداً ... مَلِكٌ من عطائه الإكثار
عَمَّ معروفُه فعزَّ به الدِّ ... ين وذَلَّت لمُلْكه الكُفّار
وأقام الصِّراطَ فابْتَهج الحقُّ ... مُنيراً كما أنار النَّهار

---

(١) مقنع : يقنع به ويرضى برأيه وقضائه .
(٢) القصار : الغاية .

تمثل عبد الملك بشعره حين خطب أهل المدينة

وذُكر أنه لما قَدم عبدُ الملك بن مروان حاجًّا سنة خمس وسبعين ، وذلك بعد ما اُجتمع عليه الناسُ بعامَين ، جلَس على المِنبر فشَتَم أهلَ المدينة وو بخهم ، ثم قال : إنّى والله يأهل المدينة ، قد بلوتكم تَنفَسون القليلَ وتحسُدون الكثير ، وما وجدتُ لكم مثلًا إلا قول مُخنَّثكم وأخيكم الأحوص :

وكم نزلتْ بى من خُطوب(١) مُلمَّة ... صبرتُ(٢) عليها ثم لم أتخشَّعِ

وأدبَرَ عنِّى شرُّها لم أبَلْ(٣) بها ... ولم أدْعُكم فى كَرْبها المُتطلِّعِ

فقام إليه نوفل بن مُساحق فقال : يا أمير المؤمنين ، أقررنا بالذَّنْب ، وطَلبنا المَعذرة ، فعُدْ بحلمك ، فذلك ما يُشبهنا منك ويُشبهك منّا ، فقد قال من ذكرتَ بعد بيتيه الأوّلين :

وإنّى لَمُستأنٍ ومنتظرٌ بكم ... وإن لم تقولوا فى المَلمّات(٤) دَعْدَعِ

أُؤمِّل منكم أن ترَوْا غير رأيكم ... وَشيكاوكيما تَنزِعوا خيرَ مَنْزَعِ

للفرزدق وجرير وقد سئلا عنه

وقيل . إنه قيل للفرزدق : من أنسبُ الناس ؟ قال الذى يقول :

لى لَيْلتان فليلةٌ مَعْسولة ... ألقَى الحبيبَ بها بنجْمِ الأَسْعُدِ

ومُريحةٌ(٥) همّي علىَّ كأنّنى ... حتى الصباح مُعلّقٌ بالفرْقد

وقيل لجرير : من أنسب الناس ؟ قال : الذى يقول :

ياليتَ شعرى عمّن كَلِفْتُ به ... من خَثْعم إذ نأيتُ ما صَنعُوا

---

(١) فى بعض الأصول : « مهمة » مكان « ملمة » .

(٢) فى بعض الأصول : « خذلتم » مكان « صبرت » .

(٣) أبل ، أصله : أبالى . حذف آخره للجازم ، ثم سكنت اللام للتخفيف ، ثم حذفت الألف لالتقاء الساكنين .

(٤) دع دع : كلمة تقال للعاثر . ومعناها : دع العثار وقم . وقد تجعل اسما فتعرب ، ومنه قول الشاعر :

لحى الله قوما لم يقولوا لعاثر ... ولا لابن عم ناله العثر دعدعا

(٥) مريحة : من أراح الإبل ، إذا ردها إلى المرعى من العشى . والمراد أنها تسوق إليه همه .

قومٌ يَحُلُّون بالسَّــدِير و بالْـ حِيرة منهمْ مَرأًى ومُسْتَمع
أن شَــطَّت الدارُ عن دِيارهمُ أأمسكوا بالوصــال أَمْ قَطعوا
بل هُم على خيرِ ما عَهِدْتُ وما ذاك إلَّا التأميــلُ والطَّمع

والشعر للأحوص .

أبو عبيدة بن عمار وقد سمع شعره

وقيل :

أنشد إنسانٌ إبراهيم بن هشام المَخزوميَّ ، وهو والى المدينة ، وعنده أبو عُبيدة ابن عمّار بن ياسر ، قولَ الأحوص :

سَقْياً لرَبْعك من رَبْع بذى سَلَمٍ وللزَّمان به إذ ذاك من زَمنِ
إذ أنتِ فينا لمن يَنْهاك عاصيةٌ وإذ أَجُرّ إليكم سادِراً رَسَنِى

فوثب أبو عُبيدة بن عمَّار قائماً ، ثم أَرخى رِداءه ومَضى يَمشى على تلك الحال ويجرُّه إلى أن بلغ العِرْض[1] ، ثم رَجع . فقــال له إبراهيم بن هشــام ، حين جلس : ما شأنك ؟ فقال : أيها الأمير ، إنى سمعتُ هــذا البيتَ مرةً فأعجبنى ، فحلفتُ أَلَّا أَسمعه إلا جررتُ رَسنى .

طرب المخزومى بشعره

وحكى عبدُ الملك بن عبد العزيز قال : قالى لى أبو السائب المَخزوميّ : أنشدنى للأحوص . فأنشدتُه قولَه :

قالتْ وقلتُ تحرَّجى وَصِلِى حَبْــلَ أُمرىءٍ بوصالــكم صَبِّ
صــاحبْ[2] إذاً بَعْلى فقلتُ لهــا الغَــدْر شىء ليس من[3] شَعْبى
أما الخليــلُ فلستُ فاجِعَــه والجــار أَوصــانى به رَبِّى
عُوجوا كذا نَذْكُرْ لغانيـــة بعضَ الحديث مَطِيَّكم صَحْبى

(١) العرض : مكان بعينه . (٢) فى بعض الأصول : « واصل » مكان « صاحب » .
(٣) فى بعض الأصول : « ضربى » مكان « شعبى » .

ونَقُل لها فِيم الصُّدودُ ولم ... نُذْنِبْ بل أنتِ بدأتِ بالذّنب
إنْ تُقْبِلى نُقْبِل ونُنْزِلكم ... منّا بدارِ السَّهل والرُّحب
أو تُدبِرى تَكْدُرْ معيشتُنا ... وتُصدِّعى متلائمَ الشَّعْب

قال : فأقبل علىّ أبو السائب وقال : يابن أخى ، هذا واللهِ المُحب عيناً ، لا الّذى يقول :

وكنتُ إذا خليلٌ رامَ هَجْرى ... وجدتُ وراىَ مُنفَسَحاً عَرِيضا

أذهب، لا صَبحك[1] الله بخير ولا وسّع عليك . يعنى قائل هذا البيت .

سؤال المهدى عن أنسب بيت ورضاؤه عن بيت الأحوص

وحَكى عبدُ الأعلى بن عبد الله بن محمد بن صَفوان الجُمحىّ قال :

حملتُ دَيْناً بعسكر المهدىّ ، فركب المهدىّ بين أبى عبيد الله وعمر بن بَزيع ، وأنا وراءه على بِرْذون قَطوف[2] ، فقال : ما أنسب بيت قالته العرب ؟ فقال أبو عُبيد الله : قولُ أمرىء القيس :

وما ذَرفتْ عيناكِ إلّا لتَضربِى ... بسَهمَيك فى أعشار قَلْب مُقتّلِ

فقال : هذا أعرابىّ قُح . فقال عُمر بن بَزيع : قول كُثير بن عبد الرحمن :

أُريد لأَنْسَى ذِكْرها فكأنما ... تَمثّلُ لى لَيلى بكُل سَبيلِ

فقال : ما هذا بشىء ! وما له يريد أن ينسى ذِكْرها حتى تمثّل له ! فقلتُ : عندى حاجتك يا أمير المُؤمنين، جعلنى الله فداك ! قال : أُلحقْ بى . قلت : لا لَحاق بى، جعلنى الله فِداك ، ليس ذاك فى دابّتى . قال : أحملوه على دابة . قلتُ : هذا أول الفَتح . فحُملتُ على دابّة ، فلَحِقْتُ به ، فقال لى : ما عندك ؟ قلت : قول الأحوص :

إذا قلتُ إنِّى مُشْتَفٍ بلقائها ... وحُمَّ التّلاقى بيننا زادنى سُقْمَا

(١) فى بعض الأصول : « فلا صحبك الله ولا وسع عليك » .
(٢) القطوف : المبطىء .

فقال : أحسن والله ؛ أقضُوا عنه دينَه . فقُضى عنّى دينى .

وتمامُ هذه الأبيات التى لـكُثير :

ألا حيِّيا ليلَى أجـدَّ رَحيلى وآذَنـ أصحابى غداً بقفُولِ

ولم أرمن لَيلى نوالاً أعُدّه ألَا ربّمـا طالبتُ غيرَ مُنيـل

وليس خَليلى بالمَلُول ولا الّذى إذا غِبتُ عنـه باعنِى بخليـل

ولـكن خليلى مَن يدُوم وصالُه ويَحفظ سِرِّى عند كل دَخيل

و بيت الأحوص من قصيدة أولها :

ألا قِفْ برَسْم الدّار وأسْتَنْطق الرَّسْما فقـد هاج أحزانى وذكَّرنى نُعْمَى

فبتُّ كأنّى شـاربٌ من مُدامةٍ إذا أذهبت هَمًّا أتاحتْ له هَمًّا

أخبار الدّلال

اسمه وولاؤه

واسمُه ناقد . وكُنيته أبو زَيد . وهو مَدَنىّ ، مولى بنى فَهم .

شىء عنه

ولم يكن فى المُخَنَّثين أحسنُ وجهاً ولا أنظفُ ثوباً ولا أظرفُ منه . وهو أحد من خَصاه ابنُ حَزم من المُخنَّثين . فلما فُعل به ذلك قال : الآن تمَّ الخُنث .

وكان كثيرَ النّوادر . نَزْر الحديث ، فإذا تكلم أضحك الثَّكلى .

وكان غناؤه ضَعيفاً . وسُمِّى الدّلالَ لظَرْفه وشَكله وحُسن دَلّه وحَلاوة مَنطقه . وكان مَشْغوفاً بمُخالطة النِّساء ، ويُكثر وصفَهن للرِّجال . وكل مَن أراد خِطْبة امرأة سأله عنها وعن غيرها ، فلا يزال يَصف النِّساء واحدةً واحدةً حتى يَنْتهى إلى وَصْف ما يُعجبه ، ثم يتوسّط بينه و بين من يُعجبه منهنّ حتى يتزوجها . وكان يُشاغلُ كلَّ مَن يُجالسه عن الغناء بتلك الأَحاديث ، كراهة منه للغناء .

سبب خصائه

وذُكر أنه كَتب سُليمان بن عبد الملك إلى أبى بكر بن محمد بن عَمرو بن حَزم ، فخَصى تسعة ، أحدُهم الدلال .

وقيل :

كان السببُ فى ذلك أنّ سُليمان بن عبد الملك كان مُستلقياً ليلة على فراشه ، وجاريةٌ له إلى جَنبه وعليها غِلالةٌ ورِداء مُعَصْفران ، وفى عُنقها فَصلان من لُؤلُؤ وزَبرجد و ياقوت . وكان سُليمان بها مشغوفاً . وفى عسكره رجلٌ يقال له سُمَير يُغنِّى ، فلم يفكِّر سليمانُ فى غِنائه شُغلاً بها و إقبالاً عليها ، وهى لاهيةٌ عنه لا تُجيبه مُصغيةً إلى الرجل ، حتى طال ذلك عليه ، فحوّل وجهه عنها مُغْضباً . ثم عاد إلى ما كان مَشغولاً عن فَهمه بها ، فسَمع سُميراً يُغنِّى بأحسن صوت :

مَحجوبة سمعتْ صَوْتى فأرّقها ... من آخر اللَّيل لما طلّها [١] السَّحَرُ
تُدْنى على جِيدها ثِنْيَىْ مُعَصْفَرَةٍ ... والحَلْىُ منها على لبّاتها خَصِر
فى ليلة النِّصف ما يَدرى مُضاجعها ... أوجهُها عنده أبهى أم القَمر
لو خُلِّيتْ لَمَشَتْ نحوى على قَدمٍ ... تكاد من رِقةٍ للمَشْى تَنفطر

فلم يشُكّ سليمان أن الذى بها ممّا سمعتْ ، وأنها تَهوى سُميراً . فوجّه من وقته مَن أحضره وحَبسه ، ودعا بالجارية ودعا بسَيف ونِطع وقال : والله لئن لم تَصْدُقينى لأضربنّ عُنقك . قالت : سَلْ ما بدا لك . قال : أخبرينى عما بينك و بين هذا الرَّجل . قالت : والله ما أعرفه ولا رأيتُه قطُّ ، وأنا جارية مَنْشئى الحجاز ، ومِن هُناك حُملت إليك ، ووالله ما أعرف بهذا البلاد أحداً سواك . فرقّ لها وأحضر الرجلَ وجالسه وتلطّف فى المسألة . فلم يَجد بينه و بينها شيئاً . ولم تطب نفسُه بتَخْلية سُمير سويًّا ، فخَصاه .

وذُكر أن سَليمان بن عبد الملك قال يومئذ : هَدر الجمل فضَبعتْ الناقة [٢] ، ونَبَّ التَّيْس فاُستَحْرمت [٣] الشَّاة ، وهَدل الطائر فزَافت [٤] الحمامة ، وغنّى الرجل فطربت المرأة . ثم سأل عن الغناء : أين أصلُه؟ فقالوا : بالمدينة فى المُخنَّثين ، وهم أئمتُه والحُذّاق فيه . فكتب يأمر بخِصائهم .

حديث هربه من المدينة إلى مكة

وقيل :

كان الدّلال ملازماً لأُم سعيد الأسلميّة ، و بنتٍ ليحيى بن الحكم بن أبى العاصى ، وكانتا من أمجن النِّساء ، وكانتا تخرجان فتركبان الفرسَيْن ثم تستبقان

(١) فى بعض أصول الأغانى : « حتى شفها السهر » . (٢) ضبعت : اشتهت .
(٣) استحرمت : أرادت الفحل . وفى بعض أصول الأغانى : « شكرت » . وشكرت الشاه : امتلأ ضرعها ، ويكنى بذلك عن حنينها .
(٤) زافت : تبخترت فى مشيتها .

عليهما حتى تَبْدُوَ خَلاخيلُهما . فقال معاويةُ بن أبى سفيان لمَرْوان بن الحكم : كْفِنى بنتَ أخيك . قال : أفعل . فأمر ببئر فحُفِرتْ فى طريقها وغُطِّيت بحَصير . فاستزارها، فلما مشتْ عليه سقطتْ فى البئر ، فكانت قبرَها . وطُلب الدَّلال فهرب إلى مكة . فقال له نساء أهل مكة : قتلتَ نساء أهل المدينة وجِئْت لتقتلَنا ! فقال : والله ما قتلهنّ إلا الحُكَاك . فقلن : أعزُب أخزاك الله ولا أَدنى بك . قال : من لكنّ بعدى يَدل على دائكن ، ويعلم موضع شفائكن ؟ والله ما زَنيتُ قَطُّ ولا زُنى بى، وإنى لأشتهى ما تَشتهى نساؤكم ورجالكم .

هو والوالى وقد وجد سكران مع غلام

وقيل :

وُجد الدلال مع غُلام وهما سكرانان . فأمر الوالى أن يُدار بهما فى السِّكك . فقيل : ماهذا يا دلال ؟ قال : أشتهى الأَميرُ أن يَجمع بين رأسين فجَمع بينى و بين هذا ، ولو قيل له : إنَّك قَواد ! غَضبَ . فقال : خَلُّوا سبيلَهما . لعنةُ الله عليهما !

غنى نائلة فأجازته

وقيل :

جاء الدَّلال يوماً إلى منزل نائلة بنت عمّار الكَلْبى ، وكانت عند مُعاوية بن أبى سُفيان فطلَّقها ــ وسبب طلاق معاوية لها أنه قال لفاختة بنت قَرَظة :اذهبى فانظرى إليها . فذهبتْ ونظرتْ ، فقالت له : ما رأيتُ مثلَها ، ولكن رأيتُ تحت سُرتها خالاً ليُوضَعنّ منه رأسُ زوجها فى حِجرها . فطلّقها . فتزوّجت بعده رجلان، أحدهما حَبيب بن مَسلمة ، والآخر النُّعمان بن بشير الأنصارى . فقُتل أحدهما ووُضع رأسه فى حجرها ــ فقرع الدلالُ بابها فلم تفتح له، فغنّى بشعر مجنون بنى عامر، ونَقر بدُفه عليه:

خليلىَّ لا والله لا أملك البُكا ... إذا عَلَمٌ من أرض ليلى بَدَاليَا
خليلىَّ إن بانُوا بليلى فهيِّئا ... لِىَ النَّعشَ والأكفان واستغفرا ليا

فخرج خَدمُها فزجروه وقالوا : تَنَحَّ عن الباب. وسمعتِ الجلبةَ فقالت : ما هذه

الضجَّة بالباب ؟ فقالوا : الدَّلال . فقالت : إيذنُوا له. فلما دَخل عليها شقَّ ثوبه وطَرح الترابَ على رأسه وصاح بوَيْله وحَرَبه . فقالت له : لك الويلُ ! مالك ؟ ومادهاكَ؟ قال : ضَربنى حَشَمك . قالت : ولِمَ ؟ قال : غنَّيتُ صوتاً أُريد أن أُسْمعك إياه. قالت : أُفٍّ لهم وتُف ! نحن نبلغ ما تحبّ ونُحسن تأديبَهم . ياجارية ، هاتى ثياباً مقطوعةً . فلما طُرحَت عليه الثِّياب ، قالت : ما حاجتُك ؟ قال : لا أسألك حاجةً حتى أُغنِّى لك . قالت : فذلك إليك . فاندفع يُغنِّى بشعر جَميل :

أُرحمينى فقــد بَليتُ فحَسْبى ... بعضُ ذا الداء يا بُثَينــةُ حَسْبِى
لامَنى فيــكِ يا بُثينــةُ صَحْبِى ... لا تَلُوموا قدقرَّح الحُزنُ[1] قَلْبِى
زَعم النــاسُ أنَّ دائِىَ طِبِّى ... أنتِ واللهِ يا بُثينـــة طِبِّى

ثم جلس ، فقال : هل من طعام ؟ فقالت : علىّ بالمائدة . فأُتِى بها كأنها كانت مهيَّأة ، عليها أنواعُ الأطعمة . فأَكل ثم قال : هل من شَراب ؟ قالت : أمّا نبيذ فلا ، ولـكنْ غيره . فأُتى بأنواع الأَشربة . فشَرب ثم قال : هل من فاكهـة ؟ فأُتى بأنواع الفاكهه فتفكَّه . ثم قال: حاجتى خمسة آلاف درهم ، وخَمس حُلل من حُلل معاوية ، وخَمس حُلل من حُلل ابن مَسلمة، وخَمس حُلل من حُلل النُّعمان بن بَشير . قالت : وما أردتَ بهذا ؟ قال : هو والله ذاك، والله والله ما أَرضى ببعضٍ دون بعض . فإما الحاجة و إمّا الرَّدّ . فدعت له بما سأل . فقبضَه ثم قام . فلمـا توسَّط الدار غنَّى ونقَر بدُفِّه :

ليت شعرى أجفوةٌ أم دَلالٌ ... أم عدوٌّ أتى بثُينةَ بَعـدِى
فمُرينى أُطِعْـك فى كُل أمر ... أنت والله أوجهُ الناس عندى

سبب تركه الخمر

وذُكر أنّ الدلال كان لايشرب النبيذَ ، فخرج مع قوم إلى مُتنزَّه لهم ، ومعهم نبيذ ، فشَربوا ولم يَشْرب منه ، وسَقوه عسلا مَجْدوحاً[2] ، وكان كلما تَغافل صيَّروا

(١) فى بعض أصول الأغانى : « أقرح الحب » . (٢) المجدوح : المخلوط .

فى شرابه نبيذاً فلا يُنكره ، حتى كثُر ذلك فسكر وطَرب ، وقال : اسقُونى من شَرابكم . فسقَوه حتى ثمِل ، وغنَّاهم فى شعر الأحوص :

طاف الخيالُ وطال الليلُ فاُعتكَرا عنـد الفِراش فآب الهمُّ مُحْتَضِرَا
أُراقبُ النَّجم كالحَيْران مُرتقِباً وقَلَّص النَّومُ عن عَينىّ فاُنْشَمَرا
من لوعةٍ أورثتْ قَرْحاً على كَبِدى يوماً فأَصبح منهـا القلبُ مُنفَطِرا
ومَن يَبِتْ مُضْمِراً حُبَّا[1] كما ضَمِنتْ منّى الضلوعُ يَبِتْ مُستبطِناً غِـيَرا

واُستحسن القومُ وطربوا وشربُوا . ثم غنّى :

طربْتَ وهاجك من تَذَّكرْ ومن لستَ من حُبّه تَعتـذِرْ
فإن بان[2] منهـا الّذى أَرْتجى فذاك لَعَمْرى الذى أَنْتظر
وإلا صـبرتُ فلا مُفْحِشاً عليهـا بسُوء ولا مُنْتَهِر[3]

وسَكر الدّلالُ حتى خَلع ثيابَه ونام عُرياناً ، فغطَّاه القومُ بثيابهم وحَملوه إلى منزله ليلاً فنوّموه واُنصرفوا عنه . فأَصبح وقد تقيَّأ ولوّث ثيابَه بقيئه ، فأنكر نفسَه، وحلف لا يُغنِّى أبداً ولا يُعاشر مَن يَشرب النَّبيذ . فوفّى بذلك إلى أن مات . وكان يُجالس المَشيخة والأَشراف فيُفيض معهم فى أخبار النّاس حتى قَضى نَحبه ، رحمه الله .

---

(١) فى بعض أصول الأغانى : « هما » .
(٢) فى بعض أصول الأغانى : « تلت » مكان « بان » .
(٣) فى بعض أصول الأغانى : « مبتهر » . « والابتهار : قول الكذب واللف عليه .

أخبار طُريح

نسبه

وهو طُريح بن إسماعيل بن عبيد بن أَسِيد بن عِلَاج بن أبى سَلَمة بن عبد العُزَّى ابن عَنَزة بن عَوف بن قَسِيّ . وهو ثقَيف بن مُنبِّه بن بكر بن هَوازن .

ومن النَّسابين من يقول : إن ثَقيفاً هو قَسِيّ بن مُنبِّه بن النَّبيت بن مَنصور ابن يَقْدُم بن أَفصى بن دُعْمِيّ بن إياد بن نِزار .

ومنهم من يقول : إنّ ثقيفاً من أبى رِغال . وقيل : عَبدُ أبى رغال ، وأنّه من بقايا ثمود .

الحجاج ونسب ثقيف

وذُكر أن الحجّاج بن يوسف الثّقفى قال فى خُطبة خَطبها بالكوفة : بلغنى أنكم تقولون : إن ثقيفاً من ثمود . وهل نَجا من ثمود إلّا خيارهم ومَن آمن بصالح فبقى معه . قال الله عزّ وجل : (وَثَمُودَ فَمَا أَبْقَى) . فبلغ ذلك الحسَن البصرىّ رحمه الله فتضاحك به وقال : حكم اللُّكَع لنفسه ! إنما قال عزّ وجلّ : (فَمَا أَبقَى) أى لم يُبقهم ، أى أهلكهم . فرُفع ذلك إلى الحجاج فطَلبه . فتوارى حتى هلك الحجّاج .

وقد طوّل أبو الفرج القول فى نَسب ثقيف ، فرأيتُ الاقتصار على ما ذكرتُ .

أمه

وأُم طُريح بنت عبد الله بن سِبَاع بن عبد العُزَّى ، من خُزاعة . وسِباع قَتله حمزةُ بن عبد المطلب رضى الله عنه يوم أُحد . وسيأتى ذِكره فى موضعه .

كنيته وشىء عنه

ويُكنى طُريح بأبى الصّلت ، لابنٍ له يُسمَّى صَلْتاً . وكان طُريح قد نشأ فى دولة بنى أُمية واستفرغ شعره فى مدائحهم ، وخاصة فى الوليد بن يزيد بن عبد الملك . وأدرك دولة بنى العبّاس . ومات فى خلافة الهادى . وكان الوليدُ مُكرِماً له مقدماً ، لا يُقاطعه ، لخؤولة الوليد فى ثقيف .

رضى الوليد بن يزيد عنه بعد غضب

وذكر أنّ الوليد كان يُدْنِي مَجْلسه، وجعله أولَ داخل وآخر خارج. وكان لا يُصدر إلا عن رأيه، فاستفرغ مدائحه كلها وعامة شعره فيه. فحَسده أُناس من أهل بيت الوليد. وقَدِم حمَّاد الراوية من العِراق إلى الشام، وذلك فى خلافة هشام ابن عبد الملك، والوليد بن يزيد إذ ذاك ولىّ العهد لعمّه هشام. فشكَوْا إليه ذلك وقالوا: والله لقد ذَهب طُريح بالأمير، فما لنا منه ليلٌ ولا نهار. فقال حمَّاد: أبغونى من يُنْشد الأمير بَيْتَيْن من شعر فأُسقِط منزلته. فطلبوا إلى الخصِىّ الذى كان يقوم على رأس الوليد، وجعلوا له عشرة آلاف درهم، على أن يُنْشد الأمير البيتين فى خَلوة، فإذا سأله: مِن قول مَن هذا؟ قال: مِن قول طُريح. فأجابهم الخصىّ إلى ذلك — وعلَّموه البيتين — فلما كان ذات يوم دخل طُريح على الوليد، وفُتح الباب وأُذن للناس، فجلسوا طويلًا، ثم نهضوا. وبَقِى طُريحٌ مع الوليد، فدعا بغدائه فتغدّيا جميعاً. ثم إن طُريحاً خرج ورَكب إلى منزله وترك الوليدَ فى مجلسه ليس معه أَحد. فاستلقَى على فِراشه. واُغتنم الخصىُّ خَلوته فاندفع يُنْشد:

سِيرِى رِكابى إلى مَن تَسعَدين به ... فقد أَقمتِ بدار الهُون ما صَلَحَا

سِيرِى إلى سيِّد سَمْحٍ خلائقُه ... ضَخْمِ الدَّسيعة[1] قَرْمٍ يَحمل المِدَحا

فأَصغَى الوليدُ إلى الخصىِّ يَسمعه، وأعادها الخصىُّ غيرَ مرة. ثم قال الوليد: ويحك يا غلام! مِن قول من هذا؟ قال: من قول طُريح. فغضب الوليدُ حتى امتلأ غيظاً وغضباً، ثم قال: والهفتاه على أُم لى لم تلدنى! جعلتُه أول داخل وآخر خارج، ثم يزعم أن هشاماً يحمل المِدَح ولا أحملها! ثم قال: علىّ بالحاجب. فأتاه. فقال: لا أعلم ما أذنتُ لطُريح ولا رأيتُه فى بَسيط الأرض، فإن حاولك فاخْطَفْه بالسَّيف. فلما كان العشىُّ وصُلِّيت العصر، جاء طُريح للساعة التى كان يُؤْذن له فيها، فدنا من الباب ليدخل، فقال له الحاجب: وراءك! فقال: مالك؟ هل

(١) الدسيعة: العطية الجزيلة.

دَخل على ولىِّ العهد أحدٌ غيرى ؟ قال : لا . ولـكن ساعة ولَّيْتَ من عنده دَعانى وأمرنى ألّا آذن لك ، و إن حاولْتنى فى ذلك خطفتُك بالسّيف . قال : لك عشرة آلاف وَأْذن لى فى الدُّخول عليه . فقال له الحاجب : والله لو أعطيتَنى خَراج العراق ما أذنتُ لك ، وما لك من خيرٍ فى الدُّخول، فاُرجع . فقال : و يحك ! هل تعلم مَن دَهانى عنده ؟ قال الحاجب : لا والله ، لقد دخلتُ عليه وما عنده أحد ، ولـكنّ الله يحدِثُ ما يشاء فى الليل والنهار . فرجع طريح فأقام بباب الوليد سنةً لايخلص إليه ولا يقدِر على الدخول عليه . فأراد الرُّجوع إلى بلده وقومه ، فقال : والله إنّ هذا لعجزٌ بى أن أرجع ولم أَلْق ولىَّ العهد وأعلَم من دهانى عنـده . ورأى أناساً كانوا له أعداءً قد فَرِحوا بما كان من أمره ، فكانوا يدخلون على الوليد و يحدِّثونه و يَصدُر عن رأيهم . فلم يزل يلطُف بالحاجب و يُمنّيه حتى قال له الحاجب : أمّا إذ أطَلتَ المُقام فأَكره أن تنصرفَ على حالك هذه ، ولـكنّ الأمير يومَ كذا وكذا يدخُل الحمّام ثم يأمرُ بسريره فيبرُز عليه ، وليس عليه يومئذ حجابٌ ، فإذا كان ذلك اليوم أعلمتُك فتكون قد دخلتَ عليـه وظفِرت بحاجتك ، وأكون أنا على حال عُذر . فلما كان ذلك اليومُ دَخل الحمّام وأمر بسريره فأُبرز ، وجلسَ عليه وأذن للناس فدخلوا عليه، والوليدُ ينظر إلى مَن أقبل . و بعث الحاجبُ إلى طُريح ، فأَقبل، وقد تتامّ الناسُ . فلما نَظر الوليدُ من بعيـد حوّل وجهه عنه واُستحيا أن يردَّه من بين الناس . فدنا وسلّم ، فلم يُردّ عليه السلام . فقال طُريح يستعطفه و يتضرّع إليه ، قصيدتَه التى أولُها :

نام الخلِى من الهُموم و باتَ لى	ليـلٌ أُكابده وهَمٌّ مُضْلِعُ
وسَهِرْتُ لا أَسْرى ولا فى لذّةٍ	أَرَقِى وأغفَـلُ ما لقِيتُ الهُجّع
أَبغى وُجوهَ مَخارجى من تُهْمَةٍ	أَزَمَتْ علىّ وسُـدَّ منهـا المَطْلَع
جَزَعاً لَمعْتَبَـة الوليـد ولم أكُن	من قبلِ ذاك من الحوادث أَجزع
يا بن الخلائف إنّ سُخطك لامرىءٍ	أمسيتَ عِصْمَتَه بلاءٌ مُفْظِع

إن كنتَ فى ذَنبٍ عتبتَ فإنّنى ... عمّا كرهتَ لنازِعٌ مُتضرِّعُ
ويئستُ منك فكلُّ عُسْرٍ باسطٌ ... كفًّا إلىَّ وكل يُسْرٍ أَقْطعُ
مِن بعد أَخْذى من حِبالِك بالّذى ... قد كنْتُ أَحسبُ أنّه لا يُقْطعُ
فأَربُبْ[1] صَنيعَك بى فإنّ بأعينٍ ... للكاشحين وسَمْعهم ما تَصنعُ
أَدفعْتنى حتى انقطعتُ وسُدِّدتْ ... عنّى الوُجوه ولم يكُن لىَ مَدْفعُ
ورُجيتُ واتُّقِيتْ يداىَ وقيل قد ... أمسى يَضُرُّ إذا أحبَّ وينفعُ
ودخلتُ فى حَرَمِ الذِّمام وحاطَنى ... خَفَرٌ أخذتُ به وعهدٌ مُولِعُ
أفَا هادِمٌ ما قد بنيتَ[2] وناقضٌ ... شَرَفى وأنت لغيرِ ذلك أوسعُ

ومَدَحه بقصيدة أُخرى منها :

يابن الخلائفِ مالى بعدَ مَقْربةٍ ... إليك أُقْصَى وفى حالَيْك لى عَجَبُ
ما لى أُذادُ وأُقْصى حين أقصِدكم ... كما تُوقِّىَ من ذى العُرّة[3] الجَرِبُ
كأنّنى لم يكُن بينى وبينكمُ ... إلٌّ[4] ولا خُلّةٌ تُرْعَى ولا نَسَبُ
لو كان بالوُدِّ يُدْنَى منك أَزْلَفَنى ... بقُرْبك الودُّ والإشفاق والحَدَبُ
وكنتُ دونَ رجالٍ قد جعلتَهمُ ... دونى إذا ما رَأَونى مُقْبِلًا قطبُوا
إنْ يَسْمعوا الخَيْر يُخفوه وإن سَمِعوا ... شَرًّا أذاعوا وإن لم يَسْمعوا كَذَبوا
رأَوْا صُدودَك عنّى فى اللقاء فقد ... تحدَّثوا أنّ حَبْلى منك مُنقضِبُ

فأدناه الوليدُ وقرّبه وضَحك إليه، وعاد إلى ما كان عليه .

أجازه الوليد فى مدحه له

وقيل :

جلس الوليدُ بن يزيد يوماً فى مجلس له عامّ ، ودخل إليه أهلُ بيته ومواليه والشُّعراء وأَصحابُ الحوائج ، وكان أشرف يوم رُئى له . فقام بعضُ الشُّعراء فأنشد ،

(١) أربب : زد .
(٢) فى بعض الأصول : « وخافض » .
(٣) العرة : الجرب .
(٤) إل : عهد .

ثم قام طُرَيح ، وهو عن يسار الوليد ، وكان أهلُ بيته عن يمينه ، وأخواله عن شِماله وهو فيهم ، فأنشده :

أنت ابنُ مُسْلَنْطِحِ البِطاح ولم تُطْرِقْ عليك الحُنِىُّ[1] والوُلُجُ
طُوبَى لفَرْعَيْكَ مِن هُنا وهُنا طُوبى لأعراقك التى[2] تَشِج
لو قُلتَ للسَّيل دَعْ طريقَك والْـ مَوجُ عليـه كالهَضْب[3] يَعْتلج
لسَاخَ وارتدَّ أو لـكان له فى سائر الأرضِ عنك مُنعَرَج

فطرب الوليدُ بن يزيد حتى رُئى الارتياحُ منه ، وأمر له بخمسين ألف دِرهم ، وقال : ما أرى منكم أحداً يجيئنى اليومَ بمثل ما قال لى خالى ، ولا يُنشدنى أحدٌ شيئاً بعده . وأمر لسائر الشُّعراء بصلاتٍ ، وانصرفوا . واحتبس طُريحاً عنده، وأمر ابن عائشة فغنّى فى هذا الشِّعر .

بينه وبين المنصور فى مدحه للوليد

وقيل :

لما أفضت الخلافةُ إلى بنى العبَّاس وولى أبو جعفر المَنصور ، دَخل عليه طُريح فى الشُّعراء ، فقال : لا حيَّاكَ الله ولا بيَّاكَ ! أما اتَّقيتَ الله ! ويلك ! حيث تقول للوليد بن يزيد :

لو قلت للسيل .... البيتين

فقال طُريح : قد علم الله أنّى قلتُ ذلك ويدى ممدودة إليه عزّ وجل ، وإيّاه تبارك وتعالى عنيتُ . فقال المنصور : يا ربيع ، أما ترَى هذا التخلُّص !

(١) المسلنطح من البطاح : ما اتسع واستوى . وتطرق : تطبق وتضيق . والحنى : ما انخفض من الأرض . والولج : كل متسع من الوادى . أى لم تكن بين الحنى والولج فيخفى مكانك . يريد أنه ليس فى موضع خفى من الحسب .

(٢) تشج : تشتبك وتلتف . يريد أن أعراقه واشجة فى الكرم ، أى نابتة فيه ، وأنه كريم الأبوين .

(٣) يعتلج : يلتطم . يقول : أنت ملك هذا الأبطح والمطاع فيه ، فكل من تأمره يطيعك .

من جيد مدحه في الوليد

ومن جيِّد مَديح طُرَيح فى الوليد بن يزيد قصيدتُه التى يقول فيها :

لم أنْس سَلمى ولا لَياليَنا بالحَزْن إذ عَيْشُنا بها رَغَدُ
إذ نحن فى مَيْعة الشَّباب و إذ أيّامُنا تلك غَضَّةٌ جُدُد
فى عِيشةٍ كالْفِرِنْدِ عازبةِ الشِّقْوةِ خَضْراءَ غُصْنها(١) خَضَد
نُحْسَد فيها على النَّعيم وما يُولَع إلّا بالنِّعمة الحَسَد
أيّام سَلْمى غَريرَةٌ أُنُفٌ كأنها خُوطُ بانَةٍ(٢) رُؤُد
وَيْحى غداً إن غَدَا علىَّ بما أَكْره من لَوْعَةِ الفِراق غَد
قد كنتُ أبكى من الفِراق وَحيَّانا جميعاً ودارُنا(٣) صَدَد
فكيف صَبْرِى وقد تَجاوب بالْفُرْقة منها الغُرابُ والصُّرَد

يقول فيها من المديح :

أنت إمامُ الهُدى الّذى أَصلح اللّهُ به الناسَ بعد ما فَسدوا
لما أتى الناسَ أنّ مُلكَهمُ إليك قد صار أَمْرُه سَجدوا
واُستَبْشروا بالرِّضى تَباشُرَهم بالخُلْد لو قِيل إنكم خُلُد
وعَجَّ بالحَمْد أهلُ أرضك حتّى كاد يَهتزّ فرحةً أُحُد
رُزِقتَ من وُدّهم وطاعتهم ما لم يَجِدْه لوالدٍ وَلد

ومنها :

قد طَلَب الناسُ ما بلغتَ فما نالوا ولا قاربوا وقد جَهَدوا
يَرْفَعك الله بالتكرُّم والتّقوَى فتَعْلُو وأنت مُقْتصِد

(١) عازبة الشقوة : بعيدتها . وخضد : رطب .

(٢) غريرة : بلهاء . وأنف : عذراء . والخوط : الغصن . والرؤد : الغصن أرطب ما يكون وأرخصه .

(٣) صدد : بصددها وقبالتها .

حَسْبُ أمرىء من غِنًى تقرُّبُه   منك وإنْ لم يكُن[1] له سَبَد
فأنت حِرزٌ[2] لمن يخاف ولِلْـ   ـمَخْذُول أُودى نصيرُه عَضُد

ومنها :

قد صدَّق الله ما دِحِيك فما   فى قولهم فِريةٌ ولا فَنَد

هو وأبو ورقاء فى سفر

وحكى أبو وَرْقاء الحنفىّ قال :

خرجتُ من الكوفة أُريد بغداد ، فلما صرتُ بأول خان نزلتُه ، وَ بسط غلمانُنا وهيأوا غِداءهم ولم يجىء أحدٌ بعدُ ، إذ رمانا البابُ برجل فاره البِرْذون حَسن الهيئة . فصِحْتُ بالغلمان ، فأخذوا دابَّته ، فدفعها إليهم . ودعوتُ بالغداء ، فَبسط يَده غيرَ مُحتشِم . فجعلتَ لا أُكرمه بشىء إلّا قَبِله . ثم جاء غلمانُه بعد ساعة فى ثَقَل[3] سرىّ وهيئة حَسنة . فتناسَبْنا فإذا الرجلُ طُرَيح بن إسماعيل الثَّقفى . فلما اُرتحلنا اُرتحلنا فى قافلة غَنَّاء لا يُدرِك طَرفاها . فقال لى : ما حاجتُنا إلى زِحام هؤلاء ، وليستْ بنا إليهم وَحْشة ولا علينا خوف ، نتقدّمهم بيوم فيخلو لنا الطَّريق ونُصادف الخاناتِ فارغةً ونُودِع أنفسَنا إلى أن يُوافُوا . قال : قلت : ذلك لك . فأصبحنا من الغَد فنزَلْنا الخانَ ، فتغدَّينا و إلى جانبنا نهرٌ ظليل ، فقال : هل لك أن نَستنقع فيه ؟ فقلت له : شأنَك . فلما سَرَا[4] ثيابَه إذا ما بين عُصْعُصه إلى كُرْده[5] ذاهب ، وفى جنبيه أمثالُ الجرذان : فوقع فى نَفسى منه شرٌّ عظيم . فَنظر إلىّ وفَطِن ، فتبسّم ثم قال : قد رأيتُ ذُعرك مما رأيتَ ، وحديثُ هذا إذا

(١) السبد : الشعر . يقال : مال سبد ولا لبد ، أى ليس له شىء . وفى بعض أصول الأغانى : « سند » .
(٢) فى بعض أصول الأغانى : « أمن » مكان « حرز » .
(٣) الثقل : متاع المسافر وحشمه .
(٤) سرا ثيابه : ألقاها عنه .
(٥) الكرد : العنق . وقيل : أصله .

سِرْنا العشيةَ أذكره لك إن شاء الله . فلما ركبْنا قلتُ : الحديثَ . قال : نعم .
قدمتُ من عند الوليد بن يزيد بالدُّنيا ، وكَتب إلى يوسُف بن عمر فملأ
يدىَّ أصحابُه . فخرجت أُريد الطائف ، فلما امتدّ بى الطريقُ ، وليس يَصْحبنى
فيه خَلق، عَنّ لى أعرابىٌّ على بعير فحدّثنى ، فإذا هو حسنُ الحديثُ ، ورَوى الشّعر
فإذا هو راويةٌ ، وأنشدنى لنفسه فإذا هو شاعر . فقلت : من أين أقبلت ؟ فقال :
لا أدرى . قلتُ : فأين تُريد ؟ فذكر قصّةً يُخبر فيها أنه عاشقٌ لمُرَيئة قد أفسدت
عليه عقلَه ، وسَترها عنه أهلُها وخَلعه أهلُه . فإنما يستريح إلى الطريق يَنحدر مع
مُنحدريه ويُصعد مع مُصْعِديه . فقلت : وأين هى ؟ قال : غداً نَنزل بإزائها . فلما
نزلنا رأى جبلاً صغيراً عن يسار الطريق ، فقال لى : أترى ذلك الجبل ؟ قلت
أراه . قال : إنها فى مَسقطه . فأدْركتْنى أَريحيّة الشباب ، فقلت : أنا والله آتيها
برسالتك . فخرجتُ وأتيتُ الجبل ، وإذا بيتٌ حَريدٌ(١) وفيه امرأةٌ ظريفة جميلة ،
فذكرتُه لها ، فَزفرتْ زَفرةً كادت أضلاعُها تَسَّاقطُ ، ثم قالت : أوَحَىٌّ هو ؟
قلت : نعم ، تركتُه برَحْلى وراءَ هذا الجَبل ، ونحن بائتون ومُصبحون . فقالت :
يا أبى ، إنّ لك وجهاً يدُلّ على خير ، فهل لك فى الأجر ؟ فقلت : أنا والله فقير
إليه . قالتْ : فالْبس ثيابى ودَعْنى حتى آتيه ، وذلك مُغَيْربان الشّمس . قلت :
أفعلى . قالت : إنك إذا أظلمتَ أتاك زوجى فى هَجْمةٍ(٢) من إبله ، فإذا بركتْ
أتاك فقال : يا فاجرة ! يا هَنتاه(٣) ! فأوسعك سبًّا ، فأَوْسعه صَمْتاً . ثم يقول :
أقْمَعى(٤) سقاءك . فضَع القِمَع فى هذا السِّقاء حتى يُحْقَن(٥) فيه ، وإيّاك وهذا

(١) حريد . منعزل .
(٢) الهجمة من الابل : من الأربعين إلى ما زادت . أو ما بين السبعين إلى المائة .
(٣) ياهنتاه ، أى ياهذه . وقيل : يابلهاء .
(٤) قمع الإناء : إذا وضع القمع فى فه .
(٥) يحقن : يجتمع .

الآخَرَ فإنّه واهِى الأسفل . فجاء زوجُها وفعلتُ ما أمرتْنى ، ثم قال : أُقْعِى سقاءك . فحيَّننى[1] الله عزّ وجلّ ، فتركتُ الصَّحيح وقمتُ الواهى ، فما شعرتُ إلّا واللبنُ بين رجلَيْه ، فعَمد إلى قدٍّ مَربوع[2] فثناه باُثنين فصار على ثمانى قُوًى ، ثم جَعل لا يتّقى منّى رأساً ولا رِجْلاً ولا جَنْباً ، فخشيتُ أن يبدُوَ له وجهى فتكون الأُخرى ، فألزمتُ وجهى الأَرض ، فعَمل فى ظَهرى ما ترى .

---

(١) حينه الله : لم يوفقه للرشاد .

(٢) القد : السير من الجلد . ومربوع : ذو أربع قوى .

أخبار أبي سعيد

مولى فائد

هو أسمه إبراهيم . وفائدٌ هو مولى عمرو بن عثمان بن عفّان . وهو يعرف في الشعراء بأبن أبي سِنّة ، مولى بني أُمية . وفي المُغنّين بأبي سعيد مولى فائد . اسمه وولاؤه

وكان شاعراً مُجيداً . ومغنِّياً ناسكاً ، فاضلاً ، مقبولَ الشَّهادة بالمدينة معدَّلا . شيء عنه

عاش إلى خلافة الرَّشيد ، ولقِي إبراهيم بن المَهدىّ ، وإسحاق الموصلىّ . وله قصائدُ جِيادٌ في مَراثي بني أُمية الذين قَتلهم عبدُ الله ، وداوُد ، أُبنا علىّ أبن عبد الله بن العبّاس ، في أول الدولة العباسيّة .

وذُكر أن المهدى أستحضر أبا سعيد وأمره أن يُغنِّي له : هو والمهدى وقد أراده على الغناء

لقد طُفْتُ سَبعاً قلتُ لما قَضيتُها ... ألَا ليت هـذا لا علىَّ ولا ليَا

وقد كان أبو سعيد نَسك . فقال : أوَأُغنِّيك يا أمير المُؤمنين أحسنَ من هذا ؟ قال : أنت وذاك . فغنّاه من شعره بقوله :

إنّ هذا الطَّويلَ من آل حَفْصٍ ... نَشر المجد بعد ما كان ماتَا

وبَناه على أَســاسٍ وَثيق ... وعِمَادٍ قد أُثْبتتْ إثْبـاتا

مثلَ ماقـد بَنى له أوّلوه ... وكذا يُشْبه البُناةُ(1) البُناتا

فقال له المهدىّ : أحسنت يا أبا سعيد ! فغنّني « لقد طفت سبعاً » . فقال : أَوَأُغنّيك أحسن من هذا ؟ قال : أنت وذاك . فغنّاه :

---

(1) في التجريد : « النبات النباتا » وهي رواية بعض أصول الأغاني .

قِدم الطويلُ فأشرقتْ وٱستبشرتْ أرضُ الحجاز وبانَ فى الأَشْجارِ
إنّ الطَّويل من آل حَفْصٍ فاعلموا سادَ الحضورَ وساد فى الأسفار

فأَحسن فيه . فقال : غنِّنى : « لقد طفتُ سبعاً » . قال : أَوَ أُغنِّيك أحسنَ منه ؟ قال : أفْعل . فغنّاه :

أيّها السائلُ الذى يَخْبط الأرْ ضَ دَعِ النَّاسَ أَجمعين وَرَاكَا
وأْتِ هذا الطويلَ من آلِ حَفْصٍ إنْ تخوّفت عَيْـلةً[1] أو هَلاكا

فأحسن . فقال له : غنِّنى : « لقد طفت سبعاً » فقد أحسنت فيما غنّيت ، ولكنّا نُحبّ أن تُغنِّينا ما دَعوناك إليه . فقال : لاسبيلَ إلى ذلك يا أمير المُؤمنين، لأنى رأيتُ رسولَ الله صلّى الله عليه وسلّم فى مَنامى وفى يده شىء لا أدرى ما هو ، وقد رَفعه ليضربَنى ، وهو يقول : يا أبا سعيد ، لقد طفتُ سبعاً ! لقد طفت سبعاً ! لقد طفت سبعاً ! ما صنعتَ بأُمتى فى هذا الصوت ؟ قلت : بأبى وأُمى ، أغفر لى ، فو الذى بعثك بالحقّ ، وٱصطفاك بالنُّبوة ، لا غنَّيْتُ هذا الصوت أبداً . فردّ يده عنّى وقال : عفا الله عنك . ثم ٱنتبهت ، وما كنتُ لأُعطىَ رسولَ الله صلّى الله عليه وسلّم شيئاً فى منامى وأَرجعَ عنه فى يَقظَتى . فبكا المهدىُّ وقال : أحسنتَ يا أبا سعيد ! أحسن الله إليك ! لا تَعُد فى غِنائه . وحَباه ووصله .

شىء عن عبد الله المخزومى

والطويل المذكور فى هذه الأسفار هو عبد الله بن عبد الحميد المَخزومىّ . وكان ممدَّحاً . وهذا البيتُ الذى هو « لقد طفت سبعاً » من أبيات لأبى سعيد مولى فائد ، وهى :

يُسائلنى صَحْبى فما أَعقــل الذى يقُولون من ذِكْرِ لليـلَى ٱعترانِيَا
إذاجئتَ بابَ الشِّعْب شِعب ٱبنِ عامر فأَقْرىء غَزال الشِّعْب منِّى سلامِيا

---

(١) العيلة : الفقر .

وقل لغزال الشِّعب هل أنتَ نازلٌ بشِعْبك أم هل تُصبِح القلبَ ثاويا
لقد زادنى الُحجَّاجُ شَوْقاً إليكمُ وإنْ كنتُ قبل اليوم للحجّ قاليا
وما نظرتْ عينى إلى وَجه قادِمٍ من الحجّ إلّا بَلّ دَمْعِى ردائيا

سأله إبراهيم بن المهدى أن يغنيه فى المسجد

وحكى إبراهيمُ بن المهدىّ قال :

كنتُ بمكة فى المسجد الحرام ، وإذا شيخٌ قد طَلع ، وقد قَلب إحدى نعلَيْه على الأُخرى وقام يُصلِّى . فسألتُ عنه ، فقيل : هذا أبو سعيد مولى فائد . فقلتُ لبعض الغلمان : أحصِبوه . فَحصبه أحدُهم . فأقبل عليه وقال : ما يظُن أحدُكم إذا دخل المسجد إلا أنه له ! فقلتُ للغلام : قُل له : يقول لك مولاى : أبْلُغْنى . فقال ذلك له . فقال أبو سعيد : مَن مولاك ؟ حَفِظه الله ! قال : مولاى إبراهيم ابن المهدىّ ، فمن أنت ؟ قال : أبو سعيد مولى فائد ، وقام فجلس بين يدىّ، وقال : لا والله — بأبى أنت وأمى — ما عرفتُك ! فقلت : لا عليك ، أخبرنى عن هذا الصَّوت :

أَفاض المدامعَ قَتْلَى كُدًى وقَتْلَى بكُثْوة[1] لم تُرْمَسِ

فقال : هو لى . فقلتُ : وربِّ هذه البَنِيَّة لا تَبرح حتى تُغنِّيَه . فقال : وربِّ هذه البَنِيَّة لا تَبرح حتى تَسمعه . ثم قَلب إحدى نعليه ، وأخذ بِعقب الأُخرى ، وجعل يَقرع بحرفها على الأُخرى ويُغنّيه ، حتى أتى عليه . فأخذتُه منه . وهذا البيتُ من شعر لعبد الله العَبْلى يرثى بنى أُمية ، وهو :

أَفاض المَدامِعَ قَتْلى كُدًى وقَتْلى بكُثْوة لم تُرْمَسِ
وقَتْلَى بوَجٍّ وباللّابتَيْـ ـنِ من يَثْرِبٍ[2] خيرُ ما أَنْفُس

(١) كدى، وكثوة : موضعان .
(٢) وج : واد بالطائف . واللابتان : حرتان تكتنفان المدينة .

وبالزّابيين نفوسٌ ثَوت — وأُخْرى بنهر[1] أبى فُطْرس
أولئك قومى أناختْ بهم — نوائبُ من زَمنٍ مُتْعِس
إذا رَكبوا زيّنوا الموكِبَيْن — وإن جلسوا الزّينُ فى المَجْلس

ومنها: تقول أُمامةُ لمّا رأتْ — نُشوزِى عن المَضجع الأَنفَس
وقِلّةَ نَوْمى على مَضْجعى — لدى هَجْعَة الأَعْيُن النُّعَّس
أَبِى، ماعَراك؟ فقلتُ الهُموم — عرَيْنَ[2] أباكِ فلا[3] تَيْأَسى
عَرَيْن أباكِ فحبَّسْنه — من الذُّلِّ فى شَرّ ما مَحْبِس
لِفَقْدِ الأَحبَّة إذ نالها — سِهامٌ من الحَدَث المُبْئِس
رمتْها المَنُون بلا نُكّلٍ — ولا طائشاتٍ ولا نُكَّس
بأسْهُمها المُتْلفاتِ النُّفوسِ — متى ما تُصب مُهجةً تَخْلِس
فصرّعْنهم فى نواحى البلاد — مُلقًّى بأرضٍ ولم[4] يُرْسَس
تقىٌّ أُصيب وأثوابُه — من العَيبِ والعارِ لم تَدْنَس
وآخرُ قد دُسّ فى حُفرة — وآخر قد طار لم يُحْسَس
إذا عنّ ذِكرُهُم لم ينَم — أبوكِ وأَوْحش فى المَجْلس
فذاكِ الذى غَالنى فاعْلمى — ولا تَسألى بأمرىءٍ مُتْعَس
همُ أَضرعونى لرَيْب الزّمان — وهُمْ أَلْصقوا الرَّغْم[5] بالمَعْطِس

ثم استطرد أبوالفرج بذكر قَتلى بنى أُمية، فذكره، وأُقدِّم عليه مقدِّمةً تفهِم ما ذكره من الأخبار والأشعار.

(١) الزابيان: الأعلى، والأسفل. والأول بين الموصل وإربل، وفيه كانت وقعة بين مروان الحمار وبنى العباس. والثانى بينه وبين الأعلى مسيرة يومين أو ثلاثة، وفيه كان مقتل عبيد الله بن زياد. وأبو فطرس: نهر قرب الرملة من فلسطين، وبه كانت الوقعة بين عبد الله بن على بن عبد الله بن العباس وبين بنى أمية سنة ١٣٢ هـ.

(٢) فى بعض الأصول: «عرون» وهما بمعنى.

(٣) فى بعض الأصول: «فلا تبلسى» أى لا تحزنى.

(٤) الرس: الدفن. (٥) الرغم، مثلثة الراء: التراب. والمعطس: الأنف.

خبر مقتل بنى أُميَّة

تمهيد لابن واصل فى العداوة بين عبد شمس وهاشم

اُتفق أصحاب الأخبار على أن عَبد شمس بن عَبد مناف بن قُصى كان أخا هاشم ابن عَبد مناف ، جدّ النبىّ صلّى الله عليه وسلّم لأبيه وأُمه . وذُكر أنهما كانا توأمين ، وأنهما خَرجا ملتصقَيْن ، ففُصل بينهما فجرى منهما دَمٌ ، فتُطيِّر من ذلك ، وقيل : إنه يكون بين الأخوَين دَمٌ ، فكان كذلك . فكان أُمية بن عبد شمس ينافس اُبن عمّه عبد المطلب بن هاشم ويَحْسُد مكانته . وكان عبد المطلب أجلّ وأعظم . ولما جاء الإسلامُ و بُعث النبىّ صلّى الله عليه وسلّم محمد بن عبد الله بن عبد المُطلب بن هاشم ، كان أشدَّ البطون عداوة له بنو عبد شمس . كان منهم عُتبة ، وشَيبة ، والوليد ، صناديد الكُفْر ؛ وأبو سُفيان بن حَرب قائد قريش . ومَنَّ الله سبحانه على جَماعةٍ منهم بالإسلام والسَّبْق والهجرة ، وهم عثمان ، وأبو حُذيفة ابن عُتبة ، وخالد بن سعيد ، رضى الله عنهم . ثم أظهر الله رسولَه وفَتح له مكةَ وأسلم أبو سفيان ومن بقى من أهل مكة . ثم تُوفى رسولُ الله صلّى الله عليه وسلم ووَلى بعده الخلفاء الرّاشدون ، وقَمع الله بهم إحَن الجاهلية . فلما اُنقضت أيامُ الخلفاء الراشدين وصارتْ الخلافةُ إلى بنى أُمية أظهروا عداوةَ بنى هاشم و إبعادهم ، وأكَّد ذلك فى نُفوسهم خوفُهم أن يَسْلبوهم مُلْكهم ، إذ كان الناس إلى بنى هاشم أميلَ . فقُتل فى أيامهم الحسين بن على رضى الله عنهما ، وجماعة من أهل بيته بكَرْبلاء ، ثم قُتل يزيد بن علىّ بن الحسين بالكوفة وصُلب بها واُحرق ، ثم قتل اُبنه يحيى بن يزيد بخُراسان . فقويت بسبب ذلك الإحَن بين البيتَيْن وصارت لبنى العبّاس شيعةٌ بخُراسان ، واُضطرب فى آخر الأمر مُلك بنى أُمية

ووقعت الفتن بينهم ، فقويتْ شِيعةُ بنى هاشم بخُراسان وظهر بها أبو مسلم صاحبُ الدعوة ، واُستولى على خُراسان وعظُمت جنودُه وجعلوا شعارهم السوادَ . ثم قصدتْ المُسوّدةُ العراقَ و بايعوا بالخلافة السفّاح أبا العبّاس عبد الله بن محمد بن علىّ بن عبد الله بن العبّاس ، وكان هو وأهل بيته مُقيمين بالشام بقَرْية يقال لها الُحميمة . وكان صاحبَ الأمر الذى الدّعوة له أخوه إبراهيم الإمام . فظَفر به مروان بن محمد الحِمار ، وهو آخر خلفاء بنىأمية ، وحَبسه بحرّان ثم قتله فى الحَبس . ولما قُبض على إبراهيم أوصى إلى أخيه أبى العبّاس . ولما بويع أبو العباس بَعث عمّه عبد الله بن علىّ فى الجُنود لقتال مَروان الحمار ، فالتقَوا بزاب المَوْصل . فاُنهزم مروان هَزيمةً قبيحة ، وأُتبعته الجُيوش . فقَصد دمشق ثم مِصر .

مقتل مروان الحمار

قال أبو الفرج : فأتبعه عبد الله بن علىّ بقائد من قُوّاد خُراسان ، يقال له : عامر أبو إسماعيل ، فلحقه بقَرية من قُرى مِصْر يقال لها : بُوصِير . فقَتله يوم الأحد لثلاث بَقين من ذى الحجّة سنة اُثنتين وثلاثين ومائة . ووجه برأسه إلى عبد الله اُبن علىّ ، فأنفذه إلى أبى العبّاس السفّاح . فلما وُضع الرأسُ بين يديه خَرَّ ساجداً وقال : الحمد لله الذى أظهرنى عليك وأظفرنى بك ، ولم يُبْقِ ثأرى قِبلَك وقِبلَ رَهْطك أعداء الدِّين . وتمثّل بقول ذى الإصبع العَدْوانىّ :

لو يَشْربون دَمِى لم يُرْوِ شاربَهم ولا دِماؤُهمُ للغَيظ تُرْوِينِى

عبد الله بن على وابن مسلمة فى الحرب

وقيل :

نظر عبدُ الله بن علىّ بن عبد الله بن العبّاس إلى فتًى عليه أُبّهة الشَّرف وهو يُقاتل مُستقتلاً[1] ، فناداه : يا فتى ، لك الأمان ولو كنتَ مروان بن محمد . فقال : إلّا أكُنْه فلستُ بدونه . قال : فلك الأَمان ولو كُنتَ مَن كنت . فأطرق ثم قال :

(١) فى بعض أصول الأغانى : « مستنتلا » والمستنتل : الخارج عن الصف .

أذُلَّ الحياة وكُرْهَ الممات وكُلًّا أراه طعاماً وَبيلَا
فإنْ لم يكُنْ غيرُ إحداهما فَسيْراً إلى الموت سيراً جَميلا

ثم قاتل حتى قُتل، فإذا هو ابنٌ لَمسلمة بن عبد الملك بن مَروان.

شعر سديف يغرى العباس ببنى أمية

وقيل:

جلس أبو العبّاس بن السفّاح يوماً على سريره، وبنو هاشم دونه على الكراسىّ، وبنو أُمية على الوسائد قد ثُنيت لهم. وكانوا فى أيام دولتهم يَجلسون هم والخليفةُ منهم على السَّرير، ويجلس بنو هاشم على الكراسىّ. فدخل الحاجبُ فقال: يا أمير المُؤمنين، بالباب رجل حجازىّ أسود راكبٌ على نَجيب متلثِّمٌ يستأذن ولا يُخْبر باُسمه، وحَلف ألَّا يحْسِر اللِّثام عن وَجهه حتى يراك. فقال: هذا مولاى سُدَيف، يدخُل. فدَخل. فلمّا نظر إلى العبّاس وبنو أُمية حوالَيه، حَدَر اللِّثام عن وَجهه وأنشأ يقول:

أَصبح المُلك ثابتَ الأساس بالبَهاليل[1] من بنى العبّاس
بالصُّدور المُقدَّمين قَديماً والرُّءوس القَماقم[2] الرُّؤَّاس
يا أَمير المُطَّهرين من الذَّ مِّ ويارأس مُنتَهى كُلِّ راس
أنتَ مهدىُّ هاشمٍ وهُداها كم أُناسٍ رجَوْك بعد أُناس
لا تُقيلنَّ عبد شَمْس عِثَاراً واُقطَعن كُلَّ رَقْلة[3] وغِراس
أَنزِلوها بحيثُ أنزلها اللَّــه بدار الهَوانِ والإتْعاس
خَوفُها أظهر التَّودُّد منها وبها منكمُ كَحزِّ المَوَاسى
أَقْصِهم أيُّها الخليفةُ واُحسِم عنك بالسَّيف شأفةَ الأَرْجاس

(١) البهاليل: جمع بهلول، وهو العزيز.
(٢) القماقم، بالضم: السيد الكثير الخير الواسع الفضل.
(٣) الرقلة: النخلة الطويلة.

وَاذْكُرن مَصْرعَ الحسين وزَيدٍ وقَتيلٍ بجانب[١] المِهْرَاس

والإمامَ[٢] الذى بحرَّان أمسى رَهْنَ قَبرٍ فى غُربةٍ وتَنَاسى

فلقد ساءنى وساء سَوائى قُرْبهم من نَمارقٍ وكَراسِى

نِعْمَ كَلْبُ الهِرَاشِ مَولاكَ لَوْلا أَوَدٌ[٣] مِن حَبائل الإفْلاس

فتغيّر لون أبى العبّاس وأخذه الزَّمع والرِّعدة ، والتفت بعضُ ولد سُليمان ابن عبد الملك إلى رجل منهم كان إلى جَنبه فقال : قَتلنا والله العبدُ ! ثم أَقبل أبو العبّاس عليهم وقال : يا بَنى الفَواعل ! أَرى قتلاكم من أهلى قد سَلفوا وأنتم أحياء تتلذّذون فى الدُّنيا ! خُذوهم . فأخذتْهم الخراسانيّة بالكافر كوبات[٤] فأهمدوهم ، إلا ما كان من عبد العزيز بن عُمر بن عبد العزيز ، فإنه استجار بداودَ بن علىّ وقال له : إن أبى لم يكُن كآبائهم ، وقد علمتَ صنيعَه إليكم . فأجاره واستوهبه من السفّاح وقال : قد علمتَ يا أمير المؤمنين صَنيع أبيه إلينا . فوَهبه له وقال : لا تُرينى وجهَه وليكن بحيث نأمنه . ثم كتب إلى عُمّاله بالنواحى بقَتل بنى أُمية .

السفاح بعد قتله بنى أمية

وقيل :

إن السفّاح أمر بالغَداء حين أمر بقتل بنى أُمية ، وأمر ببساطٍ فبُسط عليهم ، وجَلس فوقه يأكل وهم يَضْطربون تحته . فلما أكل قال : ما أعلمنى أكلتُ أكلة قطُّ كانت أهنأ ولا أطيب فى نفسى منها . فلما فرَغ من الأكل قال : جُرّوا بأرْجلهم وألقوهم فى الطريق ليلعَنَهم الناس أمواتاً كما لَعنوهم أحياء . قال[٥] :

(١) الهراش : ماء بأحد . ويريد بالقتيل : حمزة بن عبد المطلب ، قتل يوم أحد .
(٢) الإمام ، هو إبراهيم ، رأس الدعوة العباسية ، قتله مروان بن محمد .
(٣) الأود : الكد والجهد .
(٤) الكافر كوبات : آلات كالعمد يضرب بها . فارسية .
(٥) المتحدث من إليه أسند الخبر ، وهو المعيطى ، كما ذكر أبو الفرج .

فرأيتُ الكلاب تجرُّ بأرجلهم وعليهم سراويلاتُ الوَشى حتى أنْتنوا ، ثم حُفرت لهم حفائر فأُلقوا فيها .

لسديف يحرض السفاح

وذُكر أن سُدَيفاً مولى بنى هاشم أنشد السفّاح ، وعنده جماعة من بنى أُمية :

يا بن عَمّ النبىّ أنت ضياء | أَسْتبِنّا بك اليَقين الجليّا
لا يَغُرَّنْكَ ما تَرى من رجالٍ | إنّ تحت الضُّلوع داء دويّا
جَرِّد السَّيفَ وارفع العَفْو حتَّى | لا ترَى فوق ظَهرها أُمويّا
بَطن البُغْضُ فى القَديم وأضحى | ثابتاً[1] فى قُلوبهم مَطْويّا

وهى قصيدة طويلة . فقال : يا سُديف ، خُلق الإنسان من عَجل . ثم قال السفّاح مُتمثّلا :

أَحيا الضغائنَ آباء لنا سَلَفوا | فلن تَبِيد وللآباء أبناء

ثم أَمر بمَن عنده فقُتلوا .

قتل سليمان بن على لجماعة من الأمويين

وقيل :

حضر جماعةٌ من بنى أُمية عند سُليمان بن علىّ بن عبد الله بن العبّاس ، وعليهم الثّياب الموشّاة المُرتفعة ، فأمر بهم فقُتلوا .

قال الرّاوى : فكأنى أنظر إلى أحدهم وقد أسودّ عارضاه من الغالية[2] . ثم جُر بأرجلهم وأُلقوا على الطريق ، وإنَّ عليه لسَراويلاتِ الوشْى وإنَّ الكلاب لتجرّ بأرجلهم .

وفود عمرو بن معاوية على سليمان

وحكى المُبارك قال :

جاءنى رسولُ عمرو بن مُعاوية بن عمرو بن عُتبة بن أبى سُفيان ، فقال :

(١) فى الأصل : « ثاويا » .
(٢) الغالية : ضرب من الطيب .

يقول لك عمرو : قد جاءت هذه الدولةُ وأنت حديثُ السِّنّ كثيرُ العيال مُنتشر الأموال ، فما أكون فى قَبيلة إلّا شُهِر أمرى وعُرفتُ ، وقد عزمتُ على أن أَفدى حُرَمى بنفسى ، وأنا صائر إلى باب الأمير سُليمان بن علىّ ، فصِرْ إلىّ . فوافيتُه ، فإذا عليه طَيْلسان أبيض مُطْبَق وسَراويل وَشْىٍ مَسدول ، فقلت : سبحان الله ! ما تَصنع الحداثةُ بأهلها ! أبهذا اللّباس تَلقى هؤلاء القوم لِمَا تُريد لقاءهم فيه ! قال : لا والله ، ولكنّه ليس عندى ثَوب إلا أشهر مما ترى . فأعطيتُه طَيْلسانى وأخذتُ طيلسانه ، ولويتُ سَراويله إلى رُكبته . فدخل إلى الأمير ثم خَرج مسروراً . فقلت له : حدِّثنى ما جرى بينك و بين الأمير . قال : دخلت عليه ولم يَرنى قطُّ ، فقلت : أصلح الله الأمير ، لفَظَتْنى إليك البلاد ، ودلّنى عليك فضلُك ، فإما قتلتَنى غانماً ، و إما ردَدْتنى سالماً . قال : ومَن أنت ؟ ما أعرفك . فاُنتسبتُ له . فقال : مرحباً بك ، اُقعُد فتكلَّم غانماً . ثم أقبل علىّ فقال : ما حاجتُك يابن أخى ؟ قلت : إن الحُرَم اللّواتى أنت أقربُ الناس إليهن معنا ، وأولى الناس بهنّ بعدنا ، قد خِفْن بخَوْفنا ، ومن خاف خِيف عليه . فوالله ما أجابنى إلّا بدُموعه على خَدَّيه . ثم قال لى : يا بن أخى ، يَحقُن اللهُ دَمَك ، و يَحفظك فى حُرمك ، و يُوفِّر عليك مالَك ، ووالله لو أَمكننى ذلك فى جميع قومك لفعلتُ ، فكن متوارياً كظاهر ، وآمناً كخائف ، ولتأتنى رقاعُك . قال : فكنتُ والله أكتُب إليه كما يكتب الرجلُ إلى أبيه وعمّه . فلما فرغ من الحديث رددتُ عليه طَيْلسانَه . فقال : مَهْ ! إنّ شأننا إذا فارقتْنا ثيابُنا ألّا تَرْجِع إلينا .

من شعر سديف فى تحريض السفاح

ومن شعر سُديف الذى فيه يُحرِّض السفّاح على قتل بنى أُمية :

كيف بالعَفو عنهمُ وقديماً قَتلوكم وهتّكوا الحُرُماتِ
أين زَيدٌ وأين يحيى بن زَيد يا لهَا من مُصيبةٍ وتِرات
والإمامُ الذى أُصيب بحَرّا ن إمامُ الهُدى ورأسُ الثِّقات

قتلوا آل أحمـــدٍ لا عفا اللـــه لمَرْوانَ غابرَ[(١)] السَّيئـات

لرجل من الشيعة فى مثله

وقال رجل من شيعة بنى العبَّاس يحرِّضهم على قتل بنى أُمية :

إيَّاكُمُ أنْ تَلِينوا لاعتذارهمُ ... فَليس ذلك إلا الخوفُ والطَّمَعُ

لو أنّهم أمِنوا أبدَوْا عَـداوتَهم ... لـكنّهم قُمِعوا بالذُّل فانْقمعوا

أليس فى ألف شهرٍ قد مضت لهمُ ... سقَوكمُ جُرعاً من بعـدها جُرَع

حتى إذا ما انْقضت أيامُ دولتهم ... مَتُّوا إليكمْ بالأرحام التى قَطعوا

هيهات لا بُدّ أن يُسْقَوْا بكأْسِهمُ ... رَيّاوأن يَحْصُد الزُّرَّاع[(٢)] مازَرعوا

إنّا و إخوانَنا الأنصارَ شيعتُـكم ... إذا تَفرَّقت الأهواء والشِّـيَع

---

(١) فى بعض أصول الأغانى «سافر» مكان «غابر» والبيت يروى:

قتلوا آل أحمد لا عفا الذ * ب لمروان غافر السيئات

(٢) فى بعض أصول الأغانى : «الزرع الذى زرعوا» .

خبر حُميد بن ثور

نسبه

هو حُميد بن ثور بن عبد بن عامر بن أبى ربيعة بن نَهِيك بن هِلال بن عامر ابن صَعْصَعة بن مُعاوية بن بَكر بن هَوازن بن مَنْصور بن عِكْرِمة بن خَصَفة ابن قَيْس بن عَيْلان بن مُضَر بن نِزار .

مخضرم

وهو شاعر من شُعراء الإسلام ، وقد أدرك الجاهليّة .

شعره بعد نهى عمر عن النسيب

وذُكر أنه تقدّم عمرُ بن الخطّاب رضى الله عنه فى الشُّعراء ألّا يَنْسُبَ[1] رجلٌ بامرأة إلا جُلد . فقال حُميد بن ثور :

أبَى اللهُ إلّا أنّ سَرْحةَ مالكٍ ... على كُلّ أفنانِ العِضَاهِ[2] تَرُوقُ

وقد ذَهبتْ عَرضاً وما فوق طُولها ... من السَّرحِ إلّا عَشّةٌ[3] وسَحوق

فلا الظِّلُّ مِنْ بَرْدِ الضُّحَى تَسْتطِيعُه ... ولا الفَيْءُ[4] من بَرْد العَشِيّ تَذُوق

وهل أنا إنْ عَلَّلتُ نَفسى بسَرْحةٍ ... مِن السَّرح موجودٌ[5] علىَّ طَريق

وهى قصيدةٌ طويلة ، أولها :

نَأتْ أُم عمرٍو فالفُؤاد مَشُوقُ ... يَحِنّ إليها والهًا ويَتُوق

وفوده على بعض الخلفاء

وقيل :

وفد حُميد بن ثَور على بعض خُلفاء بنى أُمية ، فقال له : ما جاء بك ؟ فقال :

---

(١) فى بعض أصول الأغانى : « يشبب » .

(٢) السرحة : الشجرة الطويلة ، يكنى بها عن المرأة . والعضاه : أعظم الشجر ؛ الواحدة : عضاهة . وتروق : تزيد عليها بحسنها .

(٣) العشة : القليلة الأغصان والورق . والسحوق : المفرطة فى الطول .

(٤) الظل : من أول النهار إلى الزوال . والفىء : من بعد الزوال إلى الليل .

(٥) ويروى : « مأخوذ على » و « مسدود على » .

أتاكَ بِيَ اللهُ الذى فوق مَن ْترى ... وخيرٌ ومَعروفٌ إليك دَليـــلُ

ومَطْويةُ الأقْراب أمّا نهـــارها ... فنَصٌّ وأمَّا ليلُها[1] فذَميــل

ويَطْوى علىَّ الليـــلُ حِضْنَيْه إننى ... لذاكَ إذا هاب الرِّجالُ فَعُول

فوصلَه وصَرَفه شاكراً .

---

(١) الأقراب : جمع قرب ، وهو الخاصرة . وللفرس قربان ، ولكنهم يجمعون . يريد وصـــفها بالضمور . والنص : أقصى الســـير . والذميل : السير اللين . والذى فى التجريد : « فرقل » مكان « فنص » .

أخبار فُليح بن العَوْراء

ولاؤه

هو من أهل مكة . مولًى لبنى مَخزوم .

قال أبو الفَرَج : ولم يَقع إلينا اسمُ أبيه .

محله فى الغنـاء

وهو أحدُ المغنِّين فى الدَّولة العباسيَّة ، وله مَحلٌّ كبير من صِناعته ، وموضع جَليل .

منزلته عند المهدى

وحَـكى الفضلُ بنُ الرَّبيع قال :

كان المهـدىُّ يَسْمع المُغنِّين جميعاً ، و يحضُرون مجلسَه ، و يتغنَّوْن من وراء السِّـتارة ، إلّا فُلَيح بن العَوْراء ، فإن عبـد الله بن مُصعب الزُّبيرىّ كان يُرَوِّيه شِعرَه فى مدائحه للمهـدىّ ليُغنِّيه فيـه . فدسّ فى أضعافها بيتَين يسأله فيهما أن يُنادمه ، وسأل فُليحاً أن يغنِّيهما فى أضعاف أغانيه ، وهما :

يا أمينَ الإلٰه فى الشَّرق والغَر ... بِ على الخَلْقِ وابْنَ عمِّ الرَّسولِ

مجلساً بالعَشىِّ عنـدك فى المَيْـ ... ـدانِ أبْغِى والإِذْنَ لى فى الوُصُول

فغنّاه فُليح إيّاهما . فقال المهـدى : يا فَضل ، أَجِبْ عبـد الله إلى ما سأل . وأَحضِرْه مَجلِسِى إذا حَضره أهلى ومَوالىَّ وجلستُ لهم ، وزِدْه على ذلكَ أن ترفع بينى و بين روايته فُليح الستارةُ . فـكان فُليح أولَ مُغنٍّ عايَن وجهه فى مجلسهم .

صلته بمحمد بن سليمان

وحكى بعضهم قال :

دَعانى محمد بن سُليمان بن علىّ ، فقال لى : قد قَدِم فُليح بن العوراء من الحجاز ونَزَل عند مسجد ابن رَغْبان[1] فصِرْ إليه ، وأَعْلمـه أنّه إن جاءنى قبل أن يدخُل

(١) فى غربى بغداد . والذى فى التجريد : « ابن عتاب » تحريف .

على الرّشيد خلعتُ عليه خِلْعةً سنيّةً من ثيابي ، ووهبتُ له خمسة آلاف درهم . فمضيتُ إليه فخبّرته بذلك . فأجابني إجابةَ مسرور به نشيط له ، وخرج معي . فعَدل إلى حمّام كان بقُرْبه ، فدعا القَيِّم وأعطاه درهمين وسأله أن يجيئه بشيء يأكله ، وبنَبيذٍ يشربه . فجاءه برأس كأنه رأسُ عِجل ، وبنَبيذ دُوشابيّ[1] غَليظ رديء . فقلت : لا تفعل . وجَهَدتُ به ألا يأكل ولا يشرب إلّا عند محمّد بن سليمان . فلم يلتفتْ إليّ ، وأكل من ذلك الرأس وشرب من النَّبيذ الغَليظ ، حتى طابتْ نفسُه وغنَّى ، وغنَّى القيمُ معه مليًّا ، ثم خاطب القَيِّمَ بما أغضبه ، وتلاحيا وتواثبا ، فأخذ القيِّمُ شيئاً فضَرب به رأسه فشجَّه حتى جرى دمُه . فلما رأى الدمَ على وجهه اضطرب وجَزِع . ثم قام وغَسل وجهه وجُرحه وعالجه بصُوفةٍ مُحرقةٍ وزَيت ، وعَصبه وتعمَّم وقام معي . فلما دخلنا دارَ محمد بن سُليمان ، ورأى الفُرُشَ والآلة، وحضر الطعامُ فرأى سَرْوَه[2] وطِيبه، ورأى النبيذَ ، ومُدّت الستائر وغنّت الجواري ، أقبل عليَّ وقال : يا مجنون ، سألتك بالله : أيّما أحقُّ وأولى بالعَرْبدة : مجلس القيِّم أو مجلس الأمير ؟ فقلت : وكأنه لا بدّ من عَربدة ! قال : لا والله ، مالي منها بُد، فأخرجتُها من رأسي هناك . فقلت: أمّا على هذا الشرط فالذي فعلتَ أحوطُ . فسألني محمد عمّا كنّافيه، فأخبرتُه . فضَحك ضحكاً عالياً وقال : هذا الحديثُ والله أظرف وأطيبُ من غنائه . وخلع ثيابه عليه[3] ، وأعطاه خمسة آلاف دِرهم .

هو وفتى عاشق

وحَكى فُليح قال :

كان بالمدينة فتًى يَعْشق ابنة عمٍّ له ، فوعدتْه أنها تزوره ، وشكا إليّ أنها تأتيه ولا شيء عنده . فأعطيتُه ديناراً للنفَقة . فلما زارتْه قالت له : من يُلهِّينا ؟ قال : صديق لي ، ووَصفني لها ، ودعاني فأتيتُه . فكان أول ما غنَّيته :

(١) دوشابي : نسبة إلى دوشاب ، وهو نبيذ التمر . فارسي معرب .

(٢) سروه ، أي جودته وكثرته . والذي في بعض أصول الأغاني : «سروره» .

(٣) في بعض أصول الأغاني : « وخلع عليه » .

مِنَ الخَفِراتِ لم تَفْضح أخاها ولم ترْفع لوالدها [١] شَـنارَا

فقامتْ إلى ثوبها فلبستْه لتنصرفَ . فتعلَّق بها وجهد كُل الجَهد فى أن تُقيم . فلم تَفْعل ، وانصرفت . وأقبـل علىّ يلومنى فى أن غنَّيتُها ذلك الصوت . فقلت : والله ما هو شىءٌ اعتمدتُ به مساءتك ، ولـكنّه شىء اتّفق . قال : فلم نَبرح حتى عاد رسولُها ومعــه صُرَّة فيها ألفُ دينار فَدفعها إلى الفَتى وقال : تقول لك ابنــةُ عمّك : هذا مَهْرى فادْفعه إلى أبى واخطُبنى . ففعل وتزوَّجها .

والشعر لسُليك بن السُّلَـكة السَّعدىّ :

كأنّ مجامع الأرداف منها نَقًا درجتْ عليه الرِّيحُ [٢] هارَا

يعافُ وِصالَ ذاتِ البَـذْل قَلْبى وأتّبع المُنَّعَـــة [٣] النَّوارا

(١) الخفرات : الشديدة الحياء . والشنار : العيب والعار .
(٢) النقا : الكثيب من الرمل . وهار : سقط وتهدم .
(٣) النوار : المرأة النفور من الريبة .

أخبار ابن هَرْمة

نسبه

هو إبراهيمُ بن عليّ بن سَلَمة بن عامر بن هَرْمة بن الهُذَيل بن الرَّبيع بن عامر بن صُبَيح بن كِنانة بن عدىّ بن قَيْس بن الحارث بن فِهر . وإلى فِهر يَنتهى نَسب قُريش . وقيل إنهم ينتهون إلى النَّضْر بن كِنانة .

وولدُ قيس بن الحارث يقال لهم : الُخلُج . وكانوا فى عَدْوان، ثم انتقلوا عنهم إلى بنى نَصْر بن مُعاوية بن بكر بن هَوازن . فلما أفضت الخلافةُ إلى عمر بن الخطّاب رضى الله عنه أتَوْه ليفرِض لهم ، فأنكر نَسبهم . فلما استُخلف عثمان بن عَفّان رضى الله عنه أتوه فأثْبتهم فى بنى الحارث بن فِهر ، وجعل لهم ديواناً . وإنما سُمُّوا الخُلُج لأنهم اختلجوا ممن كان معهم من عَدوان ومن بنى نَصر بن مُعاوية . وأهلُ المدينة يقولون : إنما سُمّوا الخُلج ، لأنهم نزلوا بالمدينة على خُلج فسمُّوا بذلك . ولهم بالمدينة عَدَد .

عتابه بنى الحارث

وقيل : نَفَى بنو الحارث بن فِهرٍ نسبَ ابن هَرمة ، فقال :

أحارِ بنَ فِهْرٍ كيف تَطَّرِحوننى ... وجاء العِدامِن غيركم تَبتغى نَصْرِى

فصار من وَلد فِهْر فى ساعته .

وصفه نفسه باللؤم

وكان ابنُ هَرْمة دعيًّا فى الخُلج ، والخُلج أدعياء فى قُريش . وكان ابنُ هَرْمة يقول : ألأم العربِ دعىّ أدعياء ! و يعنى نفسه .

حديثه مع أسمى

وحكى عبدُ الله بن أبى عُبيدة قال :

زرتُ عبد الله بنَ حسن ببادیته ، وزاره ابنُ هَرمة ، فجاء رجلٌ من أسلم ، فقال ابنُ هرمة لعبد الله بن حسن : أَصلحك الله ! سَل الأسْلمىّ أن يأذن لى

أن أُخبركَ خَبرى وخَبره . فقال له عبدُ الله بن حسن : إيذن له . فأذن له الأسلمىُّ . فقـال إبراهيمُ بن هَرمة : إنِّى خرجتُ — أصلحك الله — أبغى ذَوداً [١] لى ، فأوحشتُ [٢] ، وضِفتُ هذا الأسلمىَّ ، فذبح لى شاةً وخَبز لى خُبزاً وأكرمنى . ثم غدوتُ من عنده ، فأقمت ما شاء الله . ثم خرجتُ أيضاً فى طلب ذَوْدٍ لى ، فأوحشتُ وقلتُ : لو ضفتُ الأسلمىَّ ؟ فملتُ إليه . فجاءنى بلبن وتَمر . ثم خرجتُ بعد ذلك فقلت: لو ضفتُ الأسلمىَّ؟ فاللّبن والتَّمر خيرٌ من الطَّوى. فضِفتُه، فجاءنى بلبن حامض . فقال الأسـلمىُّ : قد أجبتَه — أصلحك الله — إلى ما سأل ، فسَلْه أن يأْذن لى أن أُخبرك لم فعلتُ . فقـال : إيذن له . فأذن له . فقال الأسلمى : ضافنى فسألتُـه من هو ؟ فقال : رجل من قُريش . فذبحتُ له الشاة التى ذكرها . والله لو كان لى غيرُها لذبحتُها له حين ذكر أنه من قُريش . ثم غَدا من عنـدى وغدا علىَّ الحىُّ ، فقالوا : مَن كان ضيفَك البارحةَ ؟ فقلت : رجل من قُريش . فقالوا : ليس هذا من قُريش ، ولـكنه دعيٌّ فيها . ثم ضافنى الثانيةَ على أنّه دعىٌّ فى قُريش ، فجئتُه بلبن وتمر وقلت : دعيُّ قريش خيرٌ من غيره . ثم غدا من عنـدى وغدا الحىُّ علىَّ فقالوا : من كان ضيفَك البارحةَ ؟ فقلت : الرجلُ الذى زَعمتُم أنه دعىٌّ فى قريش . فقالوا : لا والله ما هو دَعىٌّ فى قُريش ، ولـكنه دعىُّ أدعياء قُريش . ثم جاءنى الثالثة، فقريتُه لبناً حامضاً . ووالله لو كان شرٌّ منه عندى لقريتُه إياه . فانخذل ابنُ هَرمة ، وضَحك عبد الله وضَحِكنا معه .

لم يرض من المنصور إلا إباحة الشرب له

وكان ابنُ هرمة مُخضرم الدَّولتين ، وهو أحد الشُّعراء الفحول المُجيـدين ، وكان مُدْمِناً للشراب ، وامتدح أبا جعفر المنصور فوصله بعشرة آلاف دِرهم . فقال : لا تَقع هذه منِّى موقعاً . فقال : ويحك ! إنها كثيرة . فقال : إن أردتَ أن تهْنِئَنى

(١) الذود من الإبل : من الثلاث إلى التسع . وقيـل : مابين الثلاث إلى الثلاثين ، ولا يكون إلا من الإناث . (٢) أوحش : جاع ونفذ زاده .

فأَبِح لى الشَّراب فإنِّى مُغرم به . فقال: ويحك ! هذا حَدٌّ من حُدود الله . فقال : احتلْ لى يا أمير المُؤمنين . قال : نعم . فكتب إلى والى المَدينة : من أتاك بابن هَرمة سكران فاُضرِبْه مائة سوط واُضرب اُبن هرمة ثمانين . فجعل الجَلْواز[1] إذا مَرّ بابن هَرمة وهو سكران قال : من يشترى الثّمانين بالمائة ! فلا يعرض له أحد .

وحكى ابنُ هرمة قال :

هو بين ابراهيم ابن عبدالله وابراهيم ابن طلحة

ما رأيتُ قطُّ أسخى ولا أكرم من رجلين : إبراهيم بن عبد الله بن مُطيع ، وإبراهيم بن طلحة بن عمرو بن عبد الله بن مَعمر . أمّا إبراهيم بن طَلحة فأتيته فقال : أحْسِنوا ضِيافة أبى إسحاق . فأُتيت بكُل شىء من الطَّعام . فأردتُ أن أُنْشده، فقال : ليس هذا وقتَ الشِّعر . ثم أخرج إلىَّ الغلامُ رُقعةً ، فقال : إيتِ بها الوكيلَ . فأتيتُه ، فقال : إن شئتَ أخذتُ لك جميع ما كتب به ، وإن شئت أعطيتُك القيمةَ. فأعطانى مائتى دينار . وأمّا إبراهيم بن عبد الله فأتيتُه فى منزله بمُشَاش[2] على بئر اُبن الوليد[3] بن عثمان بن عفّان ، فدخل منزله ثم خرج إلىَّ برُزمة فيها ثياب ، وصُرَّة دراهم ودنانير ، ثم قال : والله ما بقَّينا فى منزلنا ثوباً إلا ثوباً نُوارى به اُمرأة ، ولا حَلْياً ولا ديناراً ولا درهماً . وقال اُبن هَرْمة يمدح إبراهيم :

أرّقتْنى تلُومنى أمُّ بكرٍ	بعد هَدْءٍ واللَّومُ قد يُؤْذينِى
حذَّرتْنى الزمانَ ثمتَ قالت	ليس هذا الزَّمانُ بالمأمون
قلتُ لمّا هَبَّت تُحذّرنى الدّهـ	ـر دَعِى اللَّومَ عنكَ واُستبقينى
إنّ ذا الجود والمَكارمِ إبرا	هيمَ يَعنيه كُلُّ ما يَعْنينى
قد خَبرناه فى القديم فألفيـ	ـنا مَواعيدَه كعَيْن اليَقين

(١) الجلواز : الشرطى . (٢) مشاش : موضع على نصف مرحلة من مكة .

(٣) فى بعض أصول الأغانى : « بئر الوليد » .

قلتُ ما قلتُ للذى هو حقٌّ　　مُسـتبينٌ لا للّذى يُعْطينى
نَضحتْ أرضنا سماؤُك بعد الْـ　　جَدب منها و بعد سُوء الظُّنون
فرعَيْنـا آثارَ غَيْثٍ أراقتْـ　　ـه يَدَا مُحْـكَم القُوى مَيْمون

مدحه للسرى

وقيل :

قصد أبنُ هَرْمة السريَّ بنَ عبـد الله الهاشمىّ باليَمامة لدَيْن لَزِمه ، فمـدَحه بأشعارٍ كثيرة ، منها قولُه :

وقُل للسَّرّى الواصلِ البرِّ ذى النَّدى　　مديحاً إذا ما بُث صُـــدِّق قائلُهْ
جوادٌ على العِـلَّاتِ يَهتزُّ للنَّـدى　　كما اُهتزَّ عَضْبٌ أَخلصتْه صَياقلُه
نَـفَى الظُّلمَ عن أهل اليَمامة عَدْلُه　　فعـاشُوا وزَاح[١] الظُّلْمُ عنهم و باطلُه
وناموا بأَمْنٍ بعـد خَوف وشِـدَّة　　بسيرةِ عَـدْلٍ ما تُخـاف غوائله
وأنت تُرجَّى للذى أنت أهـلُه　　وتَنفع ذى القُرْبى لديك وسـائله
بِك اللهُ أحيا أرضَ حَجْرٍ[٢] وغيرَها　　من الأرض حتّى عاش بالبَقْل آ كله

ومدحه بقصيدة أولها :

* عُوجَا نُحيِّ الطَّلول[٣] بالـكَثَب *

يقول فى مديحها :

دَعْ عنك سَلْمَى وقُلْ[٤] مُحبَّرةً　　لِماجد الجَـدِّ طيِّبَ النَّسبِ
مَحْضٍ مُصَفَّى العُروق يَحْمَـده　　فى العُسْر واليُسْر كُلُّ مُرْتقَب
الواهبِ الخَيْـلَ فى أَعِنَّتهـا　　والوُصَـفاءَ الحِسانَ كالذَّهب

(١) زاح : انزاح وذهب .
(٢) فى الأصل : * بك الله أحيا الأرض حجراً وأهلها *
(٣) الكثب : موضع بديار طيء .
(٤) المحبرة : المقالة المجودة والمحسنة .

مجـداً وحمـداً يفيده كرماً والحمدُ فى الناس خَيرُ مُكتَسب

فأمر له بسبعمائة دينار لقضاء دَينه ، ومائة دينـار يتجهّز بها إلى أهله ، ومائة دينار يأخذ بها هديّةً لهم .

بينه وبين رجل سأله عن بيتين

وقيل : قال رجلٌ لأبن هرمة : من قائل هذين البيتين :

ومهما أُلامُ[1] على حُبِّهم فإنِّى أُحبُّ بنى فاطمَـهْ

بَنى بِنْت مَن جاء بالمُحْكما تِ والدِّين والسُّنّة القائمه

والبيتان لأبن هرمة . فقال أبنُ هرمة : قائلُهما مَن عَضَّ بَظْر أمه . فقـال له بُنه : يا أبت ، ألستَ قائلَهما ؟ قال بلى . قال : فلم شتمتَ نفسك ؟ قال : أليس أن يَعَضَّ المرء بَظر أمه خيرٌ من أن يأخذَه أبنُ قَحْطبة[2] .

تعقيب لابن واصل فى بطش المنصور بالعلويين

قلت : وإنما خاف ابنُ هرمة من نسبة الشِّعر، لأنّ المَنصور كان شديدَ الطَّلب لمن يَميـل إلى العلويِّين ، والتَّتبع لمن يُحبهم لخروجهم عليه . وكان خَرج عليه محمد ابن عبد الله بن الحَسن بن الحسن بن علىّ بن أبى طالب بالمدينـة ، وأخوه إبراهيم بالبصرة ، سنة خمس وأربعين ، فهزما وقُتلا وحُمل رأساهما إليه .

نزوله برجل يقود على ابنتيه

وقيل :

نزل أبنُ هَرمة على رجل ، له زَوجـة وأبنتان كأنهما ظبيتان يقود عليهما ، ودَفع إليه دراهم ليُنفقها عليهم فى طَعام وشراب . وأقام ابنُ هرمة مع أبنتيه حتى خفّ ذلك المالُ . وجاء قوم آخرون ومعهم مال، فأخبرهم الرجلُ بمكان أبن هرمة ، فأستثقلوه وكرهوا أن يَعـلم بهم . فأمر أبنتيه ، فقالتا : يا أبا إسحاق . ما دَريتَ ما الناسُ فيــه : زُلْزل بالرَّوضة ؟ فتغافلَهما . ثم جاء أبوهما مُتفازعاً ، فقال له :

---

(١) لم يجزم الفعل هنا شذوذاً .

(٢) هو حميد بن قحطبة ، ولى مصر للمنصور .

أى أبا إسحاق ، ألا ترى إلى ما الناس فيــه ؟ قال : وما هم فيه ؟ قال : زُلزل بالرَّوضة . فقال : قد جاءكم الآن إنسان معه مال،وقد نفضتُ ما جئتُكم به وثقُلت عليكم، فأردتَ إدخاله و إخراجى ، أيُزَلزل بروضة من رِياض الجنَّة و يُترك منزلك وأنت تَجمع فيه الرّجالَ على أبنَتَيْك ! والله لا عُدتُ إليك ! وخَرج من عنده .

هو وابن عمران وأبو ثابت

وقيل :

مدح ابنُ هرمة محمدَ بن عِمران الطَّلْحى ، فألفاه روايتُــه وقد جاءته عِيرٌ له تحمل غَلّة قد جاءتْه من[1] الفُرْع أو خَيبر . فقال له رجل كان عنده : أعلم والله أن أبا ثابت عِمْران بن عبــد العزيز أغراه بك وأنا حاضرٌ عنده ، وأخبره بعِيرك هذه . فقال : إنما أراد أبو ثابت أن يعرِّضنى للسانه ، قُودوا القِطار إليه .

ليم فى مدحـــه أبا الحكم

وقيل :

مدح ابنُ هَرمة أبا الحــكم المُطَّلب بن عبد الله بقوله :

لمّـا رأيتُ الحـادثاتِ كَنَفْنَنى ... وأَوْرثْننى بُؤْسَى ذكرتُ أبا الحَـكَمْ
سَـليلُ مُلوكٍ سَـبْعةٍ قد تَتابعوا ... هم المُصطفَوْنَ والمُصَفَّوْن بالـكَرم

فلامُوه وقالوا : أتمدح غلاماً حديثَ السِّنِّ بمثل هــذا ؟ وكانت لأبن هرمة أبنةٌ كان يلقِّبها عُيينة ، فقال مُجيباً لهم :

كانت عُيينــة فينــا وهى عاطلةٌ ... بين الجَوارى فحَلَّاها أبو الحَـكمِ
فَمنْ لَحـانا على حُسن المَقـال له ... كان المُليمَ وكُنَّا نحن لم[2] نُـلِمِ

سبب هجــائه لعبد العزيز بن المطلب

وقيل :

أرسل ابنُ هَرمة إلى عبــد العزيز بن المُطَّلب بكتابٍ يشكو فيــه بعض حاله

(١) الفرع : قرية قرب الربذة على ثمانية برد من المدينة .
(٢) ألام الرجل : وقع فيما يلام عليه .

فبعث إليه بخمسةَ عشر ديناراً . فمكث شهراً ثم بعث يطلُب شيئاً آخر بعد ذلك . فقال : أنا والله لا أقوى على ما كان يقوى عليه الحكمُ بن المُطلب . وكان عبدالعزيز هذا قد خَطب إلى امرأة من ولد عُمر ، رضى الله عنه، فردَّته ، فخطب إلى امرأة من بنى عامر بن لُؤىّ ، فزوّجوه . فقال ابنُ هرمة يهجوه :

خَطبْتَ إلى كعبٍ فردُّوكَ صاغراً ... فحوَّلتَ من كعبٍ إلى جِذْم عامرِ
وفى عامرٍ عزٌّ قديم وإنما ... أجازكَ فيهم هزلُ أهل المقابرِ

وقال فيه أيضاً :

أَبا لبُخْلِ تَطْلُب ما قدّمتْ ... عَرانينُ جادتْ بأموالِها
فهيهات خالفتَ فِعْل الكرام ... خلافَ الجمال بأبْوالِها

وقيل :

أغراء قوم بالحكم فسأله فأجابه

جلس ابنُ هَرمة مع قوم على شَراب ، فذُكر الحكمُ بن المُطَّلب فأطنب فى مَدحه . فقيل له : إنك لتُكثر ذكر رجلٍ لو طرقْته الساعةَ فى شاةٍ يقال لها «غَرّاء» تسأله إيّاها لردَّك عنها . فقال : أهو يفعل هذا ؟ قالوا : إى والله . وكانوا قد عَرفوا أن الحكم بها مُعْجب . وكان فى داره سبعون شاةً تُحلب . فخرج وفى رأسه ما فيه ، فدقّ بابَ الحكم، فخرَج إليه غُلامُه . فقال : أَعْلِمْ أبا مروان بمكانى . وكان أَمرَ ألّا يُحجب ابنُ هَرمة عنه ، فأعلمه به . فخرَج إليه مُتَّشحاً ، فقال : أفى هذه الساعة ! قال : نعم . جُعلت فداكَ ، وُلد لأخٍ لى فى هذه الساعة مَولود فلم تدِرّ عليه أُمه ، فطلبوا شاةً حلوبةً فلم يجدوها ، فذُكرت لى شاةٌ عندك يقال لها « غراء » فسألنى أن أسألكها . فقال : تجىء فى هذه الساعة ثم تنصرف بشاة واحدة ! والله لا بَقِىَ فى الدار شاةٌ إلا انصرفْت بها ، سوقُوهنّ معه . فخرَج بهن

إلى القوم ، ثم قال لهم : ويلكم ! أى شىء صنعتم ! [١] وقصَّ عليهم القصَّة .
وقال : فيهن والله ما ثمنُه عشرة دنانير وأكثر من عشرة .

هو وجيرانه وقد أفرط فى السكر

وقيل :

بلغ من غرامه بالنَّبيذ أنه مرَّ يوماً على جيرانه وهو مُنْبتٌّ [٢] سكراً حتى دخل منزله ، فلما كان من الغد دخلوا إليه فعاتبُوه على الحال التى رأوه فيها . فقال لهم : أنا فى طلَب مثلها منذُ دهرٍ ، أَما سمعتمُ قولى :

أسْألُ اللهَ سكرةً قبـل موتى … وصِـياحَ الصِّبيان يا سكرانُ

فنفَضوا ثيابهم وخرجوا . وقالوا : ليس يُفلح هذا والله أبداً !

شعر له صدقته جنازته

وحكى الزُّبير بن بكّار قال :

أنشدنى عمِّى لابن هَرمة :

ما أظُن الزَّمانَ يا أُم عمرٍو … تاركاً إن هلكتُ مَن يبْكينِى

قال : فكان والله كذلك ، لقد مات فأخبرنى من رأى جنازَته ما يحملها إلا أربعةُ نفَر حتى دُفن فى البَقيع .

شعره الذى فيه الغناء

والشِّعر الذى فيه الغناء ، وافتتح به أبو الفرَج أخبار ابن هَرمة ، هو :

أَفاطم إن النَّأْىَ يُسْلِى من [٣] الهوى … ونَـأْيُكِ عنّى زادَ قلبى بكم وَجْـدَا
أرى حَرجاً ما نلتُ من حُبِّ غيركم … ونافلةً من حُبِّكم نلتُها [٤] رُشْدا
وما نَلْتقى من بعـد نَأْىٍ وفُرْقةٍ … وشَحْطِ نَوًى إلَّا وجـدتُ له بَرْدا
على كَبِدٍ قد كاد يُبْـدى بها الهوى … نُدُوباً وبعضُ القوم يَحْسبنى جَلْدا

(١) فى بعض أصول الأغانى : « فقالوا : ويحك ! أى شىء صنعت ! فقص » .
(٢) أى منقطع . (٣) فى بعض أصول الأغانى : « ذوى » مكان « من » .
(٤) فى بعض أصول الأغانى : « ونافلة ما نلت من ودكم » .

أخبار يونس الكاتب

وابن رهيمة الشاعر

نسب يونس

أما يونس ، فهو ابن سُليمان بن كُرْد بن شِهْرِيار ، من ولد هُرْمُز .

وذُكر أنه مولًى لعمرو بن الزُّبير . ومَنشؤه بالمَدينة . وكان أبوه مُقيماً[1] بها ، فأسلمه فى الدِّيوان وكان من كُتابه .

أساتذته فى الغناء

وأخذ الغِناء عن مَعبد ، وابن سُريج ، وابن مُحرز ، والغَريض . وأكثر روايته عن مَعْبد . وهو أحذقُ من أخذ عنه .

ابن رهيمة وتشبيبه بزينب

وأمّا ابنُ رُهَيمة فهو شاعر ، كان فى أيّام الدَّولة الأَموية ، وكان ابن رُهيمة يُشبِّب بزَينب بنت عِكْرمة بن عبد الرحمن بن الحارث بن هشام المَخزوميّ ، ويُغنِّى فيه يُونس الكاتب ، فافْتضحت بذلك واستعدَى عليه أخوها هشامَ ابن عبد الملك ، فأمر بضَربه خَمْسمائة سَوْط ، وأن يُباح دَمُه إن وُجد قد عاد لذِكْرها ، وأن يُفعل ذلك بكُل من غَنَّى فى شىء من شعره . فهرب ابنُ رُهيمة ويونُس الكاتب فلم يُقْدر عليهما . فلما وَلى الوليدُ بن يزيد الخلافةَ ظهر ابن رُهيمة ويُونس . وقال ابنُ رُهيمة :

لئن كنتَ أطْرَدتنى ظالماً ... فقد كَشَفَ الله ما أَرْهبُ
ولو نِلْتَ منِّىَ ما تَشْتهى ... لَقَلَّ إذا رضيتْ زَينب
وما شئتَ فاصنعْه بى بعد ذا ... فحُبِّى لزَينب لا يَذهب

---

(١) فى بعض أصول الأغانى : « فقيها » .

ومما قاله ابن رُهيمة فى زينب ، وهو الشعر الذى فيه الغناء وافتتح به أبو الفرج أخبارَها :

أَقصدتْ زينبُ قلبى بعد ما ... ذهب الباطلُ عنّى والغزلْ
وعلا المَفرِقَ شيبٌ شاملٌ ... واضحٌ فى الرأس منّى فاشتعل

ومن ذلك قولُه :

أَقصدت زينبُ قلبى ... وسبَتْ عقلى ولُبِّى
تركتنى مُسْتهاماً ... أَستغيث الله ربِّى
ليس لى ذنبٌ إليها ... فتجازينى بذنبى
ولها عندى ذنوبٌ ... فى تنائيها وقُرْبى

ومن ذلك قولُه :

إنما زينبُ همِّى ... بأبى تلكَ وأُمِّى
بأبى زينبُ لا أَكْـ ... ـنِى ولكنّى أُسمِّى
بأبى مَن ليس فى ... قلبه قيراطُ[1] رُحْم

ومن ذلك قوله :

يا زينبُ الحسناء يا زينبُ ... يا أكرمَ الناسِ إذا تُنْسبُ
تَقيك نفسى حادثاتِ الرَّدى ... والأُمُّ تفديك معاً والأَب
هل لكِ فى وُدِّ امرئٍ صادقٍ ... لا يَمْذُق الوُدَّ ولا يكْذِب
لا يَبتغى فى وُدِّه[2] مَحْرَماً ... هيهاتَ منكِ العملُ[3] الأعْيب

ومن ذلك قولُه :

فليتَ الذى يَلْحى على زينبَ المُنَى ... تعلَّقه مما لقيتُ[4] عَشيرُ
فحسبى له بالعُشْرِ مما لقيتُه ... وذلك فيما قد تَراه يَسيرُ

(١) الرحم : الرحمة . (٢) المحرم : الحرام .
(٣) فى بعض أصول الأغانى : « الأريب » وهو ذو الريب . (٤) عشير ، أى جزء من عشرة .

أخبار إسماعيل بن يسار

النســائى

انقطاعه إلى آل الزبير ومدحه خلفاء بنى أمية

يُكنى أبا فائد . وهو مولًى لبنى تَيم بن مُرّة . تيم قُريش . وكان مُنْقطعاً إلى آل الزُّبير . فلما أفضت الخلافةُ إلى عبد الملك بن مَروان وفد إليه مع عُروة بن الزُّبير رحمه الله ومَدحه، ومَدح الخُلفاء من وَلده بعده . وعاش عُمراً طويلاً إلى آخر سُلطان بنى أُمية . ولم يُدركْ الدولة العبَّاسية .

نادرته وسبب تسمية أبيه بالنسائى

وكان مليح النادرة ، وإنما سُمِّى أبوه يَسارٌ النِّسائىُّ لأنه كان يصنع طعام العُرْس ويَبيعه ، فيَشتريه منه مَن أراد التَّعريس من المُتجمِّلين ، ومن لا تَبلغ حالُه اصطناعَ ذلك .

أصله وشعره فى شعوبيته

وكان أصلُه من الفُرس . وكانت فيهم شُعوبيَّة شديدة وتعصُّب للعجم على العرب ، وله فى ذلك أشعار كثيرة يَفخر بها الأَعاجم . من ذلك القصيدة التى أولها :

ما على رَسْم منزلٍ[1] بالجَناب ... لو أبان الغداةَ رَجْعَ الجَوابِ

غَيَّرتْه الصَّبا وكلُّ مُلِثٍّ ... دائم الوَدْق مُكْفَهِرّ[2] السَّحاب

دارَ هِندٍ وهل زَماني بهندٍ ... عائدٌ بالهَوى وصَفْوِ الجَناب

كالّذى كان والصَّفاء مَصُونٌ ... لم تَشُبْه بهجرةٍ واجتناب

ذاكَ منها إذ أنتَ كالغُصْن غَضٌّ ... وهى رُؤْدٌ كدُمْية[3] المِحْراب

---

(١) الجناب : موضع . (٢) الملث : الدائم أياما لا ينقطع . والودق : المطر .

(٣) الرؤد : الحسنة . والدمية : الصورة .

غادةٌ تَسْتبي العُقول بعَــذْبٍ ... طَيِّب الطَّعم باردِ الأنيــاب
وأثيثٍ من فوق لَون نَقِيٍّ ... كبياضِ اللُّجين فى(1) الزرْياب
فأقِلَّ المَلام فيهــا وأَقْصِرْ ... لَجَّ قَلبى من عَوْلتى(2) واْ كتئابى
صاحِ أبصرتَ أو سمعتَ براعٍ ... ردَّ فى الضَّرع ماقَرى فى(3) العِلاب
اُنقضتْ شِرَّتى وأقْصر جَهْلى ... واُستراحتْ عَواذِلى من عِتابى

يقول فيها يفتخر بالعَجم :

رُبَّ خالٍ مُتوَّجٍ لى وعَمٍّ ... ماجدٍ مُجْتدًى كريم النِّصاب
إنمــا سُمِّى الفوارسُ بالفُرْ ... سِ مُضاهاةَ رِفْعــةِ الأَنْساب
فاتْركى الفخر يا أُمامَ علينــا ... واْتركى الجَوْر واُنطِقى بالصَّواب
واُسألى إن جَهِلْتِ عنَّا وعنكم ... كيف كُنّا فى سالف الأَحقاب
إذ نُربِّى بناتِنــا وتَدُسُّو ... نَ سَفاهاً بناتِكم فى التُّراب

هو وأشعب فى بيت له

وسمع أشعبُ هذا البيت بحُضور جماعة فقال : صدقتَ والله يا أبا فائد ، أراد القومُ بناتِهم لغير ما أردتموهنَّ له . قال : وما ذاك ؟ قال : دَفن القومُ بناتِهم خوفاً من العار عليهن ، ورَبَّيتموهنَّ لتَنيكوهن . فضَحك الحاضرون حتى استغربوا(4) . وخَجل إسماعيلُ بن يَسار حتى لو قَدَر أن يَسيخ فى الأرض لفعل .

افتخر بقومه عند هشام فعذبه ونفاه

وقيل :

دخل إسماعيلُ بن يسار على هشام بن عبد الملك فى خلافته ، وهو بالرُّصافة جالسٌ على بركة له فى قصر ، فاُستنشده وهو يرى أنه يُنْشده مديحاً له ، فأنشده قصيدةً يفخر فيها بالعجم على العرب ، أولها :

---

(1) الأثيث : الشعر الكثير ، والزرياب : الذهب .
(2) فى بعض أصول الأغانى : « لوعة » مكان « عولتى » .
(3) قرى : جمع . والعلاب : الإناء يحلب فيه .
(4) استغربوا : بالغوا فى الضحك .

يا رَبْعَ رامةَ بالعَلْياء من[1] رِيم ... هل تَرْجِعَنَّ إذا حَيَّيْتُ تَسْلِيمى

حتى انتهى إلى قوله :

إنى وجدِّك لا عُودى بذى خَوَرٍ ... عند الحِفَاظ ولا حَوْضِى بمَهْدوم

أَصْلى كريمٌ ومَجْدى لا يقاس به ... إلى لسانٍ كحدِّ السَّيْفِ مَسْموم

من مِثْلُ كِسرَى وسابورِ الجُنود معاً ... والهُرْمُزانِ لفخرٍ أو لتَعْظِيم

جَحاجحٍ سادةٍ بُلْجٍ[2] مَرَازبةٍ ... جُرْدٍ عِتاقٍ مَساميحٍ مَطاعيم

أُسْد الكتائب يومَ الرَّوع إنْ زَحفوا ... وهم أَذلُّوا مُلوكَ التُّرك والرُّوم

يمشُون فى حَلَق المَاذِىِّ سابغةً ... مَشْىَ الضَّراغِمة الأُسْد[3] اللَّهاميم

هناكَ إنْ تَسأَلى تُنْبَىْ بأنَّ لنا ... جُرثومةً قَهَرتْ عِزَّ الجَراثيم

فغضب هشام وقال : يا عاضَّ بَظْر أُمه ! علىَّ تفخر وإيّاى تُنْشد قصيدةً تَمدح بها نفسك وأعلاجَ قومك ! غُطُّوه فى الماء . فغَطُّوه فى البركة حتى كادت نفسُه تخرج . ثم أمر بإخراجه وهو بشرّ ، ونَفَاه من وقته عن الرُّصافة . وأُخرج من وقته إلى الحجاز . وكان مُبتلًى بالعصبيّة للعَجم والفخر بهم ، فكان لا يزال مَحروماً مضروباً مَطْروداً .

استقدمه الوليد فأنشده فأجازه

وقيل :

استقدم الوليدُ بن يزيد إسماعيلَ بن يسار من الحجاز ، فقَدِم عليه . فلما دخل إليه أُستنشده قصيدتَه الميمية التى منها :

كُلْثَمُ أنتِ الهمُّ يا كُلثمُ ... وأنتمُ الداء الذى أكتمُ

(١) رامة : منزل فى طريق البصرة إلى مكة . والريم ، يهمز ولا يهمز : واد قرب المدينة .

(٢) جحاجح : سادة ؛ الواحد : جحجح . والمرازبة : رؤساء الفرس ؛ الواحد : مرزبان .

(٣) الحلق : جمع حلقة ، وهى الدرع . والماذى : الدروع اللينة السهلة . واللهاميم : جمع لهميم ، وهو السابق الجواد .

أُكاتم الناسَ هوًى شَفَّنى ... وبعضُ كِتمان الهوى أحزم
قد لمتِنى ظُلماً بلا ظِنَّة ... وأنتِ فيما بيننا أَلْوم
أبدِى الذى تُخفينه ظاهراً ... أرتدُّ فيه عنك أو أُقْدم
إمّا بيأس منك أو مَطْمع ... يُسْدَى بحُسن القَول[1] أو يُلْحَم
لا تترُكينى هكذا ميِّتاً ... لا أُمْنَحُ الوُدّ ولا أُصرم
أَوْفِى بما قلتِ ولا تَنْدمى ... إنَّ الوفِىَّ القولِ لا يَنْدم
آية ما جئتُ على رِقْبة ... بعد الكَرَى والحىُّ قد نَوَّمُوا
ودون ما حاولتُ إذ زُرتكم ... أخوكِ والخالُ معاً[2] والحَم
أُخافت المَشْى حِذارَ الرَّدَى ... والليلُ داجٍ حالكٌ مُظْلم
وليس إلّا اللهَ لى صاحبٌ ... إليكمُ والصارمُ[3] اللَّهْذَم
حتى دخلتُ البيتَ فاُسْتَذْرفتْ ... عيناكِ لى من شَفَقٍ تَسْجُم
ثم انجلَى الحُزن ورَوْعاتُه ... وغُيِّب الكاشح[4] والمُبْرِم
فبِتُّ فيما شئتُ من نَعْمَةٍ ... يَمْنَحُنيها نَحْرُها والفَم
حتى إذا الصُّبح بدا ضوءه ... وغابت الجوزاء والمِرزم
خرجتُ والوَطْء خَفِىٌّ كما ... يَنْساب من مَكمنه الأَرْقم

فطرب الوليدُ بن يزيد حتى نزل عن فَرْشه وسريره ، وأمر المغنِّين فغنَّوا الصوتَ وشَرب عليه أقداحاً ، وأمر لإسماعيل بجائزة سنيَّة وكُسوة ، وسَرَّحه إلى المدينة .

---

(١) فى بعض أصول الأغانى : « الود » مكان « القول » .
(٢) فى بعض أصول الأغانى : « والعم » .
(٣) اللهذم : القاطع .
(٤) المبرم : الجليس الثقيل .

أنشد عبد الملك بعد مقتل ابن الزبير فأجازه

وقيل :

دخل إسماعيلُ بن يَسار على عبد الملك بن مَروان لما أفضت الخلافةُ إليه ، بعد مَقتل عبد الله بن الزُّبير ، فسلَّم ووقف موقف المُنشد واستأذن فى الإنشاد ، فقال له عبدالملك : الآن يا بن يسار ! إنما أنت أمرؤٌ زُبيرىٌّ ، لسنا نُريد أن تُنشدنا . فقال : يا أمير المُؤمنين، أنا أَصغر شأناً من ذلك ، وقد صفحتَ عمن هو أعظمُ جُرماً وأكثر غَناء لأعدائك منِّى ، و إنما أنا شاعر . فتبسَّم عبدُ الملك ، وأومأ إليه الوليدُ ابن عبد الملك أن يُنشده . فأنشده قولَه ، وهو الشعر الذى فيه الغناء :

أَلَا يا لَقومى للرُّقاد[1] المُشَرَّدِ ... وللماء ممنوعاً من الحائم الصَّدِى
وللحالِ بعد الحالِ يرْكبها الفتى ... وللحُبِّ بعد السَّلْوة المُتمرِّد
وللمرءِ يُلْحى فى التَّصابى وقبلَه ... صبا بالقَوافى كُلُّ قَرْم مُمجَّد
وكيف تَناسِى القَلْبِ سَلْمى وحُبُّها ... كجمرِ الغَضى تحت الشَّراسيف[2] مُوقَد

حتى انتهى إلى قوله :

إليك إمامَ الناس من أَرض يَثْربٍ ... ونِعْمَ أخُو ذى الحاجة المُتعمِّدِ
رَحَلْنا لأنَّ الجُود منك خَليقةٌ ... وأنّك لم يَذْمُمْ جنابَك مُجْتدى
ملكتَ فزِدْتَ الناسَ ما لم يَزِدْهمُ ... إمامٌ من المَعروف غيرَ[3] المُصرَّد
وقلتَ[4] فلم تَنْقُضْ قضاءَ خليفةٍ ... ولكن بما سارُوا من العَدْل[5] تَقْتدى
فلمّا وَليتَ الأَمر ضاربتَ دُونه ... وأسنَدْتَه ما تَأْتلى خَير مُسْنَد
جعلتَ هشاماً والوليدَ ذَخيرةً ... ولِيَّيْن للعَهد الوثيق المُؤكَّد

(١) فى بعض أصول الأغانى : « المسهد » مكان « المشرد » .
(٢) الشراسيف : الأضلاع .
(٣) المصرد : القليل .
(٤) فى بعض أصول الأغانى : « وقمت » .
(٥) فى بعض أصول الأغانى : « من الفعل » .

فنظر إليهما عبدُ الملك متبسِّما ، والتفت إلى سُليمان فقال : أخرجك إسماعيل من هذا الأمر . فقطّب سليمانُ ونَظر إلى إسماعيل نظر مُغْضب . فقال إسماعيل : يا أمير المؤمنين ، إنما وَزْن الشعر أخرجه من البيت الأول ، وقد قلت بعده :

وأمضيتَ عزماً فى سُـليمان راشـداً   ومَن يَعْتصم بالله مثلَك يَرْشُـد

فأمر له بألفى دِرهم ، وزاد فى عَطائه ، وفَرضَ له ، وقال لأولاده : أعطوه . فأَعْطوه ثلاثة آلاف درهم :

أخبار النابغة الجعدى

وهو حِبَّان بن قيس بن عبد الله بن وَحْوَح بن عُدَس بن ربيعة بن جَعدة ابن كعب بن ربيعة بن عامر بن صَعْصعة بن مُعاوية بن بكر بن هَوازن بن منصور ابن عِكْرمة بن خَصفة بن قَيس بن عَيْلان بن مُضَر . ويُكْنَى أبا لَيلى . — نسبه

وأُمُّه فاخرة بنت عَمرو الأسديّة .

وسُمِّى النابغةُ لأنه أقام مُدَّة لا يقول الشِّعر ثم نَبغ فقاله . — تسميته بالنابغة

وقيل : أقام ثلاثين سنة لا يتكلم ثم تكلّم بالشِّعر .

وقيل : كان قديماً شاعراً مُفْلِقاً طويلَ البقاء فى الجاهلية والإسلام ، وإنه أكبرُ من النابغة الذُّبيانى . وهو القائل : — عمره

ومَن يكُ سائلاً عنِّى ... من الفِتْيان أيامَ [1] الخُنَانِ

أتتْ مائةٌ لعامَ وُلدتُ فيه ... وعَشْرٌ بعد ذاك وحِجَّتان

فقد أبقتْ صُروفُ الدَّهر منِّى ... كما أبقتْ من السَّيْفِ اليمانى

وعُمِّر بعد ذلك عُمراً طويلاً . وأراد النابغةُ بأيّام الخُنان وَقْعة كانت لهم ، فقال قائل منهم ، وقد لقُوا عدوَّهم : خُنُّوهم [2] بالرِّماح . فسُمِّى ذلك العامَ عامَ الخُنان .

ومما يدُلُّ على أنه أقدمُ من النابغة الذُّبيانى أنه عُمِّر مع المُنْذر بن المُحرِّق قبل النُّعمان بن المُنذر ، وكان النابغة الذُّبيانى مع النُّعمان بن المُنذر وفى عَصره ، فلم يكن له

---

(١) الخنان : داء يأخذ فى حلوق الطير وعيونهـا ، والإبل فى مناخرها . ويشير إلى ما كان أيام المنذر بن ماء السماء .

(٢) خنوهم : اقطعوهم .

قِدَم ، إلّا أنّه مات قبل الجَعدىّ ، ولم يُدرِك الإسلام . وأدركه النابغةُ الجَعدىّ الذى يقول :

تذكَّرتُ شيئاً قد مَضى لسبيله ... ومِنْ عادةِ المَحزون أن يَتذكَّرا

كُهولٌ وفِتيانٌ كأنّ وُجوهَهم ... دنانيرُ ممّا شِيفَ[1] فى أرض قَيصرا

وعُمِّر مائة وثمانين سنة ، وقال :

لبستُ أُناساً فأفنيتُهم ... وأفنيتُ بعد أُناسٍ أُناسَا

ثلاثة أَهلين أفنيتُهم ... وكان الإلٰه هو المُسْتآسا

وهى قصيدة طويلة يقول فيها :

وكنتُ غلاماً أقاسِي الحُرو ... ب يَلْقى المُقاسون منّى المِراسَا

فلما دَنَوْنا لجَرْسِ النُّبا ... ح لم نَعرِف الحىَّ إلّا التماسا

أضاءتْ لنا النارُ وجهاً أَغـ ... ـرّ مُلتبساً بالجمال[2] ٱلتباسا

وقيل : إنّ النابغة الجعدىّ أنشد عمر بن الخطّاب رضى الله عنه أبياته السّينيّة التى يقول فيها :

* ثلاثة أهلين أفنيتُهم *

فقال له عُمر : كم لبثتَ مع كُل أهل ؟ قال : ستّين سنة .

وذَكر ابنُ قُتيبة أنه عاش مائتين وعشرين سنة ، ومات بأصبهان .

قال أبو الفَرج :

وما ذاك بمُنكر ، لأنه قال لعُمر رضى الله عنه إنه أفنى ثلاثةَ قُرون ، كلُّ قرن ستّين سنة ، فهذه مائةٌ وثمانون سنة ، ثم عُمِّر بعده فمكث إلى أيام عبد الله

---

(١) ساف السيف : جلاه . (٢) فى بعض أصول الأغانى : « بالفؤاد »

ابن الزُّبير ، وقَدِم عليــه بمكة ، وقد دعا لنفسه وأُسْماحه ومدحه . و بين عبد الله ابن الزُّبير و بين عُمر نحوٌ مما ذَكر ابنُ قُتيبة . فلا شك أنه بلغ هــذه السنين .

هاجى ابن مغراء فغلبــه

وهاجَى أوس بن مَغْراء بحضرة الأخطل، والعجّاج، وكعب بن جُعيل ، فغَلبه أوس ، وكان[1] مُغلَّباً .

قدومه على النبى صلى الله عليــه وسلم ومدحه

وقيل : قدم النابغةُ الجعــدىّ على رسول الله صلَّى الله عليه وسـلَّمَ ومَدحه بقصيدة ، منها :

بلغنا السماءَ مَجْـدُنا وجُدودُنا   و إنا لنَرجو فوق ذلك مَظْهَرا

فقال النبىّ صلى الله عليه وسلم : فأين المَظهر يا أبا لَيلى ؟ فقال : إلى الجنة . فقال صلى الله عليه وسلم : قل إن شاء الله . فقال : إن شاء الله . ومن هذه القصيدة :

ولا خَـيْرَ فى حِلْمٍ إذا لم يكُن له   بَوادرُ تَحمى صَفْوه أن يُـكَدَّرَا

ولا خيرَ فى جَهْـلٍ إذا لم يكُن له   حَليمٌ إذا ما أَوْرد الأمرَ أَصدرا

فقال صلَّى الله عليــه وسلَّم : لا يَفضُض الله فاكَ . فلقد أتت عليه مائةُ سـنة أو نحوُها وما أُنفضّ مِن فيه سِنّ .

فى جاهليته

وكان النابغة ممّن أنكر الخَمر والسُّكر فى الجاهلية ، وهَجر الأصنام والأزلام .

استئذانه عثمان فى سكنى البادية

ورُوى أنه دَخل على عثمان بن عفَّان رضى الله عنــه فقال : أَستودعك الله يا أمير المُؤمنين . قال : وأين تُريد يا أبا لَيلى ؟ قال : أُلحق بإبلى فأَشرب من ألبانها ، فإنّى أُنـكر نَفسى . قال : أتعرّباً[2] بعــد الهِجرة يا أبا ليلى ! أما علمتَ أن ذلك مكروه ؟ قال : ما علمتهُ ، وما كنت لأَخرج حتى أُعْلِمك . فأَذِن له وأجّله فى ذلك

(١) مغلب : يغلب كثيراً .

(٢) تعرب الرجل : صار أعرابيا بعد أن كان عربياً . وفى الحديث : ثلاث من الكبائر ، منها : التعرب بعد الهجرة . وهو أن يعود إلى البادية ويقيم مع الأعراب بعد أن كان مهاجراً .

أجلاً . فدخل على الحَسن والحُسين رضى الله عنهما فودَّعهما . فقالا له : أَنشِدْنا من شعرك يا أبا ليلى . فأنشدهما :

الحمدُ لله لا شريكَ له   مَن لم يقلْها فنفسَه ظَلَما

فقال له الحسن : ما كُنّا نَروى هذا الشّعر يا أبا ليلى إلاّ لأُمية بن أبى الصَّلت . فقال : يا بن رسول الله ، إنّى لصاحبُ هذا الشّعر ، و إن السَّروق عينَ السَّروق مَن سَرق شعر أُمية .

شهد صفين مع على

وحَضرَ النابغةُ الجعدىُّ مع علىّ رضى الله عنه حَربَ صفِّين .

مهاجاته أوس بن مغراء و ليلى

وقيل : إن النابغة هاجَى أَوس بن مَغراء ، ولم يكن أوس مثله ولا قريباً منه فى الشِّعر . فقال النَّابغةُ : إنّى و إياه لنبتدر بيتاً ، أيُّنا يَسبق إليه يغلب صاحبَه . فلما بلغه قولُ أوس :

لَعَمْرك ما تَبْلَى سَرابيلُ[1] عامرٍ   مِن اللُّؤم مادامت عليها جُلودُها

قال النابغة : هذا البيتُ الّذى كُنّا نَبْتدر إليه ، فغُلِّب عليه أوس[2] .

وهاجَى النابغةُ ليلى الأَخيلية :

ألاَ حَيِّيا ليلَى وقُولاَ لهــا هَلَا   فقــد ركبتْ أيراً أغرَّ مُحجَّــلَا

و كيف أُهاجى شاعراً رُمحه اُستُه   خَضِيبَ البَنان لا يزال مُــكَحَّلا

فأجابتْه ليلى الأخيلية فقالت :

أنابغُ إنْ تَنبغ بلُؤمك لا تجِـدْ   للُؤمك إلّا وسْط جعــدةَ مَجْعَلَا

تُعــيِّرنى داءً بأُمك مثــــلُه   وأىّ حَصَانٍ لا يُقــال لهــا هَلا

فغلبتْه .

---

(١) السرابيل : جمع سربال ، وهو القميص والدرع .

(٢) سبق شىء (ص : ٦١٥) عن مهاجاته لأوس .

وفوده على ابن الزبير

وذُكر أنه أقحمتِ السنةُ(١) نابغةَ بنى جَعدة ، فدخل على ابن الزُّبير المسجد الحرام ، فأنشده :

حكيتَ لنا الصِّدِّيقَ لمَّا(٢) أتيتَنا ... وعُثمانَ والفاروقَ فارْتاح(٣) مُعْدِمُ

أتاك أبو لَيْلى يَجُوب به الدُّجى ... دُجَى اللَّيل جوَّابُ الفَلاة(٤) عَثَمْثَمُ

لتجبُرَ منه جانباً ذَعْذَعَت به ... صُروفُ اللَّيالى والزمانُ المُصمِّمُ

فقال له ابن الزُّبير : هوِّن عليك أبا ليلى ، فإن الشِّعر أهونُ وسائلك عندنا ، أمّا صفوةُ مالنا فلآل الزُّبير ، وأما عِفْوته(٥) فإن بنى أسد بن عبد العُزَّى تشغلُها عنك . ولكنْ لك فى مال الله حقّان : حقّ برؤيتك رسولَ الله صلَّى الله عليه وسلم ، وحقّ بشركتك أهلَ الإسلام فى فَيْئهم . ثم أخذ بيده فدَخل به دار النَّعَم فأعطاه قلائصَ سبعاً وجَمَلًا رَجيلًا(٦) ، وأوْقَر له الرِّكابَ بُرًّا وتمراً وثياباً . فجعل النابغةُ يَستعجل فيأكل الحبَّ صِرْفاً . فقال ابنُ الزُّبير : ويح أبى ليلى ! لقد بلغ به الجهدُ . فقال النابغة : أشهد لقد سمعتُ رسولَ الله صلّى الله عليه وسلم يقول : ما وليتْ قُريش فعَدلتْ ، واُسترُحمت فرَحمت ، وحدَّثت فصدقت ، ووعدت فأنجزت ، فأنا والنبيُّون فُرَّاط لها ضُمُن . وفى رواية : فُرَّاط القاصفين(٧) .

مع علىّ ومعاوية

وقيل :

لمَّا خَرج علىّ بن أبى طالب رضى الله عنه إلى صِفِّين خَرج ومعه نابغة بنى جعدة ، فساق به يوماً فقال :

---

(١) السنة : الجدب والقحط . وأقحمته : قذفت به . يريد نزوحه من البادية إلى الريف حيث الخضرة والماء . (٢) فى بعض أصول الأغانى : « وليتنا » مكان « أتيتنا » .

(٣) فانزاح معدم ، أى لم يبق معدم . والرواية فى بعض أصول الأغانى : « فارتاح معدم » .

(٤) العثمثم : الجمل الشديد الطويل .

(٥) العفوة : أحل المال وأطيبه . (٦) الرجيل : القوى على السير .

(٧) الفراط : المتقدمون . والقاصفون : المزدحمون .

قد عَلِم المِصْرانِ والعِرَاقُ أَنَّ عليًّا فَحْلُها(١) العُتاقُ
أبيضُ جَحجاح له رُواق وأُمُّه غالَى بها الصَّداق
أكرمُ من شُدَّ بها النِّطاق إن الأُلى جارَوْكَ لا أفاقوا
لكم سِياقٌ ولهم سِياق قد علمتْ ذلكمُ الرِّفاق
سُقتم إلى نَهج الهُدى وساقُوا إلى التى ليس لها(٢) عِراق
فى مِلَّةٍ عادتها النِّفاق

فلمّا قَدِم معاويةُ بن أبى سُفيان الكوفةَ ، قام النابغةُ بين يديه فقال :

ألم تأت أهل المَشْرقين رِسالتى برأى(٣) نَصيح لايبيتُ على العَتْبِ
مَلكتُم فكان الشرُّ آخر عَهدكم لئن لم تَدارَكْكم حُلومُ(٤) بنى كَعْب

وقد كان معاويةُ كتب إلى مَروان بن الحكم ، فأخذ أهلَ النابغة ومالَه . فدخل النابغةُ على معاوية ، وعنده عبد الله بن عامر ومَروان ، فأنشده :

مَنْ راكبٌ يأتى ابن هند بحاجتى بكُوفان(٥) والأَنباء تُنْمى وتُجْلَبُ
فيُخبر عنِّى ما أقول ابنَ عامر ونِعْم الفَتى يأْوِى إليه(٦) المُعصَّب
فإنْ أخذُوا أَهلى ومالِى بظِنَّةٍ فإنِّى لحرَّابُ الرِّجالِ(٧) مُحَرِّب
صَبُورٌ على ما يَكره المرء كلِّه سِوى الظُّلم إنِّى إن ظُلِمْتُ سأَغْضَب

فالتفت معاويةُ إلى مروان وقال : ماترى ؟ قال :أرى ألاّ ترد عليه شيئاً . قال: ما أهوَن والله عليك أن يَنْجحر هذا فى غارٍ ثم يقطع عِرْضى علىّ ثم تأخذه العرب

(١) المصران : الكوفة والبصرة . والعتاق ، أى الكريم .
(٢) أى إلى مضلة لا نهاية لها . (٣) فى بعض أصول الأغانى : « وأى » .
(٤) فى بعض أصول الأغانى : « حرب » .
(٥) كوفان : الكوفة . وفى بعض أصول الأغانى : « على النأى » مكان « بكوفان » .
(٦) المعصب : الذى عصبته السنون وأكلت ماله .
(٧) حراب محرب ، أى شديد الكيد والنكاية .

فترويه . أمَا والله إن كنتَ لمن يرويه ! أُردد عليه كل شىء أخذتَ منه .

شعره الذى فيه الغناء

والشعر الذى فيه الغناء ، واُفتتح به أبو الفرج أخبار النابغة الجعدىّ، شعرٌ قاله النابغةُ يُخاطب به عِقال بن خُويلد العُقَيلى يحذّره غِبَّ الظُّلم، لما أجار بنى وائل ابن مَعن الباهليّين ، وكانوا قتلوا رجلاً من بنى جَعدة ، فحذّرهم مثلَ حَرب البَسوس إن أقاموا على مثل ذلك فيهم ، وهو :

فأبلغ عِقالاً أنّ غاية داحسٍ ... بكفّيكَ فاُستأْخرْ لها أو تقَدَّمِ

تُجِير علينا وائلاً فى دمائنا ... كأنك عمّا ناب أشياعَنا عَمِ

كُليبٌ لعمرى كان أكثَر ناصراً ... وأيسرَ جُرماً منك ضُرِّج بالدَّم

رمَى ضَرْعَ نابٍ فاُستمرّ بطَعنةٍ ... كحاشية البُرْدِ اليَمانِى المُسهَّم

ثم اُستطرد أبو الفرج بذكر وقعة البَسوس ، فذكرها مختصرةً .

ذكر حرب البسوس

سببها

قالت الرُّواة :

كان كُليب بن رَبيعة بن سِنان بن مَرْثد بن عبد بن عمرو بن بِشر بن مَرْثد، أخو بنى قيس بن ثعلبة، قد ساد ربيعة، فبغا بغياً شديداً. وكان هو الذى يُنزلهم منازلَهم ويُرحِّلهم، فلا يَنزلون ولا يَرْحلون إلا بأمره. فبلغ من عزّه وبَغْيه أنّه اتَّخذ جَرْو كَلْبٍ، فكان إذا نزل منزلاً فيه كلأٌ قَذف ذلك الجَرْوَ فيعْوى، فلا يَرعى أحدٌ ذلك الكلأَ إلا بأَمره. وكان يفعل ذلك بحياض الماء، فلا يَرِدُها أحدٌ إلا بإذنه، أو من آذن بحرب. فضُرب به المثلُ فقيل : أعزُّ من كُليب وائل. وكان يَحمى الصَّيد فيقول : صيدُ ناحية كذا وكذا فى جوارى. فلا يَصيد أحدٌ منه شيئاً. وكان لا يمُرّ بين يديه أحد إذا جلس، ولا يَحتبى فى مَجلسه غيرُه. وكان لِمُرَّة بن ذُهل بن شَيبان عَشرة بَنين، جسّاس أصغرهم. وكانت أختُهم زوجةَ كُليب. وكانت البَسوس خالةَ جسّاس بن مُرّة. وهى التى يَضرب العربُ المثلَ بشُؤْمها فيقولون : أشأَم من البَسوس. فنزَلت على ابن أُختها جسّاس. وكانت جارةً لبنى مُرة، ومعها ابنٌ لها، ولها ناقة خَوّارة[1] من نَعم بنى سَعد، ولها فَصيل معها. فبينا زوجةُ كُليب، وهى أُخت جسّاس بن مُرة، يوماً تغسل رأس كُليب بن ربيعة وتُسرِّحه إذ قال لها : من أعزُّ وائل؟ فَصمتت. فأعادها. فلما أكثر عليها قالت : أخواى : جسّاس وهمّام. فَنزع رأسَه من يدها وأَخذ القوس فرَمى فَصيل ناقة البَسوس، خالةِ جسّاس وجارةِ بنى مُرّة، فقتله. فأَغمضوا على ما فيها وسكتوا على ذلك. ثم لَقِى كُليبُ بن ربيعة جسّاسَ بن مُرَّة[2]، فقال : ما فَعل

---

(١) خوارة : حسنة جميلة. (٢) فى بعض أصول الأغانى : « ابن البسوس ».

فصيلُ ناقتكم ؟ قال : قتلتَه وأخليتَ لنا لبن أمه . فأَغمضوا على هذه أيضاً . ثم إن كُلَيباً أعاد على امرأته فقال :من أعزُّ وائل ؟ قالت : أخواى . فأَضْمرها وأسرّها وسكت، حتى مرّت به إبل جسّاس، فرأى الناقة فأنكرها ، فقال : ماهذه الناقةُ ؟ قالوا: لخالة جسّاس . فقال : أَوَقد بلغ من أمر ابن السعديّة أن يُجير علىّ بغير إذنى ! فأخذ القوس فرمى ضرع الناقة . فاختلط دمُها بلبنها . فراحت الرُّعاةُ إلى جسّاس وأخبروه بالأمر . فقال : احلبُوا مِكْيالَىْ لَبن لها ولا تذكروا لها من هـذا شيئاً . ثم أَغمضوا على ذلك أيضاً . وسكت جسّاس حتى ظَعن بنو بكر و بنو تَغلب ، ابنى وائل . فمرّت بكر بن وائل على نِهْى[1] يقال له: شُبَيث ، فنهاهم[2] كُلَيب عنه، وقال : لا يذُوقون منه قَطرة . ثم مرُّوا على نِهْى آخر يقال له : الأَحصّ . فمنَعهم إيّاه أيضاً . فمضَوْا حتى نزلوا الذّنائب . وأَتبعهم كُلَيب وحيُّه حتى نزلوا عليـه . ثم مرّ عليه جسّاس وهو واقفٌ على غدير الذّنائب ، فقال : طردتَ أهلنا عن المياه حتى كِدْت تقتلهم عَطشاً ! فقال كُليب : ما منعناهم من ماء إلا نحن له شاغلون . فناداه جسّاس فقال : هذا كفِعْلك بناقة خالتى ! فقال : أَوَقد ذكرتَهـا ! أما إنّى لو وجدتُها فى غير إبل مُرة لاستحللْتُ تلك الإبلَ بها . فعَطف عليه جسّاس بن مُرّة فرسَه فطعَنه بالرُّمح فأنفذ حِضْنَيه . فقال : ياجسّاس ، اسْقنى الماء . فقال: ماعقلتُ استسقاءك الماء منذ ولدتْك أُمك إلا هذه الساعة . وعَطف عليه المُزدلف بن عمرو ابن أبى ربيعة فاحتزّ رأسَه .

همام و جساس بعد مقتل كليب

وكان همّام أخو جسّاس صديقاً لمُهلهل بن ربيعة ، أخى كُلَيب ، وكان عاقَده ألا يكْتُمه شيئاً . ولما قَتل جسَّاسٌ كليباً كان همّام ومُهلهل جالسين ، ومَرّ جسَّاس بعدأن قتل كُلَيباً يركُض فرسَه مُخرجاً فخذيه . فقال همّام أخوه : إنله لأمراً ! والله ما رأيته كاشفاً فخذَيْه فى ركض قطُّ . فلم يلبث قليـلاً حتى جاءته خادمُه فسارّته

---

(١) النهى : الغدير . (٢) فى بعض أصول الأغانى : « فنفاهم » .

بأنّ جسَّاساً قتل كُليباً . فقال: ما أخبرتْك ؟ قال : أَخبرتْنى أن أخى قَتل أخاك .
فقال : هو أَضيقُ اُستاً من ذلك !

جساس وأبوه مرة

وجاء جسَّاس إلى أبيه مُرَّة . فقال : ماوراءك يابُنى ؟ فقال :ورائى أنِّى طعنتُ طعنــةً لتُشْغلنّ بها شُيوخ بنى وائل زَمناً . قال : أقتلت كُليباً ؟ قال : نعم . قال : وَدِدْتُ أنّك و إخوتَك متُّم قبل هذا ! ما بى إلا أن يَتشاءم بى أبناء وائل .

بنو تغلب ومرة بن ذهل

ولما قُتل كُليب ، قالت بنو تَغلب قومُه بعضُهم لبعض : لا تَعجلوا على إخوتكم حتى تُعذروا بينكم و بينهم . فانْطلق رهطٌ من أشرافهم وذوى أسنانهم حتى أَتوا مُرة بن ذُهل ، أبا جسَّاس ، فعظَّمُوا مابينهم و بينه وقالوا : اختر منّا خِصَالاً : إمّا أن تدفع إلينا جسَّاساً فنقتلَه بصاحبنا ، فلم يظلم من قتــل قاتلَه ؛ و إمّا أن تدفع إلينا همّاماً ؛ و إما أن تُقيــدنا من نفسك . فسكت ، وقد حضرتْه وُجوه بنى بكر بن وائل، فقالوا : تَــكلَّمْ غيرَ مخذول. قال : أمّا جسَّاس فإنه غُلام حديثُ السنّ رَكب فَرسه فَهرب حين خاف، فلاعِلْم لى به . وأمّا همّام فأَبوعشرة، وعم عشرة ، لو دفعتُه إليكم لصَيَّح بنوه فى وَجهى وقالوا : دفعت أبانا ليُقتــل بجريرة غيره . وأما أنا فلا أتعجَّل الموت ، وهل تَزيد الخيــلُ على أن تجول جولة فأَكونَ أوّل قتيل ! ولــكن هل لــكم فى غير ذلك : هؤلاء بنىّ فخذُوا أحدَهم فاقتُلوه به ، و إن شئتُم فلــكم ألف ناقةٍ تَضْمنها لــكم بكر بن وائل . فغَضبوا وقالوا : إنّا لم نأْتك لتُرذِلَ لنا بَنيك[1]، ولا لتَسومنا اللَّبن ! فتفرّقوا ، ووقعت الحربُ بينهم .

كلمة الحارث ابن عباد

وتُــكلم فى ذلك عند الحارث بن عُباد فقال : لا ناقةَ لى فى هذا ولا جَمل . وهو أوّل من قالها . فذَهبت مثلاً .

الحرب بين الحيين

وكانت الحرب بينهم أر بعين سنة . وكان بينهم فى تلك السِّنين خَمس وَقَعات

(١) أى تعطينا رذال بنيك .

مُزاحفات ، وفيما بين تلك الوقعات مُغاورات[1] : كان الرَّجلُ يَلقى الرجلَ ، والرَّجلان الرَّجلَيْن ، ونحو هذا . وكانت تارة يكون الظُّهور لبكر ، وتارة لتغلب ، وتارة يَنْتصف كلٌّ منهم من صاحبه .

مقتل همام

وفى بعض تلك الحُروب قُتل همّام بن مُرة أخو جسَّاس . وكان من حديث قَتْله أنه وَجد غُلاماً مَطْروحا ، فالتقطه وربَّاه وسمّاه : ناشرة ، فكان عنده لقيطاً . فلما شَبَّ فإذا هو من تَغلب . فلما التقَوا جعل همَّام يُقاتل ، فإذا عَطش رَجع إلى قِربة فشَرِب منها ، ثم وضع سلاحه . فوجد ناشرةُ من همّام غَفلةً ، فشدّ عليه[2] بالعَنَزة فأَقْصده فقَتله ، ولحق بقومه تَغلب .

مشاركة الحارث ابن عباد

فكان رئيسَ بكر ، بعد همّام بن مُرة ، الحارثُ بن عُباد ، وكان قد اعتزل الحَرب لما قُتل كُليب واستعظم قَتْل كُليب فى سُؤدده لناقة . فقَتل مهلهلُ بن ربيعة بُجيراً ، ابن أخى الحارث — وقيل : بل هو ابن الحارث نفسه — وقال حين قتله : بُؤ بشِسْع نَعل كُليب ! وبلغ قتلُه الحارثَ فقال : نِعم الغُلامُ غُلام أصلح بين أبنى وائل ! فلما سمعتْ بكرٌ قولَ الحارث قالوا له : إنّ مُهلهلاً لما قَتله قال : بُؤ بشِسْع نعل كُليب ! فغضب الحارثُ عند ذلك ونادى بالرَّحيل ، وقال :

قرِّبا مَرْبَطَ النَّعامة منِّى ... لَقِحَتْ حربُ وائل عن[3] حِيالِ

لا بُجيرٌ أغنَى قتيلاً ولا رَهْـ ... ـطُ كُليبٍ تزاجرُوا عن ضَلال

لم أكن من جُناتها شَهد اللّـ ... ـهُ وإنِّى بحرِّها اليومَ صَالى

أسر الحارث لمهلهل

ثم كانت بين الفريقَين وقعةٌ أسر فيها الحارثُ بن عُباد مُهلهلاً وهو لا يعرفه، فقال

(١) مغاورات : يغير فيها بعضهم على بعض .

(٢) العنزة : شبه العكازة ولها زج من أسفلها .

(٣) النعامة : فرسه . ولقحت : حملت . والحيال : ألا تحمل الأنثى . يريد : هاجت الحرب بعد سكون .

له : دُلَّنى على مُهلهل . فقال : ولى دَمِى؟ قال : ولك دمُك . قال: ولى ذمّتك وذمةُ أبيك ؟ قال : نعم . قال : فأنا مُهلهــل . قال : فدُلَّنى على كُفء لبُجير . قال : لا أَعلمه إلا امرأَ القيس بن أَبان، هذاكَ عَلَمُه . فجَزَّ الحارثُ ناصيةَ مُهلهل وأَطلقه، وقَصد قَصْد أمرىء القيس فقَتله ببُجير .

خروج مهلهل وإكراهه على تزويج ابنته

وخَرج مُهلهل بعــد الأَسر فَلحق بأَرض اليمن، فكان فى جَنْب[1] . فخَطب إليه أحدُهم ابنته . فأَبى أَن يفعل . فأَ كرهوه . فأَنكحها إيَّاه ، وقال فى ذلك :

أَنكحها فَقْـدُها الأَراقمَ[2] فى ... جَنْبٍ وكان الحِباء من أَدَمِ
لو بأَبانَـيْن[3] جاء يَخْطُبهـــا ... ضُرِّج ما أَنفُ خاطبٍ بدَم
أصبحتُ لا مُنْفِسًا[4] أصبتُ ولا ... أُبت كريمًا حُرًّا من النَّــدم
هانَ على تَغْلبٍ بمـا لقيتْ ... أُختُ بنى المالـكين من جُشَم
ليسوا بإخواننـا[5] الكرام ولا ... يُغْنُون من عَيْـلَةٍ ولا عَدَم

ومات جسَّاس بن مُرة — فيما ذُ كر — حَتْف أَنفه .

ترحيل جليلة عن مأتم كليب

وقيل :

لما قَتل جسَّاس كُليباً اُجتمع نساء الحىّ فقُلن لأُخت كُليب: رحِّلى جَليلة بنت مُرة ، أُخت جسَّاس ، عن مأْتمنا ، فإن قيامَها فيه شَماتة وعارٌ علينا عنـد العرب . فقالت لها : اُخرجى عن مأْتمنا، فأَنت أختُ واترنا وشقيقةُ قاتلنا . فخرجتْ وهى تجرُّ أَعْطافَها . فلقيها أَبوها مُرَّةُ فقال : ما وراءك يا جليلة ؟ قالت : ثُــكْل العَــدَد ، وحُزن الأَبد ؛ وفَقْد خَليل ، وقَتل أخٍ عمّا قليل ؛ و بين ذَيْن غرسُ الأَحقاد ،

---

(١) جنب : حى باليمن من مذحج .

(٢) الأراقم : حى من تغلب .

(٣) أبانان : جبلان .

(٤) المنفس : المال الكثير .

(٥) فى بعض أصول الأغانى : « بأكفائنا » .

وتفتّت الأكباد . قال : أوَ يكُف عن ذلك كرمُ الصّفح و إغلاء الدّيات ؟ فقالت : أُمنيَّة مَخدوع وربِّ الكعبة ، إنك لتعلم أنّ تغلب لا تدع دَم ربّها لك .

وقيل : قالت أُخت كُلَيب لمّا رحَّلت جليلةَ : رِحلةُ المُعتدى، وفِراق الشامت، و يلٌ غداً لآل مُرة ، من الكَرَّة بعد الكرة . فبلغ قولهُا جليلةَ ، فقالت : كيف تَشمت الحُرة بهَتْك ستْرها ، وترقُّب وِترْها . وأنشأت تقول :

يَابنــة الأقوام إن شئتِ فلا تَعْجلى باللّوم حتى تَســألِى

فإذا أنت تبيّنت الذى يُوجب اللّومَ فلُومى واعْـذِلى

إن تكُن أخت أُمرىء لِيمتْ على شفق منها عليـــه فافعلى

جَلَّ عندى فعلُ جسَّاس فيا حَسْرتِى عما انجلتْ أو تَنْجلى

فعلُ جسَّاس على وَجْدِى به قاطعٌ ظَهرى ومُدنٍ أَجلى

لو بعَــينٍ فُقِئتْ عينى سوى أُختهـا فانفقأتْ لم أَحْفــل

يا قَتيـــلاً قَوَّض الدهرُ به سَـقف بيتىَّ جميعاً من عَل

هَدم البيتَ الذى استحدثتهُ وانْثنى فى هَـدْم بَيْتى الأول

ورَمانى قتــلُه من كَثَبٍ رميــةَ المُصْمِى به المُستأْصل

يا نِســائى دونكنَّ اليومَ قد خصَّنى الدهرُ برُزْءٍ مُعْضِــل

خصَّنى قتــلُ كُلَيبٍ بلظًى من ورائى ولظًى مُستَقْبلى

ليس مَن يبكى ليومَيْه كمَن إنمــا يبكى ليومٍ يَنْجلى

يَشْــتفى المدركُ بالثّــأْر وفى دَرَكى بالثأْر ثُكْلُ[1] المُثْكل

ليتَه كانَ دمى فاحْتلبوا بدلاً منــه دماً من[2] أكحلى

إنّنى قاتـــلةٌ مَقْتولةٌ فلعــلَّ الله أن يرتاحَ لى

---

(١) المثكل : التى لازمها الحزن .

(٢) الأكحل : عرق فى الذراع .

أخبار ابن قيس الرقيات (*)

نسبه

هو عُبيد الله بن قيس بن شُرَيح بن مالك بن ربيعة بن أُهيب بن ضِبَاب بن حُجير بن عَبد بن مَعيص بن عامر بن لُؤَىّ بن غالب بن فِهر بن مالك بن النَّضر .

أمه ولقبه

وأُمه قتيلة بنتُ وَهب بن عبد الله . من بنى بكر بن عبد مناة بن كِنانة . وإنما لُقب بالرُّقيَّات لأنه شَبَّب بثلاث نسوة سُمِّين جميعاً رُقيَّة ، منهن : رُقيةُ بنت عبد الواحد بن أبى سعد بن قيس ، من بنى عامر بن لؤى ؛ وابنة عمٍّ لها يقال لها : رقيَّة ؛ وأخرى من بنى أُمية ، يقال لها : رُقية .

وفوده على عبد الملك بعد مقتل مصعب الزبيرى

قيل :

كان عُبيد الله بن قيس الرقيَّات مُنقطعاً إلى مُصعب بن الزُّبير بن العوّام ، ولم يزل فى صُحبته إلى أن قُتل .

قال عُبيد الله :

خرجْتُ مع مُصعب بن الزُّبير حين بَلَغه شُخوصُ عبد المَلك بن مَروان إليه ، فلما نَزل مُصعب بن الزُّبير بمَسْكِن[1] ورأى معالم الغَدْر ، دَعانى ودعا بمالٍ ومَناطق ، فملأ المَناطق من ذلك المال وألبسنى منها وقال لى : انطلق حيثُ شئت فإنِّى مقتول . فقلتُ : والله لا أَريم حتى أرى سبيلَك ، فأقمت معه حتى قُتل . ثم أقبلتُ إلى الكوفة ، فأول بيت صرتُ إليه دخلتُه . فإذا فيه امرأة لها ابنتان كأنهما ظَبيتان ، فرقِيتُ فى درجة لها إلى مَشْربة[2] فقعدتُ فيها . فأمرتْ لى المرأةُ

(*) جرد ابن واصل تجريده من « أخبار الهذلى » . وقد أورد أبو الفرج لسعيد الهذلى المغنى بعض أخبار قليلة قبل أخبار ابن قيس الرقيات .

(١) مسكن : موضع على نهر دجيل . كانت به الوقعة بين عبد الملك ومصعب سنة ٧١ هـ .

(٢) المشربة : الغرفة .

بما أحتاج إليــه من الطّعام والشّراب والفَرش والماء للوضوء . فمــكثتُ كذلك عندها أكثر من حول تُقيم لى ما يُصلحنى ، وتَغــدو علىّ فى كل صــباح فتسألنى بالصَّباح[1] والحاجة . ولا تسألنى من أنا ، ولا أسألها من هى ، وأنا فى ذلك أسمع الصِّياح فىّ والجُعْــلَ . فلما طال المُقام وفقدتُ الصياح فىّ وغرِضْتُ بمكانى غَدتْ علىّ تسألنى بالصَّــباح والحاجة . فأعلمتُها أنِّى قد غرِضتُ وأحببتُ الشُّخوص إلى أهلى . فقالت لى : نأتيك بما تحتاج إليه إن شاء الله . فلمَّا أمسيتُ وضرب الليلُ بأرواقه رقيتْ إلىّ وقالت : إذا شئت ؟ فنزلتُ . فأعدّت لى راحلتين عليهمــــا ما أحتاج إليه ومعهما عبد ، وأعطت العبد نفقةَ الطريق ، وقالت : العبد والراحلتان لك . فركبتُ وركب العبد معى حتى طرقتُ أهلى بمكّة ، فدققتُ منزلى . فقالوا : من هذا ؟ فقلتُ : عُبيدالله بن قيس الرقيّات . فوَلولوا و بكَوْا وقالوا : مافارقَنا طلبُك إلا فى هذا الوقت . فأقمتُ عندهم حتى أسحرتُ ، ثم نهضتُ ومعى العبد حتى قدمتُ المدينةَ ، فجئتُ عبد الله بن جَعفر بن أبى طالب عنــد المساء ، وهو يُعشِّى أصحابه ، فجلستُ معهم وجعلت أتعاجم وأقول : يار ، يار ، ابن طيار[2] . فلمّا خرج أصحابُه كشفتُ له عن وجهى . فقال : ابن قيس الرقيات ؟ قلتُ : ابن قيس ، جئتك عائذاً بك . فقــال : ويحك ! ما أجدَّهم فى طَلبك وأحرصهم على الظَّفر بك ، ولــكنِّى سأكتُب إلى أمّ البَنين بنت عبد العزيز بن مَروان ، وهى زوجةُ الوليد ابن عبد الملك ، وعبــد الملك أرقُّ شىء عليها . فكتب إليها يسألها أن تَشفع إلى عمّها . وكان عبدُ الملك يدخل إليها و يسألها : هل من حاجةٍ ؟ فدخل إليها عبدُ الملك كما كان يفعل وسألها : هل من حاجة ؟ قالت له : نعم ، لى حاجة . قال : قُضيت

(١) أى كيف أصبحت وما حاجتك .

(٢) يار : كلمة فارسية بمعنى : صاحب ، وشفيق ، ومعين . وطيار : لقب جعفر بن أبى طالب ، والد عبد الله . وكان قد قطعت يداه فى غزوة مؤتة فأثابه الله بذلك جناحين يطير بهما إلى حيث شاء فى الجنة . والذى فى بعض أصول الأغانى : « تيار ، تيار ، أى طيار » .

كُلُّ حاجة لك إلا ابنَ قيس الرقيات . فقالت : لا تَستثن علىَّ شيئاً . ونَفح بيده فأَصاب وَجهها . فوضعتْ يدها على خَدّها . فقال : ياُ بنتى، اُرفعى يدك ، فقد قضيتُ كل حاجة لك و إن كانت اُبن قيس الرقيَّات . فقالت : إنَّ حاجتى اُبن قيس تُؤَمّنه ، كتب إلى أبىَ يسألنى أن أسْأَلك ذلك . قال: فهو آمن ، فمُريه أن يحضُر مجلسى العشيَّة . فحضر اُبنُ قيس ، وحَضر النـاسُ حين بلغهم مجلس عبـد الملك . وأخَّر الإذن، ثم أذن للناس . وأخَّر إذن اُبن قيس الرقيَّات حتى أخذوا مجالسهم ، ثم أذن له . فلمّا دخل عليه . قال عبدُ الملك: يأهل الشام ، أتعرفون هذا ؟ قالوا : لا . قال: هذا عُبيد الله بن قيس الرقيات الذى يقول :

كيف نَومى على الفِراش ولمّـا تَشمل الشـأْمَ غارةٌ شَـعواء
تُذْهل الشَّيخ عن بَنيه وتُبـدِى عن خِدام[1] العَقيـلة العَـذراء

فقالوا : يا أمير المؤمنين ، اُسقنا دَم هذا المُنافق . قال : الآن وقد أمَّنتهُ وصار فى منزلى ! وقد أخرتُ الإذنَ لتقتلوه فلم تَفعلوا . فاسـتأْذنه اُبنُ قيس أن يُنشده . فا نشده قصيدتَه التى يقول فيها :

عادَ له من كَثيرةَ الطَّربُ فَعينُه بالدُّموع تَنسكبُ
كُوفيَّـــةٌ نازحٌ مَحلّتهُـا لا أَمَمٌ دارُها ولا صَـقَب
والله ما إن صَبتْ إلىَّ ولا إن كان بينى و بينهـا سَبب
إلّاالذى أورثت[2] كَثيرةُفى الْ قلب وللحُبِّ سَوْرةٌ عجب

حتى قال فيها :

---

(١) الخدام : جمع خدمة ، بالتحريك ، وهو الخلخال . وهوهنا فى نية : عن خدامها . وعدى « تبدى » بعن، لأن فيه معنى : تكشف .

(٢) فى بعض أصول الأغانى : « أثارت » مكان « أورثت » .

إنّ الأغرّ الذى أبوه أبو الـ معاصى عليه الوَقار والحُجُب
يعتـدِل التّاج فوق مَفْرِقه على جَبينٍ كأنه الذَّهب

فقال عبدُ الملك : تمدحنى بالتاج كأنى من العجم ، وتقول فى مصعب :

إنما مُصعبٌ شهابٌ من اللـه تجلّت عن وَجهه الظّلماء
ملكُه مُلك رحمةٍ[(١)] ليس فيه جَبروتٌ يُرى[(٢)] ولا كِبْرياء

أمّا الأمان فقد سَبق لك ، لكن والله لا تأْخذ مع المُسلمين عطاءً أبداً .

ومن هذه القصيدة البائيّة :

ما نَقموا من بنى أُميّة إلّا أنهم يَحْلمون إن غَضِبوا
وأنَّهم سَادةُ المُلوك فلا تصلحُ إلّا عليهمُ العَرب

مدح ابن جعفر على إحسانه إليه

وقال ابن قيس لعبدالله بن جعفر : ماينفعنى أمانى ، تُركتُ حيًّا كميت، لا آخذ مع الناس عَطاء ! فقال له عبدُ الله بن جعفر : كم بلغتَ من السنّ ؟ قال : ستّين سَنة . قال : فعمِّر نفسك . قال: عشرين سنة مِن ذى قِبَلٍ[(٣)] . قال : عشرين سَنة ، فذلك ثمانون . قال: كم عطاؤك ؟ قال: ألف درهم . قال: فأمر له بأربعين ألف درهم، وقال: ذلك لك حتى تموت على تعميرك نفسك. فعند ذلك قال عُبيدالله بن قيس يَمدحه:

تقدَّتْ بىَ[(٤)] الشَّهباء نحو ابن جَعفرٍ سواءٌ عليها ليلُها ونَهارُها
تَزُور امرأً قد يَعلم الله أنّه تَجود له كفٌّ بَطىءٌ[(٥)] غِرارها
أتيناك نُثْنى بالّذى أنت أهلُه عليك كما أثنى على الأرض جارها

(١) فى بعض أصول الأغانى : « عزة » مكان « رحمة » .
(٢) فى بعض أصول الأغانى : « منه » مكان « يرى » .
(٣) أى فى المستقبل .
(٤) تقدت : أى سارت سيراً ليس بعجل ولا مبطىء .
(٥) الغرار : أن تمنع الناقة درّها . يريد أن منعها المعروف بطىء . وفى رواية : « قليل قرارها » .

فوالله لولا أن تَزُرر ابنَ جَعفرٍ ... لكان قليلاً فى دِمَشْق قَرارُها
إذا مِتُّ لم يُوصَلْ صَديق ولم تُقَمْ ... طريقٌ من المعروف أنت مَنارها
ذكرتُك أن فاض الفُراتُ بأرضِنا ... وفاض بأعلى الرقَّتَيْن[1] بِحارها
وعندىَ مما خَوّل الله هَجمةٌ ... عَطاؤك منها شَوْلُها[2] وعِشارها
مُباركةٌ كانت عطاءَ مُبارَكٍ ... تُمانِح[3] كُبْراها وتَنْمِى صِغارها

وقيل :

أَمر له عبدُ الله بن جعفر بجاريةٍ حَسْناء بعد أن أَمَّنه عبدُ الملك : فقال يمدحه ويذكر إحْسانَه إليه :

إذا زُرتُ عَبدَ الله نفسِى فداؤُه ... رجعتُ بفضلٍ من نَداهُ ونائلِ
وإن غِبْتُ عنه كان للوُدِّ حافظاً ... ولم يَكُ عنِّى فى المَغيب بغافلِ
تَداركنى عبدُ الإلٰه وقد بدتْ ... لذى الحِقْدِ والشَّنْآن منِّى مَقاتلى
وأنقذنى من غَمرة الموت بعد ما ... رأيتُ حِياضَ الموت جَمَّ المناهل
حَبانِىَ لما جئتُه بعطيَّةٍ ... وجاريةٍ حسناءَ ذاتِ خَلاخل

بين ابن المسيب ونوفل فى المفاضلة بينه وبين ابن أبى ربيعة

وحكى سَعيد بن مُسلم بن وَهب قال :

دخلتُ مسجد رسُول الله صلَّى الله عليه وسلم مع نَوفل بن مُساحق ، فإنه لمُعتمدٌ علىَّ ، إذ مررنا بسعيد بن المُسيِّب فى مجلسه ، فسلَّمنا عليه فردَّ علينا سَلامَنا ، ثم قال لنوفل : يا أبا سَعيد ، من أشعر : أَصاحبنا أم صاحبُكم ؟ يعنى عُبيد الله

(١) الرقتان : الرقة والرافقة ، بلدان على الفرات متصلا البناء .

(٢) الهجمة : الأربعون من الإبل إلى ما زادت . أو ما بين السبعين إلى المائة . والشول : جمع شائلة ، وهى من الإبل ما أتى عليها من يوم نتاجها سبعة أشهر فارتفع ضرعها وخف لبنها . والعشار : جمع عشراء ، وهى التى مضى لحملها عشرة أشهر .

(٣) تمانح : تدر فى الشتاء .

ابن قَيس الرقيَّات ، أو عمر بن أبى ربيعة . فقال نَوفَل : حين يقُولان ماذا ؟ فقال : حين يقول صاحبُنا :

خليليَّ ما بالُ المَطىّ كأنما نَراها على الأدبار بالقَوم تَنْكُصُ
وقد أَبعد الحادى سُراهُنَّ وانْتحى بهن وما يَألو عَجُولٌ مُقَلِّص
وقد قُطِّعَتْ أَعْناقُهنَّ صَبابةً فأنفُسنا ممّا تُكلَّف تَشْخص
يَزِدْن بنا قُرباً فيزدادُ شوقُنا إذا زاد طُول العَهد والبعدُ يَنْقُص

ويقول صاحبُكم ما شئت . فقال نَوفل : صاحبكم أشهر بالقول فى الغَزل ، وصاحبُنا أكثر أفانينَ شِعْر . قال : صدقتَ . فلما انقضى ما بينهما من ذكر الشِّعر جعل سَعيد بن المُسيِّب رَحمه الله يَستغفر الله ويَعْقد بيده ويَعُد بالخمس كلها حتى وَفّى المائة . فلما فارقْناه قلت لنوفل : أَتراه استغفر الله من إنشاده الشِّعر فى مسجد رسول الله صلى الله عليه وسلم ؟ فقال : كلا ، هو كثير الإنشاد والاستنشاد ، ولكنى أحسبه للفَخْر بصاحبه .

فضله ابن أبى عتيق هو وابن أبى ربيعة على كثير

وحكى إبراهيم بن أبى عُبيد الله[1] قال :

أنشد كُثيِّرٌ ابنَ أبى عَتيق كلمته التى يقول فيها :

ولستُ براضٍ من خليلٍ بنائلٍ قليلٍ ولا أرضى له بقليلِ

فقال له : هذا كلامُ مكافىء ليس بعاشق ! القُرشيّان أصدقُ وأقنع منك : ابن أبى ربيعة حيث يقول :

ليت حَظِّى كطَرْفة العين منها وكثيرٌ منها القليلُ المُهَنَّا

وقولُه :

(١) فى بعض أصول الأغانى : « إبراهيم بن أبى عبد الله » . وفى بعض آخر : « إبراهيم ابن عبد الله » .

فعِـدِى نائلاً و إنْ لم تُنيلِى إنّه يُقْنِـع المُحبَّ الرّجاء

وابن قيس الرقيّات حيث يقول :

رُقَىَّ بعَيْشِكم لا تَهْجُرينـا ومَنِّينـا المُنَى ثم امْطُلينَا

عِدينـا فى غَـدٍ ما شئتِ إنّا نُحب و إن مَطَلْتِ الواعِدينا

فإمّا تُنْجزى عِـدَتى و إمّا نَعيش بمـا نُؤمل منك حِينا

أَغرّكِ أنّنى لا صَبْرَ عِنْدى على هَجرٍ وأنّك تَصْبرينـا

و يومَ تبعتُـكم وتركتُ أهلى حنين العَوْدِ[1] يَتّبع القَرِينا

قال : فذكرتُ ذلك لأبى السائب المَخْزومىّ ، ومعه ابن المَولى . فقال: صَدق ابن أبى عَتيق وفقّه الله ! ألا قال المَدْيون كُثيِّر كما قال هذا حيث يقول :

وأبكى فلا لَيلى بكتْ من صَبابةٍ لباكٍ ولا لَيلى لذى الوُدِّ تَبـْذُلُ

وأَقْنع[2] بالعُتْبَى إذا كنتُ مُذنباً و إن أذنبتْ كنتُ الذى أتنصلَ

شعره الذى فيه الغناء

والشعرُ الذى فيه الغناء ، وافتتح به أبو الفَرج أخبار ابن قيس الرقيّات ، هو :

عَلِّلِ القومَ يَشْرَبُوا كى يَـلذُّوا و يَطْرَبُوا

إنمـا ضَـلَّل الفُؤا دَ غَـزالٌ مُرَبَّب

فَرشـتْه على النِّمـا رِقِ سُعْدَى وزَيْنب

حالَ دون الهوى ودو ن سُرى اللَّيل مُصعب

وسِـياطٌ على أكُـ ـفٍّ رِجالٍ تقَلَّب

خبر مصعب بن عبد الرحمن على المدينة

وهـذا الشعر قاله ابنُ قيس الرقيّات فى مُصعب بن عبـد الرحمن بن عوف الزُّهرى ، وكان مروان بن الحَكم ، لمّا كان والياً على المدينة ،ولّاه شُرطته ، فقال :

---

(١) العود : الجمل المسن وفيه بقية .

(٢) فى بعض أصول الأغانى : « وأخنع » .

إنّى لا أَضبط المدينةَ بحَرس المدينة ، فابغنى رجالاً من غيرها . فدعا له بمائتى رجل من أهل أَيلة[١] ، فضَبطها ضبطاً شديداً . فبقى إلى أن وَلِى عمرو بنُ سَعيد ابن العاص المدينةَ ، وخَرج الحسينُ بن علىّ رضى الله عنهما ، وعبد الله بن الزُّبير . فقال له عمرو : اُهدم دُور بنى هاشم وآلِ الزبير . فقال : لا أفعل . فقال : انتفخ سَحرك[٢] يابن أُم حُرَيث ! أَلقِ سَيْفَنا . فأَلْقاه ولَحِق بابن الزُّبير . وولّى عمرو ابنُ سعيد شُرطَته عَمرو بنَ الزُّبير بن العوّام ، وأمره بِهَدْم دُور بنى هاشم وآل الزُّبير . ففعل ، وبلغ منهم كُل مبلغ ، وهدم دار ابن مُطيع التى يقال لها : العَنْقاء . وضرب ابن أخيه محمد بن المُنذر بن الزُّبيرمائةَ سوط . ثم دَعا بأخيه عُروة بن الزُّبير — رحمه الله — لِيَضربه . فقال له محمد : أَتضرب عُروة ؟ قال : نعم يا سَبَلانىّ[٣] ، إلا أن تَحتمل ذلك عنه . قال : أنا أَحتمله . فضَربه مائةَ سوط أُخرى . ولحق عُروة بأخيه عبد الله بن الزُّبير . وضَرب عمرٌو الناس ضرباً شديداً ، فهربوا منه إلى ابن الزُّبير . فلما أَفضى الأَمرُ إلى ابن الزُّبير ظَفِر بأخيه عَمرو بن الزُّبير ، فضربه بالسِّياط ضرباً مُبرِّحاً ، فمات من الضَّرب . فدفَنه فى غير مَقابر المُسلمين ، وقال للناس : إنّ عَمرًا مات مرتدًّا عن الإسلام .

استشهاد للمؤلف بشعر لأبى فراس

قلت :

وإلى مُفارقة عمرٍو أخاه ابن الزُّبير ، وصَيرورته مع أعدائه ، وإلى مُفارقة عَقيل بن أبى طالب أخاه علىّ بن أبى طالب رضى الله عنه وصَيرورته مع مُعاوية ، وحضوره معه حَرب صِفِّين، أشار أبو فِراس بقوله :

نَعم دَعت الدُّنيا إلى الغَدر دَعوةً ... أجاب إليها عالمٌ وجَهولُ
وفارق عمرو بنُ الزُّبير شَقيقَه ... وخَلَّى أميرَ المُؤمنين عَقيلُ

(١) أيلة : مدينة على ساحل بحر القلزم مما يلى الشام .
(٢) السحر : الرئة . وهذه كلمة تقال للجبان .
(٣) السبلانى : الطويل السبلة ، وهى شعرات تكون فى المنحر .

أخبار مالك بن أبي السمح

نسبه وكنيته وشىء من صفاته

هو مالك بن أبي السَّمْح . واسم أبي السَّمح : جابر بن ثعلبة الطَّائىّ ، أحد بنى ثُعَل ، ثم أحد بنى عمرو بن دَرْماء . ويُكنى أبا الوليد . وأُمه قُرشيَّة من بنى مَخزوم . وكان أبوه مُنقطعاً إلى عبد الله بن جعفر بن أبي طالب . وكان مالك يَتيماً فى حِجْره ، أَوصى به أبوه إليه . وكان ابن جعفر يكفُله ويَمُونُه ، وأدخله وسائر إخوته فى دَعْوة بنى هاشم .

عمن أخذ الغناء وعمره

وأخذ الغناء عن جَميلة ، ومَعْبد . وعُمِّر حتى أَدرك الدَّولة العبَّاسيَّة . وكان مُنقطعاً إلى سُليمان بن علىّ بن عبد الله بن العبَّاس . ومات فى خلافة أبى جعفر المنصور .

شعر للحسين بن عبيد الله فيه

وفى مالك هذا يقول الحُسين بن عُبيد الله بن العبَّاس :

لا عَيْشَ إلا بمالك بن أبى السَّـ ... ـمْح فلا تَلْحَنى ولا تَلُمِ
أبيضُ كالبدر أو كما يَلْمع الْـ ... ـبارقُ فى حالك من الظُّلَمِ
مَن ليس يَعْصيك إنْ رَشَدتَ ولا ... يَهْتِكُ حقَّ الإسلام والحُرَمِ
يُصيبُ من لذَّة الكريم ولا ... يجهل آىَ التَّرخيص فى(1) اللَّمَمِ
يا رُبَّ يوم لنا كحاشية الْـ ... ـبُرد ويومٍ كذاك لم يَدُمِ
نعمتُ فيه ومالكَ بن أبى السَّـ ... ـمح الكريمَ الأخلاق والشِّيَمِ

وقيل : إن مالكاً لما سمع هذا الشعر قال : لا والله ، ولا إن غَويتَ أيضاً أعصيك .

---

(1) اللمم : مقاربة الذنب من غير مواقعة . قال تعالى : (الذين يجتنبون كبائر الإثم والفواحش إلا اللمم) .

غنى للوليد فلم يطرب ثم غناء ثانية فطرب

وحُكى أن الوليد بن يزيد بن عبد الملك قال لمعبد المُغنِّى : قد آذَتْنى وَلْوَلتُك هذه ! وقال لابن عائشة : قد آذانى استهلالك هذا ! فاطلُبا لى رجلاً يكون مذهبُه متوسِّطاً بين مذهبَيْكما . فقالا له : مالك بن أبى السَّمح . فكتب فى إشخاصه إليه وسائر مُغنِّى الحجاز المذكورين . فلمّا قَدم مالكٌ على الوليد ، فيمن معه من المُغنِّين ، نزل على الغَمْر بن يزيد . فأدخله على الوليد ، فغنّاه فلم يُعجبه . فلمّا انصرف الغَمر قال: إن أمير المُؤمنين لم يُعجبه شىء من غنائك . فقال له : جعلنى الله فِداك ! اطلُب لى الإذن عليه مرة أُخرى ، فإن أَعجبه شىء مما أُغنِّيه و إلا انصرفتُ إلى بلادى . فلمّا جَلس الوليدُ مجلس اللَّهو ذَكره الغَمر ، فطلب له الإذن وقال له : إنّه هابك فَحصِر ، فأْذن له . فبعث إليه . فأمر مالكٌ الغُلام فَسقاه ثلاث صُراحيّاتٍ[1] صِرْفاً ، وخَرج حتى دخل عليه يَخْطر فى مِشيته . فلما بلغ باب المجلس وقف ولم يُسلِّم ، وأخذ بحَلْقة الباب فقَعْقعها ، ثم رفع صوتَه فغنَّى :

لا عَيش إلا بمالك بن أبى السَّـ ـمْح فلا تَلْحَنى ولا تَلُمِ

فطرب الوليدُ ورفع يديه مادًّا لهما إليه حتى بان إبطاه ، وقام فاعتنقه وقال له : اُدْن يابن أخى . فدنا حتى اعتنقه . ولما انتهى مالكٌ إلى قوله :

أَبيضُ كالسَّيف أوكما يلمع الـ ـبارقُ فى حالِك من الظُّلَمَ

قال له الوليد بن يزيد :

أَحولُ كالقِرد أوكما يرقُب السَّـ ـارقُ فى حالكٍ من الظُلم

وكان مالك طويلاً أحنى فيه حَوَل .

ثم أخذ مالكٌ فى صوته ، فلم يزالوا فيه أيّاماً . ثم أَجزل له العطيّة حين أراد الانصراف .

---

(١) الصراحيات : آنية للخمر .

بين ابن عائشة وابن أبي السمح فى مقتل الوليد

وحكى ابن عائشة قال:

حضرنا الوليد بن يزيد يوم قُتل، وكان معنا مالك بن أبي السَّمح، وكان من أحمق الخَلق، فلما قُتل الوليد قال: اهرُب بنا. فقُلت: وما يُريدون منّا؟ قال: وما يُؤمنك أن يأخذوا رأسَيْنا فيجعلوا رأسه بينهما ليحسِّنوا بذلك أمرهم.

قال ابن عائشة: فما رأيت منه عقلاً قطُّ قبل ذلك اليوم.

أخبار النَّهدىّ والوليد بن عُقْبَة

ابن أبى معيط

حديث إيغار زهير صدر الحارث الغسانى على النهديين

أمَّا النَّهدىُّ ، فذُكر أنّ الحارث بن مارية الجَفْنىّ الغسَّانى كان مُكرِماً لزُهير ابن جَنَاب الكَلْبى ، يُنادمه ويُحدِّثُه[1] . فقدِم على المَلك رجلان من بنى نَهْد ابن زَيد ، يُقال لهما : سَهْل ، وحَزْن ، ابنا رِزاح . وكان عندهما حديثٌ من أحاديث العرب وأخبارها . فاجتباهما الملكُ ، ونَزَلا منه المكانَ الأثير . فَحسدهما زُهير بن جَناب ، فقال : أيها الملك ، هما والله عَينُ المُنذر عليك — يعنى المُنذر الأكبر جَدَّ النُّعمان بن المُنذر — وهما يكتُبان إليه بعَوْرتك وخَلَل ما يريان منك . فقال : لا. فلم يزل به زُهير حتى أوغر صدرَه . وكان إذا رَكب يَبعث إليهما بعيرَيْن. فبعث إليهما بناقةٍ واحدة ، فعَرفا الشرَّ ، فلم يركب أحدُهما ، فقال له الآخر :

فإلّا تَجلَّلْها يُعالُوكَ[2] فوقَها ... وكيف تَوَقَّى ظهرَ ما أنت راكِبُهْ

فركِباها هو وأخوه ، ومُضى بهما فقُتلا .

وهذا البيتُ من أبياتٍ للوليد بن عُقْبة ، وهو الشِّعر الذى فيه الغِناء ، وافتتح به أبو الفَرج أخبار النَّهدىّ والوليد . وأبيات الوليد :

نعم[3] قَتَلُوه كى يكونُوا مكانَه ... كما غَدرتْ يوماً بكسرى مَرازِبُهُ

بنى هاشمٍ خَلُّوا[4] سِلاحَ ابن أُختكم ... ولا تَنْهبُوه لا تَحِلُّ مَناهبُه

---

(١) فى بعض الأصول من الأغانى : « يحادثه » .

(٢) تجللها ، أى تتجللها ، مضارع حذفت تاؤه . وتجلل الشىء : علاه . وعالاه : رفعه .

(٣) فى بعض أصول الأغانى : « هم » مكان « نعم » .

(٤) فى بعض أصول الأغانى : ردوا » مكان « خلوا » .

حديث مقتل رزاح

قيل : إنّ الملك الحارث بَحث عن أمر النَّهديَّيْن بعـد ذلك فوجده باطلاً ، فشَتم زُهيراً وطَرده . فانصرف إلى بلاد قومه . وقَدم رِزاح أبو الغُلامين ، فأكرمه المَلك وأعطاه دِيَةَ ابنَيه . و بَلغ زهيرَ بن جَناب مكانُه ، فدعا ابناً له يقال له : عامر ، وكان من فِتْيان العرب لساناً و بياناً ، فقال له : إنّ رِزاحاً قد قَدِم على الملك ، فالْحَق به واحتَلْ فى أن تكفِيَنيه ، واذْمُمْنى عند الملك ، وتبرَّأْ منِّى . وأثِّر به آثاراً . فخرج الغلامُ حتى قَدِم الشأمَ ، فتلطَّف للدُّخول على الملك حتى وَصل إليه. فأعجبه ما رأى منه ، فقال : من أنت ؟ قال : أنا عامرُ بن زُهير بن جَنـاب . قال : فلا حيَّاكَ الله ولا حيّا أباكَ الغادرَ الـكَذُوب الساعىَ ! فقال له : نعم ، فلا حيّاه الله ! انظُر أيها المَلك ما صَنع بظَهرى . وأَراه الضَّرْبَ . فقَبِل منه ذلك وأَدخله فى نُدمائه . فبينا هو يوماً يُحدِّثه إذ قال له : أيها الملك ، إن أَبى و إن كان مُسيئاً فلستُ أَدَع أن أقول الحقَّ ، قد والله نَصحك أبى . ثم أنشأ يقول :

فيالكِ نَصْحةً لمَّـا نَذُقْهـا ... أراها نَصحةً ذهبتْ ضَلالَا

ثم تركه أيّاماً ، وقال له بعد ذلك : أيها الملك، ماتقول فى حَيَّـة قَطعتَ ذَنبها و بقى رأسُها ؟ قال : ذاكَ أبوكَ وصَنيعه بالرَّجُلين ما صنع . قال : أبيتَ اللَّعن ! والله ما قَدم رِزاح إلّا ليثأر بهما . فقال : وما آيةُ ذلك ؟ قال : اسْقه الخمر ثم ابعث إليه عيناً يَأْتك بخبره . ففعَل ، فلما انتشى صَرفه إلى بيته ومعـه بنتٌ له ، و بعث إليه عُيوناً . فلما دخل قُبَّته ، قامت ابنتهُ تُسانده ، فقال :

دَعينى من سِنادكِ إنّ حَزْناً ... وسَهلاً ليس بعـدهما رُقُودُ

ألا تَسلين عن شِـبْلَىَّ ماذا ... أصابهما إذا اهْترش[1] الأُسود

فإنّى لو ثأرتُ المـرءَ حَزناً ... وسَهلاً قد بدا لكِ ما أُريد

(١) اهترشت الأسود : تقاتلت وتواثبت .

فرجع القومُ إلى المَلك فأخبروه بما سَمِعوا ، فأمر بقَتْل النَّهـدى ، وردَّ زُهيراً إلى موضعه .

وأما الوليد بن عقبة

نسب الوليد بن عقبة

فيُكنى أبا وهب . وهو أخو عُثمان بن عفَّان رضى الله عنه لأُمه أَروى بنت كُريز . وأُمهما البَيضاء ، عمّة رسول الله صلّى الله عليه وسلم .

توليه الكوفة

وكان من فِتيان قُريش وشُجعانهم وكُرمائهم ، وكان فاسـقاً . ولَّاه عُثمان رضى الله عنه الـكُوفةَ ، فشَرب الخمر ، وشُهد عليـه بذلك ، فحدَّه عثمانُ رضى الله عنه وعَزله .

وذُكر أنّ سَبب توليته الـكُوفة أن عُثمان رضى الله عنـه لم يكُن يجلس معه على سَريره إلا العبّاس بن عبـد المطلب ، وأبو سُـفيان بن حَرب ، والحَـكم بن أبى العاص ، والوليد بن عُقبة . فأقبل الوليـدُ يوماً فجلس ، ثم أقبل الحـكم ، فلمّا رآه الوليدُ زَحَل(١) له عن مَجلسه . فلما قام الحَـكم قال الوليد : والله يا أميرَ المُؤمنين لقد تلَجلج فى صَـدْرى بَيْتان قلتُهما حين رأيتُك آثرت عمَّك على ابن أُمك . فقال له عثمان : إنه شَيخ قُريش ، فما البيتان اللذان قلتَ ؟ قال : قلتُ :

رأيتُ لعمِّ المرء زُلْفَى قَرابةٍ ... دُوَيْنَ أَخيه حادثاً لم يكن قِدْمَا
فأمَّلتُ عَمراً أن يَشِبّ وخالداً ... لـكى يدعُوانى يومَ مَرْحمةٍ(٢) عمّا

يعنى : عمراً ، وخالداً ، ابنى عُثمان . فرقّ له عثمان وقال : قد وليتُك العراق ، يعنى الـكوفة .

سـيرته فى الكوفة

قيل :

---

(١) زحل : تنحى و تباعد .

(٢) فى بعض الأصول : « يشيب » مكان « يشب » و « مزحمة » مكان « مرحمة » .

لما ولاه عُثمان رضى الله عنه الكوفةَ، وعليها سعدُ بن أبى وقّاص، فأُخبر بقُدومه فقال: وما صَنع؟ قال: وقف فى السُّوق فهو يحدِّث الناسَ هناك، ولسنا نُنكر شيئاً من شأنه. فلم يَلبث أنْ جاءه نصفَ النَّهار، فاستأذن على سعد، فأذِن له، فسلَّم عليه بالإمْرة وجلس معه. فقال له سعد: ما أقدمك أبا وهب؟ قال: أحببتُ زيارتك. قال: وعلى ذلك أجئتَ بريداً؟ قال: أنا أرزنُ من ذلك، ولكنَّ القوم احتاجوا إلى عملهم فسرَّحونى إليه، وقد استعملنى أمير المُؤمنين على الكوفة. فمكث طويلاً ثم قال:

خُذينى وجُرِّينى ضباعُ وأبْشرِى　　بلحم امرىء لم يَشْهدِ اليومَ ناصِرُهْ

فقال الوليد: أمَا والله لأنا أقْول للشِّعر وأرْوى له منك! وإن شئتَ لأَجبتُك، ولكنى أدع ذلك لما لا تَعلم[1]. نعم والله، وقد أُمرتُ بمُحاسبتك والنَّظرِ فى أمر عُمّالك. ثم بَعث إلى عُمّاله فحَبسهم وضيَّق عليهم. فكتبوا إلى سعد يَسْتغيثون. فكلمه فيهم، فقال: أوَ لِلْمعروف عندك موضع؟ قال: نعم والله! فخلَّى سبيلَهم.

وذُكر أنّ الوليد صلَّى بأهل الكُوفة الغداةَ أربع رَكعات، ثم التفت إليهم فقال: أأزيدكم؟ فقال عبدُ الله بن مَسعود رضى الله عنه: ما زِلْنا معك فى زيادة منذُ اليوم.

شعر الحطيئة فى شربه الخمر

وقال الحطيئة فيه، حين شُهد عليه بشُرب الخمر:

شَهد الحُطيئةُ حين يَلْقى رَبَّه　　أنَّ الوليدَ أحقُّ بالعُذْرِ
نادَى وقد تمَّت صلاتُهمُ　　أأزيدكم سُكْراً وما يدرى
فأبَوا أبا وَهْبٍ ولو أذِنوا　　لقَرنْتَ بين الشَّفع والوَتْر
كَفُّوا عِنانَك إذ جرَيْت ولو　　تركُوا عِنانَك لم تَزل تَجْرى

(١) فى بعض أصول الأغانى: «لما تعلم».

وقال الحُطيئة أيضاً :

تكلّم فى الصّلاة وزاد فيها علانيةً وجاهَر بالنِّفاقِ
ومَجَّ الخمر فى سَنَن المُصلَّى ونادَى والجميعُ إلى افتراق
أزيدكمُ على أن تحمدونى وما لكمُ وما لى من خَلاق

حده وحديث ذلك

وذُكر أنَّ الوليد تقيَّأ الخمر فى المِحراب وقرأ فى الصلاة رافعاً صَوْته :

عَلِق القلبُ الرَّبابَا بعد ما شابتْ وشابَا

فشَخص أهل الكوفة إلى عثمان فأخبروه بخَبره ، وشَهدوا عليه بشُربه الخمر . فأُتى به وأَمر رجلاً ليضربه الحدَّ . فلما دَنا منه قال : نَشدتُك الله وقَرابتى من أمير المُؤمنين . فخاف علىُّ بن أبى طالب رضى الله عنه أن يُعطّل الحدُّ ، فقام إليه فحدَّه . فقال الوليد : نَشدتُك الله والقرابة ! فقال له علىٌّ : اسكت يا أبا وَهْب . فإنما هلكتْ بنو إسرائيل بتَعطيلهم الحُدود ! وقال : لتَدْعونِّى قُريش بعد هذا جلّادها .

وقيل :

إنَّ عُثمان رضى الله عنه لمَّا قال لعلىّ رضى الله عنه : قُم فاضربه . فقال له الحسن : مالك ولهذا ؟ يكفيك غيرُك . فقال علىٌّ لعبد الله بن جعفر : قُم فاضربه . فضربه بمِخْصرة[1] فيها سيرٌ لها رأسان . فلما بلغ أربعين قال : حَسْبُك ! أَمْسك ، جَلد رسول الله صلَّى الله عليه وسلَّم أربعين ، وجَلد أبو بكر أربعين ، وكمَّلها عُمر ثمانين ، وكُلٌّ سُنَّة .

شعر أبى زبيد فى هذا

وقيل :

كان أبو زُبيد الطَّائى نديماً للوليد بن عُقبة أيَّام ولايته الكُوفة . فلما شُهد عليه بالسُّكر من الخمر وخَرج عن الكوفة ، قال أبو زبيد الطائى :

(١) المخصرة : العصا ، والمقرعة ، ونحوهما .

مَن يَرى العِيرَ لابن أروى على ظَهـ ـر المَرْوَرَى حُـداتُهن عِجَالُ
يعرف الجاهلُ المُضلَّل أن الـ ـدَّهر فيـه النَّكْراء والزّلزال
ليت شِعرى كذا كم العهدِ أم كا نُوا أناساً كمن يزول فزَالوا
بعـد ما تَعْلمين يا أُم زَيْد كان فيهم عِزٌّ لنـا وجَمـال
ووُجـوهٌ تَودُّنا[1] مُشرقاتٌ ونَوالٌ إذا يُمَـدُّ النَّوال
ولعمرو الإله لو كان للسَّيْـ ـف مَصـالٌ وللسان مَقال
ما تناسيتُك الصَّفاءَ ولا الوُ دَّ ولا حَال دونك الأَشْـغال
قولهم شُربك الحَرامَ وقـد كا ن شرابٌ سوى الحَرام حَلال
وأبَى الظَّاهرُ العَـداوةِ إلاّ شَـنَآناً وقولَ ما لا يقـال
مَن يَخُنْك الصَّفاء أو يتبدَّل أو يزُل مثـل ما تزول الظِّلال
فاعلمَنْ أنَّنى أخوك أخو الوُ دّ حيـاتِى حتى تزول الجِبال
ولك النَّصر باللِّسان وبالكـ ـفّ إذا كان لليـدَيْن مَصـال

مثل من تقريبه لأبى زبيد

وذُكر أنَّه لما قَدم الوليدُ بن عُقبة الكوفةَ ، قَدم عليه أبو زُبيد الطائى ، وهو نَصْرانىّ ، فأنزله دار عَقيل بن أبى طالب على باب المَسجد . فكان مما احتَجّ به على الوليد أهلُ الكوفة أنَّ أبا زُبيد كان يخرُج إليه من داره يخترق المَسجد فيجعله طريقاً ، ويسمُر عنده ويشرب معه ، ثم يخرُج فيشقّ المَسجد وهو سكران .

ما نزل فيه من القرآن

وقد ذُكر أنّ قولَ الله تعالى : (يأيُّها الَّذين آمَنُوا إنْ جاءكم فاسِقٌ بنَبأٍ فتبيَّنوا أن تُصيبوا قوماً بجَهالةٍ فتُصْبحوا على ما فَعلتُم نادمين) إنما نزل فى الوليد ابن عُقبة هذا . كان رسول الله صلّى الله عليه وسلم بَعثه إلى بنى المُصطلق مُصدّقاً ، فلمّا رأوه أقبلوا نحوه ، فهابهم . فرجع إلى النبىّ صلَّى الله عليه وسلَّم فأخبره أنهم

(١) فى بعض أصول الأغانى : « بودنا » مكان « تودنا » .

قد ارتدُّوا عن الإسلام . فبعث النبيُّ صلَّى الله عليه وسلَّم خالدَ بن الوليد وأمره أن يتثبَّت ولا يَعْجل . فانطلق خالد حتى أتاهم ليلاً ، فبعث عُيونه ، فجاءوه فأخبروه أنهم مُتمسِّكون بالإسلام ، وسمعوا آذانَهم وصلاتهم . فلما أَصبحوا أتاهم خالدٌ فرأى ما أعجبه ، فرَجع إلى النبى صلى الله عليه وسلم فأَخبره .

الرسول صلى الله عليه وسلم بينه وبين امرأته

وحدَّث عليُّ بن أبى طالب رضى الله عنه : أنّ امرأة الوليد بن عُقبة جاءت إلى النبىّ صلى الله عليه وسلم تَشتكى الوليد ، وقالت: إنه يَضربها . فقال لها : ارجعى وقُولى له : إنّ رسول الله قد أَجارنى . فانطلقت فمكثت ساعةً ثم رجعتْ ، فقالت : ما أقلع عنى . فقطع رسولُ الله صلى الله عليه وسلم هُدبة من ثوبه ثم قال : امضى بها ثم قولى : إن رسول الله أجارنى . فانطلقت ، فمكثت ساعة ثم رجعت فقالت : يا رسول الله، ما زادنى إلا ضرباً . فرفع صلَّى الله عليه وسلم يَده وقال : اللهم عليك الوليد ! مرّتين أو ثلاثاً .

قدوم أمه به على النبى صلى الله عليه وسلم وهو صبى

وقيل :

إنّ الوليد بن عُقبة قال : لما فَتح رسول الله صلَّى الله عليه وسلَّم مكة ، جعل أهل مكة يأتُونه بصِبْيانهم، فيدعو لهم بالبركة ويَمسح بيده على رُءوسهم . فجىء بى إليه وأنا مُخَلَّق[1] ، فلم يَمسَّنى ، وما مَنعه إلا أن أُمى خلَّقتْنى بخَلُوق ! فلم يَمسَّنى من أجل ذلك .

حديثه مع جندب حين قتل الساحر

وقيل :

كان عند الوليد بن عُقبة ، وهو والى الكُوفة ، رجلٌ ساحر ، فجعل يدخُل فى جَوف بقرة ويخرُج . فرآه جُنْدَب بن كَعب ، فذَهب إلى بيته فاشتمل على سَيْفٍ ، فلما دخل الساحرُ فى البقرة قال جُنْدب : أتأتُون السِّحر وأنتم تُبصرون !

(١) مخلق : مطيب بالخلوق ، وهو الزعفران .

ثم ضَرب وسطَ البقرة فقطَعها وقطع الساحر . فانذعر الناسُ . فسجنه الوليدُ ، وكتب بذلك إلى عثمان رضى الله عنه . وكان السجَّان يفتح له باللَّيل فيَذهب إلى أهله ، فإذا أصبح دخل السجن . وكان على السِّجن رجلٌ ، فلما رأى جُنْدباً يقوم ويُصبح صائماً ، قال : والله إنّ قوماً هذا شرُّهم لقومُ صِدْقٍ . فوكَّل بالسجن رجلاً ودخل الكوفةَ ، وكان السجنُ خارجاً ، فسأل عن أفضل أهل الكوفة . فقالوا : الأشعثُ بن قيس . فاستضافه . فجعل الأشعثُ ينامُ الليل ثم يُصبح فيدعو بغَدائه . فخَرج من عنده فسأل : أى أهل الكوفة أفضل ؟ فقالوا : جرير بن عبد الله . فوجده ينام الليل ثم يُصبح فيدعو بغَدائه . فاستقبل السجّانُ القبلة وقال : ربِّى ربُّ جُنْدب ، ودينى على دين جُندب ، وأَسلم .

ذكر الرسول صلى الله عليه وسلم لابن صوحان وجندب

وقيل :

لمّا انصرف رسولُ الله صلَّى الله عليه وسلَّم من غَزاة بنى المُصطلق ، نَزل رجلٌ فسَاق بالقوم ورَجز ، ثم آخر فساق ورَجز . ثم بدا لرسول الله صلى الله عليه وسلم أن يُواسى أصحابه ، فنزَل فَساق بالقَوْم ورَجز ، وجعل يقول : جُنْدَبٌ وما جُنْدب ! والأَقْطعُ الخير زَيد ! فدنا منه أصحابُه فقالوا : يا رسول الله ، ما يَنفعنا مَسيرُك مخافةَ أن تلسعك دابة أو تُصيبك نكبةٌ . فركب. ودَنَوْا منه وقالوا : قُلت قَولاً ما نَدرى ما هو ! قال : وما ذاك ؟ قالوا : قولك : جُندب وما جُندب ، والأقطع الخَير زيد . قال : رجلان يكونان فى هذه الأُمة يَضرب أحدُهما ضَربةً تَفْرق بين الحق والباطل ، وتُقطع يد الآخر فى سبيل الله فيُتْبع اللهُ آخرَ جَسده بأوّله .

وكان زَيد بن صُوحان قُطعت يده فى سبيل الله يوم جَلُولاء[1] ، وقُتل يوم الجَمل مع علىّ رضى الله عنه . وجُنْدب هو الذى تقدَّم ذكره .

(١) جلولاء : يوم للمسلمين على الفرس .

ابن العاص بن أمية بعد الوليد على الكوفة

ولمّا عزل عُثمانُ رضى الله عنه الوليدَ بن عُقْبة عن الكوفة أمّر عليها سعيد ابن العاص بن أميّة ، ولما أقبل عائداً إلى الكُوفة جعل يَرتجز فى طريقه :

ويلٌ لشبّان[1] العراق منّى كأننى سَمَعْمَعٌ[2] من جنّ

فلما قدم الكوفةَ قال : اغسلوا هذا المِنْبر ، فإن الوليد كان رِجْساً نَجِساً . فلم يَصْعده حتى غُسل ، عَيباً على الوليد . وكان الوليد أسنّ منه وأسخى وألين جانباً وأرضى عندهم . فقال بعضُ شعرائهم :

وجاءنا من بعده سَعيدُ ينقُص فى الصّاع ولا يزيدُ

شعر الوليد فى مقتل عثمان والنعى على على فيما أخذ

ولما قُتل عثمان رضى الله عنه ، أرسل علىٌّ رضى الله عنه فأخذ ما كان فى داره وإبلاً من إبل الصّدقة . فقال الوليدُ بن عُقبة يَرثى عُثمان أخاه ويُعرِّض بعلىٍّ رضى الله عنه ، وهو الشّعر الذى فيه الغناء :

ألا مَن لليلٍ لا تَغور كواكبُه إذا غار[3] نَجمٌ لاح نَجم يُراقبُه
بنى هاشمٍ رُدُّوا سلاحَ ابن أُختكم ولا تَنْهبوه لا تَحلُّ مَناهبُه
بنى هاشمٍ لا تَعْجَلونا فإنّه سواءٌ علينا قاتلاه وسالبُه
فقد يُجبر العَظْمُ الكسير ويَنْبرى لذى الحقِّ يوماً حقُّه فيُطالبُه
وإنّا وإيّاكم وما كان منكمُ كصَدْع الصَّفا لا يَرأب الصّدعَ شاعبه
لعمرُك لا أنسى ابنَ أروى وقَتْلَه وهل يَنْسينّ الماءَ ما عاش شاربه
همُ قَتَلوه كى يكونُوا مكانَه كما فَعلت[4] يوماً بكسرى مَرازبه
وإنّى لَمُجتابٌ إليكم بجَحْفل يُصِمُّ السَّميعَ جَرْسُه[5] وجَلائبه

(١) فى بعض أصول الأغانى : « ويل نسيات » .
(٢) السمعمع : السريع الخفيف .
(٣) فى بعض أصول الأغانى : « لاح » مكان « غار » .
(٤) فى بعض أصول الأغانى : « غدرت » مكان « فعلت » .
(٥) الجرس : الصوت .

للفضل فى الرد عليه

فأجابه الفضلُ بن العباس بن عُتبة بن أبى لهب :

فلا تسألونا بالسّلاح فإنّه أُضيع وألقاه لدى الرّوع صاحبُه
وشَبّهْتَه كسرى وقد[1] كان مثلَه شَبيهاً بكسرى هَدْيه ومَذاهبه

شعر الوليد فى التحريض على الأخذ بثأر عثمان

وقال الوليدُ يرثى عُثمان ويُحرّض معاوية بن أبى سُفيان على أخذ ثأره :

والله ما هندٌ بأُمك إن مضى النّـ ـهارُ ولم يثأر بعُثمانَ ثائرُ
أيقتُل عبدُ القوم سيّدَ أهلِهِ ولم تَقتلوه ليت أُمّك عاقر
وإنّا متى نَقْتلهمُ لا يُقِدْ بهم مُقِيدٌ فقد دارتْ علينا الدّوائر

لأشجع السلمى فيه وفى أبى زبيد وقد مر بقبريهما

وتُوفى الوليد بن عُقبة فُويق الرقّة ، ومات أبو زُبيد صديقه هناك ، فدُفِنا جميعاً فى موضع واحد ، فمرّ بقَبْريهما أشجع السُّلمى فقال :

مررتُ على عظام أبى زُبيدٍ وقد لاحتْ ببَلْقعة[2] صَلُودِ
وكان له الوليدُ نديمَ صِدْقٍ فنادم قبرُه قبرَ الوليد

الأمين فى آخر عهده

ثم استطرد أبو الفرج بذِكْره حكايةً تتعلّق بقول الوليد « هم قتلوه » فنذكرها :

حَكى إبراهيم بن المهدىّ قال :

أرسل إلىّ الأمينُ محمد بن زُبيدة فى ليلة من ليالى الصّيف مُقمرة ، فقال : يا عَم ، إنّ الحرب بينى وبين طاهر قد سكنت ، فصِرْ إلىّ ، فإنى إليك مُشتاق . فجئتُه وقد بُسط له على سَطح زُبيدة ، وعنده سليمانُ بن جعفر ، وعليه كساء رُوذَبارِىّ[3] وقَلنسوة طويلة ، وجَواريه بين يديه ، وضَعفٌ جاريتُه عنده . فقال لها : غَنِّى ، فقد سُررتُ بعُمومتى . فاندفعت تُغنيه :

هُمُ قتلوه كى يكونُوا مكانَه كما فعلتْ يوماً بكسرى مرازبُه
بنى هاشم كيف التّواصُل بيننا وعند أخيه سيفُه ونجائبُه

(١) فى الاستيعاب : «وما» . (٢) البلقعة : الأرض القفر . والصلود : الفلاة الصلبة التى لا تنبت شيئاً .
(٣) روذبارى : نسبة إلى روذبار : مكان .

فغَضب وتطيَّر وقال : و يحكِ ! ما قصّتك ؟ اثنى وانتبهى وغنِّينى ما يسُرنى . فاندفعت وغنَّت :

هـــذا مَقامُ مُطرَّدٍ[1] هُدِمت منـازله ودُورُهْ

فازداد تطيُّراً . ثم قال : و يحك ! أنتبهى وغَنِّى غير هذا . فغنَّت :

كُليبٌ لَعمرى كان أكثرَ ناصراً وأيْسر جُرْماً منك ضُرِّج بالدَّمِ

فقال لها : قُومى إلى لعنة الله ! فوثبتْ ، وكان بين يديه قَدحُ بِلّور كان لحُبِّه إيَّاه سَمَّاه « محمداً » باسمه ، فأصابه طرفُ ذَيلها فسقط على بعض الصَّوانى فانكسر وتفتَّت . فأَقبل علىَّ وقال : أرى والله يا عم أن هذا آخر أمرنا . فقلتُ : كلا ، بل يُبقيك الله يا أمير المُؤمنين و يسُرّك . قال : ودِجلة والله هادئةٌ ما فيها صوت مِجْداف ولا أحد يتحرّك ، ولا هى إلا كالطَّست هادئة ، فسمعتُ هاتفاً يهْتف : (قُضى الأَمر الذى فيه تَسْتفتيان) . فقال لى : أسمعتَ يا عمِّ ما سمعتُ ؟ فقلت : وما هو ؟ وقد والله سمعتُه . فقال :الصوتُ الذى جاء الساعةَ من دِجلة . فقلت : ما سمعت شيئاً ولا هذا إلا توهُّم . و إذا الصوت قد عاد يقول : (قُضى الأمر الذى فيه تَستفتيان) . فقال : انصرف يا عَم إلى بيتك أثابك الله بخير ، فمُحالٌ إلا أن تكون الآن قد سمعتَ ما سمعتُ . فانصرفتُ ، وكان آخر العهد به .

---

(١) مطرد : مطرود .

أخبار إبراهيم المَوْصِلِيّ

نسبه وأصله

هو إبراهيم بن مَاهان . وأَصله من الفُرس ، وله بيتٌ شريف فى العَجم . وكان يقال له : إبراهيم بن مَيْمون . وسببُ نِسبته أنّه كَتب إلى صديق له فعَنْون كتابَه : « من إبراهيم بن ماهان » . فقال له بعض فِتيان الكوفة : أما تستحى من هذا الاسم ؟ فقال : هذا اسم أَبى . قال : فغَيِّره . قال : كيف أُغيّره ؟ فأخذ الكِتاب فمحا « ماهان » وكتب مَيمون .

أمه

وأُمه من بنات الدَّهاقين الذين هَربوا من فارس لَمّا هرب أبو إبراهيم . فنزلوا جميعاً الكُوفةَ ، فتزوَّجها « ماهان » بالكُوفة فولدت له إبراهيم . ومات فى الطاعون الجارف ، وخلّف إبراهيم طفلاً .

مولده ووفاته

وكان مَولده سنة خمسٍ وعشرين ومائة . وتُوفى ببغداد سنة ثمانٍ وثمانين ومائة . وعُمِّر ثلاثاً وستّين سنة .

ولاؤه

وكان مُقام إبراهيم مع أُمه وأَخواله حتى تَرعرع ، فكان مع ولد خُزَيمة ابن خازم . فبهذا السَّبب صار ولاؤه لبنى تَميم .

سبب تلقيبه بالموصلى

و إنما قيل له : الموصليّ ، لأنه لما نشأ وأَدرك صَحِب الفِتْيان واشْتهى الغِناء ، فطَلَبه . واشتدّ أخوالُه عليه فى ذلك و بَلغوا منه ، فهرب إلى الموصل فأقام بها نحواً من سنة ، فلمّا رَجع إلى الكوفة قال له إخوانُه من الفِتيان : مرحباً بالفَتى المَوصلى . فغلبتْ عليه .

أول من صحب وغنى عنده

وأوّل هاشميّ صَحِبه إبراهيمُ وغَنَّى عنده : عيسى بن سُليمان بن علىّ ، أخو جَعفر، ومحمّد ، وكان فَتاهم ظَرْفاً ولَهواً وسماحةً . وأول خليفة سَمِع غناءه المَهدىُّ ، وُصف له فأخذه من عِيسى .

حبس المهدى له فى شربه الخمر ومنعه إياه من الدخول على ابنيه

وحَكى إبراهيمُ الموصلىّ قال :

كان المَهدىُّ لا يَشرب ، فأرادنى على مُلازمته وتَرْك الشُّرب ، فأبيتُ عليه . وكنتُ أَغيب عنه الأيَّامَ ، فإذا جئتُه جئتُه مُنْتشياً . فغاظه ذلك ، فضَربنى وحَبسنى ، فَحذقت الكتابةَ والقراءَة فى الحَبس ، ثم دَعانى يوماً فعاتبنى على شُربى فى منازل النَّاس والتبذُّل مَعهم . فقلتُ : يا أمير المؤمنين ، إنما تعلمتُ هذه الصنعةَ للذَّتى وعِشْرة إخوانى ، ولو أَمكننى تركُها وجميعَ ما أنا فيه لتركتُها والله[1] . فغَضب غضباً شديداً وقال : لا تدْخُل على مُوسى وهارون ، فوالله إن دخلتَ عليهما لأفعلنَّ ولأصنعنَّ . فقلتُ له : نَعم . ثم بلغه أنِّى كنتُ معهما فى نُزهة لهما ، ومعهما أبان الخادم ، فسعى بهما وبى إلى المَهدىِّ وحدّثه بما كُنَّا فيه . فدعانى فسألنى ، فأنكرتُ . فأَمر بى فجُرِّدتُ ، فضَربنى ثَلثمائة وستِّين صوتاً . فقلتُ له ، وهو يَضربنى : إنّ جُرمى ليس من الأجرام التى يحلُّ بها سَفْكُ دَمى ، والله لو كان سرُّ أُبنَيْك تحت قَدمىّ مارفعتُهما عنه ولو قُطِّعتُ ، ولو فعلتُ ذلك كنتُ فى حال أبان السَّاعى العَبد ! فلما قلتُ له هذا ، ضَربنى بالسَّيف فى جَفْنه ، فسقطتُ مغشيًّا علىَّ ساعةً ، ثم فَتَّحتُ عينَىَّ فوَقعتا على عينَى المهدىِّ ، فرأيتُهما عينَى نادم . وقال لعبد الله بن مالك : خُذه إليك . فأَخرجنى عبدُ الله إلى داره ، وأنا أرى الدُّنيا فى عَينىَّ صَفراء وخَضراء وحَمراء ، من حَرِّ السَّوط ، وأمره أن يتَّخذ لى شَبيهاً بالقَبر فيَحبسنى فيه . فدعا عبدُ الله بكَبْشٍ فذُبح وسُلخ وألبسنى جِلْده ليَسْكُن ألمُ الضَّرب ، ودَفعنى إلىخادم له فصيَّرنى فى ذلك القَبر ، ووَكل بى جاريةً . فتأذَّيتُ بنزّ كان فى ذلك القبر وبالبقِّ ، وكان فيه خَلاء أستريح إليه . فقلتُ للجارية : اطلُبى لى آجرَّةً عليها فَحم وكُنْدُر يذهب عنّى هذا البقّ . فلما دَخَنْتُ أَظلم القبرُ علىَّ حتى كادت نَفْسى تخرُج ، فاسترحتُ إلى النّز وأَلصقْتُ أَنفى به حتى خَفَ الدُّخان . فلما ظننتُ أنى قد استرحتُ مما كنتُ فيه ، إذا حيَّتان

(١) فى بعض أصول الأغانى : « لله جل وعز » .

مُقبلتان نحوى من شقِّ القبر يَدوران حولى بحَفيف شَديد . فهمَمْت أن آخذ واحدةً بيدى اليُمْنى والأُخرى بيدى اليُسرى ، فإمّا علىّ و إمّا لى ، ثم كُفيتهما . فدَخلتا فى الثَّقْب الذى خرجتا منه . فمكثتُ فى ذلك القبر ما شاء الله .

وقال إبراهيم فى مَحبسه ذلك :

ألا طال لَيْلى أُراعى النُّجوم أُعالج فى السَّاق كَبْلاً ثقيلَا
بدارِ الهُموم[1] وشَرِّ الدِّيار أُسامُ بها الخَسْفَ صَبراً جَميلا
كثيرَ الأخلَّاء عند الرَّخاء فلمَّا حُبستُ أراهم قَليلا
لطُول بلائىَ قلَّ الصَّديقُ فلا يأمنَنَّ خَليلٌ خَليلا

قال :

ثم أَخرجنى المهدىُّ وحلَّفنى بالطّلاق والعِتاق وكلّ يَمين لا فُسحةَ فيها ألا أَدْخُل على ابنَيْه : موسى وهارون أبداً ، ولا أُغنيهما . وخلَّى سبيلى .

طلب الهادى له

فلما مات المهدىُّ ووَلِى موسى الهادى الخلافةَ استتر إبراهيمُ منه ولم يظهر له ، بسبب الأَيمان التى حلَّفه بها . وكان منزلُه ومنازل أهله تُكبس فى كل وقت . وأهله يُرَوَّعون بطَلَبه ، حتَّى أصابوه ، فمضَوْا به إليه . فلما حَضر عنده غنَّاه لحناً فى شِعره :

يابن خَير المُلوك لا تَتْرُكَنِّى غَرضاً للعدُوِّ يُرْمَى حِيالِى
إنَّنى فى هَواك فارقتُ أَهلى ثم عَرّضتُ مُهْجتى للزَّوال
ولقد عِفْتُ فى هَواك حَياتى وتَغرّبتُ بين أَهلى ومَالى

فموّله الهادى وخوّله ، وأَخَذ منه فى يوم واحدٍ مائة ألف وخَمسين أَلف دينار .

حديث حماد عن غراء ابراهيم وكرمه

وحُكى أنّ إسحاق بن إبراهيم قال لابنه حمَّاد :

(١) فى بعض الأصول : « الهوان » .

نظرتُ إلى ما صار إلى جَدِّك من الأَموال والصِّلات ، وثمن ما باع من جوائزه ، فوجدته أربعةً وعشرين ألفَ ألفِ دِرهم، سوى أرزاقه الجارية ، وهى عشرةُ آلاف درهم فى كل شهر ، سوى غلَّات ضياعه ، وسوى الصِّلات النَّزرة التى لم يُحصها . ولا والله ما رأيتُ أكرمَ منه ، كان له طعامٌ مُعدٌّ أبداً فى كلّ وقت . قال حماد : يا أبى ، كيف يُمكنه ذلك ؟ قال : كان له فى كل يوم ثلاثُ شِياهٍ : واحدة مقطَّعة فى القُدور ، وأُخرى مَسْلوخَة معلَّقة ، وأُخرى حيَّة ، فإذا أتاه قَوم طَعِموا ما فى القُدور ، وإذا فَرغتْ قُطعت الشاة المُعلَّقة ونُصبت القُدور ، وذُبحت الشَّاة الثالثة وعُلِّقت ، وأُتى بأُخرى وهى حَية فى المطبخ . وكانت وَظيفته لطعامه وطِيبه وما يُتَّخذ له فى كل شَهر ثلاثين أَلف دِرْهم ، سوى ما كان يُجرى وسوى كُسوته . ولقد اتَّفق عنده مرةً مِن الجوارى الوَدائع لإخوانه ثمانون جاريةً ، ما منهنَّ واحدةٌ إلا ويُجْرَى عليها من الطعام والكُسوة والطِّيب مثلُ ما يُجرى لأخَصِّ جواريه ، فإذا رُدَّت الواحدةُ منهن إلى مولاها وَصلها وكساها . ومات وما فى مِلكه إلا ثلاثه آلاف دِينار ، وعليه سبعُمائة دِينار ، قُضِيتْ منها .

حديث الجارية التى اشتراها منه الرشيد

وقال إسحاق بن إبراهيم :

اشترى الرَّشيدُ من أبى جاريةً بِستَّة وثلاثين ألف دينار ، فأقامتْ عنده ليلةً ، ثم أَرسل إلى الفَضل بن الرَّبيع : إنَّا اشترينا هذه الجارية من إبراهيم ، ونحسب أنها من بابَتِنا[1] ، وليست كما ظَنَنَّا ، وما قَربتُها ، وقد ثقُل علىّ الثَّمن ، وبينك وبينه ما بينكما ، فاذهب إليه واسأله أن يحُطَّنا من ثمنها ستةَ آلاف دينار . فصار الفَضل إليه فاستأذن . فخَرج فتلقَّاه . فقال : دَعْنى من هذه الكرامة التى لا مَؤُونة فيها ، لستُ ممن يُخْدَع ، وقد جئتُك فى أمر أصدُقُك عنه . ثم أخبره الخبرَ كُلَّه . فقال له إبراهيم : إنما أراد أن يَبْلُوَ قدرَك عندى . ثم قال : ما لى

(١) أى تصلح لنا .

فى المساكين صدقةٌ إن لم أُضعِّفه لك ، قد حططتُك اثنى عشر ألف دينار . فرجع الفضل إليه بالخبر ، فقال : ويلك ! احمل إلى هذا مالَه ، فما رأيتُ سُوقَةً قطُّ أنبلَ نفساً منه . قال إسحاق : وكنتُ قد أتيتهُ وقلتُ له : ما كان لحطيطة هذا المال معنًى وما هو بقليل . فقال لى : أنت أحمق ! أنا أعرفُ الناس به . والله لو أخذتُ المال منه مكمَّلًا ما أخذتُه إلّا وهو كارهٌ له ، ويحقد علىّ ذلك ، وكنت أكون عنده صغيرَ القَدْر ، وقد مَننْتُ عليه وعلى الفَضل ، وانبسطتْ نفسُه ونَشِط وعظُم قدرى عنده ، وإنما اشتريتُ الجاريةَ بأربعين ألف دِرهم ، وقد أخذتُ بها أربعةً وعشرين ألف دينار . فلمَّا حُمل المال إليه بدون حطيطة دعانى وقال : كيف رأيت يإسحاق ! مَن البصيرُ أنا أم أنت ؟ فقلت: جعلنى الله فِداك ! أنت .

أخرجه الرشيد من الحبس فغناه فوصله

وقيل :

غَضب الرَّشيدُ عليه يوماً مرَّةً فقيَّده وحَبسه بالرَّقة . ثم جَلس للشُّرب يوماً فى مَجلس ، قد زَيَّنه وحَسَّنه ، فقال لعيسى بن جعفر : هل لَمجلسنا عَيْب ؟ قال : نعم ، غيبةُ إبراهيمَ الموصلى عنه . فأمر بإحضاره ، فأُحضر فى قُيوده ، ففُكَّت عنه بين يَديْه ، وأَمرهم فناولوه عُوداً ، وقال : غنّنى يإبراهيم ، فغنَّاه :

تَضوَّع مِسْكاً بَطْنُ نَعْمانَ أنْ مَشَتْ ... به زَيْنَبٌ فى نِسْوةٍ خَفِراتِ

فاستعاده وشَرب وطَرب وقال : هَنأْتنى يومى وسأهْنِئك بالصِّلة ، قد وهبتُ لك الهَنِيء والمَرِىء ، وهما قريتان عظيمتان من قُرى الرقَّة . فلما أَصبح عوَّضه عنهما مائتى ألف درهم .

ثنى بيتاً أنشده يحيى وغناه فيه فأجازه

وحَكى إبراهيم قال :

رأيتُ يحيى بن خالد خارجاً من قَصره الذى عند باب الشَّماسيَّة يُريد قصره الذى بباب البرَدَان[1] ، وهو يَتمثَّل :

(١) البردان : قرية من قرى بغداد .

هوًى بتهامةٍ وهوًى بنجْـدٍ فأتلفنى(١) التهـائم والنجودُ

فزدتُه عليه :

أُقيم بذا وأذكر عهْد هـذا فلِي ما بين ذاك هوًى جديدُ

وصنعتُ فيـه لحناً ثم صرتُ إليه فغنّيتُه . فأمر لى بألف دينارٍ وبدابّته التى كانت تحته يومئذ بسَرجه ولجامه . فقلتُ : جزاك الله من سيِّد خيراً ! فإنك تأتى الأَنْفُس وهى شوارد فتُقِرها ، والأهواء وهى سقيمة فتُصحّها . فأمر لى بألف دينار أُخرى . قال إبراهيم : ثم ضَرب الدّهر من ضَربه(٢) ، فبينا أنا أُسير معه ، إذ لَقِيه العبّاس بن الأَحنف ، وكان ساخطاً عليه لشيء بلغه عنه ، فترجّل له وأنشده :

باللهِ يا غضبانُ إلّا رَضِيتْ أذاكرٌ للعهـد أم قد نسِيتْ

فقلت : بل ذاكرٌ يا أبا الفضل . وأضفتُ إليه هذا البيت :

لو كنتُ أبغِى غير ما تَشتهى دعوتُ أن تُبْـلَى كما قد بُليتْ

وصنعتُ فيـه لحناً وغنّيته به . فأمر لى بألف ينار ، وضَحِك . فقلتُ : مِن أى شيء تضحك يا سيدى ؟ لا زلتَ ضاحكاً مسروراً . قال : ذكرتُ ما جرى فى الصّوت الأول ، وأنه كان مع الجائزة دابّة بسَرْجه ولجامه ، ولن تَنصرف الليلةَ إلا بمثله . فقُمت فقبّلت يدَه . فأمر لى بألف دينار أُخرى وقال : تلك الـكَرّة شكرتَ على الجائزة بكلام وزِدْناك ، والآن شكرتَ بفعل أَوجب الزِّيادة ، ولولا أنِّى مُضيق فى هذا الوقت لضاعفتُها ، ولـكن الدّهر بيننا مُستأنف .

شيء عنه

قيل :

وكان إبراهيم فى براعتـه فى الغِناء وتقدُّمه فيـه كالرَّجل المُفوَّه ، إن خَطب أَحسن ، وإن كَتب أَحسن ، وإن قال شعراً أَحسن ، بخلاف غيره من المُغنِّين .

---

(١) فى بعض أصول الأغانى : « فأبلتنى » . (٢) أى مر من مروره ومضى بعضه .

شعر أبي العتاهية له فى حبسه

وذُكر أنه لما حَبس الرشيدُ إبراهيم الموصلىّ قال أبو العتاهية يُخاطبه :

أيا غَمِّى لغمِّك يا خَليلِى ... ويا وَيْلى عليك ويا عَويلِى
يَعِزُّ علىّ أنك لا تَرانى ... وأنِّى لا أراكَ ولا رَسُولى
وأنَّك فى مَحلٍّ أذًى وضِيقٍ ... وليس إلى لقائِك من سَبيل
وأنِّى لستُ أملك عنك دَفْعاً ... وقد فُوجِئتَ بالخَطب الجليل

وقال أيضاً فى حَبْسه :

سَلْمُ يا سَلْم ليس دُونك[1] سِرٌّ ... حُبِس المَوصلىُّ فالْعَيْشُ مُرُّ
ما استطاب اللَّذاتِ مُذْ غاب فى المُطْـ ... ـبِق رأسُ اللَّذات فى النّاس حُرُّ
تَرك الموصلىُّ مَن خلق اللّـهُ جميعاً وعَيشُهم مُكْفهِرّ
حُبس اللهوُ والسُّرور فما فى الْـ ... أرض شىءٌ يُلْهَى به أو يُسَرّ

هو ومخارق وأخذهما دراهم من يحيى البرمكى وأولاده

وحَكى مُخارقٌ قال :

اشتغل الرَّشيدُ يوماً واصطبح مع الحُرَم ، وقد أصبحت السماء مُتغيِّمة تطِشُّ طشًّا خَفيفاً . فقلتُ : والله لأذهبنّ إلى أُستاذى إبراهيم فأعرف خبره ، ثم أعود . فأمرتُ مَن عندى أن يسوُّوا مجلساً لنا إلى وقت رُجوعى ، فجئتُ إلى إبراهيم الموصلىّ ، وإذا الباب مَفتوح والدِّهليز قد كُنس والبوّاب قاعد ، فقلت : ما خبر أستاذى ؟ فقال : أُدخل . فدخلتُ ، فإذا هو جالسٌ فى رِواق له وبين يدَيْه قُدورٌ تُغَرْغِر وأَباريق تَزْهَر ، والسِّتارة مَنصوبة والجَوارى خلفها ، وإذا قُدّامه طَسْت فيه رِطْليّة وكُوز وكأس . فدخلتُ أترنّم ببعض الأصوات ، وقلتُ له : ما بالُ السّتارة لستُ أسمع من ورائها صوتاً ؟ فقال : اقعد ويحك ! إنِّى أصبحتُ على الذى ظننتَ ، فجاءنى خبرُ ضَيعة تُجاورنى ، وقد والله طلبتُها زَماناً وتمنَّيتها

(١) فى بعض أصول الأغانى : « ستر » مكان « سر »

ولم أملكها . وقد أُعطى بها صاحبُها مائةَ ألف دِرْهم . فقلتُ له: ما يَمْنعك منها ؟ فوالله لقد أعطاك الله أضعاف هذا المال وأكثر . فقال : صدقتَ ، ولكن لستُ أطيبُ نَفْسًا بأن أُخرج هذا المال . فقلتُ : فمن يُعطيك الساعةَ مائةَ ألف درهم ؟ والله ما أطمع فى ذلك من الرّشيد فكيف بمن دونه ! فقال : اجلس ، خُذ هذا الصوت . ثم نَقَر بقضيبٍ على الدَّواة وألقى هذا الصوت علىّ :

نام الخَليُّون عن همٍّ وعن[1] سَقَمِ ... وبِتُّ من كثرة الأحزان لم أنَمِ

يا طالبَ الُجود والمَعروف مجتهداً ... اَعْمِد ليحيى حليفِ الُجود والكرم

والشِّعر لأبى النَّضير[2] يَمدح به يَحيى بن خالد بن برمك . قال : فأخذتُه وأحكمتُه . ثم قال لى : امضِ الساعةَ إلى الوزير يحيى بن خالد فإنك تجد النـاس عليه قبل أن يُفتح الباب ، ثم تجَد الباب قد فُتح ولم يجلس بعدُ ، فاستأذنْ عليه قبل أن يصل إليه أحد ، فإنه سيُنكر مجيئك ويقول : من أين أقبلت فى هذا الوقت ؟ فحدِّثه بقَصْدك إيّاى وما ألقيتُ إليك من خبر الضَّيعة ، وأعلِمه أنّى قد صنعتُ هذا الصوتَ وأعجبنى ، ولم أر أحداً يستحقُّه إلا جاريتَه فُلانة ، وأنّى ألقيتُه عليك حتى أحكمتَه لتطرحَه عليها . فسَيدعوها ويأمر بالسّتارة فتُنصب ويُوضع لها كرسى ويقُول لك : اُطْرحه عليها بحَضرتى . فافعل وأْتِنى بما يكُون بعد ذلك من الخبر . قال : فجئتُ بابَ يحيى بن خالد ، فوجدتُه كما وَصف . وسألنى، فأعلمتُه بما أمرنى به . ففعل كل شىء قال لى إبراهيمُ . وأحضر الجاريةَ فألقيتُه عليها . ثم قال : تُقيم عندنا يا أبا المُهنأ أو تَنصرف ؟ فقلت : أنصرفُ ، أطال الله بقاءك ، فقد علمتَ ما أُذن لنا فيه . فقال : يا غلام ، احمل مع أبى المُهنَّأ عشرة آلاف

---

(١) فى بعض أصول الأغانى : « من هم ومن سقم » .

(٢) هو عمر بن عبد الملك البصرى ، شاعر من شعراء البصرة ، وكان يغنى على جوار له مولدات ، وكان صديقاً لأبان اللاحقى ثم افترقا وتهاجيا . وانقطع أبو النضير إلى البرامكة إلى أن مات . وسترد ترجمته .

دِرهم ، واحمل إلى أبى إسحاق مائة ألف درهم ثمن هذه الضَّيعة . فحملتُ العشرة آلاف معى ، وأتيتُ منزلى وقلت : أُسَرُّ يومى وأَشرب وأَسُرّ مَن عنـدى . ومَضى الرسول بالمـال إلى إبراهيم . فدخلتُ مَنزلى ونثرتُ على مَن عنـدى مِن الجوارى دَراهم من تلك البَـدْرة ، وتوسدتُها وأ كلتُ وشربتُ يومى كلّه . فلما أصبحتُ قلت : والله لآتينَّ أستاذى و لأَعرفنّ خَبره . فأتيتُه فوجدتُ الباب كهيئته بالأمس . ودخلتُ فوجدتُه على مثل ما كان عليه ، فترنمتُ وطَرّبت ، فلم يَتَلَقَّ ذلك بما يجب . فقلتُ : ما الخبر؟ ألم يأتك المال ؟ قال : بلى . فما كان خبرك أنت ؟ فأخبرتُه بما كان وُهب لى ، وقلت : ما يُنْتَظَر من خلف السـتارة ؟ فقال : ارفع السَّجف . فرفعتُه فإذا عشرُ بِدَر . فقلتُ : فأيُّ شىء بَقِى عليك فى أمر الضَّيعة ؟ فقال : ويحك ! ما هو والله إلا أن دخلتُ منزلى حتى شَحِحتُ عليها وصارتْ مثل ما حَويتُ قديماً . فقلتُ : سبحان الله العظيم ! فتصنع ماذا ؟ قال : قُم حتى أُلقى عليك صوتاً صنعتُه يفُوق ذلك . فقُمتُ فجلستُ بين يديه . فألقى علىّ :

ويَفْرح بالمَوْلود من آل بَرْمك بُغاة النَّدى والسَّيفُ والرُّمْحُ والنَّصْلُ
وتَنْبسط الأَموالُ فيـــه لفَضْله ولا سيما إنْ كان من وَلَد الفَضْــل

والشِّعر لأبى النَّضير .

قال : فلما أَلقى علىّ الصوتَ سمعتُ ما لم أَسمع بمثله قَطُّ وصَغُر فى عينىَّ الأَوّل ، فأحكمتُه . ثم قال : امض السّاعةَ إلى الفَضْل بن يحيى ، فإنك تجده لم يأذن لأحد بعدُ ، وهو يريد الخَلوة مع جواريه اليومَ ، فاُستأذن عليه وحدِّثه بحديثنا أمسِ . وما كان من أبيه إلينا وإليك . وأَعلِمه أَنّى قد صنعتُه بالأَمس وأَنى أَلقيتُه عليك حتى أحكمتَه . ووجّهتُ بك قاصداً لتُلقيه على فُلانة جاريتِـه . فصرتُ إلى باب الفَضل فوجدتُ الأَمر على ما ذَكره ، واستأذنتُ فوصلتُ ، وسألنى عن الخبر ، فأَعلمتُه بخبرى وما وَصل إلىّ وإليهِ من المال . فقال : أَخزى الله إبراهيم ! ما أَبخله

على نفسهِ ! ثم دعا خادماً فقال : اضرب السِّتارةَ ، فضَربها . ثم قال : أَلْقه . فلما غنَّيتهُ لم أُتمَّه حتى أقبل يجر مِطْرفه ، ثم قَعد على وسادةٍ دون السِّتارة وقال : أحسن والله أُستاذك ! وأحسنت أنت يا مُخارق ! فلم أُبرح حتى أَخذتْه الجارية فأحكمتْه . فسُرّ بذلك سُروراً شديداً وقال : أَقِم عندي اليومَ . فقلتُ : ياسيدى ، إنما بقي لنا يومٌ واحد ، ولولا أَنِّي أُحب سُرورك لم أَخْرُج من منزلى . فقال : يا غلام، احمل مع أبي المُهنأ عِشرين ألف دِرهم ، و إلى أبي إسحاق مائتى ألف دِرهم . فانْصرفتُ إلى منزلى بالمال . وفتحتُ بدرةً فنثرتُ منها على الجوارى وشربتُ أنا ومَن عندى . فلما أصبحتُ بكَّرتُ إلى إبراهيم أتَعرّف خبره وأُعرّفه خبرى . فوجدتُه على الحال التى كان عليها أولاً وآخراً . فدخلتُ أترنَّم وأُصفِّق . فقال لى : ادْنُ . فقلتُ : ما بَقِي ؟ فقال : اجلس وارفع سِجْف هــذا الباب . ففعلتُ، فإذا عشرون بَدْرة مع العَشْرة . فقلتُ : ماتَنتظر ؟ فقال : و يحك ! ماهو والله إلا أن حصلتْ حتى جَرتْ مجرى ما تقدَّم . فقلتُ : والله ما أظن أن أحداً نال فى هذه الدَّولة ما نلتَ ، فلِم تَبخل على نفسك بشيء تمنَّيتَه دهراً ، وقد ملَّكك الله أضعافه ؟ فقال : اجلس فخُذ هذا الصوتَ . فجلست ، فألقى علىَّ صوتاً أنسانى صوتَيَّ الأَوّلَيْن ، وهو :

أفى كُلّ يومٍ أنتَ صَبٌّ وليــلةٍ ... إلى أُمِّ بَكْرٍ لا تُفِيق فتُقْصِرُ
أُحِبُّ على الهِجران أكنافَ بَيْتها ... فيــالَكَ من بيتٍ يُحَبّ ويُهْجَر
إلى جعفرٍ سارتْ بنا كُلُّ[1] جَسْرةٍ ... طَواها سُراها نحــوَه والتهجُّر
إلى واسعٍ للمُجْتـــدين فِنــاؤه ... تَرُوح عَطاياه عليهم وتَبْكُر

والشعر لمَروان بن أبى حَفْصة .

(١) الجسرة : الناقة العظيمة .

قال مخارق : ثم قال لى إبراهيم : هل سمعتَ مثلَ هـذا ؟ فقلتُ : ما سمعت قطُّ مثلَه . فلم يزل يُردِّده علىَّ حتى أخذتُه . ثم قال لى : امض إلى جعفر فافعل به كما فعلتَ بأبيه وأخيه . قال : فمضيتُ ففعلتُ مثل ذلك، وخبّرتُه ما كان، وعرضتُ الصوتَ ، فسُرَّ به . ودعا خادماً فأمره بضرب السِّتارة ، وأحضر الجارية وقعد على كُرسىّ ثم قال : هاتِ يا مُخارق . فاندفعتُ فألقيتُ الصوتَ عليها حتى أخذتْه . فقال : أحسنت يا مُخارق ! وأحسن أستاذك ! فهل لك فى المُقام عندنا اليوم ؟ فقلت : يا سيدى ، هذا آخر أيَّامنا ، و إنما جئتُ لموقع الصّوت منّى حتى ألقيتُه على الجارية . فقال: ياغُلام ، تحمل مع مُخارق ثلاثين ألف درهم ، و إلى الموصلىّ ثلثمائة ألف درهم . فصرتُ إلى منزلى بالمال ، وأقمتُ ومَن عندى مسرورين ، نَشْرب طُول يومنا ونَطرب . ثم بكّرتُ إلى إبراهيم فتلقّانى قائماً ، ثم قال : أحسنتَ يا مُخارق ! فقلت : ما الخَبر ؟ فقال : اجلس . فجلستُ . وقال لمن خَلف السّتارة : خُذوا فيما أنتم فيه . ثم رُفع السِّجف . فإذا المالُ . فقلت : ما خَبر الضَّيعة . فأدخل يده تحت مِسْورة[1] وهو مُتّكىء عليها ، فقال : هذا صَكٌّ بالضَّيعة ، سُئل عن صاحبها فوُجد ببغداد ، فاشتراها منه يحيى بن خالد وكَتب إلىّ : قد علمتُ أنك لا تَسْخو نفسُك بشراء هـذه الضيعة من مالٍ يحصُل لك ولو حَوَيْت الدُّنيا كُلَّها ، وقد ابْتعتُها لك من مالى . ووجّه إلىَّ بصكِّها وهذا المال كما ترى . ثم بكى وقال : يا مُخارق ، إذا عاشرتَ فعاشرْ مثل هَؤلاء ، و إذا احتكرت فاحتكر[2] مثل هؤلاء ، ستمائة ألف ، وضَيعة بمائة ألف ، وستّون ألف دِرهم لك . حصَّلنا ذلك أَجمع وأنا جالسٌ فى بيتى لم أَبرح منه ، فمتى يُدْرَك مثلُ هؤلاء .

أعطاه الفضل بن يحيى بعد أن حبس الخليفة عنه يده

وحَكى إبراهيم المَوصلى قال :

---

(١) المسورة : الوسادة .

(٢) فى بعض أصول الأغانى : « خنكرت فخنكر لمثل هؤلاء » . وخنكر ، أى غنى ، فارسى .

أتيتُ الفَضل بن يحيي يوماً فقلتُ له : يا أبا العبَّاس ، جُعلت فِداك ! هبْ لى دَراهم فإن الخليفة قد حَبس يدَه عنِّى . فقال : يا أبا العباس ، ماعندى ما أَرضاه لك . ثم قال : هاه ، إلّا أنّ هاهنا خَصْلةً[١] : أتانا رسولُ صاحبِ اليمن فقضَينا حوائجه ، ووجَّه بخمسين ألف دينار يشترى لنا بها محبَّتنا ، فما فعلتْ فلانةُ جاريتُك ؟ قلتُ : عندى ، جُعلت فِداك . قال : فهوذا ، أقول لهم يشترونها منك ، فلا تنقُصْها من خمسين ألف دينار . فقبّلت رأسَه ثم انصرفتُ . فبكّر علىّ رسولُ صاحب اليمن ومعــه صديقٌ له ولى ، فقال : جاريتُك فلانة عنــدك ؟ فقلت : عندى . قال : اعرضْها علىّ . فأخرجتُها . فقال : بكم ؟ فقلتُ : بخمسين ألف دينار ، ولا أنقُص منها ديناراً واحداً . وقد أعطانى الفضلُ بن يحيى أمسِ هذه العطيّـة . فقال لى : هل لك فى ثلاثين ألف دينار مُسلَّمة لك ؟ وكان شرائى الجارية بأربعمائة دينار . فلما وقع فى أُذنى ذِكرُ ثلاثين ألفَ دينـار ، أُرتج علىّ ولحقنى زَمَع[٢] . وأشـار علىّ صديقى الذى معه بالبيع ، وخِفتُ والله أن يحدُث بالجارية حَدَث أو بى أو بالفَضل ابن يحيى ، فسلّمتُها وأخذت المال . ثم بكَّرت على الفضل ، فإذا هو جالسٌ وحدَه . فلما نظر إلىّ ضَحك وقال لى : يا ضيِّقَ العطَن والحَوْصَـلة[٣] ، حرَمْت نفسك عشرين ألف دينار . فقلتُ له : جُعلتُ فِداك ! دع ذا عنك فو الله ، لقد دخلنى شىء أَعجِزُ عن وَصْفه ، وخفتُ أنْ يحدُث بى حادث أو بالجـارية أو بالمُشترى أو بك ، أعاذك الله من كل سُوء ، فبادرتُ بقَبول الثلاثين ألف دينار . فقال : لا ضَير ، يا غُلام ، جِىء بالجارية . فجىء بها بعَيْنها . فقال : خُذ بيدها وانصرف مبارَكاً لك فيها . فما أردنا إلا منفعتك ولم نُرِد الجارية . فلمـا نهضتُ قال لى :

---

(١) الخصلة : إصابة الهدف . يريد : حلا ومحرجا .

(٢) زمع : شبه رعدة .

(٣) العطن : مبرك الإبل . والحوصلة ، من الطير معروفة . ويكنى بضيقهما عن قلة الصبر ، كما يكنى بها عن البخل .

مكانَك ، إنّ رسول صاحب أرمينية قد جاءنا فقَضَيْنا حوائجه ونفّذنا كُتبه . وقد ذكر أنه جاءنا بثلاثين ألف دينار يشترى بها لنا ما نُحب ، فاعرض عليه جاريتك ولا تنقْصها من ثلاثين ألف دينـار . فانصرفتُ بالجـارية . وبكَّر علىّ رسولُ صاحب أرمينية ومعه صديقٌ لى آخر . فقاوَلنى بالجارية ، فقلتُ له : لستُ أنْقُصها من ثلاثين ألف دينار . فقال لى : معى عشرون ألف دينار مُسلّمة ، خُذها بارك الله لك فيها . فدخَلنى والله مِثْل الذى دخلنى فى المرة الأُولى وخفتُ مثل خَوفى الأول . فسلَّمتُها وأخذتُ المـال . وبكّرت على الفَضل بن يحيى فإذا هو وحدَه . فلما رآنى ضَحك وضَرب برجله ثم قال : ويحك ! حرمتَ نَفسك عشرةَ آلاف دينـار ! فقلت : أصلحك الله ! خِفتُ والله مثلَ ما خفتُ فى المَرة الأُولى . فقال : لا ضَير ، يا غلام ، جاريتَه . فجىء بها . فقال : خُذها ، ما أردناها ولا أُردنا إلا منفعتك . فلما ولَّت الجارية صِحْتُ بها : ارجعى . فرجعتْ . فقلت : أُشهِدكَ ، جُعلتُ فداكَ ، أنها حُرة لوجه الله وأنى قد تزوجتُها على عشرة آلاف دِرهم ، كَسبتْ لى فى يومين خَمسين ألف دينار ، فما جزاؤها إلَّا هذا . فقال : وُفِّقتْ إن شاء الله .

هو ومحمد بن يحيى فى يوم مهرجان

وذُكر أن إبراهيم المَوصلىّ أتى محمدَ بن يحيى بن خالد بن بَرْمك فى يومِ مِهْرجان ، فسأله محمدٌ أن يُقيم عنده . فقال : ليس يُمكننى ، لأن رسولَ أمير المُؤمنين أتانى . قال : فتمرُّ بنا إذا انصرفتَ ولك عندنا كُلُّ ما يُهدَى إلىَّ اليومَ . فقال : نعم . وتَركَ فى المجلس صديقاً له يُحْصى مايُبعث به إليه . قال : فجاءت هدايا عجيبةٌ من كل ضَرب . وأُهدى له تِمثـالُ فِيل من ذَهب عَيْناه ياقوتتان . فقال محمد للرجل : لا تُخبره بهذا لِنَبعث به إلى فلانة . ففعل . وانصرف إبراهيم إليه فقال : أَحْضِرْنى ما أُهـدى إليك . فأحضره ذلك كُلَّه إلا التِّمثال . ثم قال له : لا بُدَّ من صِـدْقك ، كان الأمر كذا وكذا . فقال : لا . إلّا على الشَّريطـة وكما ضَمِنت . فجىء بالتِّمثال . فقال إبراهيم : أليس الهديَّة لى أعمل فيها ما أُريد ؟ قال :

بلى . فردَّ التِّمثال على الجارية ، وجعل يُفرِّق الهدايا على جُلساء محمد شيئاً فشيئاً ، وعلى جميع مَن حَضر من إخوانه وغلمانه ، وعلى مَن فى دُور الحُرَم ، حتى لم يَبْقَ منها شىء . ثم أَخذ من المجلس تُفَّاحتَين لمَّا أراد الانصراف وقال : هـذا لى ، وانصرف . فجعل محمد يَعجب من كِبَر نَفْسه ونُبْله .

هو والرشيد فى ليلة بلغه فيها ما أغضبه فغناه حتى سرى عنه

وحَكى إبراهيم قال :

بينا أنا عشيةً فى بيتى إذ أتانى خادم من خَدَم الرَّشـيد ، فاستحثّنى برُكوبى إليـه . فخرجت شبيهاً بالرَّاكض . فلمَّا صِرْتُ إلى الدَّار عُدل بى عن المَدخل إلى دار لا أَعرفهـا ، فانتهى بى إلى دارٍ جديدةِ البِناء . فدخلتُ صَحناً واسعاً ، وكان الرشـيد يَشتهى الصُّحون الواسـعة . فإذا هو جالس على كرسىّ فى وسط ذلك الصَّحن ليس عنـده أحدٌ إلّا خادم يَسْقيه ، وإذا هو فى لِبْسته التى كان يَلْبسها فى الصَّيف : غِلالةٌ رقيقة متوشِّح عليها بإزار رَشيدىّ عَريض القَلم أحمر . فلما رآنى هَشّ لى وسُرّ وقال : يا موصلىّ ، إنِّى اشتهيتُ أن أجلس فى هذا الصَّحن فلم يتفَّق لى إلّا اليوم ، وأحببتُ ألّا يكون معى ومعك أحد . ثم صاح : ياغلام ، فأتاه مائةُ وَصيف . وإذا هم فى الأَرْوقة مُستترون بالأساطين[1] حيث لا يراهم ، فلما ناداهم جاءوا جميعاً . فقال : مُقطَّعة لإبراهيم . وكان هو أول من قطع المُصلّيات . فأُتيت بمقعد فأُلقى لى تُجاه وجهه بالقُرب منـه . ودعا بعُود وقال : بحياتى أطربنى ماقدرت . قال : ففعلتُ واجتهدتُ فى ذلك ونشطتُ له ورجوتُ الجائزةَ فى عَشِيَّتى . فبينا أنا كذلك إذ جاء مَسرور الـكبير فقام مقاماً كان إذا قامه عُلم أنه يريد أن يُسارَّه بشىء . فأومأ إليه، فألقى فى أُذنه كلمةً خفيفة ثم تَنحَّى . فاستشاط غضباً واحمرت وَجْنتاه وانتفخت أوداجُه ، ثم قال : حتَّام أَصـبر على آل بنى أبى طالب ! والله لأقتلنَّهم ولأقتلنَّ شِيعتهم ولأفعلنَّ ! فقلتُ : إنا لله ! ليس والله عنـد هذا أحدٌ يُخرج غضبَه عليه غيرى ، أَحسبه والله سيُوقع بى ، فاندفعتُ فغنّيتُ :

(١) الأساطين : الأعمدة .

نِعْم عوناً على الهُموم ثلاثُ مُتْرعاتٌ من بعدهنّ ثلاثُ

بعـــدها أربعٌ تَتمَّةُ عَشْرٍ لا بِطاءٌ لـكنّهن[1] حِثَاث

فإذا ناولتْــكهُنّ جَوارٍ عَطِراتٌ بيضُ الوجوه خِنَـاث

تَم فيهـا لك السُّرور وما طَيَّـب عيشاً إلّا الخِنـاثُ الإناث

فقال : ويحك ! اسْقنى ثلاثاً لا أموت[2] همًّا . فشَرِب ثلاثاً مُتتابعةً ، ثم قال : أعِدْ . فغنَّيتُ . فلما قلتُ :

* ثلاث * مترعات من بعدهن ثلاث *

قال : هات ويلك ثلاثاً ! ثم قال لى : غنِّ . فلما غنَّيتُه ، قال : حُثَّ علىّ بأربع تتمَّةَ العشر . ففعـل . فوالله ما استوفَى آخرهن حتى سَكِر ونام . فنَهض ليدخل وقال : قُم يا موصليّ فانصرف ، يا مَسرور ، أَقسمتُ عليك بحياتي وبحقِّى إلا سبقتَه بمائة ألف درهم ، لا أُستأمرُ فيها ولا فى شيء منها . فخرجتُ والله وقد أمنتُ خوفى ، وأدركتُ ما رجوتُ ، ووافيتُ منزلى وقد سَبقنى بمائة ألف درهم .

حديث مع الرشيد فى جارية عرض بها فى مجلسه

وحكى إبراهيم قال :

قال لى الرشـيدُ يوماً : يا إبراهيم ، بكِّر علىّ غداً حتى نَصطبح . فقلتُ له : أنا والصُّبح كفرسَىْ رِهان . فبكّرتُ فإذا أنا به خالياً وبين يديه جارية كأنهـا خُوط بانٍ أو جَدْلُ عنان ، حُلْوة المنظر ، دَمِثة الشمائل ، وفى يدها عودٌ . فقال لها : غنِّى . فغنَّت فى شعر أبى نُواس :

تَوهَّمـه قلبي فأصبح خـدُّه وفيه مَكان الوهم من نظرى أثْرُ

ومرَّ بقلبى[3] خاطراً فجرحتُـه ولم أرَ جِسماً قطُّ يَجرحه الفِـكْر

وصـافحه كفِّى فآلَم كـفَّه فمِن غَمْز كفِّي[4] فى أنامله عَقْر

(١) حثات : مسرعات . (٢) فى بعض أصول الأغانى : « لا أمت » .

(٣) فى بعض أصول الأغانى : « بوهمى » . (٤) فى بعض أصول الأغانى : « قلبى .. قلبى » .

قال إبراهيم : فذهبتْ والله بعقلي حتى كدتُ أفتضح ، فقلتُ : من هـذه يا أمير المؤمنين ؟ قال : هذه التي يقول فيها الشاعر :

لها قَلْبِي الغـــداةَ وقَلْبُها لي فنحن كذاك في جَسَدَيْن رُوحُ

ثم قال: غَنِّي . فغنَّت :

تقول غـــداةَ البَيْن إحدى نِسائهم لِي الـكَبِدُ الحَرَّى فسِرْ ولك الصَّبْرُ
وقد خنقَتْها عَـــبرةٌ فدُمُوعهـــا على خَـــدِّها بِيضٌ وفي نَحرِها صُفْر

والشعر لأبي الشِّيص الخُزاعيّ .

قال : فشَرِب ، ثم سقاني وسقاها . وقال: غَنّ يا إبراهيم . فغنَّيتُ :

تَشَرّب قَلبي حُبَّهـــا ومَشَى به تَمشِّيَ حُمَيَّا الـكأْس في جِسم شَارِبِ
ودبَّ هواها في عِظامي فشَـــفَّها كما دبَّ في المَلْسوع سمُّ العَقـــارِبِ

ففَطِن لتَعريضي ، وكانت جهالةً منّي . فأمرني بالانصراف ولم يَدْعُني شهراً ولا حضرتُ مجلسه . فلما كان بعد شهر دسَّ إليَّ خادماً معه رقعةٌ فيها مكتوب :

قد تخوّفتُ أن أموت من الوَجْـ ـد ولم يَدْر مَن هَويتُ بما بِي
يا كتابي فاقْرَ السّـــلام على مَن لا أُسمِّي وقُل له يا كِتابي
إنّ كفًّا إليكَ قـد[1] بَعَثتني في شَـــقاء مُواصَـــلٍ وعَـــذاب

فأتاني الخادمُ بالرُّقعة ، فقلت له : ما هذا ؟ فقال : رقعـةُ فلانة الجارية التي غنَّتك بين يدى أمير المُؤمنين . فأحسَسْتُ بالقصة ، فشتمتُ الغُلام ووثبتُ إليـه فضربتُه ضرباً شفيتُ به نفسي وغيظي . وركبتُ إلى الرشيد من فَوري فأخبرتُه ، وأعطيتُه الرُّقعـة . فضَحِك حتى كاد يَستلقي وقال : على عَمْـد فعلتُ ذاك بك لأمتحنكَ وأعرف مذهبَك وطريقتك . ثم دعا بالخادم ، فخرج ، فلما رآني قال :

(١) في الأصل : «كتبتني» مكان « بعثتني » .

قطع الله يدَيْك ورجلَيْك ! قتلتنى ! فقلتُ : القتلُ واللهِ كان بعض حقِّك لِمَا وردْتَ به علىَّ ، ولـكنّى رحمتُك فأبقيت عليك وأخبرتُ أمير المؤمنين ليأتى فى عُقو بتك بما تَسْتحقه . فأمر لى الرشيدُ بصلة سَنيّة . والله يعلم ما فعلت ذلك عفافاً ولـكن خوفاً .

هو و إبليس

وحكى إبراهيم قال :

استأذنتُ الرشـيدَ فى أن يَهب لى يوماً من الجُمُعة لا يبعث إلىّ فيـه بوَجْه ولا سَبب ، لأخلُوَ فيه بجوارىّ و إخوانى . فأذن لى فى يوم السَّبت وقال: هذا يومْ أَستثقله ، فالْهُ فيه بما شئت . فقعدتُ فى منزلى وتقدّمت بإصلاح طعامى وشَرابى وما أحتاج إليه ، وأمرت بَوّابى فأغلق الأبواب ، وتقدمت إليه ألَّا يأذنَ لأَحد علىَّ البتـة . فبينا أنا فى مَجلسى والحُرم قد حَفُّوا بى وجَوارىّ يتردَّدْن بين يدىَّ ، إذا أنا بشيخ ذى هَيئة وجمال ، عليــه خُفَّان قصيران وقَميصان ، وروائح الطِّيب تفُوح منه حتى ملأ البيت والدارَ . فدَخلنى لدُخوله علىَّ مع ما تقدَّمتُ فيه غيظٌ ما دخلنى قطُّ مثله ، وهَمَمْتُ بطَرْد بوَّابى ومَن يحجُبنى لأجله . فسلَّم علىَّ أحسن سلام . فرددتُ عليه وأمرتُه بالجلوس . ثم أخذ فى أحاديث النـاس وأيام العرب وأَشعارها حتى سَلَّ ما كان بى من الغَضب ، وظننتُ أن غِلمانى تخيروا مَسرَّتى بإدخال مثله علىَّ لأدبه وظَرفه . فقلتُ له : هل لك فى الطعام ؟ فقال : لاحاجة لى فيــه . فقلت : هل لك فى الشَّراب ؟ قال : ذاكَ إليك . فشربتُ رطلاً وسقيتُه مثلَه . فقال لى : يا أبا إسحاق ، أُريد أن تُغنِّى لنا شيئاً فنسمعَ من صَنعتك ما نَفَقْتَ به عند المُلوك والخاصّ والعامّ . فغاظنى قولُه ، ثم سهّلتُ الأمر على نفسى، فأخذتُ العُود وجَسَسْته ، ثم ضربتُ وغنَّيتُ . فقال : أحسنتَ يإبراهيم ! فازداد غيظى . وقلت : ما رَضى بما فَعـله من دُخوله علىَّ بغير إذنى ، واقتراحه أن أُغنِّيه ، حتى سمَّانى ولم يُـكَنِّنى ولم يُجمل مُخاطبتى ! ثم قال : هل لك فى أن تزيد ؟ فتذَمَّمت

وأخذتُ العُود فغنَّيت. فقال : أجدتَ يا أبا إسحاق . فأَتِمَّ حتى نكافئك ونغنِّيك . فأخذت العود وتغنَّيت وتحفَّظت ، وقُمت بما غنَّيته إيَّاه قياماً تامًّا ما تحفَّظتُ مثله، ولا قُمت بغناء كما قُمتُ به له بين يدَى خليفة قطُّ ولا غيره ، لقوله : أُكافئك . فَطَرِب وقال : أحسنتَ يا سيدى و يا أَوْثق عُددى . ثم قال : أتأذن لعبدك فى الغِناء ؟ فقلت : شأنَك . واستضعفْتُ عقلَه فى أن يُغنِّى بحضرتى بعد ما سَمِعه منِّى . فأخذ العُود وجَسَّه ، فوالله لقد خِلْتُ أنه ينطق بلسان عربىّ ، لحسن ما سمعتُه من صوته . ثم غنَّى :

ولى كَبِـدٌ مقروحةٌ من يَبيعنى ... بها كَبِـداً ليستْ بذاتِ قُروحِ

أَباها علىَّ النَّاسُ ما يشْتَرونها ... ومَن يشْتَرِى ذا عُرة[1] بصَحيح

أئِنُّ مِن الشَّوق الذى فى جَوانحى ... أنينَ غَصِيصٍ بالشَّراب جَرِيح

قال إبراهيم : فوالله لقد ظننتُ أنّ الحِيطان والأبواب وكُلَّ ما فى البيت يُجيبه و يُغنِّى معه من حُسن غنائه ، حتى خِلتُ أنى أسمع أعضائى وثيابى تُجاوبه ، و بقِيتُ مَبهوتاً لا أَستطيع الكلامَ ولا الجواب ولا الحركة بما خالط قلبى . ثم غنَّى :

ألا يا حماماتِ اللِّوَى عُدْنَ عَوْدَةً ... فإنِّى إلى أصواتكنَّ[2] حـزينُ

فعُدْنَ فلما عُدْن كِدْن يُمِتْنَنى ... وكِدْت بأسرارٍ[3] لهن أُبِين

دَعَوْنَ بتَرداد الهَـديل كأنما ... شَرِبْن[4] سُلافا أو بِهنَّ جُنون

فلم تَر عَيْنى مثلَهنّ حمائماً ... بكَيْن ولم تَدْمع لهنّ عُيون

قال : فكاد عَقلى أن يذهب طرباً وارتياحاً لِمَا سمعتُه . ثم غنَّى :

ألا يا صَـبا نَجْدٍ متى هِجْتَ من نَجْدِ ... لقد زَادنِى مَسْراك وجداً على وَجْدِ

(١) العرة : الجرب . وفى بعض أصول الأغانى : « علة » .

(٢) فى الأصل : « حنين » مكان « حزين » .

(٣) فى بعض أصول الأغانى : « بأسرارى » .

(٤) فى بعض أصول الأغانى : « الهدير ... سقين » .

أأن هَتفتْ فى جُنْح ليلٍ حمامةٌ على غُصُنٍ غَضٍّ النَّبات من[1] الرَّند
بكيت كما يبكى الوليدُ[2] صَبابةً وذُبتَ من الحزن المُبرِّح والجَهْد
وقد زَعموا أنّ المحبَّ إذا دنا يَملّ وأن النَّأى يَشْفِى من الوَجْد
بكُلٍّ تداوينا فلم يُشْفَ ما بنا على أنّ قُرب الدَّار خيرٌ من البُعد

ثم قال : يإبراهيم ، هذا الغناء الماخُوريّ ، فخُذْ وأَنْح نحوَه فى غنائك وعلِّمه جواريك . فقلت : أعده علىَّ . فقال : لستَ تحتاج ، قد أخذتَه وفرغتَ منه . ثم غاب عنِّى . فارتعتُ وقُمتُ إلى السَّيف فجرَّدتُه وعدوتُ إلى الأبواب فوجدتُها مُغلقةً ، وقلت للجوارى : أى شىء سمعتُنّ عندى ؟ فقلن : سمعنا أحسنَ غناء سُمع . فخرجت متحيِّراً إلى باب الدار ، فوجدتُه مُغلقاً ، فسألتُ البوّاب عن الشَّيخ . فقال : أى شيخ ! والله ما دخل البابَ اليومَ أحدٌ . فرجعتُ لأتأملَ أمرى ، فإذا هو قد هَتف بى من بعض جوانب البيت : لا بأس عليك يا أبا إسحاق ، أنا إبليس ، وأنا كنتُ نَديمَك اليومَ .

فركبتُ إلى الرشيد وقلت : لا أُطرفه أبداً بطُرفة مثلِ هذه . فدخلتُ إليه وحدَّثته الحديثَ ، فقال : ويحك ! تأمَّل هذه الأصوات : هل أخذتَها ؟ فأخذتُ العود فامتحنتُها ، فإذا هى راسخةٌ فى قلبى كأنها لم تزل . فطَرِب الرشيدُ عليها وجَلس يشرب ، ولم يكن عَزم على الشَّراب . وأمر لى بصلة وحُمْلان[3] ، وقال : الشَّيخ كان أعلمَ بما قال من أنك أخذتها وفرغتَ منها ، فليته أمتعنا بنَفسه يوماً واحداً كما أمتعك .

---

(١) الرند : شجر طيب الرائحة . والرواية فى بعض أصول الأغانى :
أأن هتف ورقاء فى رونق الضحى على فنن غض النبات من الرند
(٢) فى بعض الأصول : « الحزين » .
(٣) الحملان : ما يحمل عليه من الدواب فى الهبة خاصة .

حديث اختصاصه بشعر ذى الرمة يغنى فيه الرشيد

وحكى إبراهيم الموصلى قال :

قال لى جعفر بن يحيى ، وقد علم أنَّ الرشيدَ قد أذن لى والمُغنِّين جميعاً فى الانصراف يومئذ : صِرْ إلىَّ حتى أهب لك شيئاً حسناً . فصرتُ إليه ، فقال : أيّما أحبُّ لك : الشيء الحَسن ، أو أُرشدك إلى شيء تكسب به ألفَ ألفِ درهم ؟ فقلت : لا بل يُرشدنى الوزير — أعزه الله — إلى هذا الوجه ، فإنه يقوم مُقام إعطائه إياى هذا المال . فقال : إنّ أمير المؤمنين يحفظ شِعر ذى الرُّمة حِفظ الصبىّ ويُعجبه ويُؤثره ، فإذا سَمع فيه غناء أطرب به أكثرَ مما يُطرِب به غيرُه ممّا لا يَحفظ شعره ، فإذا غنَّيته فأطربتَه وأمر لك بجائزة، فقُم على رجلَيْك وقبِّل الأرض بين يديه وقُل : إنَّ لى حاجةً غيرَ الجائزة أريد أن أسألها أميرَ المُؤمنين ، وهى حاجة تقوم عندى مُقام كُلِّ فائدة ، ولا تضُرُّه ولا تَرْزَؤه. فإنه سيقول لك : أىّ شىء حاجتك ؟ فقل : قَطيعة تُقطعنيها سهلةٌ عليك ولا قيمة لها ولا مَنْفعة لأحد فيها . فإذا أجابك إلى ذلك فقُل : تُقطعنى شعر ذى الرُّمة أُغنِّى فيه ما أختاره ، وتَحْظُر على المُغنِّين جميعاً أن يُداخلونى فيه ، فإنى أُحب شعره وأستحسنه ، ولا أُحب أن يُنغِّصه علىّ أحدٌ منهم . وتَوثَّق منه فى ذلك . فقَبِلْتُ ذلك القول منه ، وما انصرفتُ مع ذلك القول إلّا بجائزة . وتوخَّيتُ وقتاً للكلام فى هذا المَعنى حتى وجدتُه ، فقمت فسألت كما قال لى، فرأيت السُّرور فى وَجهه، وقال : ما سألتَ شَططاً ، قد أقطعتُك ما سألت . فجعلوا يتضاحكون من قَولى ويقُولون : لقد استضخمتَ القَطيعة ! وهو ساكتٌ . فقلت : يا أمير المؤمنين ، أتأذن لى فى التوثّق ؟ فقال : توثَّق كيف شئتَ . فقلت : بالله وبرسوله وتُربة أمير المُؤمنين المَهدىّ إلّا جعلتَنى على ثقة من ذلك ، بأن تحلف أنك لا تُعطى أحداً من المُغنّين جائزةً على شىء يُغنِّيه من شعر ذى الرُّمة ، فإن ذلك وثيقتى . فحلف عليها مُجتهداً لئن غنَّى أحدٌ منهم فى شعر ذى الرُّمة لا أثابه ولا برَّه ولا سَمع غِناءه . فشكرتُ فِعْله وقبَّلتُ الأرض بين يديه ، وانصرفنا .

فغنَّيته مائةَ صوتٍ وزيادة عليها فى شعر ذى الرُّمة ، فكان إذا سمع منها صوتاً طَرِب وزاد طربُه ووصلنى وأَجزل . ولم يَنتفع أحدٌ منهم به غيرى . فأخذتُ منه ألفَ ألفِ درهم ، وألفَ ألفِ درهم .

ترضى الرشيد ماردة بشعر غناه هو فيه

وذُكر أن الرشيد كان يَجِد بماردةَ ، أُم ولده المُعتصم ، وجداً شديداً ، فغضبتْ عليه وغَضب عليها ، وتَمادى بينهما الهجرُ . فأمر جَعفرُ بن يحيى العبّاسَ بن الأَحنف ، فقال :

رَاجعْ أحبَّتك الذين هجرتَهم إنّ المُتيَّم قلَّما يَتجنّبُ
إن التجنُّبَ إنْ تطاول منكما دَبَّ السلوُّ وعزَّ منك المَطلب

وأَمر إبراهيم المَوصليّ أن يُغنِّى به الرشيدَ . فلما سمعه بادَر إلى ماردةَ فترضَّاها . فسألت عن السبب فى ذلك فعرفته . فأمرتْ لكُل واحد من العبّاس و إبراهيم بعشرين ألف درهم ، وسألتْ الرشيدَ أن يُكافئهما . فأمر لهما بأربعين ألف دِرهم .

أول جائزة خرجت من الرشيد لشاعر كانت له

وقيل :

أول جائزة خَرجت لشاعر من الرَّشيد ، لمّا وَلى الخلافة، جائزةُ إبراهيم الموصلى؛ فإنه قال يمدحه لما وَلى :

أَلم تر أنَّ الشَّمس كانت مريضةً فلمّا وَلِى هارونُ أشرق نُورُهَا
تلبّست[1] الدُّنيا جمالاً بوجهه فهارونُ واليها ويَحيى وَزيرها

فأَمر له بمائة ألف دِرهم . وأمر له يحيى بن خالد بخَمسين ألف دِرهم .

هو والرشيد وقصة الزنبيل

وحَكى إبراهيم المَوصليّ قال : قال لى الرشيدُ يوماً : إنى قد جعلتُ غداً للحُرم ، وجعلتُ ليلته للشرب مع الرِّجال ، وأنا مُقتصر من المُغنّين عليك، فلا تَشتغل غداً بشىء ولا تَشرب نبيذاً ، وكُن بحضرتى فى وقت عشاء الآخرة . فقلتُ: السَّمعُ

(١) فى بعض أصول الأغانى : « فألبست » .

والطاعة لأَمير المؤمنين . فقال : وحقِّ أبى لو تأخَّرت أو اُعتللت بشىء لأَضربنّ عُنقك ! أفهمتَ ؟ قلتُ : نعم . وخرجتُ . فما جاءنى أَحدٌ من إخوانى إلا احتجبتُ عنه، ولا قرأتُ رُقعةً لأَحدٍ، حتى إذا صلَّيتُ المغرب ركبتُ قاصداً إليه . فلما قرُبت من داره مررتُ بفناء قَصْرٍ ، فإذا زَنْبيل كبير مُستوثَق منه بحبال وأربع عُرًى ، قد دُلِّى من القصر ، وجاريةٌ قائمةٌ تنتظر إنساناً قد وُعد ليجلس . فنازعتْنى نفسى إليه ، فقلتُ : هذا خطأ ، فلعله يعُوقنى عن الخَليفة فيكون الهلاك . فلم أزل أُنازع نفسى وتُنازعنى حتى غَلبتْنى . فنزلتُ فيه ، ومُدَّ الزَّنبيل حتى صار بأعلى القصر . ثم خرجتُ فنزلتُ . فإذا جوارٍ كأنهن المَها جُلوسٌ ، فضحكْن وطَرِبْن وقُلن : قد جاء والله ! فلما رأيننى من قريب تبادَرْن الحِجاب وقُلن : يا عدو الله ! ما الذى أَدخلك علينا ؟ فقلتُ : يا عدوّاتِ الله! من الذى أردتُن إدخالَه ؟ ولِمَ صار أولَى منِّى بهذا ؟ فلم يزل ذلك دأبَنا ، وهُن يضحكن وأضحك معهن . فقالت إحداهن : أمّا من أردناه فقد فات ، وما هذا إلا ظريف ، فهلُم نُعاشرْه عشرةً جَميلة . فأُخرج لى طعام فدُعيتُ إلى أَكله ، ولم يكن فىّ فَضْلة ، إلا أنِّى كرهتُ أن أُنسب إلى سُوء العِشرة، فأَصبتُ منه إصابةَ مُعذِّرٍ[1] . ثم جىء بالشراب فجعلنا نَشرب، وأخرجْن إلىَّ ثلاثَ جوارٍ لهن ، فغنَّين غِناءً مَليحاً ، فغنَّت إحداهن صوتاً لَمعبد . فقالت إحدى الثلاث من وراء السِّتارة : أحسن إبراهيمُ الموصلى ! هذا له . فقلتُ : كذبتِ ! ليس هذا له، هذا لمعبد . فقالت : يا فاسق ، ومايُدريك الغِناء ما هو ! ثم غنَّت الأُخرى صوتاً للغَريض . فقالت تلك : أحسن إبراهيم ! هذا أيضاً له . فقلت : كذبتِ ! هذا للغريض . فقالت : اللهم أخزه ، ويلك ! ومايُدريك ! ثم غنّت الجاريةُ صوتاً لى . فقالت تلك : أحسن ابنُ سُريج ! هذا له . فقلت : كذبتِ ، هذا لإبراهيم ، وأنت تنسُبين غناء الناس إليه وغِناءَه إليهم . فقالت :

(١) المعذر : المعتذر .

ويلك ! وما يُدريك ؟ فقلت : أنا إبراهيم . فتباشَرْن بذلك جميعاً وظَهَرْن كُلُّهن وقُلن : كتمتَنا نفسَك وقد سَررتنا . فقلت : أنا الآن أستودعكنّ الله . فقلن : وما السببُ ؟ فأخبرتهن بقصّتى مع الرَّشيد . فقُلن : الآن طاب حَبْسك ، علينا وعلينا إن خرجتَ أسبوعاً . فقلتُ : هو والله القتل . فقُلن : إلى لعنةِ الله ! فأقمتُ عندهم أُسبوعاً لا أزول . فلما كان بعد أُسبوع ودَّعننى ، وقُلْن : إن سلّمك الله فأنت بعد ثلاثة عندنا . فأَجلسننى فى الزَّنبيل وسُرِّحتُ . فمضيتُ من وَجهى[1] إلى دار الرَّشيد ، فإذا النِّداء فى طَلَبى فى بغداد ، وأنَّ من أحضرنى فقد سُوِّغ مِلكى وأُقطع مالى . فاستأذنتُ . فتبادر الخدمُ حتى أدخلونى على الرَّشيد ، فلما رآنى شَتمنى وقال : السَّيفَ والنِّطْع ! إيه يإبراهيم ! تَهاونتَ بأمرى وتشاغلتَ بالعوامّ عما أمرتُك به ! وجلستَ مع أشباهك من السُّفهاء حتى أفسدت علىَّ لذَّاتى ! فقلتُ : يا أمير المُؤمنين ، أنا بين يديك ، وما أَمرتَ به غيرُ فائت ، ولى حديثٌ عَجيبٌ ما سُمع بمثله قطُّ ، وهو الذى قَطعنى عنك ضرورةً لا اختياراً ، فإن كان عذراً فاقبله وإلا فأَنت أعلم . فقال : هاتِه ، فليس بمُنْجيك . فحدَّثته . فوَجم ساعةً ثم قال : إن هذا لَعجبٌ ! أفتُحضرنى معك هذا الموضعَ ؟ فقلت : نعم ، وأُجلسك معهن إذا شئتَ قبلى حتى تَحْصُل معهن ، وإن شئت فعلى موعد . قال : بل على موعد . قلتُ : أفعلُ . فقال : انظرْ . قلتُ : ذلك حاصلٌ لك متى شئتَ . فَعدل عن رأيه وأَجلسنى وشرب وطَرِب . فلما أَصبحنا أَمرنى بالانصراف وأن أَجيئه من الغد . فمضيتُ إليهنّ فى وقت الموعد . فلما وافيتُ الموضعَ إذا الزَّنبيل مُعلَّق ، فجلستُ فيه ، ومدَّه الجوارى فصعدتُ . فلما رأَيْننى تباشَرْن وحَمِدْن الله على سلامتى . فأقمتُ ليلتى . فلما أردتُ الانصرافَ قلتُ : إنَّ لى أخاً هو عِدْلُ نفسى عندى ، وقد أحبّ مُعاشرتكنّ ووعدتُه بذلك . فقُلن : إن كنتَ تَرضاه فمرحباً به . فوعدتهن ليلةِ غدٍ ، وانصرفتُ

---

(١) فى بعض أصول الأغانى : « لوجهى » .

فأتيتُ الرشـيدَ فأخبرتُه . فلما كان الوقتُ خَرج معى متخفِّياً حتى أتينا المَوضع . فصَعدتُ وصَعد بعـدى ، ونزلنا جميعاً . وقد كان الله وفَّقنى لأن قلتُ لهنّ : إذا جاء صَديقى فاستَتِرْن عنـه وعنّى ولا يَسْمَعَنّ لـكن نَطْقةً ، ولْيَكن ما تَخْتَرْنه من غناء أو تَقُلْنه من قول مُراسلةً . فلم يتعدَّيْن ذلك ، وأقَمْن على أتمّ سِتْر وخَفَر. وشَرِبْنا كثيراً . وقد كان أَمرنى ألّا أُخاطبه بأمير المُؤمنين . فلما أخذ منّى السُّكر قلتُ سهواً : يا أمير المؤمنين . فتواثَبْن من وراء الستارة حتى غابت عنّا حركاتُهنّ. فقـال لى : يإبراهيم ، قد أفلتَّ من أمرٍ عظيم ، والله لو برزتْ لك واحـدةٌ منهنّ لضربتُ عُنُقك ! قُم بنا . فانصرفنا . فإذا هُنّ جوارى له قدغَضِب عليهنّ فَحبسهنّ فى ذلك القَصر . ثم وجّه من غدٍ بخَدَمٍ له فردَّهن إلى قصره ، ووَهب لى مائة ألف درهم . وكانت الهدايا والألطاف تأتينى بعد ذلك منهن .

شعره فى مرضه

وحكى إسحاقُ بن إبراهيم الموصلى ، قال :

لما دخلتْ سنةُ ثمانٍ وثمانين ومائة اشتدّ أمرُ القُولَنْج على أبى ولزمه ، وكان يعتاده فى الأحيان ، فقَعد عن خدمة الخليفة وعن نَوْبته فى داره ، وقال فى ذلك :

مَـلَّ واللهِ طَبيبى عن مُقاساةِ الّذى بِى
سوف أُنْعَى عن قَريب لعـــدوٍّ وحَبِيب

ووَضع فيه لحناً . وكان آخرَ شعر قاله ، وآخرَ لحنٍ وضعه .

زيارة الرشيد له فى علة الموت

وحُـكى أنَّ الرّشـيد رَكب حِماراً ودخل إلى إبراهيم وهو فى الأَبْزَن[1] جالسٌ ، فقال : كيف أنت يإبراهيم ؟ قال : أنا والله يا سيدى كما قال الشاعر :

سَـقيمٌ مَلَّ منه أقْربوه وأَسْلمه المُداوى والحَمِيمُ

فقال الرشيدُ : إنا لله ! وخرج . فما بَعُـد حتى سَمِع الواعيةَ[2] عليه .

(١) الأبزن : حوض من نحاس يستنقع فيه ، معرب . (٢) الواعية : الصراخ على الميت .

تقديم المأمون لابن الأحنف عليه فى الصلاة عليهما

ومات إبراهيم فى هذه السنة — أعنى سنة ثمان وثمانين ومائة — ومات فى ذلك اليوم العبّاس بن الأحنف، وهُشيمة الخمّارة. فرُفع ذلك إلى الرّشيد، فأمر المأمونَ أن يُصلّى عليهم. فخرج فصفّوا بين يديه، فقال: من هذا الأول؟ قالوا: إبراهيم المَوصلى. فقال: أخّروه وقدّموا العبّاس بن الأحنف. فقُدِّم فصَلَّى عليهم. فلما فرغ دنا منه هاشمُ بن عبد الله بن مالك الخُزاعى فقال له: يا سيدى، كيف آثرتَ العبّاس بالتَّقْدِمة على من حضَر؟ قال لقوله:

وسعَى بها ناسٌ وقالوا إنّها ... لهى التى تَشْقَى بها وتُكابِدُ
فجحدتُهم ليكونَ غيرَكِ ظنُّهم ... إنّى ليُعجبنى المُحبُّ الجاحد

ثم قال: أتحفظها؟ قلت: نعم. قال: فأَنْشدنى باقيها. فأنشدتُه:

لما رأيتُ الليلَ سَدَّ طريقَه ... عنّى وعذّبنى الظّلامُ الرّاكدُ
والنّجم فى كَبِد السّماء كأنّه ... أَعْمَى تحيَّر ما لدَيه قائِد
ناديتُ من طَرَد الرُّقاد بصدّه ... عمّا أُعالج وهو خِلْوٌ هاجِد
ياذا الذى صَدع الفُؤاد[1] بهَجْره ... أَنْت البَلاء طريفُه والتّالد
أَلقيتَ بين جُفون عَيْنى[2] حُرقةً ... فإلى متى أنا ساهِرٌ يا راقد

فقال لى المأمونُ: أليس من قال هذا حَقيقٌ بالتّقدمة؟ قلت: بلى والله يا سيدى.

شعر ابنه إسحاق فى رثائه

ولما تُوفى إبراهيم الموصلى رثاه اُبنُه إسحاق بقَوْله:

سلامٌ على القَبر الذى لا يُجيبنا ... ونحن نُحيِّى تُربه ونُخاطِبُه
ستَبْكيه أشرافُ الملوك إذا رأَوْا ... محلَّ التّصابى قد خلا منه جانِبُه
ويَبكيه أهلُ الظَّرف طُرًّا كما بَكى ... عليه أميرُ المُؤمنين وحاجِبه

(١) فى الأصل: «بصده» مكان «بهجره».
(٢) فى الأصل: «جفوة» مكان «حرقة».

ولمّا بدا لى اليأسُ منه وأنزفتْ عيونٌ[1] بواكيه وملّت نوادبُه
وصار شِفاء النّفس من بعد[2] فَقْده إفاضةَ دَمْعٍ تَستهلُّ سَواكبه
جعلتُ على عَيْنىّ للصُّبح عَبرةً ولِلّيل أُخرى ما بدتْ لى كواكبه

وقال أيضاً يرثيه :

عليك سلامُ الله مِن قبرِ فاجِعٍ وجادَكَ من نَوْءِ السّماكَيْن وابِلُ
هل أنتَ مُحيِّي القبر أم أنت سائل وكيف تُحيَّا تُربةٌ وجَنادل
أظَلُّ كأنّى لم تُصِبْنى مُصيبةٌ وبالصَّدْر من وَجْدٍ عليك بَلابل
وهوّن عندى فقدُه أنّ شَخْصَه على كُلِّ حالٍ بين عينىَّ ماثِل

الرشيد يعزى إسحاق ابنه فيه ويصله

وحكى إسحاق بن إبراهيم الموصلىّ قال :

دخلت إلى الرّشيد بعَقب وفاة أبى ، وذلك بعد شهر من يوم وفاته ، فلما جلستُ ورأيتُ موضعَه الذى كان يجلس فيه دمعتْ عيناى ، فكفكفتُهما وتصبّرت . ولَحنى الرشيد فدعانى إليه فأدنانى منه . فقبّلتُ يدَه ورجلَه والأرض بين يديه . فاستعبر ، وكان رقيقاً . فوثبتُ قائماً بين يديه وقلت :

فى بَقاء الخليفة المَيمونِ خلفٌ من مُصيبة المَحزونِ
لا يَضِير المصابَ حُزنٌ[3] إذا ما كانَ ذا مَفْزعٍ إلى هارون

فقال لى : كذاكَ هو والله ، ولن تَفقد من أبيك ما دُمتُ حيّاً إلا شَخْصَه. وأمر بإضافة رِزْقه إلى رِزْقى . فقلتُ : بل يأمر به أميرُ المُؤمنين لوَلده، ففى خِدمتى إيّاه ما يُغنينى . فقال : اجعلوا رِزْق إبراهيم لولده وأَضْعفوا رِزْق إسحاق .

---

(١) أنزفت العيون : نفد ماؤها .
(٢) فى بعض أصول الأغانى : « بعض ما بها » مكان « بعد فقده » .
(٣) فى بعض أصول الأغانى : « رزء » .

أخبار إسحاق بن إبراهيم الموصلي

كنيتـــه

ويُكنى أبا محمد . وكان الرشيدُ يولَع به فيكنيه أبا صَفوان . وهذه كنيةٌ أوقعها عليه إسحاق بن إبراهيم بن مُصعب مَزْحاً .

منزلته فى العلم والغنـــاء

وموضعه من العِلْم ، ومكانُه من الأدب ، ومحلّه من الرِّواية ، وتقدُّمه فى الشعر ، ومنزلتــه فى سائر المَجالس ، أشهرُ من أن يُدلَّ عليه فيها بوصف . أما الغناء فكان أصغر علومه وأدنى ما يوسم به ، و إن كان الغالبَ عليه وعلى ما كان يُحسنه ، فإنه كان له فى سائر أدواته نُظراء وأكفاء ، ولم يكن له فى هــذا نَظير ، لَحِق بمن مضى فيــه وسَبَق من قد بَقِى ، فهو إمام أهل صِناعته وقُدوتهم ورأسُهم ومعلِّمهم ، وكان يكره أن يُنْسبَ إلى الغِناء غايةَ الكراهية .

تمناه المأمون للقضـــاء

وذُكر أن المأمون قال : لولا ما سبَق لإسحاق على ألسنة النَّاس وشُهرته عندهم من الغِناء لوليتُه القَضاء بحَضرتى ؛ فإنه أعفُّ وأَصدق وأكثر ديناً وأمانةً من هؤلاء القُضاة .

مشايخه فى الحديث

وروَى الحديثَ ولَقِى أهله ؛ مثل : مالك ، وسُفيان بن عُيينة ، وهُشيم بن بَشير ، و إبراهيم بن سَعد ، وأبى مُعاوية الضَّرير ، ورَوْح بن عُبادة ، وغيرهم من شُيوخ العِراق والحجاز .

ضنه بالغناء وما أحدثه فيـــه

وكان مع كراهيته الغنــاء أضَنَّ خَلق اللهِ به ، وأشدَّهم بُخْلاً به على كل أحد ، حتى على جواريه وغِلْمانه ومَن يأخذ عنه ويُنسب إليه ، فضلاً عن غيرهم . وصحَّح أجناس الغِناء وطرائقه وميَّزها تمييزاً لم يَقْدر عليه أحد بعده .

أمـــه

وأُم إسحاق امرأةٌ من أهل الريّ ، يقال لها : شاهك .

نهجه فى يومه

وحكى إسحاق قال : بقيتُ دهراً من دهرى أُغلّس كلَّ يوم إلى هُشيم فأسمع منه ، ثم أصير إلى الكسائى ، والفرّاء ، وابن غزالة ، فأقرأ عليه جزءا من القرآن . ثم آتى منصوراً ، المعروف بزلزل ، فيُضار بنى طرقين[1] أو ثلاثة ، ثم آتى عاتكة بنت شُهدة فآخذ منها صوتاً أو صوتين ، ثم آتى الأصمعىّ وأبا عُبيدة فأُناشدهما وأُحدّثهما وأستفيد منهما ، ثم أصير إلى أبى فأُعلمه ماصنعتُ ومَن لقيتُ وما أخذتُ، وأتغدّى معه ، فإذا كان العِشاء صرتُ إلى أمير المؤمنين الرشيد .

رأى الواثق فيه

وحُكى أن الواثق بالله كان يقول : ما غنّانى إسحاقُ قطُّ إلا ظننتُ أنه قد قد زيد فى مُلكى ، ولا سمعتهُ قطُّ يغنّى غناء ابن سُريج إلّا ظننتُ أن ابن سُريج فيه نُشِر ، وإنّه ليحضُرنى غيره ، اذا لم يكن حاضراً ، فيتقدمه عندى بطِيب الصوت ، حتى إذا اجتمعا عندى رأيتُ إسحاق يعلو ورأيت من ظننتُ أنه يتقدّمه ينقُص . وإنّ اسحاق لنعمةٌ من نِعم المُلوك التى لا يُخصّ[2] أحدٌ بمثلها ، ولو أن العُمر والشّباب والنّشاط مما يُشترى لاشتريتُهن له بشطر مُلكى .

هو والمأمون وقد سأله الدخول مع العلماء ثم مع الفقهاء

وذُكر أنه سأل إسحاقُ الموصلىّ المأمونَ أن يكون دُخوله إليه مع أهل العِلْم والأدب والرُّواة ، لا مع المُغنّين ، فإذا أراد الغناء غنّاه . فأجابه إلى ذلك . ثم سأله بعد مُدة طويلة أن يأذن له فى الدُّخول مع الفقهاء ، فأذن له . فقيل : إنّ محمد بن الحارث بن بُسْخُنّر وعَلّويه ومُخارقاً كانوا فى حُجرة لهم جلوساً ينتظرون جُلوس المأمون لهم وخروج الناس من عنده ، إذ دخل القاضى يَحيى بن أكثم وعليه سَواده وطويلتهُ[3] ويده فى يد إسحاق يُماشيه ، حتى جلس معه بين يدى المأمون. فكاد عَلّويه أن يُجنّ ، وقال : ياقوم ، سمعتم بأعجب من هذا ! يدخُل قاضى القُضاة ويدُه فى يد مُغنٍّ حتى يجلسا بين يدى الخليفة ! ثم مضتْ مدةٌ على ذلك . فسأل إسحاق

---

(١) الطرق : الصوت والنغمة . (٢) فى بعض أصول الأغانى : « لم نحظ » .
(٣) السواد : شعار العباسيين . والطويلة : القلنسوة .

المأمون فى لُبس السَّواد يومَ الجمعة والصلاة معه فى المَقْصُورة . فضحك المأمونُ وقال : ولا كُل هذا يإسحاق ! وقد اشتريتُ منك هذه المسألة بمائة ألف درهم، وأمر له بها .

شأنه بين المغنين فى حضرة الواثق

وذُكر أن المُغنِّين كانوا يحضُرون مجلس الواثق وعيدانُهم معهم ، إلَّا إسحاق فإنه يحضُر بلا عُود للشُّرب والمُجالسة . فإذا أمره الخليفةُ أن يُغنّى أُحضر له عُود ، وإذا فَرغ وغنَّى سُلّ من بين يديه إلى أن يطلُبه .

وكان الواثق كثيراً ما يكنِّيه ، رفعاً له أن يدعُوَه باسمه . وكان إذا غَنَّى وفَرغ الخليفةُ من شرب قَدَحه قطع الغناءَ ولم يُعِدْ منه حرفاً، إلَّا أن يكون فى بعض بيتٍ فيُتمه ، ثم يقطع ويَضع العود من يده .

غنى المأمون فى شعر لذى الرمة فأجازه وحديث ذلك

وحَكى إسحاق قال :

خرجت مَخْموراً من دارى أتنسَّم الهواء ، فمررتُ برجُل يُنشد رجلاً معه لذى الرُّمَّة :

ألم تَعلمى يامَىُّ أنّى وبيننا ... مهَاوٍ لطَرْف العَيْن فيهنَّ[1] مَطْمَحُ
ذكرتك أن مرَّت بنا[2] أُمُّ شادنٍ ... أمامَ المَطايا تَشرئبُّ وتَسْنح
من المُؤْلِفات الرَّمْلَ أدماءُ حُرَّةٌ ... شُعاعُ الضُّحَى فى مَتنها يَتوضَّح
هى الشِّبهُ أعطافاً وجيداً ومُقْلةً ... ومَيَّةُ منها بعدُ أبهى وأَمْلح
لئن كانت الدُّنْيا علىَّ كما أرى ... تَباريحَ من مَىٍّ فَلَلموتُ أَروح

فأعجبنى وصنعتُ فيه لحناً غنَّيت به المأمونَ ، فأخذتُ منه مائة ألف دِرهم .

هو وإبراهيم بن المهدى فى صوت غناه عند الرشيد

وحكى إسحاقُ الموصلى قال :

كنتُ عند الرّشيد يوماً وعنده نُدماؤه وخاصّته وإبراهيم بن المهدى ، فقال الرشيد : غَنِّ :

(١) فى غير التجريد : « مطرح » مكان « مطمح » . (٢) أم شادن : الظبية .

شَربتُ مُدامةً وسُقيتُ أُخرى وراح المُنْتَشون وما أُنْتَشيتُ

وقبل هذا البيت :

أعاذلُ ما كَبِرتُ وفيَّ مَلْهًى ولو أدركتُ غايتك أُنتهيتُ

فغنَّيته . فأقبل عليّ إبراهيم بن المهـــدىّ فقال لى : ما أَصبتَ يإسحاق ولا أحسنت ! فقلت: ليس هـذا مما تَعرفه ولا تُحسنه ! و إن شئتَ فغنِّه ، فإن لم أجدك أنك تُخطىء فيـه منذ ابتدائك إلى انتهائك فدَمِى حلالٌ . ثم أقبلتُ على الرّشيد فقلت : يا أمير المؤمنين ، هذه صناعتى وصناعة أبى ، وهى التى قرّبتنا منك واستخدمتنا لك ، فإذا نازعنا أحد بلا عِلْم لم نجد بُدًّا من الإيضاح والذَّبِّ . فقال : لا غَرْو ولا لَوْم عليك . وقام الرشيدُ ليبول ، فأقبل عليّ إبراهيم بن المهدىّ وقال : يإسحاق ، ويحك ! تجـترىء عليّ وتقول لى ما قلتَ يابن الفـاعلة ! لا يَكْنى . فدخلنى ما لم أَملك نفسى معه ، فقلتُ له : أنت تَشْتُمنى ولا أقدر على إجابتك، وأنت ابن الخليفة ، ولولا ذلك لـكنت أقول لك: يابن الزانية ، كما قلت لى: يابن الزانيـة ! أوَتُرانى كنت لا أُحسن أن أقول: يابن الزانية ، ولـكن قَولى فى ذمك ينصرف كلُّه إلى خالك الأعلم[1] ، ولولاك لذكرتُ صناعته ومَذهبه — قال إسحاق : وكان بيطاراً — قال : ثم سكتُّ وعلمت أن إبراهيم سـوف يشكونى إلى الرشيد ، وسوف يسأل مَن يحضُر عما جرى، فيُخبرونه . فتلافيتُ ذلك بأن قلت : أنت تظُن أن الخِلافة تصير لك ، فلا تزال تتهدّدنى بذلك وتُعادينى كما تُعادى سائر أولياء أخيك حسداً له ولولده على الأَمر ، وأنت تَضْعُف عنه وعنهم ، وتَستخف بأوليائهم تشفِّياً ، وأرجو ألّا يُخرجها الله عن الرّشيد وولده ، وأن يقتُلَك دونها . فإن صارت إليك — والعياذُ بالله من ذلك — فحرام عليّ يومئذ العيشُ ، والموتُ أطيبُ لى من الحياة معك ، فاصنع حينئذٍ ما بدا لك . قال : فلما خَرج الرشـيد

(١) الأعلم : المشقوق الشفة العليا .

وَثب إبراهيم وجلس بين يديه وقال : يا أمير المؤمنين ، شَتمني وذكر أُمي واُستخفّ بى . فغَضب وقال لى : ويلك ! ما تقول ؟ قلت : لا أعلم ، فسَلْ مَن حضر . فأقبل على مَسرور وحُنَين وسألهما عن القِصَّة — فجعلا يُخبرانه ووجهُه يتربَّد[1] إلى أن انتهيا إلى ذكر الخلافة — فسُرِّى عنه ورجع لونه . وقال لإبراهيم : لا ذَنب له ، شتمتَه فعرَّفك أنه لا يَقدر على جوابك ، ارجع إلى موضعك وأمسك عن هذا . فلما انقضى المجلسُ وانصرف الناس أمر بألّا أبرح . وخرج كلُّ من حضر حتى لم يَبْق غيرى . فساء ظنِّى وأهمَّتنى نفسى . فأقبل علىَّ وقال : يإسحاق ، أتُرانى لم أفهم قولك ومرادك ! قد والله زنَّيته ثلاث مرات . أتُرانى لا أعرف وقائعك وأقدامَك وأين ذهبت ! ويلك ! لا تَعُدْ . حدِّثنى عنك : لو ضربك إبراهيم أكنتُ أقتصُّ لك منه فأضربه يا جاهل وهو أخى ! أتراه لو أمر غلمانه فقتلوك أكنتُ أقتله بك ! فقلت : والله يا أمير المؤمنين قد والله قتلتَنى بهذا الكلام ، ولئن بلغه ليقتلنِّى ، وما أشك فى أنه قد بلغه الآن . فصاح بمَسرور وقال : علىَّ بإبراهيم . فأُحضر . فقال لى : قُم فانصرف . فقلتُ لجماعة من الخدم، وكلهم كان لى محبًّا وإلىَّ مائلاً مُطيعاً : أخبرونى بما يجرى من غدٍ . فأخبرونى أنه لما دخل عليه وبَّخه وجهَّله وقال : أتستخفُّ بخادمى وصَنيعتى، وابن خادمى وصَنيعتى، وصنيعة أبى فى مَجلسى ، وتُقدم على ذلك ، وتستخفُّ بمجلسى وحَضرتى ! هاه ! هاه ! هاه ! أتُقدم على هذا وأمثاله ! وأنت مالك وللغِناء ؟ وما يُدريك ما هو ؟ ومن أخذك به وطارحك إياه حتى تتوهّم أنك تبلُغ مبلغ إسحاق الذى غُذى به وعُلِّمه وهو من صِناعته ؟ ثم تظُن أنك تُخطِّئه فيما لا تَدريه ، ويدعوك إلى إقامة الحُجة عليه فلا تثبُت لذلك وتَعتصم بشَتْمه ، هذا مما يدُل على السُّقوط وضَعف العقل وسُوء الأدب مِن دخولك فيما لا يَنْسُبك إلا إلى فرط الجهل . ألا تَعلم — ويحك — أن هذا سُوء أدب وقلّة معرفة وقلّة مُبالاة بالخطأ والتكذيب

---

(١) يتربد : يتغير .

والردّ القَبيح ! ثم قال : والله العظيم وحقّ رسوله، و إلا فأنا برىء من المهدى، لئن أصابه أحدٌ بسوء، أو سقط عليه حجر من السّماء، أو سقط من دابّته، أو سقط عليه سَقف، أو مات فجأة، لأقتلنك به . والله، والله، والله، وأنت أعلم، فلا تَعرِضْ له . قُم الآن فاخرج . فخرَج وقد كاد أن يموت .

فلما كان بعد ذلك دخلتُ عليه و إبراهيمُ عنده، فجعل ينظرُ إليه مرةً و إلىَّ مرة و يضْحَك، ثم قال له : إنى أَعلم محبَّتك لإسحاق وميلَك إليه و إلى الأَخْذ عنه، وأن هـذا لا يجيئك من جهته كما تُريد إلا بعد أن يرضَى، والرِّضى لا يَكون بمَكروه، ولـكن أحسن إليه وأَكْرمه وأعرف حقّه و برّه وصِلْه، فإذا فَعلتَ ثم خالف ما تهواه عاقبتُه بيدٍ مستطيلة مُنبسطة ولسانٍ مُنْطلق . ثم قال لى : قُم إلى مولاكَ وابن مولاكَ فقبِّل رَأْسَه . فقمتُ إليه وقام إلىَّ وأَصلح الرّشيد بيننا .

وحكى إسحاق الموصلى قال :

صنع فى بيتين ودع بهما الفضل بن يحيى غناء فأجازه

لـمَّا أراد الفَضل بن يَحيى بن خالد الخُروج إلى خُراسان ودَّعتُه، ثم أنشدته بعد التَّوديع :

فراقُك مثـلُ فِراق الحيـاةِ　　وفَقْدُكَ مثـلُ افتقادِ الدِّيَمْ

عليك السَّـلامُ فكم من وفاء　　أُفارق فيك وكم مِن كَرَم

قال : فضمَّنى إليـه وأَمر لى بألف دينار وقال : يا أبا محمد، لو حَلّيتَ هذين البيتَين بصَنعة وأودعتَهما مَن يَصحبنا لأهديتَ لى بذلك أُنساً وأذكرتنى بنفسـك . ففعلتُ ذلك وطرحتُه على بعض المُغنِّين . فأَمر لى بألف دينـار . وكان كتابُه لا يزال يَرد علىَّ ومعـه ألفُ دينار، يصلنى بذلك كلّما غُنِّى بهذا الصوت .

أنشد المعتصم يهنئه بالخلافة فأجازه

وحَكى إسحاق قال :

لمَّا ولى المُعتصم الخلافةَ دخلتُ إليه فى جُملة الجُلساء والشُّعراء ، فهنَّأه القوم نَثْراً ونظماً ؛ وهو ينظر إلىَّ مُستنطقاً ، فأَنشدتُه :

لاح بالمَفْرق منك القَتِيرُ ... وذوى غُصْنُ الشَّباب النَّضِيرُ
هزئتْ أسماءُ منِّى وقالت ... أنت يا بن المَوصلىّ كبير
ورأت شَيباً علانى[1] فصدَّت ... وأبنُ ستِّين بشَيْب جَدير
قد يُفَلّ السَّيفُ وهو جُرَازٌ ... ويَصولُ الليثُ وهو[2] عَقير
يا بَنى العبَّاس أنتم شِفاء ... وضِياء للقُلوب ونُور
أنتم أهلُ الخِلافة فينا ... ولكم مِنْبرُها والسَّرير
لا يزال المُلك فيكم مَدَى الدَّهْـ ... ـر مُقيماً ما أقام[3] ثَبِير
وأبو إسحاق خيرُ إمامٍ ... ما له فى العالَمين نَظِير
ما له فيما يَريش ويَبْرى ... غير توفيق الإله وَزِير
واضح الغُرّة[4] للخير فيه ... حين يَبْدو شاهدٌ وبشير
زانه هَدْىٌ تُقًى وجلالٌ ... وعفافٌ وَوفاء[5] وخِير
لو تُبارى جُودَه الريحُ يوماً ... نَزحت وهى طَليحٌ[6] حَسير

قال : فأمر لى بجائزةٍ فضّلني فيها على الجماعة .

هو وعلويه فى مجلس الفضل ابن الربيع

وحَكى أحمد بن يحيى المكى قال :

دعانى الفضلُ بن الرَّبيع ودعا عَلَّويه ومُخارقاً ، وذلك فى أيَّام المأمون بعد

(١) فى بعض أصول الأغانى : « برأسى » مكان « علانى » .
(٢) يفل : يثلم . وجراز : قاطع . وعقير : مجروح .
(٣) ثبير : جبل بمكة . (٤) فى بعض أصول الأغانى : « والخير » مكان « للخير » .
(٥) فى بعض أصول الأغانى : « ووقار » . (٦) طليح : هزيل تعب . وحسير : كايل . والرواية فى بعض أصول الأغانى : « نزعت وهى . . . » .

رجوعه له ورضاه عنه ، إلّا أن حاله كانت ناقصةً مُتضعضعة . فلما اجتمعنا عنده كَتب إلى إسحاق الموصليّ يسأله أن يصير إليه ويُعلمه الحالَ فى اجتماعنا عنده . فكتب إليه : لا تنتظرونى بالأكل فقد أكلتُ ، وأنا أصير إليكم بعد ساعة . فأكلنا وجلسنا نَشرب حتى قَرُب الظهر[1]. ثم وافَى إسحاق وجاء غلامُه بقَطْرميز[2] نَبيذ فَوضعه ناحيةً ، وأَمر صاحب الشَّراب بإسقائه منه . وكان عَلّويه يُغنِّى الفضلَ صوتاً . فقال له إسحاق : يا أبا الحسن ، أخطأت فى أداء هذا الصوت وأنا أُصلحه لك . فجُن عَلّويه واغتاظ وقامت قيامتُه . فأقبل إسحاق على عَلّويه وقال له : يا حبيبى ، ما أردتُ الوضعَ منك بما قلتُه لك ، وإنما أردتُ تهذيبك وتَقويمك لأنك مَنْسوب الخطأ والصواب إلى أبى ، فإن كرهتَ ذلك تركتُك وقلت لك : أجملتَ وأحسنت ! فقال عَلّويه : والله ما أردتَ هذا ، ولا أردتَ إلّا ما لا تتركه أبداً من سوء عشرتك ! أخبرنى عنك حين تجىء هذا الوقتَ لّما دعاك الأميرُ وعرّفك أنه قد نَشط للاصطباح ، فما حملك على الترفُّع عليه فى مُباكرته وخِدْمته ؟أشُغل شَغلك عنه مع صَنائعه عندك ؟ ولا يقطعك عنه قاطع إلّا أن يكون الخليفةُ ! ثم تَجيئه ومعك قَطْرميز نَبيذ ترفُّعاً عن شرابه كما ترفَّعت عن طَعامه ومُجالسته ، إلا كما تشتهى وحين تَنشط ، كما يَفعل الأكفاء ، بل تَزيد على فِعل الأكفاء ! ثم تَعمد إلى صوت قد اشتهاه واقترحه وسَمعه كُلُّ مَن حضر ، فما عابه منهم أحد، فتَعيبه ليتمّ تَنغيصُك إياه لذّته ! أمَا والله لو الفضلُ بن يحيى أو أخوه جَعفر، لا والله بل بعضُ أتباعهم، دعاك إلى مثل ما دعاك إليه الأَمير ، لبادرتَ وما تأخّرت ولا اعتذرت ! فأمسك الفضلُ عن الجواب إعجاباً بما خاطب به عَلّويه إسحاقَ : فقال له إسحاق : أمّا ما ذكرتَه من تأخُّرى عنه إلى هذا الوقت الذى ذكرتَ

---

(١) هذه رواية الأصل . والذى فى الأغانى : « العصر » .

(٢) القطرميز : القلة الكبيرة من الزجاج .

وحضرتُ فيه ، فهو يعلم أنّى لا أتأخر فيه إلّا بعائق قاطع ، فإن وَثق بذلك منّى وإلّا ذكرتُ له الحُجة سرًّا من حيث لا يكون لك ولا لغيرك فيه مَدخل . وأما ترفّعى عنه فكيف أترفّع عنه وأنا أنتسب إلى صَنائعه وأستمنحه وأعيشُ فى فَضله مذ كنت أنا وأبى ، وهذا تَضريب[1] لا أبالى به منك . وأما حَملى النّبيذ معى ، فإن لى فى النّبيذ شَرطاً من طَعمه وريحه إن لم أجده لم أقدر على الشُّرب وتنغّص علىّ يومئذ ، وإنما حملتُه معى ليتم نَشاطى فيَنتفع بى . وأمّا طَعنِى على ما اختاره ، فإنّى لم أطعن على اختياره ، وإنما أردتُ تقويمك ، ولستَ والله ترانى مُتتبِّعاً لك بعد هذا اليوم ولا مُقوِّماً شيئاً من خطئك ، وأنا أُغنى له — أعزّه الله — هذا الصوتَ فيعلم وتَعلم ويَعلم الحاضرون أنك قد أخطأت فيه وقصّرت . وأما البرامكة فأمرهم أشهر من أن أجحده ، وإنى لحقيقٌ فيه بالمَعذرة ، وأحرى أن أشكرهم على صَنيعهم وبأن أذيعه وأنشُره ، وذلك والله أقلُّ ما يَستحقّونه منّى . ثم أقبل على الفَضل — وقد غاظه مدحُه للبرامكة — وقال : اسمع منّى شيئاً أُخبرك به مما فعلوه بى ، ليس بكثير فى صنائعهم عندى ولا عند أبى قَبلى ، فإن وجدت لى فى ذلك عُذراً وإلا فلُمْ : كنتُ فى ابتداء أمرى نازلاً مع أبى فى داره ، فكان لا يزال يَجرى بين غِلمانى وغلمانه وجَوارىّ وجواريه الخُصومة ، كما يجرى بين هذه الطّبقات ، فيشكونهم إليه ، فأتبيّن الضّجر والتنكُّر فى وجهه . فاستأجرتُ داراً بقُربه انتقلت إليها أنا وغِلمانى وجوارى ، وكانت داراً واسعة ، فلم أَرْضَ ما معى من الآلة لها ولا لمن يدخل إلىّ من إخوانى أن يرَوْا مثله عندى ، ففكرتُ فى ذلك وكيف أَصنع فيه ، وزاد فِكرى حتى خَطر بقلبى قُبح الأُحدوثة من نزول مثلى فى دارٍ بأجرة ، ولا آمن فى وقت أن يستأذن علىّ صاحبُ دارى وعندى من أحتشمه ولا يعلم حالى ، فيقول لى غُلامى : صاحب دارك على الباب . أو يوجّه

(١) التضريب : الإغراء .

فى وقتٍ فيطلُب أُجرة الدار وعنــدى من أحتشمه ، فضاق بذلك صَدرى ضِيقاً شديداً حتى جاوز الحدّ . فأمرتُ غلامى أن يُسرج لى حماراً كان عندى لأمضىَ إلى الصحراء أتفرّج فيها ممّا دخلنى . فأسرجه . فركبتُ برداء ونَعل . فأفضَى بى المسيرُ ، وأنا مفكر لا أَميز الطريق التى أسلُك فيهـا ، حتى هجم بى على باب يحيى ابن خالد ، فوثب غِلْمانُه وقالوا : أين هذا الطريق ؟ فقلت : إلى الوزير . فدَخلوا واستأذنوا لى ، وخَرج الحاجبُ فأمرنى بالدخول ، و بقيتُ خَجِلاً قد وقعتُ فى أمرين قبيحَيْن : إن دخلتُ عليه فى رداء ونعل وأَعلمتُه أنِّى قصدته فى تلك الحال كان سُوءَ أدب ، و إن قلتُ له : كنتُ مُجتازاً ولم أقصدك فجعلتُك طريقاً ، كان قبيحاً . ثم عزمتُ على صِدْقه فدخلتُ . فلما رآنى تبسّم وقال : ما هذا الزّى يا أبا محمد ! احتسبنا لك بالبرّ والقَصد والتفقُّد ، ثم علمنا أنك جعلتَنا طريقاً . فقلت : لا والله أيها الوزير ولكنّى أصدُقك . قال : هات . فأخبرتُه القصةَ من أولها إلى آخرها . فقال : هذا حقٌّ مستوٍ ، أفهـذا شَغل قلبك ؟ فقلت : إى والله ! وزاد فقال : لا تَشغل قلبك بهذا ، ياغلام ، ردُّوا حمارَه وهاتُوا له خِلْعة . فجاءونى بخِلعة تامّة من ثيابه فلبستُها ، ودعا بالطَّعـام فأكلتُ ، ووُضع النبيذ فشربتُ وشرب ، فغنّيتُه . ودعا فى وسط ذلك بدواة فكتب أربع رِقاع ظننتُ بعضَها جائزة لى ، فإذا هو قد دعا بعضَ وُكلائه فدَفع إليــه الرّقاع وسارّه بشىء ، فزاد طمعى فى الجائزة . ومضى الرجلُ وجلسنا نَشرب وأنا أنتظر ، فلا أرى شيئاً إلى العَتَمة . ثم اُتكأ يحيى فنام ، وقمتُ من عنده منكسراً خائباً ، فخرجتُ وقُدِّم إلىَّ حِمارى . فلما تجاوزتُ الدار قال لى غُلامى : إلى أين تَمضى ؟ قلت : إلى البيت . قال : قد والله بِيعت دارُك وأُشهد على صاحبها وأُبتيع الدَّرب كُلُّه ووُزن ثمنُه ، والمُشترى جالسٌ على بابك ينتظرُك ليُعرّفك ، وأظُنه اُبتيع ذلك كُله للسُّلطان ، لأنى رأيتُ الأَمر فى عَجلته واستحثاثه أمراً سلطانيًّا . فوقعتُ من ذلك فيما لم يكن فى حِسابى ،

وأنا لا أَدرى ما أعمل . فلما نزلتُ على باب دارى إذا أنا بالوكيل الذى سارّه الوزير يحيى قد قام إلىَّ فقال : أُدخل دارَك حتى أدخل إليك فى أمر أَحتاج فيه إلى مُخاطبتك . فطابتْ نفسى بذلك ، فدخلتُ . فأقرأنى الـكتاب وتوقيعَ يحيى : يُطلق لأبى محمد مائة ألف درهم يُبتـاع له بها دارُه وجميع ما يُجاورها ويُـلاصقها . والتوقيعُ الثانى إلى أبنه الفَضل : قد أمرتُ لأبى محمد بمائة ألف درهم يُبتاع له بها دارُه ، فأَطلقْ له مثلَها ليُنفقها على إصـلاح الدار كما يريدو بنائهـا كما يَشتهى . والتوقيع الثالث إلى جعفر : قد أمرتُ لأبى محمد إسحاق بمائة ألف درهم يُبتاع له بها منزل يَسكنه ، وأمر له أخوك بمـائة ألف درهم يُنفقها على بنائها ومَرمَّتها على مايريد ، فأطلق له أنت مائة ألف درهم يُبتاع له بهـا فَرش لمنزله .والتوقيع الرابع إلى محمد : قد أمرت أنا وأخواك لأبى محمد إسحاق بثلثمائة ألف درهم لمنزل يَبتاعه ، ونَفَقة يُنفقها عليه ، وفَرش يَبتذله فيــه ، فأْمر له بمـائة ألف دِرهم يَصرفها فى سائر نَفقته . وقال لى الوكيل : قد حملتُ المال فاْبتعتُ كُل شىء جاورك بتسعين ألف درهم ، وهذه كُتب الأَبتياعات باْسمى و الإقرار لك . وهذا المـال بُورك لك فيه فاقْبضـه . فقَبضـتُه وأصبحتُ أحسن حالاً من أبى فى منزلى وفَرشى وآلتى ، ولا والله ما هـذا بأكبر شىء فَعلوه معى ، أفأُلام على شكرهم ! فبكى الفضـلُ ابن الرّبيع وكُل من حضر وقالوا : لا والله لا تُلام على شكر هؤلاء .

ثم قال له الفضل : بحياتى غَنِّ الصوتَ ولا تبخل على أبى الحَسن عَلّويه بأن تُقَوِّمه له . فقال : أفعل . فغنّاه ، وتبيّن علّويه أنه كما قال . فقام فقبَّـل رأسه وقال : أنت أُستاذنا وابن أُستاذنا وأولى بتقويمنا واُحتمالنا من كل أحد . وردَّده إسحاق مراتٍ حتى أستوى لعَلّويْه .

ذكـره الواثـق بالشيب ، فبكى وقال شعراً غنى فيه

وحكى إسحاق الموصلى قال :

قال لى الواثق : لقد ضَحك الشَّيب فى عارضَيْك . فقلت : نعم ، وبكيتُ . ثم قلت أبياتاً فى الوقت وغنّيتُ فيها ، وهى :

تولّى شـبابُك إلّا قليـلَا وحلَّ المَشيبُ فصـبراً جميلاَ
كفى حَزناً بفِراق الصِّـبَا و إن أصبح الشَّيبُ منه بَديلا
ولـما رأى الغانيـاتُ المَشيـ ـبَ أغضينَ دونك طَرْفاً كليلا
سأندُب عهـداً مضَى للصِّبا وأبكى الشَّبابَ بُكاءً طَويلا

قال : فبكى الواثق وحَزن وقال : والله لو قدرتُ على رَدِّ شـبابك لفعلتُ ولو بشَطْر مُلـكى . فلم يكن لـكلامه عندى جواب إلا تَقبيل البِساط بين يديه .

غير الأصمعي رأيه فى شعر علم أنه له

وحكى إسحاق قال :

قلتُ فى ليلة من اللّيالى :

هل إلى نظرةٍ إليكِ سـبيلُ يُرْوَ[1] منها الصَّدَى ويُشْفَى الغَليلُ
إن ما قَلَّ منك يكثرُ عنـدى وكثيرٌ ممن تُحب القليـل

فلما أصبحت أنشدتُهما الأصمعى ، فقال : هذا الدِّيباجُ الخُسْروانىّ[2] ! هذا الوشى الإسكندرانى ! لمن هذا ؟ فقلتُ : إنه اُبن ليلته . فتبيّنتُ الحَسد فى وجهه وقال : أفسدته ! أفسدته ! أما إنّ التوليد فيه بيّن .

بينـه وبين على ابن يحيى فى معنى كان يستجيده

وذكر علىّ بن يحيى أن إسحاق الموصلى كان يُعجب بمعنى هذين البيتين المَذكورين ويكرره فى شعره ويرى أنه ما سُبق اليه . فمن ذلك قوله :

أيهـا الظّبى الغَرِيرُ هل لنـا منك مُجِـيرُ
إنْ ما نوّلْتنى منْـك وإن قَلّ كثير

قال : فقلت له : إنك سُبقتَ إلى هـذا المعنى . فقال : ما علمتُ أن أحداً سَبقنى إليه . فأنشدتُه لأعرابى من بنى عُقيل :

---

(١) جزم الفعل هنا لضرورة الشعر .

(٢) نسبة إلى خسروشاه ، من الأكاسرة ، وكان ينسب إليه نوع من الثياب .

قِفِى ودِّعينا يا مُليحُ بنَظرةٍ فقد حان منّا يا مُليح رَحيل
أليس قليلاً نظرةٌ إن نَظرتُها إليك وكلّا ليس منك قَليل
عُقيليّةٌ أمّا مَلاثُ[1] إزارها فَدِعْصٌ[2] وأمّا خَصْرها فنَحيل
أيا جنَّة الدُّنيا ويا غاية المُنَى ويا سُؤْل نفسى هل إليك سَبيل
أراجعةٌ نَفسى إلىّ فأغتدى مع الرَّكْب لم يُكْتَب[3] عليكِ قَتيل
فما كُلَّ يوم لى بأرضك حاجةٌ ولا كُلَّ يوم لى إليك رسول

قال : فحلف أنه ما سَمِع بذلك قطُّ . قال على بن يحيى : صدق ، ما سَمِع بها .

نال جائزة الرشيد دون الأصمعى

وحكى الأصمعىُّ قال :

دخلتُ أنا وإسحاق بن إبراهيم الموصلىّ يوماً على الرَّشيد ، فرأيتُه لَقِس النَّفْس[4] فأنشده إسحاق :

وآمرةٍ بالبُخْل قلتُ لها اُقصِرى فذلك شىءٌ ما إليه سَبيلُ
أرى الناس خُلّان الكريم ولا أرى بَخيلاً له حتى المَمات خَليل
وإنّى رأيتُ البُخل يُزْرى بأهْله فأكرمتُ نفسى أن يُقال بَخيل
ومن خير خَلّات الفتى قد[5] علمتِه إذا نال خيراً أن يُقال نَبيل
فَعالى فَعالُ المُكثرين تجمُّلاً ومالى كما قد تَعلمين قَليل
وكيف أخاف الفقر أو أُحرمُ الغِنى ورأىُ أمير المُؤمنين جَميل

فقال الرشيد : لا تَخف إن شاء الله . ثم قال : لله درُّ أبيات تأتينا بها ! ما أشد أُصولَها ! وأَحسن فُصولَها ! وأَقلَّ فُضولها ! وأمر له بخمسين ألف درهم .

(١) ملاث الإزار : ما دون الخصر .
(٢) الدعص ، بالكسر : القور من الرمل . والرواية فى الأغانى : « فوعث » . والوعث : اللين .
(٣) فى الأغانى : « لم يقتل » .
(٤) لقس النفس : غثها .
(٥) الرواية فى الأغانى والأمالى (١ : ٧١) : « ومن خير حالات الفتى لوعلمته » .

فقال له إسحاق : وَصْفُكَ والله يا أمير المُؤمنين لشِعرى أحسنُ منه ، فعلام آخُذ الجائزة ! فضحك الرشيدُ وقال : أجعلوا لهذا القول مائة ألف درهم .

قال الأصمعى : فعلمتُ يومئذ أن إسحاق أحذق بِصيد الدّراهم منّى .

حضر عند الفضل دخول ابن ابنه عبد الله عليه فقال شعراً سره به

وحكى إسحاق الموصلى قال :

كنتُ عند الفَضل بن الرَّبيع يوماً ، فدخل إليه ابنُ ابنه عبدُ الله بن العباس ابن الفَضل ، وهو طِفل ، وكان يَرِقّ عليه لأنّ والده مات فى حياته . فأجلسه فى حجره وضَمَّه إليه ودمعتْ عيناه ، فأنشأتُ أقول :

مَدَّ لكَ اللهُ الحيــاةَ مَدَّا حتى ترى[1] ابنك هذا جَدَّا
مُؤتزراً بمَجــده[2] مُردَّى ثم يفَـدَّى مثل ما تفـدَّى
أشـبه منك سُنةً[3] وخدَّا وشِيَماً مَرْضـيَّةً ومجـدا
كأنه أنت إذا تبــدَّى شَمائـلاً محمـودةً وقَـدَّا

قال : فتبسَّم الفضلُ وقال : أمتعنى الله بك أبا محمد ، فقد عُوضتُ من الحُزن سُروراً ، وتيمَّنتُ[4] بقولك ، وكذلك يكون إن شاء الله .

غضب عليه الفضل بسبب ابن دحمان فترضاه بشعر

وحكى إسحاق قال :

أتانى الزُّبير بن دَحْمان يوماً مُسلِّماً فاحتبستُه ، فقال لى : قد أَمرنى الفضلُ ابن الرَّبيع بالمَصير إليه . فقلت له :

أقمْ يا أبا العبّاس ويحكَ نَشربِ ونَلهو مع اللّاهين يوماً ونَطربِ
إذا ما رأيتَ اليومَ قد بان خيرُه فخُذهُ بشُكرٍ واتْرُكِ الفضلَ يَغضبِ

(١) فى الأغانى : « يكون » .
(٢) مؤتزر : من الإزار . ومردى : من الرداء . والرواية فى غير التجريد : « مؤزراً ... » .
(٣) السنة : الوجه .
(٤) فى الأغانى : « وتسليت » .

قال : فأقام عندى وشربْنا يَومنا . ثم صار إلى الفضل بن الرَّبيع ، فسأله عن سبب تأخيره عنه . فحدثه الحديثَ وأنشده الشعر . فغَضب علىّ وحوّل وجهه عنّى وأَمر حاجبــه عوناً ألّا يُدخلنى ، ولا يَستأذن لى عليه ، ولا يُوصل لى رقعــة إليه . فقلت :

حرامٌ علىَّ الراحُ[1] ما دمتَ غضبانَا ... وما لم يَعُــد عنِّى رضــاك كما كانَا
فأَحسِنْ فإنِّى قد أسـأتُ ولم تَزَلْ ... تُعوِّدنى عنــــد الإساءة إحســـانا

قال : فأنشدتُه إياهما . فرضى عنّى وعاد إلى ما كان عليه لى .

هــو وجعفــر ابن يحيى وغلامه نافذ وقد حجبه

وذُكر أنــ جعفر بن يحيى عَتب على إسحاق الموصلى فى عَدم غِشيانه له . فاعتذر بأنّ حاجبَه — وكان اسمه نافذاً — لا يأذن له عليه ، وأنه كلما جاء يَحجبه عنــه . فقال له جعفر : إذا حَجبك فَنَلْ منه[2] . قال إسحاق : فأقمتُ أيّاماً ثم كتبتُ إلى جعفر :

جُعلتُ فــداءكَ من كُل سُوءٍ ... إلى حُسن رأيك أشكو أُناسَــا
يَحولون بينى و بين السَّـــلام ... فلست أسـلِّمُ إلّا اُختلاســا
وأَنفــــذتُ أَمركَ فى نافــذٍ ... فمــا زاده ذاكَ إلّا شِماســـا

فلما وقف عليها جعفر بعث فأَحضرنى . فلما دخلتُ إليه ، أَحضر نافذاً وقرأ الأبيات عليه وقال لى : فَعلتها يا عدوّ الله ! فغضب نافذ حتى كاد يَبكى ، وجَعفر يُصفِّق ويَضحك . ثم لم يعد نافذ إلى التعرُّض لى .

شــعره فى غلام قبيح للمصعبى أبى القدح منه

وذُكر إن إسحاق الموصلى كان عنــد إسحاق بن إبراهيم بن مُصعب ، فلمــا جَلس للشراب جعل الغِلمان يَسْقُون مَن حَضر . فجاء غلام قَبيح الوجه إلى إسحاق بقَدح فيــه نَبيذ ، فلم يأخذه منه ، ورآه إسحاق المُصعبى فقال له : لم لا تَشرب ؟ فكتب إليه إسحاق الموصلى :

---

(١) فى الأغانى : « الكأس » .

(٢) مكان هذه الكلمة فى الأصول أخرى صريحة .

اِصبحْ نَديمك أَقداحاً مُسلسـلةً من الشَّمول(١) وأَتبعها بأَقْداحِ
مِن كفِّ رِيمٍ مَليح الدَّلِّ رِيقتُه بعد الهُجوع كمِسْك أو كتُفَّـاح
لاأَشربُالرَّاحإلا مِنيدَى رَشَـأٍ تَقْبيلُ راحتـه أشهى من الرَّاح

فضحك ثم قال : صدقتَ والله ! ثم دعا بوَصيفةٍ كأنها صُورة ، تامةُ الحُسن ، لطيفة الخَصر ، فى زِى غُلام ، عليها أَقبيةٌ (٢) ومِنطقة ، فقال لها : تَولَّى سَقْى أبى محمد . فما زالت تَسقيه حتى سكر ، ثم أمر بتوجيهها إليه وجميع مالها . فحُملت معه .

هو وطلحة بعد وقعة الشراة وجوائزه إليه

وحَكى إسحاق الموصلى قال :

بعث إلىّ طلحةُ بن طاهر بن الحُسين ، وقد انصرف من وقعـة الشُّراة (٣)، وقد أصابتْه ضَربة فى وجهه ، فقالى لى الخادم : أَجب الأَمير . فقلتُ : وما يعمل ؟ قال : يشرب. فمضيتُ إليه ، فإذا هو جالسٌ قد عَصب ضربته وتقلنس بقَلَنسوة . فقلت له : سبحان الله ! ما حَملك على لُبس هذا أيها الأمير ! قال : التبرُّم بغيره . ثم قال : غَنِّى :

إنى لأَكنى بأَجبالٍ عن اُجْبُلها وبأُسم أوديةٍ عن اُسم واديِهـاَ
عَمـداً ليحسبها الواشُون غانيـةً أُخرى وتَحسب أنِّى لا أُباليِهـا
ولا يُغيِّر وُدِّى أنْ أُهاجرَها ولا فِراقُ نوًى فى الدار أَنْوِيها
وللقَلُوص ولى منهـا إذا بَعُـدت بوارحُ الشَّوق تُنْضِينى وأُنْضيها

قال : فغنّيتُه إياه . فقال : أحسنتَ والله ! أعد . فأعدتُ عليه وهو يشرب ، حتى صلَّى العَتَمة ، وأنا أُغنيه إياه . فأقبل على خادمٍ له بالحضرة وقال له: كم عندك ؟ قال : مقدار سَبعين ألف درهم . قال : تُحمل معه . فلما خرجتُ من عنـده تَبعني

(١) الشمول : الخمر . والرواية فى بعض الأصول : « يسلسلها » مكان « مسلسلة » .
(٢) الأقبية : ثياب تلبس فوق الثياب . الواحد : قباء .
(٣) الشراة : الخوارج .

جماعةٌ من الغلمان يسألوننى ، فوزّعت المـال بينهم . فرُفع الخبر إليه فأغضبه ، ولم يُوجِّه إلىّ ثلاثاً . فجلستُ وتناولت الدواة والقرطاس فقلت :

علَّمنى جُـــودُك السماحَ فما ... أبقيتُ شيئاً لدىّ من صِلَتكْ
لم أُبق شيئاً إلا سمحتُ به ... كأنّ لى قُدرةً كمَقْـــدرتك
تُتلف فى اليوم بالهِبات وفى السّـ ... ـاعة ما تَجتنيـــه فى سَنتك
فلستُ أَدرى من أين تُنفق لو ... لا أنّ ربى يَجزى على هِبتك

فلما كان فى اليوم الرابع بعث إلىّ ، فصرتُ إليه فدخلتُ عليه وسلّمت . فرَفع بصره إلىّ وقال : أسقُوه رِطْلاً . فسُقيته . فأمر لى بآخر . فشربت ثلاثةً . ثم قال : غننى :

* إنى لأَكنى بأَجبال عن أَجبُلها *

فغنيتهُ إياه ،ثم أتبعتهُ الأبيات التى قُلتها . وقد كنتُ غنيتُ فيها لحناً فى طريقة الصَّوت . فقال لى : أدْن . فدنوتُ . فقال : اجلس . فجلستُ . فاُستعاد الصوتَ الذى صنعتهُ . فأعدتهُ . فلما فهمه وعَرف المَعنى فى الشعر قال لخادم له : أَحضر لى فلاناً . فأَحضره . فقال : كم قِبلك من مال الضِّياع ؟ قال : ثمانمائة ألف درهم . قال : أَحْضرنيها الساعةَ . فجىء بثمانين بَدْرة . فقال للخادم : جِئنى بثمانين غلاماً مملوكاً . فأُحضروا . فقال : أحملوا المالَ . ثم قال لى : يا أبا محمد ، خُذ المال والمَماليك حتى لا تَحتاج إلى أحد تُعطيه شيئاً (١) .

شكا إليه المأمون أصحابه، ثم غناه فأجازه

وحكى إسحاق قال :

اسـتدنانى المأمونُ يوماً وهو مُستلقٍ على فراشٍ حتى صـارت رُكبتى على الفراش ، ثم قال : يا أبا إسحاق ، أشكو إليك أصحـابى : فعلتُ بفلان كذا ففَعل كذا ، حتى عدَّد جماعةً من خواصّه . فقلت له : أنت يا سـيدى بتفضُّلك علىّ وحُسن رأيك فىّ ظننتَ أنِّى ممن يُشاور فى مثل هذا ، فجاوزتَ بى حدِّى ، وهذا

(١) الرواية فى الأغانى : « حتى لا تحتاج أن تعطى لأحد منهم شيئا » .

رأيٌ يَجلّ عنّي ولا يبلغه قَدرى . فقال : ولِمَ وأنت عالم عاقل ناصح ؟ فقلت : هذه المنزلةُ عند سيدى علّمتْنى ألا أقول إلّا ما أعرف ولا أُطلبَ إلّا ما أَنال . فضحك وقال : قد بلغنى أنك صنعتَ فى هذه الأيام لحناً فى شعر الرّاعى ولم أَسمعه منك . فقلت : يا سيدى ، ما سمعه أحدٌ إلا جوارىّ ، ولا حضرتُ عندك منذ صنعتُه . فقال : غنّه . فقلت : الهَيْبة والصّحو يمنعانى أن أُؤديه كما أُريد ، فلو آنس أَميرُ المؤمنين عَبدَه بشىء يُطر به و يقوّى طبيعته كان أجود . فأَمر لى بالغَداء ، فتغدّينا. ومُدّت الستارة وتَغنى مَن وراءها ، وشَربنا أَقداحاً . فقال : ياإسحاق ، أَمَا جاء أوان الصوت ؟ فقلت : بلى يا سيدى . وغنيتُه لحنى هذا فى شعر الراعى :

ألم تسأَل بعــارمة[1] الدّيارا عن الحىّ المُفارق أين ســارَا
بلى ســاءلتُها فأَبتْ جواباً وكيف تُسـائِل الدِّمنَ القِفارا

فاُستحسنه ،وما زال يشرب عليه سائر يومه ، وقال لى : ياإسحاق ، لا طلبَ بعد وجود البُغية ! ما أَشرب بقية يومى إلا على هــذا الصوت . ثم وَصلني وخَلع علىّ خلعةً من ثيابه .

صلة الواثق له وقد خرج معه إلى النجف

وحكى إسحاق قال :

ما وصلني أحدٌ من الخلفاء قطُّ بمثل ما وصلنى الواثق ، وقد اُنحدرتُ معه إلى النَّجف ، فقلت له : يا أمير المؤمنين ، قد قلتُ فى النّجف قصيدة . فقال : هاتها . فأَنشدتُه :

لم يَـنزل الناسُ فى سَهلٍ ولا جَبـلٍ أَصفى هواءً ولا أَعْذَى[2] من النَّجفِ
حُفَّت ببَرٍّ وبَحر من جوانبهـا فالبَرُّ فى طَرَفٍ والبحر فى طَرف
وما يَزال نسيمٌ من يَمانيــةٍ يأتيك منهـا برَيَّا رَوضــةٍ أُنُف

(١) عارمة : موضع فى ديار بنى عامر بنجد .
(٢) أعذى : أطيب هواء .

فقال : صدقت ياإسحاق ، هى كذلك . ثم أنشدتُه حتى انتهيتُ إلى قولى فى مَدحه :

لا يَحسب الجودَ يفُنى ماله أبداً ولا يَرى بَذل ما يَحْوِى من السَّرف

ومضيتُ فيها حتى أتممتُها . فَطرب وقال : أحسنتَ والله يا أبا محمد ! وكنأنى يومئذ ، وأمر لى بمائة ألف دِرهم . فانحدرنا إلى الصالحيَّة ، فذكرت الصِّبيان و بغداد فقلت :

أَتبكى على بَغـدادَ وهى قريبةٌ فكيف إذا ما آزددتَ عنها غداً بُعْدَا
لَعَمْرُكَ ما فارقتُ بغـداد عن قِلًى لو أنّا وَجدنا عن فِراق لهـا بُدَّا
إذا ذَكرتْ بغـدادَ نَفسى تقطعتْ من الشَّوق أو كادتْ تَهيم بها وَجـدا
كفى حَزناً أن رُحْتُ لم أستطع لها وَدَاعاً ولم أُحدِث لساكنها عَهـدا

قال : فقال لى : يا موصلى ، أشتقت إلى بغداد ؟ فقلت : لا والله يا أمير المؤمنين ، ولكن من أجل الصِّبيان قد حَضرنى بيتان . فقال : هاتهما . فأنشدتُه :

حَننتَ إلى أُصيبيةٍ صِغار فشـاقك منهمُ قُربُ المَزارِ
وأَبرحُ ما يكون الشوقُ يوماً إذا دَنتِ الدِّيار من الدِّيار

فقال لى : ياإسحاق ، صِرْ إلى بغدادَ فأَقم مع عيالك شهراً ثم سِر إلينا ، وقد أمرتُ لك بمائة ألف درهم .

صنع الواثق لحناً وصنع هو خيراً منه

قيل :

وكان الواثق عالماً بصناعة الغِناء ، فعمل لحناً فى قول بعض الأعراب :

فيا مُحْيِىَ الموتى أَعِنِّى على[1] التى بها نَهِلت نفسى سَقاماً وعَلّتِ

(١) الرواية فى الأغانى : « أيا منشر الموتى أقدنى من التى » .

وهذا البيت من أبيات غَزِلة رَقيقة ، وهى :

أَلَا قاتل اللهُ الحمامةَ غُدوةً ... على الأَيْك ماذا هَيَّجتْ حين غَنَّتِ
تَغَنَّتْ بصوت أعجمىٍّ فَهَيَّجَتْ ... من الوَجد ما كانت ضُلوعى أجنَّت
فلو قَطَرَتْ عينُ امرىءٍ من صَبابةٍ ... دَماً قطرتْ عَيْنى دَماً أو أَلَمَّت
فما سكتت حتى أَوَيْتُ لصَوْتها ... وقلتُ أَرى[1] هذى الحمامةَ جُنَّت
ولى زَفَراتٌ لو يَدُمْن قَتَلْننى ... بشَوقٍ إلى نأىِ التى قد تولَّت
إذا قلتُ هذى زَفرةُ اليوم قد مضتْ ... فَمن لى بأخرى فى غدٍ قد أظلَّت
فيا مُحْيِي المَوتى أعِنِّى على[2] التى ... بها نَهِلت نفسى سَقاماً وعَلَّت
فقد بَخلت حتى لو أنِّى سألتُها ... قَذَى العين من سافِى التُّراب لضَنَّت
فقلتُ ارحلَا يا صاحبىّ فلَيْتنى ... أرى كُلَّ نَفْسٍ أُعطيت ما تَمنَّت
حلفتُ لها بالله ما أُمُّ واحدٍ ... إذا ذكرتْه آخرَ اللَّيل[3] أنَّت
وما وَجْدُ أعرابيّة قذفتْ بها ... صُروفُ النَّوى من حيث لم تكُ ظنَّت
تَمنَّتْ[4] أحاليبَ الرِّعاء وخَيمةً ... بنَجْد فلم يُقْدَر لها ما تمنَّتِ
إذا ذكرتْ ماءَ العِضاه وطِيبَه ... و بَرْدَ الحِمى من بَطن خَبْتٍ[5] أَرَنَّت
بأكثر منِّى لوعةً غير أنَّنى ... أُجَمْجِمُ أحشائى على ما أجَنَّت

وكان الواثِق إذا صَنع فى شعر غناءً قال لإسحاق المَوْصلى : هذا وَقع البارحةَ فاسمعه . فكان ربما أصلح فيه الشىء بعد الشىء .

---

(١) فى أصول الأغانى : « ترى » .

(٢) فى أصول الأغانى : « أقدنى من » .

(٣) فى أصول الأغانى : « حنت » مكان « أنت » .

(٤) هذا البيت ساقط من أصول الأغانى . والأحاليب : جمع إحلاب ، وهو اللبن المحلوب .

(٥) العضاه : ضرب من الشجر له شوك . والخبت : ما اطمأن من الأرض .

فكاده مُخارق عند إسحاق وقال : إنما يَستجيد صنعتَك إذا حضر ليُقار بك ويَستخرجَ ما عندك ، فإذا فارق حضرتَك قال فى صنعتَك غير ما تَسمع : فقال الواثق : فأنا أُحب أن أقف على ذلك . قال مخارق : فأنا أُغنّيه : « أيا مُحيي الموتى » فإنه لم يعلم أنه لك ولا سمعه من أحد . فلما دَخل إسحاق غنّاه مُخارق وتعمّد لأن يُفسده بَجهده ، وفَعل ذلك فى مواضع خفيّة لا يَعرفها الواثق من قسْمته . فلما غنّاه ، قال الواثق لإسحاق : كيف تَرى هذا الصوت ؟ قال : فاسدٌ غير مَرضىّ . فأَمر به فسُحب من المجلس حتى أُخرج عنه ، وأَمر بنَفْيه إلى بغداد . ثم جَرى ذكرُه يوماً ، فقالت له فَريدة : ياأمير المُؤمنين ، إنما كاده مُخارق فأفسد الصوتَ من حيث أَوهمك أنّه زاد فيه بحِذْقه نَغَماً وجَوّده ، و إسحاق يأخذ نفسَه بقول الحق فى كُل شيء ساءه أو سرّه . ويَفهم من غامض عِلل الصِّناعة مالا يَفهمه غيرُه ، فَلْيُحْضره أمير المُؤمنين ولْيحلِّفه بغَليظ الأَيمان أن يَصْدُقَه عمّا يَسمع ، وأُغنّيه إياه حتى يقف على حقيقة الصَّوت ، فإن كان فاسداً فصدَق عنه لم يكن عليه عَتْب ، ووافقناه عليه حتى يستوى ، فليس يجوز أن نتركه إن كان فيه فَساد . و إن كان صحيحاً قال فيه ما عنده . فأمر بالكتاب بحَمله ، فحُمل وأُحضر ، وأظهر له الرِّضى عنه ، ولَزمه أيّاماً ، ثم أحلفه أن يَصْدُقه عمّا يمُر فى مجلسه . فحلف له . ثم غَنى الواثق أصواتاً يسأله عنها أجمع ، فيُخبره فيها بما عنده . ثم غنّته فريدةُ هذا الصوتَ ، وسأله الواثقُ عنه ، فرَضيه واُستجاده وقال : ليس على هذا سمعتُه المرةَ الأُولى ، وأَبان عن المواضع الفاسدة ، وأخبر بإفساد مُخارق إياها. فسكن غَضبُه الذى كان ، ووصل إسحاقَ وتنكّر لمُخارق مُدة.

غنى الأمين بشعر مدحه به فأجازه

وقيل :

إن إسحاق غَنَّى محمداً الأَمين بن الرَّشيد لحناً صَنَعه فى شعر له يَمدحه به :

يأيّها القائم الأمينُ فدتْ نفسَك نفْسى بالمال والوَلَدِ
بَسطتَ للناس إذ وَليتَهمُ يداً من الجود فوق كُل يد

فأمر له بألفِ درهم . فأُدخلت إلى منزله يحملها مائة فرّاش .

أنشد مروان بن أبى حفصة فشغله عن حديث أبيه

وذُكر أنه دخل مروان بنُ أبى حَفصة على إبراهيم المَوصلى ، فجعلا يتحدّثان، إلى أن أنشد إسحاق بن إبراهيم مروانَ لنفسه :

إذا مُضَر الحمراء كانت أَرْومتى[1] وقام بنَصرى خازمٌ وأبن خازِم
عطستُ بأنفٍ شامخٍ وتناولتْ يداى الثُّريّا قاعداً غــيرَ قائم

وجعل إبراهيم يُحدِّث مَروان ، وهو عنه مَشغول ساهٍ لا يفهم عنه شيئاً . فقال له : مالك لا تُجيبنى ؟ فقال : لأنك والله لا تَدرى ما أُفرغ أبنُك فى أُذنى .

طرب لشعر أعرابى وسكر عليه

وحكى يَعقوب بن بَشير قال :

كنتُ مع إسحاق المَوصلىّ فى نُزهة ، فمرّ بنا أعرابىٌّ ، فوجّه إسحاقُ خَلْفه بغُلام ، فوافاه الأعرابىّ . فلمّا شَرب وسَمِع حَنين الدّواليب قال :

بَـكرتْ تَحِنُّ وما بها وَجْدِى وأَحِنُّ منْ وَجْـدٍ إلى نَجْدِ
فدمُوعُها تَحيـا الرِّياضُ بها ودُموعُ عينى أَقرحت خَدِّى
و بساكِنِى نَجـدٍ كَلِفْتُ وما يُغْنِى لهم كَلَفِى ولا وَجْدِى
لَوْ قِيس وَجْدُ العاشقين إلى وَجْدى لزاد عليـه ما عِنْدى

فما أنصرف إلى بيته إلّا محمولاً سُكْراً ، وما شَرب إلّا على هذه الأبيات .

من شعره فى الواثق

وحكى إسحاق قال :

قدمتُ على الواثق فى بعض قَدَماتى ، فقال لى : أَمَا أشتقتَ إلىّ ؟ فقلتُ : بلى والله يا أمير المؤمنين ، وأَنشدتُه فى ذلك :

---

(١) فى رواية :
إذا كانت الأحرار أصلى ومنصبى ودافع ضيمى خازم وابن خازم

أشكو إلى الله بُعدى عن خَليفته   وما أُعالج من سُقْم ومِن كِبَرِ
لاأستطيع رَحيلاً إنْ هَممتُ به   يوماً إليه ولا أَقوى على السَّفر
أَنْوِى الرَّحيل إليــه ثم يَمْنعنى   ماأَحْدث الدهْرُ والأيامُ فى بَصرى

وقال ، وقد أشخصه إليه ، قصيدتَه الدالية التى أولها :

ضَنَّت سُعاد غداةَ البَيْن بالزَّادِ   وأَخلفتْك فمــا تُوفِى بميعـادِ
ما أَنْس لا أَنْسَ فيها إذ(١) تُودِّعنى   والحُزن منها و إن لم تُبْدِه بادِى
لمّا أمرتَ بإشخاصى إليك هَفَا   قَلبى حَنيناً إلى أَهـلى وأَولادى

يقول فيها :

ثم اعتزمتُ ولم أَحْفــل ببَينهمُ   وطابتِ النَّفسُ عن فَضْل وحَمّاد
كم نِعمةٍ لأَبيك الخير أَفردنى   بها وعَمّ بأُخْرى بعـد إفراد
فلو شـــكرتُ أياديكم وأَنْعُمَكم   لمــا أحاط بها وَصْفى وتَعْدادى
لأشكرنّك ما ناح الحَمـامُ وما   حَدَاعلى الصُّبح فى إثْر الدُّجى حادِى

قصة خروجه إلى تل عزاز

وحكى إسحاق المَوصلىّ قال :

كنتُ مع الرَّشــيد حين خَرج منها إلى الرَّقة ، فدخل يوماً إلى النِّساء ، وخرجتُ فمضيتُ إلى تل عَزاز ، فنزلتُ عند خَمَّارة هناك ، فسقتْنى شراباً لم أرَ مثله حُسناً وطيباً ورائحة ، فى بيت مَرْشوش ورَيْحان غَضّ ، و برزتْ بنتٌ لها كأنها خُوط بانٍ(٢) أو جَدْل(٣) عِنان ، لم أَر أحسنَ منها قدًّا ، ولا أمْيَل منها خدًّا ، ولا أعتق وجهاً ، ولا أبرع ظَرفاً ، ولا أفتن طَرفاً ، ولا أحسن كلاماً ، ولا أتمَّ تماماً . فأقمتُ عندها ثلاثاً والرَّشيدُ يَطْلُبنى ولا يقدر علىّ . ثم انصرفتُ فذهبتْ

(١) فى أصول الأغانى : « تودعنا » مكان « تودعنى » .
(٢) الخوط : الغصن الناعم .
(٣) الجدل : الحبل المفتول .

بى رسلُه ، فدخلتُ عليه وهو غَضبان ، فلما رأيتُه خطرتُ فى مِشْيتى ورقصتُ ، وكانت فىّ فَضْلةٌ من السُّكر ، وغنّيتُ :

إنّ قَلبى بالتَّل تَلِّ عَـزَاز ... عِند ظَبْى من الظّباء[١] الجوازِى

يا لَقَوْمى لبنت قَسٍّ أصابتْ ... منك صَفْو الهوى وليست تُجازى

حلفتْ بالمَسيح أنْ تُنجز الوَعْـد وليست تهمّ[٢] بالإنجاز

فسكن غضبُه ، ثم قال : فأين كُنت ؟ فأخبرتُه . فضحك ثم قال : إن مثل هذا إذا اتفق لطَيِّبٌ . أعد غناءك ، فأعدتُه . فأعجب به وأمرنى أن أعيده ليلةً من أولها إلى آخرها . فأخذه المُغنّون منّى جميعاً ، وشربنا إلى طُلوع الفجر . ثم انصرفنا . فصلّيتُ الصُّبح ثم نِمْت . فما استقررنا حتى أتانى رسولُ الرَّشيد يأمرنى بالحضور . فركبتُ ومضيتُ ، فلما دخلتُ وجدتُ ابن جامع قد طَرح نَفسه يتمرّغ على دُكّان[٣] فى الدار لغَلبة السُّكر عليه ، فقال : أتدرى لِمَ دُعينا ؟ قلتُ : لا والله . قال : لكنى أدرى ، بسبب نَصرانيّتك ، عليك وعليها لعنةُ الله ! فضحكتُ . فلما دخلتُ على الرَّشيد أخبرتُه بالقصة . فضحك وقال : صَدق ، عُودوا فيه ، فإنى اشتقتُ إلى ما كُنا فيه لمّا فارقتمونى . فعُدْنا فيه يومَنا كُلَّهُ حتى انصرفنا .

جفاه المأمون فدس عليه علوية فغناه فرضى عنه

وحكى إسحاق الموصلى قال :

لما قدم المأمونُ ، يعنى العراقَ ، من خُراسان . أقام بعد قُدومه عشرين شهراً لم يَسمع حرفاً من الأغانى . ثم كان أول من تغنَّى بحَضرته أبوعيسى بن الرَّشيد . ثم واظَب على السَّماع مُستتراً ، متشبّها فى أول أمره بالرَّشيد . وأقام على ذلك أربع حِجَجٍ . ثم ظَهر للنُّدماء والمُغنّين ، وكان حين أَحبّ السَّماع سأل عنّى . فجُرحتُ بحضرته ، وقال الطاعن علىّ : ما يقول أميرُ المُؤمنين فى رجل يَتيه على الخلافة !

(١) الجوازى ، بالهمز وسهل : الظباء استغنت بالرطب عن الماء ؛ الواحدة جازئة .

(٢) فى بعض أصول الأغانى : « تجود » .

(٣) الدكان : المصطبة .

فقال : ما أبقَ هذا شيئاً من التّيه إلا استعمله . فأمسك عن ذِكرى وجَفانى من كان يُقرِّبنى . حتى جاءنى عَلّويه فقال : أتأذن لى فى ذكرك ، فإنا قد دُعينا اليوم؟ فقلت : لا ، ولكن غنّه بهذا الشعر :

يا سَرْحةَ الماء[1] قد سُدَّت موارِدُه أمَا إليكِ طريقٌ غيرُ مسدودِ
لحائمٍ حامَ حتَّى[2] لا حِيَامَ له مُحلَّأٍ[3] عن طريق الماء مَطْرود

قال : فمضى عَلّويه . فلما اُستقرّ به المجلسُ غنّاه الشِّعر الذى أمره به . فما عدا المأمونُ أن سمع الغِناء حتى قال: ويلك يا عَلّويه ! لمن هذا الشِّعر؟ فقال: ياسيدى، لعبدك وابن عَبدك الذى جفوته واطَّرحته لغير جُرم . فقال : إسحاق تَعنى ؟ فقال : نعم . فقال : يحضُر الساعةَ . فجاءنى رسولُه، فصِرتُ إليه . فلما دخلتُ عليه ، قال : اُدْنُ . فدَنوتُ منه ، فرفع يديه مادًّا لهما إلىّ ، فأكببتُ عليه ، فاحتضنى بيديه ، وأظهر من بِرِّى و إكرامى ما لو أظهره صديقٌ مُؤانس لصديقه لسَرَّه .

فساد ما بينه وبين الأصمعى وحديث ذلك

وقيل :

كان إسحاق الموصلىّ يأخذ الرِّواية عن الأَصمعىّ ويذكر عنه[4] ، ثم فسد ما بينهما ، فهجاه إسحاق وثلبه وكشف للرّشيد معايبَه ، وأَخبره بقلّة شُكره وبُخله وضَعة نفسه ، وأنّ الصَّنيعة لا تزْكو عنده ، ووصف له أبا عُبيدة مَعمر بن المُثنَّى بالثِّقة والصِّدق والسَّماحة والعلم ، واُستعان بالفضل بن الرَّبيع فى ذلك . ولم يزل حتى وَضَع مَرْتبة الأَصمعىّ وأَسقطه عندهم . وأَنفذوا إلى أبى عُبيدة مَن أقْدمه . فقال الأصمعىُّ فى إسحاق :

(١) سرحة الماء ، يكنى بها عن المرأة .
(٢) الرواية فى اللسان : « لا حراك به » مكان « لا حيام له ».
(٣) المحلأ : المطرود .
(٤) فى أصول الأغانى : « يأخذ عن الأصمعى ويكثر الرواية عنه » .

إئن تغنّيتَ للشَّرب الكرامَ[١] «ألا ردًّا لخليطُ الجمالَ اليـوم فانطلقوا»
وقيل أنت حُسَـانُ النَّاس كُلِّهم وأبنُ الحسان فقد قالوا وقد صدقوا
فما بهـــذا تقوم النّادباتُ ولا يُثْنَى عليك إذا ما ضَمَّك الخرق

ومما قاله إسحاق فى الأصمعىّ :

أليس من العجائب أن قِرْداً أُصَيْمِـعَ باهليًّا يَسْتطيلُ
ويزعُم أنه قد كان يُفتى أبا عمرو ويسأله[٢] الخليل
إذا ما قال قال أبى عجبْنا لِمـا يأتى به ولِما يَقول
وما إن كان يَدْرى ما دَبِيرٌ أبوه إن سألتَ[٣] وما قَبيل

بينه وبين غلامه فتح

وذُكر أنه كان لإسحاق غلام يقال له : فَتْح ، يَستقى الماء [لأهل داره] على بَغلين من بغاله . فقال إسحاق : فقلتُ له يوما : أىّ شىء خبرُك يا فتح ؟ قال : خَبرى أنه ليس فى هذه الدار أشقى منّى ومنك ، أنت تُطعم أهل الدار الُخبز وأنا أسقيهم المـاء . فاستظرفتُ قولَه وضحكتُ منـه ، فقلت له : فأىَّ شىء تُحب ؟ قال : تُعْتقنى وتَهب لى البَغْلين أَستقى عليهما . فقلت له : قد فعلتُ .

سأله الفضل أن يغنيه وكان الرشيد نهاه وقصة ذلك

وحُـكى أن إسحاق قال :

نهانى الرشيدُ أن أُغني أحداً غيرَه . ثم اُستوهبنى جعفرُ بن يحيى وسأله أن يأذن لى أن أُغنيه ، ففعل . واُتفقنا يوماً عند جعفر ، وعنده أخـــوه الفضل ، والرشيدُ يومئذ بَعقب عـلَّة قد عُوفى منها وليس يَشرب . فقال لى الفضـلُ : انصرف الليلةَ إلىّ حتى أهب لك مائة ألف درهم . فقلتُ له : إن الرشـيد قد

---

(١) فى الأغانى : «ألا رد الخليط جمال الحى فانفرقوا» .
(٢) أبو عمرو ، هو ابن العلاء ، أعلم الناس بالقراءات العربية . مات سنة ١٥٩ ﻫ . والخليل ، هو ابن أحمد اللغوى النحوى العروضى . مات سنة ١٧٥ ﻫ .
(٣) يقال : فلان لا يعرف ما قبيله وما دبيره ، أى لا يعرف ما قدامه وما خلفه .

نَهانى أن أُغنى إلّا له أو لأَخيك، وليس يَخفى عنه خَبرى، وأنا مُتَّهم بالميل إليكم ، ولستُ أتعرّض له ولا أُعرّضك . فلما نكب الرشيدُ البرامكة قال : إيه ياإسحاق ! تركتَنى بالرقَّة وجلستَ ببغداد تُغنِّى الفضلَ بن يحيى ! فحلفتُ بحياته أنى ماجالستهُ قطُّ إلا على الحديث والمُذاكرة ، وأنه ما سمعنى قطُّ إلا عند أخيه . وحلّفته بتُربة المهدىّ أن يسأل عن هذا مَن فى داره من نسائهم. فسأل عنه ، فحُدِّث بما ذكرتهُ ، وعَرف خَبر المائة الألف التى بذلها فرددتُها . فلما دخلتُ عليه ضَحك إلىّ ثم قال: قد سألتُ عن أمرك فعرفتُ منه مثلَ مَا عرَّفتنى ، وقد أمرتُ لك بمائة ألف درهم عِوضاً عمَّا بذله لك الفَضل .

بينه و بين أعرابى أنشده شعره

وحَكى إسحاق قال :

أنشدت بعض الأعراب شعراً لى أَقول فيه :

أَجَرتْ سوابقُ دَمْعكَ المُهْراقِ ... لمّا جرى لك سانحٌ بفِرَاقِ
إنّ الظَّعائن يومَ[1] صائغة اللِّوى ... هاجتْ عليك صبابةَ المُشتاق
لم أَنس إذ أَلْمَحْنَنا فى رِقْبــةٍ ... منهنّ بيضَ ترائب وترَاق
وأَشَرْنَ إذ ودَّعْنَنــا بأنامل ... حُمْرٍ كهُدَّاب الدِّمقْس[2] دِقاق
ورمتْك هِندٌ يوم ذاك فأَقْصَدتْ ... بأَغرَّ عَــذْبٍ باردٍ برّاق
وتَنفَّست لمّا رأتْك صَــبابةً ... نَفَسًــا تَصعَّد فى حَشًى خَفَّاق
ولقد حَذِرتُ فما نجوتُ مسلِّما ... حتى صُرِعْتُ مَصارِعَ العُشَّاق
إنّ الخلافة أُثبتتْ أوتادُهــا ... لمّا تَحمَّلها أبو إســحاق
مَلِكٌ أغرُّ يَلوح فوق جَبينــه ... نورُ الخِلافة ساطعَ الإشْراق
كُسِىَ الجَلالَ مع الجمال وزانَه ... هَدْىُ التُّقَى ومكارِمُ الأَخلاق

(١) صائغة : من نواحى المدينة . وقيل: موضع حجازى قريب من ذى طوى . وفى الأغانى : « ناصفة اللوى » .

(٢) فى الأغانى : « رقاق » .

صَحَّت عُروقُك فى الجِياد وإنما ... يَجرى الجوادُ بصحّة الأعراق

ذَخَرَ الملوكُ فكان أفضلُ ذُخرِهم ... للملْك ما جمعوا [١] من الأوْراق

وذَخرتَ أبناءَ الحروب كأنَّهم ... أُسْدُ العَرين على مُتون عِتاق

كم من كريمةِ مَعشرٍ قد أُنكحتْ ... بسيُوفهم قَسْرًا بغير صَداق

وعزيزةٍ فى أهلها [٢] وقَطِينِها ... قد فارقتْ بعْلاً بغير طَلاق

قال : فقال لى : أَفْلَيت والله يا أَبا محمد ! فقلت : وما أفليت ! قال : رَعيت فلاةً لم يرْعها غَيرُك .

ذكره الفضل ابن الربيع بالشيب فقال شعرا

وحكى إسحاق قال :

دخلتُ على الفَضل بن الرَّبيع فقال لى : ياإسحاق ، كثُر والله شَيْبك! فقلت: أنا وذاك — أصلحك الله — كما قال أخو ثقيف :

الشيبُ إن يَظْهَر فإنّ وراءه ... عُمراً يكون خِلالَه مُتنفَّسُ

لم يَنْتقِصْ منِّى المَشيبُ قُلامةً ... ولَنَحن حين بدا أَلبُّ وأكْيس

فقال : هات يا غلام دواةً وقرطاساً ، أكتُبهما لى لأتسلَّى بهما .

حدث عن غائب فى مجلس المعتصم فأجازه

وحكى إسحاق قال :

ذكر المُعتصم يوماً بعضَ أصحابه وقد غاب عنه ، فقال : تعالوا حتى نقولَ ما يَصنع فى هذا الوقت . فقال قوم : يلعب بالنَّرد . وقال قوم : يغنِّى . وبلغتْنى النَّوبةُ . فقال : قل ياإسحاق . قلت : إذن أقول فأُصيب . فقال : أتعلم الغَيْب ؟ فقلت : لا ، ولكنى أفهم ما يَصنع وأَقدر على مَعرفته . قال : فإذا لم تُصب : قلت : فإن أصبتُ؟ قال: لك حُكمك. قال: و إن لم تُصب ؟ قلتُ : لك دمى . قال: وَجب.

(١) الأوراق : الدراهم .

(٢) قطينها : إماؤها وحشمها .

قلت : وَجب . قال : فقُل . قلت : يتنفَّس . قال :فإن كان ميتاً ؟ قلت : تُحفظ الساعة التى تكلمتُ فيها ، فإن كان مات فيها أو قَبلها فقد قَمرتنى . قال : قد أنصفتَ . قلت : فالُحكم . قال : أحتكم ما شئتَ . قلت : ما حُكمى إلاّ رِضاك يا أمير المؤمنين . قال : فإنّ رضاى لك ، وقد أمرتُ لك بمائة ألف درهم ، أترى مَزيدا ؟ قلت : ما أولاك بذلك يا أمير المؤمنين . قال :فإنها مائتا ألف درهم . أترى مَزيدا ؟ قلت : ما أحوجنى يا أمير المؤمنين إلى ذلك . قال : فإنها ثلثمائة ألف درهم ، أترى مزيدا ؟ قلت: ما أولاك يا أمير المؤمنين بذلك . فقال : ياصَفيق الوجه ، من يزيد على هذا ؟

أجازه المخلوع على أبيات فى سفينة له

وحكى إسحاق قال :

عمل محمد المَخلوع ـ يعنى الأمين بن الرشيد ـ سفينة ، فأُعجب بها وركب فيها يريد الأنبار ، فلما أمعن وأنا مُقبل على بعض أبواب السَّفينة صاحوا : إسحاق! إسحاق! فوثبتُ فدنوتُ منه . فقال لى : كيف ترى سفينتى؟ فقلت . حَسنة يا أمير المؤمنين ، عمّرها الله ببقائك . فقام يُريد الخلاء وقال لى : قُل فيها أبياتاً . فقلت . وخَرج ، وقمتُ بالأبيات إليه ، فاشتهاها جدا وقال : أحسنت ياإسحاق ! وحياتك لأهبنّ لك عشرة آلاف دينار . فقلت : متى يا أمير المؤمنين ؟ إذ وسع الله عليك ! فضحك ودعا بها على المكان .

حديث دخول عبدالملك بن صالح على جعفر بن يحيى وهو ينادمه

وحكى إسحاقُ قال :

لم أر قطُّ مثلَ جعفر بن يحيى ، كانت له فُتوّة وظَرف وأَدب وحُسن غناء وضَرب بالطبل ، وكان يأخذ بأجزل حظّ من كُل فنٍّ من الأدب والفُتوّة . فحضرتُ دار أمير المؤمنين ، فقيل لى : إنه نائم ، فانصرفتُ ، فلقينى جعفر بن يحيى فقال لى : ما الخبر ؟ فقلت : أميرُ المؤمنين نائم . فقال لى : قِف مكانَك . ومضى إلى دار أمير المؤمنين . فخرج إليه الحاجب فأعلمه أنه نائم . فرجع وقال : قد نام

أمير المؤمنين فصِرْ بنا إلى المنزل حتى نخلو جميعاً بَقِيّة يومنا ، وأُغنيك وتُغنينى ونأخذ فى شأننا من وقتنا هذا . فقلت : نعم . فصِرْنا إلى مَنزله ، فطرحنا ثيابَنا ، ودعا بالطَّعام فطَعِمْنا، وأمر بإخراج الجَوارى وقال: لِتَبْرُزْنَ ، فليس عندنا مَن نَحْتَشمه. فلما وُضع الشَّراب دعا بقَميص فلبسه ، ودعا بخَلوق فتخلَّق به، ودعا لى بمثل ذلك. وجعل يُغنّينى وأُغنِّيه . ثم دعا بالحاجب ، فتقدَّم إليه ، وأمره ألاّ يأذن لأحد من الناس كُلهم، و إن جاء رسولُ أمير المؤمنين أعلمه أنه مَشغول . واحتاط فى ذلك وتقدّم فيه إلى جَميع الحُجّاب والخَدم ، ثم قال : إن جاء عبد الملك فأْذنوا له — يعنى رجلاً كان يأنس به ويُمازحه ويحضُر خلواته — ثم أخذْنا فى شأننا . فوالله إنّا لَعلى حالٍ سارّة عجيبة إذ رُفع السِّتر ، فإذا عبدُ الملك بن صالح الهاشمى قد أقبل . وغَلِط الحاجبُ فلم يفُرِّق بينه وبين الذى يأنس به جَعفر بن يحيى . وكان عبدُ الملك بن صالح من جلالة القَدْر والتقشُّف والامتناع من منادمة الخلفاء على أمر جليل ، وكان الرّشيد قد اُجتهد به أن يَشرب معه أو عنده أقداحاً ، فلم يَفْعل رَفْعاً لنفسه . فلما رأيناه مُقبلاً أقبل كُلُّ واحدٍ منا ينظرُ إلى صاحبه ، وكاد جَعفر أن يَنشقّ غيظاً . وفَهِم الرجلُ حالَنا ، فأقبل نحونا ، حتى إذا صار إلى الرِّواق الذى نحن فيه نَزع قَلَنْسيتَه فرَمى بها مع طَيْلسانه جانباً ، ثم قال : أَطعمونا شيئاً . فدعا له جَعْفر بالطَّعام ، وهو منتفخ غَيْظاً وغَضباً ، فطَعم ، ثم دعا برِطل فشَربه ، ثم أَقبل إلى المجلس الذى نحن فيه فأخذ بعضَادَتَىْ الباب ، ثم قال : أشركونا فيما أنتم فيه . فقال جعفر : اُدخُل . ثم دعا بقَميص حرير وخَلوق ، فلَبِس وتخلَّق ، ثم دعا برِطْل ورِطل حتى شرب عِدة أَرطال ، ثم اُندفع يُغَنِّينا. فكان والله أَحسنَنا جميعاً غِناء . فلما طابت نفسُ جَعفر وسُرِّى عنه ما كان به اُلتفت إليه وقال له : اُرفع حوائجك. قال : ليس هذا موضعُ حوائج . قال : لتفعلنّ ، ولم يَزل يلُح عليه حتى قال له : أَميرُ المُؤمنين علىّ واجد وأُحبّ أن تترضّاه . قال :

فإنّ أَمير المؤمنين قد رَضى عنك ، فهات حوائجك . قال : هذه كانت حاجتى . قال : ٱرفع حوائجك كما أقول لك . قال : فإنعلىّ دَيناً فادحاً قدرُه أربعةُ آلاف درهم . قال : هذه أربعة آلاف ألف درهم ، فإن أحببتَ أن تقبضها فٱقبضها من منزلى الساعة ، فإنه لم يَمنعنى من إعطائك إياها إلا أنّ قدرك يجلّ عن أن يصل مثلى مثلَك ، لـكنِّى ضامنٌ لها حتى تُحمل إليك من مال أمير المؤمنين غداً ، فسل أيضاً حوائجك . قال : ٱبنى ، تُـكلِّمُ أَمير المُـؤمنين حتى ينوِّه بٱسمه . قال : قد ولّاه أميرُ المُـؤمنين مصر وزوّجه ٱبنته العَالية ومَهرها ألفَىْ ألف درهم. قال إسحاق: فقلت فى نفسى : سَكِر الرجل ــ يعنى جعفرا ــ فلما أصبحتُ لم تـكن لى هِمّة إلا حُضورَ دار الرَّشيد ، فإذا جعفر بن يحيى قد بكّر ، ووجدتُ فى الدار جَلَبَة ، فإذا أبو يوسف القاضى ونظراؤه قد دُعى بهم . ثم دُعى بعبد الملك بن صالح وٱبنه فأُدخلا على الرشيد . فقال الرشيد لعبد الملك : إن أمير المؤمنين كان واجدا عليك وقد رضى عنك ، وأمر لك بأربعة آلاف ألف درهم ، فاقبضها من جعفر بن يحيى الساعة . ثم دعا بٱبنه فقال : ٱشهدوا علىّ أنى قد زوّجتُه العاليةَ بنت أمير المؤمنين وأمهرتُها عنه من مالى ألفى ألفِ درهم ، ووليّته مصر . فلما خَرج جعفر بن يحيى سألته عن الخبر ، فقال : بكرتُ إلى أمير المؤمنين فحكيتُ له جميع ما كان بيننا وما كُنا فيه حَرفاً حرفاً ، وحكيتُ له دُخول عبد الملك وما صنع . فعَجِب لذلك وسرّه . ثم قلت له : إنِّى قد ضمنتُ له عنك يا أمير المُـؤمنين ضَمانا . قال : ماهو؟ فأعلمتُه . فقال : أوفِ بضمانك . وأمر باحضاره ، فكان ما رأيتَ .

شعر كتب به وهو معتل إلى ابن هشام

وحكى إسحاق قال :

كتَبتُ إلى علىّ بن هشام ، وقد اعتللت أيّاماً ، فلم يأتنى رسولُه :

أنا عليـلٌ منـذ فارقتَنى وأنت عمّن غاب لا تَسألُ

ما هكذا كنتَ ولا هكذا فيما مضى كنتَ بنا تَفعل

فلما وصلت رُقعتي إليه رَكب وجاءني عائداً .

شعر له في خرجته الأولى إلى البصرة

وحكى حمّاد بن إسحاق قال :

لمّا خرج أبي إلى البصرةَ خَرْجتــه الأُولى وعاد ، أَنشدني لنفسه في ذلك :

ما كنتُ أعرف ما في البين من حزَنِ — حتى تنادَوْا بأن قد جِيء بالسُّفُنِ
قامتْ تُودِّعني والعينُ تَغْلِبها — فجمجمتْ[1] بعضَ ما قالت ولم تُبِن
مالت عليّ تُفدِّيني وَتَرْشُفُني — كما يَميــل نَسيمُ الريح بالغُصُن
وأَعرضت ثم قالت وهي باكيــةٌ — يا ليتَ معــرفتي إيّاك لم تَــكُن
لمّا اُفترقنــا على كُرْهٍ لفُرقتهــا — أيقنْتُ أني رَهينُ الهمِّ والحَزَن

هــو و جماعة من المغنين عند إسحاق المصعبي

وحكى إسحاق الموصلي قال :

دعاني إسحاق بن إبراهيم المُصعبيّ ، وكان عبــد الله بن طاهر عنــده يومئذ ، فوجّه إليّ ، فحضرتُ وحَضر عَلّويه ومُخارق وغيرُهم من المُغنين ، فبيناهُم على شَرابهم وهم أسرُّ ما كانوا ، إذ وافى رسولُ المأمون فقال له : أجب أميرَ المُؤمنين . فقال : السَّمع والطاعة . ودعا بثيابه فلَبِسها ، ثم اُلتفت إلى محمد بن راشد الخَنّاق فقال له : قد بلغني أنك أحفظُ الناس لِمــا يدور في المجالس ، فاحفظ كُلّ صوت يَمُر ، وما يشرب به كُل أحد ، حتى إذا عُدتُ أَعدتَ عليّ الأصــوات ، وشربتُ ما فاتني . فقال : نعم . أَصلح الله الأمير . ومَضى إلى المأمون ، فأَمره بالشخوص إلى بابك[2] من غدٍ ، وتقدّم إليه بما يحتاج إليه ، ورجع من عنده . فلما دَخل ووضع ثيابه قال : يا محمد ، ما صنعتَ فيما تقدمتُ به إليك ؟ قال : قد أحكمتُه ، أصلح الله الأمير . ثم أخبره بما شرب به القومُ وما استحسنوه من الغناء بعده . فأمر أن يُجمع له أكثر

(١) جمجمت : لم تفصح .

(٢) هو بابك الخرمي . وكان قد خرج على الدولة العباسية . وتبعه خلق كثير بأذربيجان . فلما كانت أيام المعتصم ، أخذ هو وأخوه إسحاق وصلبا .

ما شَرِبه واحد منهم فى قدح ، وأن يُعاد عليه كُل صوت مما حَفظ ، حتى أُستوفى النبيذَ والأصوات . ثم قال لى : يا أبا محمد ، إنى قد عملتُ فى مُنصرفى من عند أمير المؤمنين أبياتاً ، فاسمعها . فقلت : هاتِها أعزَّك الله . فأنشدنى :

ألا مَن لقَلْبٍ مُسْلَمٍ للنَّوائبِ أَحاطتْ به الأَحزانُ من كُل جانبِ
تَبيَّن يوم البَيْن أنَّ اعتزامَه على الصَّبرمن إحدى الظُّنون الكواذب
حرامٌ على رامِى فُؤادى بسَهمه دَمٌ صبَّه بين الحَشَى والتَّرائب
أراق دماً لولا الهوى ما أراقه فهل بدَمى من ثائرٍ أو مُطالب

قال: فقلتُ له : ما سمعتُ أحسنَ من هذا الشعر قطُّ . فقال لى : فاُصنع فيه لحناً ، وأَحضرنى وصيفةً له ، فألقيتهُ عليها حتى أخذتْه . وقال : إنما أردتُ أن أتسلَّى به فى طريقى وتُذكِّرنى الجاريةُ أمرك إذا غنَّته . فكان كلما ذكر أتانى برُّه ، إلى أن قدم ، عدة دَفَعات .

خروجه مع الرشيد إلى الرقة وقصته بدير القائم وتل عزاز

وحكى إسحاق قال :

خرجنا مع أمير المؤمنين هارون الرَّشيد يريد الرَّقة ، فلما صِرْنا بالموضع الذى يقال له : دير القائم [(١)] نزلنا وخَرج يتصيّد وخرجنا معه ، فأبعد فى الصيد وطَلَبه ، ولاح لى دَيْر فقصدتُه وقد تعبتُ . فأشرفتُ على صاحبه ، فقال : هل لك فى النُّزول بنا اليومَ؟ فقلت : إى والله ،و إنى إلى ذلك لَمُحتاج . فنزل ففَتح لى البابَ وجلس يُحَدِّثنى ، وكان شيخاً كبيراً قد أدرك دولة بنى أمية ، فجعل يُخبرنى عمَّن نَزل به من القوم ومَواليهم وحَشمهم [(٢)] ، وعَرض علىّ الطَّعام . فأجبتُه . فقدَّم إلىّ طَعاماً من طعام الدِّيارات نَظيفاً طيِّباً، فأكلتُ منه . وأتانى بشراب ورَيْحان طَرِىّ ، فشربتُ

(١) فى الأغانى : « القائم » مكان « دير القائم » . ودير القائم : على شاطىء الفرات من جانبه الغربى .

(٢) فى الأغانى : « وجيوشهم » .

منه . ووكَّل بى وبخِدْمتى جاريةً راهبةً لم أر أحسن منهـا وجهاً ولا أشكل . فشربتُ حتى سكرتُ . ونمْتُ فانتبهتُ عشاءً ، فقلت فى ذلك :

بدَيْر القـائم الأَقْصى غزالٌ شـارِدٌ أحوَى
برَى حُبِّى له جِسْمى ولا يَعـلم ما ألْقى
وأُخـفى حُبَّـه جُهْدى ولا والله ما يَخـفى

وركبتُ ولحقتُ بالعسكر، والرشيدُ قد جلس للشرب وطلبنى فلم أُوجد. فأُخبرت بذلك . فغنَّيت فى الأبيات ودخلتُ إليه . فقال لى: أين كنتَ ؟ ويحك ! فأخبرتُه الخبر وغنَّيته الصوتَ . فطَرب وشَرب عليه حتى سكر وأخَّر الرحيلَ فى غد ، ومَضينا إلى الدَّير فنزَله ، ورأى الشيخَ فاستنطقه ، ورأى الجارية التى كانت بالأمس تخدُمنى . فدعا بالطعام فأَصاب منه، ودعا بالشراب ، وأَمر الجاريةَ أن تتولَّى خِدمَته وسَقيه ، ففعلتْ وشربَ . حتى طابتْ نفسه . ثم أمر للدَّيرانى بألف دينار ، وأمر باحتمال خراج مزارع كانت له سَبْع سنين ، ورحلنا .

وحكى إسحاقُ قال :

دخل على الرشيد مغنياً فأجازه

دخلتُ على الرَّشيد يوماً فى عِمامة قد كوَّرتُها على رأسى ، فقال : ما هـذه العمامة ؟ كأنك من أهل الأنبار . فلما كان من غدٍ دعا بنا إليـه ، فأمهلتُ حتى دخل المُغنّون جميعاً . ثم دخلتُ عليه فى آخرهم، وقد شددتُ وسطى بشَدَّة حرير، ولبستُ لباساً مُشتَهِراً ، وأخذتُ بيـدى صَفَّاقَتيْن ، وأقبلتُ أخطِر وأَضرب بالصفَّاقتين وأُغنى :

أُسمعْ لصـوتٍ مليحٍ من صَنْعة الأَنبـارِى
صوتٍ خَفيفٍ ظريفٍ يطـيرُ فى الأَوتار

فبسط يديه إلىّ حتى كاد يقوم ، وجعل يقول : أحسنتَ وحياتى ! أحسنت !

أحسنت ! حتى جلستُ . ثم شَرب عليه بقيّـة يومه ، ما أُستعاد غَيره ، وأمر لى بعشرين ألف دِرهم .

اغتم لصوت أخذه عنه أحد العامة

وحكى إسحاقُ قال :

ما اغتممتُ بشىء قطُّ كما أُغتممتُ بصوت مليح صنعتُه فى هذا الشعر :

كان لى قلبٌ أعيش به فاُكتوى بالنّار فاُحترقَا

أنا لم أُرزَقْ محبّتهـــا إنما للعبـــد ما رُزِقا

مَن يكن ما ذاق طَعْم رَدًى ذاقه لا شكَّ إن عَشِقا

فإنى صنعتُ فيه لحناً وجعلت أُردِّده فى جَناح لى سَحَراً ، فأظُن أن إنســاناً مرّ بى فَسمعه فأخذه منّى . و بكّرتُ من الغد إلى المُعتصم لأُغنيه به ، فإذا بسوّاط يَسُوط الناطف[1] و يُغنى اللحن بعينه ، إلا أنه غِناء فاسد . فعجبتُ وقلت : تُرى من أين لهذا السوّاط هذا الصوت ! ولعلِّى إذ غنيته أن يـكون قد مرَّ بى هذا فسمعنى أغنيه ! و بقيت متحيراً . ثم قلت : يا فتى ، ممن سمعت هذا الصوت ؟ فلم يُجبنى ، واُلتفت إلى شريكه ، فقال : هذا يسألنى ممن سمعتُه ! هذا غنائى ! والله لو سمعه إسحاق لخَرِىءَ فى سراويله . فبادرتُ والله هار باً خوفاً من أن يَمُر بى إنسان فيسمع ما جَرى علىَّ فأفتضح ، وما عَلم الله أنى نطقت بذلك الصوت بعدها .

دخوله بيتاً متطفلا

وحكى إسحاق الموصلى قال :

غدوتُ يوماً وأناضَجِرٌ من مُلازمة دارِ الخليفة والخِدْمة فيها . فخرجتُ وركبتُ بُـكْرةً وعزمتُ على أن أَطوف الصحراء وأتفرَّج ، وقلتُ لغلمانى :إن جاء رسولُ للخليفة أو لغـيره فعرِّفوه أنى بكّرت فى بعض مُهمّاتى ، وأنـكم لا تعـرفون أين

(١) السواط ، من ساط الشىء ، إذا خلطه . والناطف : ضرب من الحلوى ، لأنه ينطف قبل استضرابه .

توجّهت . ومَضيت فطفْتُ ما بدالى ، ثم عُدت وقد حَمِي النهار ، فوقفتُ فى شارع المُخرَّم (١) فى فِناء شديد الظّل وجَناح رَحْب على الطريق لأستريح ، فلم ألبث أن جاء خادمٌ يقود حماراً عليه جارية راكبة، تحتها مِنْديل دَبيقىّ (٢)، وعليها من اللّباس الفاخر ما لا غاية بعده ، ورأيتُ لها قَواماً حَسناً وطَرْفاً فاتراً وشمائل حسنة . فخَرَصْتُ (٣) عليها أنها مُغنية . فدخلتِ الدار التى كنتُ واقفاً عليها . ثم لم ألبث أن أقبل رجلان شابّان جميلان ، فاستأذنا فأُذن لهما . فنزلا ، ونزلتُ معهما ودخلتُ . فظنّا أنّ صاحب البيت َدعانى، وظنّ صاحبُ البيتَ أنّى معهما. فجلسنا. وأُتى بالطّعام فأَكلنا ، و بالشّراب فوُضع . وخرجت الجاريةُ وفى يدها عودٌ ، فغنَّت وشَرِبْنا ، وقمتُ قومةً . فسأل صاحب الدار الرجلَين عنِّى . فأخبراه أنهما لا يعرفانى . فقال : هذا طُفيلى ولكنه ظَريف ، فأجملوا عِشْرته . وجئتُ فجلستُ ، فغنَّت الجاريةُ فى لحن لى :

ذكرتُكِ أَن مرَّت بنا أُم شادنٍ ... أمامَ المطايا تشرئبّ وتَسْنَحُ

فأدَّته أداء صالحاً ، وشربتُ . ثم غنَّت أصواتاً شتى ، وغنَّت فى أضعافها من صَنعتى :

الطُّلولُ الدَّوارسُ ... فارقتها الأَوانسُ

أقفرتْ بعد أهلها ... فهى قفرٌ بسَابِسُ

فكان أمرها فيه أصلحَ من الأول . ثم غنّت أصواتاً من القديم والحديث ، فى أَضعافها من صنعتى:

قُل لمن صَدَّ عاتبَا ... ونأى عنك جانباَ

قد بلغْتَ الذى أَردْ ... تَ و إن كنتَ لاعباَ

---

(١) المخرم : بالجانب الغربى من بغداد .

(٢) نسبة إلى دبيق ، بليدة بمصر كانت بين الفرما ومنفيس .

(٣) خرصت : ظننت وخمنت .

فكان أصلحَ ما غنَّته . فاستعدتُه منها لأُصلحه لها . فأقبل علىّ رجلٌ من الرجلَين فقال: ما رأيتُ طفيليًّا أَصفق وجهاً منك، لم ترض بالتَّطفل حتى اُقترحت، وهذا غايةُ المثل : طُفيلى مُقترح ! فأطرقتُ ولم أُجبه ، وجعل صاحبُه يكُفّه عنّى . ثم قاموا للصلاة وتأخّرتُ قليلاً ، وأخذتُ العُود وشددتُ طَبقته وأصلحتُه إصلاحاً مُحكماً ، ثم عدتُ إلى موضعى فصلَّيت ، وعادوا . فأخذ ذلك الرجلُ فى عَربدته علىّ وأنا صامتٌ . ثم أخذتِ الجاريةُ العودَ فجَسَّته وأنكرتْ حاله ، وقالت : من مَسَّ عُودى ؟ قالوا : ما مَسّه أحَدٌ . قالت : بلى ! والله قد مسّه حاذقٌ متقدّم وشدَّ طبقته وأَصلحه إصلاحَ متمكِّنٍ من صناعته . فقلتُ لها : أنا أصلحته . فقالت : باركَ الله عليك ! فخُذْه واُضرب به . فأخذتُه وضربتُ به مبدأً ظريفاً عجيباً صَعْبا ، فيه نقراتٌ مُحكمة .[1] فما بقى منهم أحدٌ إلاّ وَثَب وجَلس بين يدىّ وقال : بالله يا سيّدنا أتُغنِّى ؟ قلتُ : نَعم ، وأُعرِّفكم نفسى : أنا إسحاقُ ابن إبراهيم المَوصلىّ ، ووالله إنى لأَتيهُ على الخليفة إذا طَلبنى وأنتم تُسمعوننى ما أكره منذ اليوم لأنى تَملّحْتُ معكم ، ووالله لا نطقتُ بحرفٍ ولا جلستُ معكم حتى تُخرجوا هذا المُعربد المَقيتَ الغَثَّ . فقال له صاحبُه : مِن هذا حَذرتُ عليك. فأخذ يعتذر . فقلتُ : والله لا نطقتُ بحرف ولا جلست معكم حتى يُخْرَج . قال : فأخذوا بيده فأخرجوه وعادوا . فغنّيت الأصواتَ التى غنّتها الجاريةُ من صنعتى . فقال لى الرجُل : هل لك فى خَصلة ؟ فقلت : وما هى ؟ قال : تُقيم عندى شهراً والجاريةُ والخادمُ والحمارُ لك ، مع ما عليها من حُلىّ ؟ قلت: أفعل . فأقمتُ عنده ثلاثين يوماً لا يعرف أحد أين أنا ، والمأمونُ يَطلبنى فى كل موضع فلا يَعرف لى خبراً . فلما كان بعد ثلاثين يوماً سلَّم إلىّ الجاريةَ والحمارَ والخادمَ . فجئتُ بذلك إلى منزلى وركبتُ إلى المأمون من وقتى . فلما رآنى قال : إسحاق ؟ ويحك !

---

(١) فى الأغانى : « محركة » .

أين تكون ؟ فأخبرتُه . فقال : علىّ بالرّجل الساعةَ . فدللتُهم عليه ، فأَحضروه . وسأله المأمون عن القصة ، فأخبره . فقال له : أنت رجلٌ ذو مروءة وسبيلُك أن تُعان على مرُوءتك . فأمر له بمائة ألف درهم . وأمر لى بخمسين ألف درهم . وقال : أَحضرنى الجارية فأَحضرتُها . فغنّته . فقال لى : قد جعلتُ عليها نوبةً فى كُل يوم ثُلاثاء تُغنينى من وراء الستارة مع الجوارى . وأمرتُ لها بخمسين ألف درهم . فربحتُ والله بتلك الرَّكْبة وأَرْبحتُ .

هو والواثق فى دير مارت مريم

وحكى إسحاق الموصلى قال :

لما خرجتُ مع الواثق إلى النَّجف دُرْنا بالحِيرة ومَررنا بدياراتها . فرأيتُ دير مارت مَريم بالحِيرة ، فأعجبنى موقعُه وحُسن بنائه ، فقلتُ :

نِعْمَ المحلُّ لمن يسعى للذّته　　دَيْرٌ لمريمَ فوق الظّهر معْمُورُ
ظِلٌّ ظَليلٌ وماء غيرُ ذى أَسَنٍ　　وقاصراتٌ كأمثال الدُّمَى حُور

فقال الواثق : لا نَصطبح والله إلّا فيه غداً ، وأمر بأن يُعَدَّ ما يَصْلُح من الليل فيه . وباكرناه واُصطبحنا فيه على هذا الصوت . فأمر بمالٍ يُفرّق على أهل ذلك الدّير ، وأمر لى بجائزة .

غنى عبد الله ابن طاهر فوصله

وحَكى إسحاق قال :

خرج إلىّ عبدُ الله بن طاهر ببيتى شعر فى رُقعة وقال : هذان البيتان وجدتُهما على بساط طَبَرىّ أَصْبَهْبُذِىّ[1] أُهدى إلىّ من طَبَرِستان ، فأُحب أن تُغنِّى لى فيهما . فقرأتهما فإذا فيهما :

لجّ بالعَيْن واكفُ　　مِن هَوًى لا يُساعِفُ
كُلّما كفّ[2] غَرْبُها　　هيّجْته المعازِفُ

(١) نسبة إلى أصبهبذان : بلد بالديلم .
(٢) الغرب : الدمع .

قال : فغنَّيت فيهما وغدوت بهما إليه . فأُعجب بالصوت ووصَلنى صلةً سنيّة. وكان يَشتهيه ويَقترحه . وطرحتُه على جواريه ، وشاع خبر إعجابه . فبينا المُعتصم جالسٌ يُعرض عليه فرشُ الرّبيع إذ مرّ به بساطُ ديباج فى نهاية الُحسن عليه هذان البيتان ، ومعهما :

إنمــا الموتُ أن تُفا رقَ من أنت آلِفُ
لك حُبّان فى الفؤا د تليــدُ وطارِف

فأَمر بالبساط يُحمل إلى عبد الله بن طاهر . وقال للرســـول : قُل له : إنى عرفتُ شَغفك بالغناء فى هــذا الشعر ، فلما وقع هذا البساطُ أحببتُ أن يتمّ سرورُك به . فشكر عبدُ الله بن طاهر ما تأدّى إليه من هذه الرسالة وأَعظم مقدارَه، وقال لى : يا أبا محمد ، لسُرورى بتمام الشِّعر أحبُّ إلى من سُرورى بكل شىء ! أَلْحقهما بالغناء فى البيتين الأولين . فألحقتُهما .

هو بعد أن كف فى حضرة المتوكل

وحُكى أن إسحاق كُفّ بصرُه فى آخر عمره . ولما أفضت الخلافةُ إلى المتوكّل ابن المُعتصم سـأل عنه ، فعرف أنه كُف بصره وأنه فى مَنزله ببغداد ، فكتب فى إحضاره . فلما دخل إليه رَفعه حتى أجلسه قُدّام سريره وأعطاه مِخدّة وقال له : بلغنى أن المعتصمَ دفع إليك مخدةً فى أول يوم جلست بين يديه وهو خليفة وقال: إنه لا يُستجلب ما عند حُرّ بمثل الكرامة . ثم سأله : هل أكل؟ قال :نعم . فأمر أن يُسْقَى . فلما شَرب أقداحاً قال : هاتُوا لأبى محمد عُوداً . فجىء به . فاُندفع يُغنِّى بشعره ولَحنه :

ما عِلّة الشّيخ عيناه [1] بأَربعةٍ تَغْرَورقان بدَمعٍ ثم تَنْسكبُ

فما بَقى غلامٌ من الغِلمان الوقُوف على الحَيْر [2] إلا وجدتُه يرقُص طرباً وهو لا يعلم

(١) أى عيناه تدمعان بأربعة آماق ، وذلك أشد البكاء .

(٢) الحير : قصر للمتوكل بسر من رأى . وفى التجريد : « الحيل » .

بما يفعل . فأمر له بمائة ألف درهم . ثم قال المتوكل لابن حمدون : تُحسن أن تُغنى هذا الصوت ؟ فقال : نعم . فقال : غنه . فترنَّم به . فقال إسحاق : من هذا الذى يَحكينى ؟ فقال حمدون : أنت عرّضتنى له يا أمير المؤمنين . ثم انحدر المتوكل إلى رَقّة بُوصَرا ،[١] وكان يَستطيبها لكثرة تغريد الطَّير فيها . فغنّاه إسحاق :

أأن هَتفتْ وَرقاءُ فى رَوْنق الضُّحَى على غُصُنٍ غَضِّ النَّبات[٢] من الرَّنْدِ
بكيتَ كما يبكى الوليدُ ولم تكُن جليداً وأبديتَ الذى لم يَكن[٣] يُبْدِى

فضحك المتوكل ثم قال له : ياإسحاق . هذه أُخت فَعْلتك بالواثق لمّا غنيتَه[٤] بالصالحيه :

طَربتُ إلى الأُصيْبِية الصِّغار وذكَّرنى الهوى قُرْب المَزارِ

. فكم أعطاك لمّا أَذِن لك فى الانصراف ؟ قال : مائة ألف درهم. فأمر له بمائة ألف درهم ، وأذن له بالانصراف إلى بغداد . فكان آخر عهده به .

مرضه ولونه

وذُكر أن إسحاق كان يسأل الله ألّا يَبتليه بالقُولنج ، لما رأى من صُعوبته على أبيه إبراهيم . فأُرى فى منامه كأن قائلاً يقول له : قد أُجيبت دعوتُك ولست تموت بالقُولنج ولكنّك تموت بضدّه . فأَصابه ذَرَب فى شهر رمَضان سنة خَمس وثلاثين ومائتين. فكان يتصدّق فى كل يوم يمكنه صَوْمه بمائة درهم ، ثم ضَعُف من الصوم فلم يُطقه . ومات فى شهر رمضان من هذه السنة .

حزن المتوكل عليه وعلى أحمد بن عيسى

ولما نُعى إسحاق إلى المتوكل غَمّه وحَزِن عليه وقال: ذَهب صدرٌ عظيم من

---

(١) بوصرا : من قرى بغداد .
(٢) فى الأغانى : « الشباب » .
(٣) الرواية فى الأغانى :
بكيت كما يبكى الحزين صبابة وشوقاً وتابعت الحنين إلى نجد
(٤) الصالحية : قرية قرب الرها اختطها عبد الملك بن صالح .

جمال المُلك وبهائه وزينته. ثم نُعى إليه بعده أحمدُ بن عيسى بن زَيد بن علىّ ابن الحسين، فقال؟ تكافأت الحالان، وقام الفتح بوفاة أحمد — وما كنت آمن وثبته علىّ — مقامَ الفجيعة بإسحاق، والحمد لله على ذلك.

لبعضهم عن وفاته

وحكى بعضُهم قال:

رأيت فيما يرى النائم قائلاً يقول:

مات الُحسان ابن الُحسا ... ن ومات إحسانُ الزّمانِ

فأصبحتُ من غدٍ فركبتُ فى بعض حوائجى، فتلقّانى خبر وفاة إسحاق الموصلى.

شعر أحمد بن إبراهيم فى رثائه

ورثاه أحمدُ بن إبراهيم بقوله:

لله أىّ فَتًى إلى دار البِلَى ... حَمل الرجالُ ضُحًى على الأَعوادِ
كم من كريمٍ ما تَجِفُّ دمُوعُه ... من حاضرٍ يَبْكى عليه وبادِى
أمسى يُؤَبِّنُه ويعرف[1] قدرَه ... من كان يَثلبه من الُحسّاد
فسقتْك يا ابن المَوْصلىّ روائحٌ ... تَرْوِى صَداكَ بصَوْبها وغَوادِى

---

(١) فى بعض الأصول: « فضله » مكان « قدره ».

أخبار الصِّمّة القشيرى

نسبه

هو الصِّمَّة بن عَبد الله بن الطُّفيل بن قُرة بن هُبيرة بن عامر بن مَسلَمة الخَير بن قُشير بن كَعب بن رَبيعة بن عامر بن صَعصعة بن مُعاوية بن بَكر ابن هَوازِن بن مَنصور بن عِكْرمة بن خَصَفَة بن قَيس بن عَيْلان بن مُضر ابن نِزَار .

طبقته

شاعر إسلامىّ من شُعراء الدَّولة الأُموية .

شىء عن جده

وجدُّه قُرَّة بن هُبيرة ، له صُحبة بالنبىّ صلّى الله عليه وسلم ، وهو أحد الوافدين عليه صلّى الله عليه وسلّم .

حديث حبه وزواجه

قيل : كان الصِّمة القُشيرى يَهْوى امرأةً من قومه ، ثم بنى عمّه ، يقال لها : العامرية بنت غُطَيف بن حَبيب بن قُرّة ، فخطبها إلى أبيها ، فأَبى أن يزوِّجه إياها. وخَطبها عامرُ بن بِشر بن أبى بَرَاء عامر بن مالك مُلاعب الأَسنَّة بن جعفر بن كِلاب ، فزوَّجه إياها . وكان عامرٌ قصيراً قَبيحاً ، فلما بَنى بها عامرٌ وَجد عليها الصِّمة وجداً شديداً ، فزوَّجه أهلُه امرأةً منهم، فأقام معها ، ثم رحل إلى الشام ، وقال :

لَعمْرِى لئن كنتم على النأى والقِلَى ... بكم مثلُ ما بى إنكم لصَديقُ

إذا زَفراتُ الحبِّ صَعَّدْن فى الحَشَى ... رُدِدْنَ فلم يُنْهَج لهنّ طَريق

وقال أيضاً :

إذا ما أتتْنا الرِّيحُ من نحو أرضكم ... أتتْنا بريَّاكم فطاب هُبوبُها

أتتْنا بريح المِسْك خالطَ عَنْبراً ... وريحِ الخُزامى باكرتْها جَنُوبها

وقال أيضاً :

ألاَ تسـألان الله أن يَسْقِىَ الحِمَى بَلَى فسقَى الله الحِمَى [١] والمَطَالِيَا

وأسألُ من لاقيتُ هل مُطر الحِمَى فهل يسألنْ أهلُ الحِمى [٢] كيف حاليا

موته بطبرستان

وذُكر أن الصِّمَّة خرج فى عسكر للمُسلمين لغزْوْ الدَّيلم ، فمات بطَبَرِسْتان . فحكى رجلٌ من أهل طَبَرِستان قال : بينا أنا أمشى فى ضيعة لى فيهـا ألوانٌ من الفاكهة والزَّعفران وغير ذلك من الأشجار ، وإذا أنا بإنسان فى البُستان مَطروح ، عليـه أثوابٌ خُلْقان ، فدنوتُ منه فإذا هو لا يتحرَّك ولا يتكلَّم ، فأصغيتُ إليه ، وإذا هو يقول بصوت خَفِىّ :

تَعَزَّ بصبرٍ لا وجَــدِّك لا تَرى بَشَامَ [٣] الحِمَى أُخرى الليالى الغَوابِرِ

كأنّ فُؤادى من تذكّره الحِمَى وأهــلَ الحِمَى يَهفُو به ريشُ طائر

فما زال يردِّد هذين البيتين حتى فاضتْ نفسُه . فسألتُ عنه ، فقيل لى : هذا الصِّمَّة بن عبد الله القُشيرىّ .

أبيات له كان يستحسنها ابن الأعرابى

قيل :

وكان ابنُ الأعرابىّ يَستحسن قولَ الصمة :

أمَا وجَـلالِ الله لو تذكُرِيننى كذِكْرِيكِ ما كفكفتِ للعين مَدْمَعَا

بلى وجلالِ الله [٤] ذِكراً لو انه يُصَبّ على صُمِّ الصَّفَا لتصدَّعا

---

(١) المطالى : الروضات ؛ الواحدة : مطلى ، بالقصر . وقيل : هى المواضع التى تغذو فيها الوحش أطلاءها .

(٢) رواية الأغانى : « فهل يسألن عنى الحمى » .

(٣) البشام : شجر طيب الريح والطعم يستاك به .

(٤) فى الأغانى : « فقالت بلى والله » .

وهذا الشِّعر من قَصيدة يقول فيها :

حَنَنْتَ إلى ريَّا ونفسُك باعدتْ مزَارَكَ من رَيَّا وشَعْبا كُما مَعاَ

ومن هذه القصيدة أبياتٌ ذُكرت فى أخبار المجنون ، عَزاها أبو الفرج إليه.

شعره الذى فيه الغنـاء

والشِّعر الذى فيه الغِناء له ، وافتتح به أبو الفَرج أخبارَه ، هو :

ألا قاتل الله اللِّوى من مَحـلَّةٍ وقاتل دُنْيانا بها كيف[1] ذَلَّتِ

غَنِينا زَماناً باللِّوى ثم أَصبحتْ عِرَاصُ اللِّوى مِن أهلها قد تَخَلّت

(١) فى التجريد : « ولت » مكان « ذلت » .

أخبار داود بن سلم

ولاؤه ونسبه

هو مولى آل تَيْم بن مُرَّة . فقيل : إنّه مولى آل أبى بكر رضى الله عنه . وقيل: إنّ أباه رجلٌ من النَّبط، وقيل : مولى آل طَلحة . وأُمه بنت حَوْط، مولى عُمر بن عُبيد الله بن مَعْمر التّيمى . فانتسب إلى ولاء أُمه .

طبقته

وهو شاعر مُخضرم الدَّولتين : العبّاسية والأُموية .

سبب كنيته بالأدلم

وكان يقال له : الأَدلم ، لشدّة سواده .

شيء عن بخله

وذُكر أنه كان من أبخل الناس ، فطرقه قومٌ وهو بالعَقيق فصاحوا به : العَشاءَ والقِرى يا بن سلم ! فقال لهم . لا عَشاء لكم عندى ولا قِرى . قالوا : فأَين قولُك فى قصيدتك :

يا دارَ هِنْدٍ ألاَ حُيِّيتِ من دارِ ... لم أَقْضِ منك لُباناتِى وأَوْطارِى

إذ تقول فيها :

عودتُ نَفسى إذا ما الضَّيفُ نَبَّهنى ... عَقْرَ العِشَارِ[1] على يُسْرِى و إعْسارى

فقال : لستُم من أولئك الذين عنيتُ .

شعره يمدح قثم بن العباس

وقيل :

كان داود بن سَلْم مُنقطعاً إلى قُثم بن العبّاس الهاشمىّ ، وفيه يقول :

يا ناقُ إن أَدنيتِنِى من قُثَمْ ... أُعْتِقْتِ من حِلٍّ ومن[2] رِحلةٍ

---

(١) العشار : من النوق ما مضى لحملها عشرة أشهر ؛ الواحدة عشراء . والرواية فى بعض أصول الأغانى : « عودت فيها » مكان « عودت نفسى » .

(٢) فى الأغانى :

* عتقت من حلى ومن رحلتى *

إنّك إن أدْنيتَ منه غداً حالفنى اليُسر ومات العَدَم

فى وجهه بدرٌ وفى كفه بحرٌ وفى العِرْنِين منه شَمَم

أصمُّ عن قيل الخنا سمعُه وما عن الخير به من صَمَم

لم يدر ما «لا» و «بلى» قد درَى فعافَها واعتاض منها « نَعم »

شعره فى جارية هويها قثم وفاته شراؤها

وحكى داود قال :

كنتُ يوماً جالساً مع قُثم بن العبّاس قبل أن يُملَّكوا بغنائه ، فمرتْ بنا جاريةٌ فأُعجب بها قُثم وتمنّاها ، فلم يُمكنه ثمنُها . فلما ولِى قُثم اليمامةَ اشترى الجاريةَ إنسانٌ يقال له : صالح . فكتبتُ إلى قُثم :

يا صاحبَ العِيسِ ثُم راكبهَا بلِّغ إذا ما لقيتَه قُثَمَا

أنّ الغَزال الذي أجاز بنا مُعارِضاً إذ توسَّط الحَرَما

حَوّله صالحٌ فَصار مع الْ إنْس وخَلَّى الوحُوش والسَّلَما

فأرسل قُثم فى طلب الجارية ليشتريها ، فوجدها قد ماتت .

مدح حرب بن خالد فأجازه

وقيل: أتى داوُد بن سَلْم إلى حَرب بن خالد بن يزيد بن مُعاوية بن أبى سُفيان. فلما نَزل به حَطّ غلمانُه متاع داود وحلُّوا عن راحلته ، فلما دخل عليه قال :

ولما دَفعتُ لأَبوابهم ولاقيتُ حرباً لَقيتُ النَّجاحَا

رأيناه (١) يَحمده المُجتدون ويأبَى على العُسر إلّا سَماحا

ويُغْشَون حتى يُرى كَلْبُهم يَهابُ الهَرِير ويَنسَى النُّباحا

فأجازه بجائزة عظيمة . ثم استأذنه فى الخروج ، فأَذن له وأعطاه ألف دينار . فلم يُعِنْه أحدٌ من غِلمانه ولم يقوموا إليه ، فظنّ أن حَرباً ساخطٌ عليه ، فرجع إليه

(١) فى الأغانى : « وجدناه » .

فأخبره بما رأى من غِلمانه. فقال له: سَلْهم لِمَ فعلوا بك ذلك؟ فسألهم. فقالوا: إنا نُنزل من جاءنا ولا نُرْحِل مَن يخرج عنّا. فسمع الغاضرىّ حديثَه، فأتاه فحدّثه، فقال: أنا يهودى إن لم يكن الذى قال لك الغلمانُ أحسنَ من شعرك!

من جيد شعره

ومن جيد شعر داود قولُه:

وما ذَرّ قَرن الشّمس إلا ذكرتُها	وأذكرها فى وقت كُلّ غُروبِ
وأذكرها ما بين ذاك وهذه	وباللّيل أحلامى وعند هُبوبى
وقد شَفّنى شَوقى وأبلانىَ[1] الهوى	وأعيا الذى بى طِبَّ كُلِّ طَبيب
وأعجبُ منّى[2] لا أموتُ صَبابةً	وما كَمَدٌ من عاشقٍ بعَجيب
وكُل مُحبٍّ قد سَلا غير أنّنى	غريبُ الهَوى يا وَيْحَ كُلِّ غَريب
وكم لامنى[3] فيها أخٌ ذو نَصيحةٍ	فقلتُ له أَقْصِر فغيرُ مُصيب
أتأمر إنساناً بفُرقة قَلْبه	أتصلحُ أجسامٌ بغير قلُوب

شعره الذى فيه الغناء

والشعر الذى فيه الغناء، وافتتح به أبو الفرج أخبار داود بن سلم، هو:

قُل لأسماء أنجزى الميعادا	وانظُرى أن تُزَوِّدى منك زادَا
إن تكونى حللتِ رَبعاً من الشأ	م وجاورت حِمْيَراً أو مُرَادا
أو تناءتْ بك النّوَى فلقد قُدْ	تِ فُؤادى لحَيْنه فانْقادا
ذاك أنّى علقتُ منك جَوَى الحُـ	ـبِّ وَليداً فزِدْتُ سِناً فَزادا

(١) فى الأغانى: «وأبعدنى».
(٢) فى الأغانى: «أنى».
(٣) فى الأغانى: «وكم لام فيها».

أخبار دحمان

اسمه وولاؤه وشيء عنه

وهو عبد الرحمن بن عمرو ، مولى بنى لَيث بن بكر بن عَبد مَناة بن كِنانة . ويكنى : أبا عَمرو . ودَحمان لقب لُقِّب به . وكان يقال له : دَحمان الأَشقر. وكان مُعدَّلاً مَقبول الشهادة عند القُضاة بالمدينة . وكان من رُواة مَعبد وغِلمانه المتقدِّمين .

ما أفاده من المهدى مرة

وقيل :

إنه وفد إلى المهدىّ ورجع من عنده وحاصلُه مائة ألف دينار .

هو والمهدى وضيعتان وهبهما له

وغنَّى المهدىَّ ليلةً فى شعر الأحوص :

قطُوف المَشْى إذ تَمشى　　ترى فى مَشْيها[1] خَرَقَا

فطرب واُستخفّه السرورُ حتى قال لدَحمان: سَلْنى. فقال : ضَيعتان بالمَدينة يقال لهما : ريّان وغَالِب . فأقطعه إياهما . فلما خَرج التَّوقيع بذلك إلى أبى عُبيد الله ،[2] وعُمر بن بَزِيع ، راجعا المهدىَّ فيه وقالا : إن هاتَيْن الضيعَتين لم يملكهما قَطُّ إلّا خَليفة ، وقد اُستَقطعهما وُلاةُ العهود فى أيّام بنى أُمية فلم يُقْطَعوها . فقال : والله لا أَرجع فيهما إلا بعد أن يَرضى . فصُولح على خَمسين ألفَ دينار .

حديثه مع الوليد فى جارية اشتراها منه ثم ردها إليه

وقيل :

كان دَحمان جمَّالاً يُكْرِى إلى المواضع ويَتَّجر ، وكانت له مُروءة ، فبينا هو ذاتَ يوم قد أكْرى وأَخذ مالَه إذ سمع رنَّة . فأَتبع الصوتَ فإذا جاريةٌ قد خرجتْ تبكى ، فقال لها : أمملوكةٌ أنت ! قالت : نعم . قال : لمن أنت؟ قالت : لاُمرأة

(١) قطوف المشى : بطيئة . والخرق : التحير والدهش . يصفها بالخفر والحياء .

(٢) هو أبو عبيد الله معاوية بن عبيد الله الأشعرى الكاتب الوزير .

من قُرَيش ، نَسبتُها له . فَدخل فسامها بهـا حتى ٱستقرّ أمرُ الثمن بينهما . ثم ٱشتراها منها بمائتى دينار ، ونَقَدها الثَّمن ، وٱنصرف بالجـارية . قال دَحمان : فأقامت عندى مُدةً أَطرح عليها ويَطرح عليها مَعبد والأَبجر ونُظراؤُهما من المُغنِّين. ثم خرجتُ بها بعد ذلك إلى الشأم ، وقد حَذِقتْ ، فـكنتُ لا أزال إذا نزلنـا أُنزل الأَكرياء ناحيةً ، وأَنزل بها معتزلاً ناحيةً فى مَحْمِل ، وأَطرح على المَحمل من أَعْبِية[1] الجمّالين ، وأجلس أنا وهى معى تحت ظلّها ، فأُخرج شيئاً فنأكله ، وأضع رَكْوةً[2] فيها شرابٌ ، فنَشرب ونتغنّى حتى نَرحل . فلم نزل كذلك حتى قَرُبنا من الشام ، فبينا أنا ذاتَ يومٍ نازلٌ ، وأنا أُلقى عليها لَحنى :

لو رَدّ ذو شَفقٍ حِمـامَ مَنيّةٍ ... لرددتُ عن عبد العزيز حِماما

صـلّى عليك اللهُ من مُستودعٍ ... جاورتَ رِمّاً[3] فى القُبور وهاما

والشعر لإسماعيل بن يسار .[4] قال : فرددتُه عليهـا حتى أخذتْه وٱندفعت تُغنيه ، فإذا أنا براكبٍ قد طلع يسلّم علينا . فرددنا عليه السلام . فقال : أتأذنون لى أن أنزل تحت ظلّكم هذا ساعةً ؟ قلنا : نعم . فنَزل . وعَرضْنا عليه طعامنا وشَرابنا فأجاب . فقدّمنا إليه السُّفرة ، فأكل وشَرب معنا ، وٱستعاد الصوتَ مراراً . ثم قال للجارية : أتُغنِّين لدَحمان شيئاً ؟ قالت : نعم . قال : فغنِّينى صوتاً من صنعته . فغنَّته أصواتاً من صَنعتى ، وغمزتُها ألّا تُعرفه أنِّى دَحمان . فطَرِب وٱمتلأ فرحاً وسُروراً ، وشَرب أقداحاً ، والجارية تُغنِّيه ، حتى قَرُب وقتُ الرَّحيل . فأَقبل علىّ وقال : أتَبيعنى هذه الجارية ؟ فقلت : نعم . فقال : بكم؟ فقلت له ، كالعابث: بعشرة آلاف دينار . فقال : قد أخذتُها ، فهلُمّ قِرطاساً ودواة . فجئتُ بذلك .

(١) الأعبية : الأكسية : جمع : عباء .
(٢) الركوة : إناء صغير من جلد .
(٣) فى الأغانى : « بوما » .
(٤) روى هذا الشعر فى الأغانى لكثير . وقيل : هو لعبد الصمد بن على الهاشمى .

فكتب : أُدفع إلى حامل كتابي هذا ساعةَ تقرؤه عشرةَ آلاف دينار ، واُستوْص به خيرا ، وأَعْلِمني بمكانه . وخَتم الكتاب ثم قال : أتدفع لى الجارية أم تكون معك حتى تقبض مالَك ؟ قلت : بل أدفعها إليك . فحَملها ثم قال : إذا جئتَ البَخْراء (١) فاسأل عن فلان واُدفع كتابي هذا إليه واُقبض منه مالَك . واُنصرفَ بالجارية . قال : ومضيتُ ، فلمّا وردتُ البَخْراء سألتُ عن اُسم الرجل ، فدُلِلْتُ عليه ، فإذا دارُه دارُ مُلك ، فدخلتُ عليه ودفعتُ التَّوقيع إليه . فقبّله ووَضعه علي عَيْنيه ودعا بعَشرة آلاف دينار وقال : هذا كتاب أمير المؤمنين ، وقال : اُجلس حتى أُعلم أميرَ المُؤمنين بك . فقلت له : حيث كنتُ فأنا عبدُك و بين يدَيْك . وكان أَمر لى بأَنزال ، (٢) وكان بَخيلاً ، فاُغتنمتُ ذلك فارتحلتُ . وقد كنتُ أُصبتُ بجمَلين . وكانت عِدّة أجمالى خمسة عشر فصارتْ ثلاثةَ عشر . وسأل عنّى الوليدُ فلم يَدْر القَهرمان أين يطلُبني . فقال له الوليد : عدةُ أجماله خمسةَ عشر جملاً ، فاُردُدْه إلىّ ، ولم يعرف اُسْمى فيسأل عنى . وأقامت الجاريةُ عنده شهراً لا يسأل عنها ، ثم دعاها ، بعد أن اُستُبْرِئت (٣) وأُصلح شأنُها . وظَلّ معها يومَه ، حتى إذا كان فى آخر النّهار قال لها : غَنِّى لدَحمان . فغنَّت . فقال لها : زيدى . فزادتْ . ثم أقبلت عليه وقالت : يا أمير المؤمنين ، أوَما سمعتَ غناء دَحمان منه ؟ قال : لا . قالت : بلى والله لقد سمعتَه ؟ قال : وما ذاك ؟ ويحك ! قالت : إنّ الرجل الذى اُشتريتَنى منه هو دَحمان . قال : أوَ ذلك هو ؟ قالت : نعم . هو هو . قال : وكيف لم أعلم ! قالت : غَمزنى ألّا أُعلمك . فأمر فكُتب إلى عامل المدينة بأن يُحمل إليه دَحمان . فُحمل إليه . فلم يَزل أثيراً عنده .

---

(١) البخراء : على ميلين من القليعة فى طرف الحجاز .

(٢) الأنزال : جمع نزل ، بضمتين ، أو ضم فسكون ، وهى ما يهيأ للضيف لينزل عليه .

(٣) استبراء الجارية : ألا تمس بعد ملكها حتى تبرأ رحمها ويتبين أحامل هى أم لا .

أخبار أعشى همدان

اسمه

هو عبدُ الرحمن بن عبد الله بن الحارث بن ظَالم [١] بن جُشَم بن عَمرو بن الحارث بن مالك بن عَبد الجنّ [٢] بن جُشَم بن حاشِد بن جُشَم بن خَيْران بن نَوْف بن هَمْدان بن مالك بن زَيد بن نزار بن أوْسِلة بن رَبيعة بن الخِبَاب [٣] ابن مالك بن زَيد بن كهلان بن سبأ بن يَشْجُب بن يَعْرُب بن قحطان .

كنيته

ويكنى : أبا المُصبّح.

طبقته وشىء عنه

شاعر فَصيح كُوفى من شُعراء الدَّولة الأُموية . وكان زوجَ أُخت الشَّعبى الفَقيه ، والشَّعبى زوج أُخته . وكان الأَعشى الهمدانى أَحد القُرّاء والفُقهاء ، ثم ترك ذلك وقال الشِّعر .

رؤيا أولها له الشعبى

وحُكى أنه قال للشَّعبى يوماً :

إنى رأيتُ فى منامى كأنى أدخُل بيتاً فيه حِنطة وشعير ، فقيل لى : خُذ أيهما شئت . فأخذتُ الشعير . فقال له الشَّعبى : إن صدقَت رؤياك تركتَ القُرآن وقراءته وقلتَ الشعر . فكان كما قال .

أسره وحديثه مع بنت الملك

وذُكر أن الحجّاج بن يُوسف أَغْزاه الدَّيلم فأُسر، فلم يزل أسيراً فى أيدى الدَّيلم مُدّة . ثم إن بنتاً للعِلْج الذى أَسره هويتْه وصارت إليه ليلاً ومكَّنته من نَفسها، فأَصبح وقد واقَعها ثمان مرّات . فقالت الدَّيلميّة : يا معشر المسلمين، هكذا تَفعلون

(١) فى الأغانى : « نظام » .
(٢) فى الأغانى : « عبد الحر » .
(٣) فى الأغانى : « الخيار » .

بنسائكم؟ فقال لها: هكذا نفعل كُلنا. فقالت: بهذا العمل نُصرتُم، أفرأيتَ إنْ خلّصتُك أتَصطفيني لنفسك؟ فقال: نعم، وعاهدها. فلما كان الليل حلَّت قُيوده وأخذتْ به طريقاً تَعرفها حتى خلّصته. فقال شاعرٌ من أسرى المُسلمين:

فمن كان يَفْديه من الأسْر مالُه ... فهَمْدانُ تَفديها الغَدَاةَ أيورُها

وقال الأعشى قصيدتَه فى أَسره، التى أولها:

لمن الظَّعائنُ سيرُهُن تَرجُّفُ ... عَوْمَ السَّفين إذا تَقاعس[1] تَجْذِفُ

مرّت بذى خُشُبٍ[2] كأنَّ حمُولَها ... نَخْلٌ بيَثرب حَمْلُه مُتضعِّفُ

ومنها:

بانَ الخليطُ وفاتنى برَحيله ... خَوْدٌ إذا ذُكرتْ لقَلبك يُشْغَف

تَجلو بِمسْواك الأَراك مُنظَّما ... عَذْباً إذا ضَحكت تَهلَّل يَنْطُف

وكأنّ رِيقَتها على عَلَل الكَرَى ... عَسَلٌ مُصفًّى فى القِلال[3] وقَرْقَف

وكأنها نَظرت بعَينى ظَبيةٍ ... تَحْنُو على خِشْفٍ لها وتَعَطَّف

وإذا تَنُوء إلى القِيام تَدافعت ... مثلَ النَّزيف[4] ينُوء ثُمّت يَضْعُف

ثَقُلت روادفُها ومال بخَصْرها ... كَفَلٌ كما مال النَّقا المُتقصِّف

ومنها:

تلك التى كانتْ هَوايَ وحاجتى ... لو أنّ دارًا بالأَحبَّة تُسْعِف

وإذا تُصِبْك من الحوادث نَكبةٌ ... فاصبر فكُلّ مُصيبة سَتكَشَّف

---

(١) تجذف: تسرع. وفى بعض أصول الأغانى: «مجذف».

(٢) ذو خشب: واد على مسيرة ليلة من المدينة.

(٣) القلال: جمع قلة، وهى الكوز الصغير، أو الجرة ما كانت. والقرقف: الخمر.

(٤) النزيف: السكران.

ولئن بكيتُ من الفِراق صَبابةً إنّ الكبير إذا بكى ليُعَنَّف
عجباً من الأيام كيف تصرَّفت والدارُ تدنو مرةً[١] وتقذَّف
أصبحتُ رهناً للعُداة مُكبَّلاً أُمسى وأُصبح فى الأَداهم أَرْسُف
وأستنكرتْ ساقِ الوَثاقَ وساعِدِى وأنا أمرؤٌ بادى الأَشاجع[٢] أَعْجَف
ولقد تُضرِّسنى الحرُوبُ وإنّنى أُلْفَى بكُل مخافة أتعسَّف

ومنها يفتخر.

إنّى لطَلاَّب التِّرات مُطلَّبٌ وبكُل أسباب المنية أُشرف
باقٍ على الحِدْثان غيرُ مكذَّبٍ لا كاسفٌ بالِى ولا مُتأسِّف
إنْ نِلْتُ لم أفْرح بشىء نِلتُهُ وإذا سُبقتُ به فلا أتلهَّف
إنى لأَحمى فى المَضيق فَوارسى وأكُرُّ خَلْف المُستَضاف[٣] وأَعْطف
وأَشُدّ إذ يَنْبو[٤] الجَبان وأَصْطَلِى حَرَّ الأَسنَّة والأَسِنّة تَرْعُف
فلئن أصابتنى الحرُوب فإنّنى أُدعى إذا مُنع الرِّداف فأُرْدِف
ولربّما يَرْوَى بكفّى لَهْذَمٌ ماضٍ ومُطَّرِد الكُعوب[٥] مُثقَّف
وأُغير غارات وأَشهد مَشهداً قلبُ الجَبان به يَطير ويَرجُف
وأَرى مَغانمَ لو أَشاء حَويتُها فيصُوننى[٦] عنها غِنًى وتَعفُّف

مدح النعمان ابن بشير لوساطته فى عطاء

قيل:

إن أعشى همدان خَرج إلى الشام فى خلافة مروان بن الحكم، فلم يَنل فيها

(١) تقذف: تبعد.
(٢) الأشاجع: أصول الأصابع. وأعجف: قليل اللحم.
(٣) المستضاف: من يفزع إليه غيره ويلتجىء إليه. يريد الشجاع الحامى لما وراءه.
(٤) فى بعض أصول الأغانى: «يكبو».
(٥) اللهذم: السيف. ومطرد الكعوب: الرمح المتتابعة كعوبه. والمثقف: المسوى.
(٦) فى الأغانى: «فيصدنى».

حظًّا ، فجاء إلى النُّعمانِ بن بَشير الأَنصارى ، وهو عامل على حمص ، فكلم له النُّعمان اليمانيةَ وقال لهم : هذا شاعر اليمن ولسانُها ، واستماحهم له . فقالوا : نعم ، يُعطيه كُل رجل منّا دينارَيْن من عطائه . فقال: لا ، بل أعطُوه ديناراً ديناراً واجعلوا ذلك مُعجَّلا . فقالوا: أعطه إيّاه من بيت المال واُحتَسبها على كُل منّا من عطائه . ففعل النُّعمان . فكانوا عشرين ألفَ رجل ، فأَعطاه عشرين ألفَ دينار ، واُرتجعها منهم عند العَطاء . فقال الأعشى يَمدح النُّعمان بن بَشير :

فلم أَرَ للحاجات عنـد اُلتماسها ... كنُعمانَ نُعمانِ النَّـدَى ابن بَشِيرِ
إذا قال أوفى ما يَقُولُ ولم يكُن ... كَمُـدْلٍ إلى الأقوام حبـلَ غُرور
متى أكفرِ النُّعمانَ لم أُلْفَ شاكراً ... وما خيرُ من لا يقتـدِى بشَكُور
فلولا أخو الأَنصـار كنتُ كنازلٍ ... ثَوى ما ثَوى لم يَنقْلب[1] بنقـير

طلق زوجه وتزوج أخرى

وذُكر أنَّ الأَعشى كانت عنده اُمرأة من قومه ، يقال لها : أُم الجلال ، فطالت مُدتها عنده فأَبغضها . ثم خَطب اُمرأةً يقال لها : جَزلة ، فقالت : لا، حتّى تُطلِّق أُم الجَلال . فطلَّقها وقال فى ذلك :

تقـادم وُدّكِ أُمَّ الجَـلالِ ... فطاشتْ نِبالُكِ عنـد النِّضالِ
وطال لزُومك لِى حِقْبَــةً ... فرثَّتْ قُوَى الحَبْل عند[2] الوِصال

ومنها :

وكان الفؤاد بهـا مُعجَبًـا ... فقد أَصبح اليومَ عن ذاك سالِى
فبعضَ العِتـاب فلا تَهْلِـكِى ... فَلا لكِ فى ذاكَ خـيرٌ ولا لى
ولمّـا بدا لىَ منهـا البَـذا ... ءُ صبّحتُها بثـلاثٍ عِجَـال

---

(١) النقير : النكتة فى ظهر النواة . يضرب بها المثل للقليل .
(٢) فى الأغانى : « بعد » .

ثلاثٍ [١] خرجْنَ جميعاً بهـــا فخلَّيتهـــا ذاتَ بيتٍ ومال
إلى أهلهـــا غـيرَ مخلوعةٍ وما مَسَّها عندنا من نَكال
فحِنِّى حَنِينَـك واشتيقى بأنَّا أطَّرحنـــاك ذاتَ الشمال
وأَنْ لا رُجوع فلا تُـكْذَبِيـ ـنَ ما حَنَّتِ النِّيبُ إثْرَ الفِصال
ولا تحسبى أنّى [٢] قـد نَدِمْـ ـتُ كَلَّا وخَالِقنا ذِى الجلال

فقالت له أُم الجلال : بئس والله بعلُ الحُرة وقرينُ الزوجة المُسلمة أنت ! أَعَدَدْتَ طُول الحُرمة والصُّحبة ذنباً تسُبنى به وتَهجونى له ! ثم دعت عليه أن يُبغِّضه الله إلى زَوجته التى اختارها ، وفارقتْه . فلما انتقلتْ « جَزلة » إليه ودخل بها لم يَحْظ عندها ، وتَركتْه وتنكَّرت له ، واشتدّ شغفُه بها ، وقال فيها قصيدتَه التى منها الأبياتُ التى فيها الغناء ، وافتتح بها أبو الفرج أخباره ، وأوّلُها :

حَيِّيا جَزْلةَ منِّى بالسَّـلامِ دُرَّةَ البَحر ومِصباحَ الظَّلامِ
لا تَصُـدِّى بعـد وُدٍّ ثابتٍ واسْمَعى يا أُم عِبسى من كَلامى
إن تَـدُومى لى فوصلى دائمٌ أو تَهُمِّى لى بهَجْرٍ وانْصرام
أو تكونى مثـلَ بَرْقٍ خُلَّبٍ خادعٍ يَلمع فى عُرض الغَمام
أو كتَخْييـلِ سَرابٍ مُعْرضٍ بفَلاة أو طُروقٍ فى المَنـام
فاعلمى إن كنت لمّا تعلمى ومتى ما تَفْعلى ذاك تُلامى
بعـد ما كان الذى كان فلا تُتْبعى الإحسـانَ إلَّا بالتَّمام
واذكرى الوعـدَ الذى واعدتِنى ليـلةَ النِّصف من الشَّهر الحَرام
لا تناسَىْ كُلَّ ما أعطيتِنى من عُهود ومَواثيق عِظام

(١) فى الأغانى : « ثلاثاً » .
(٢) فى بعض أصول الأغانى : « ولا تحسبينى بأنى ندمت » .

راجعى الوصلَ ورُدِّى نظرةً لا تَلَجِّى فى طِمَاحٍ وأَثام

وإذا أنكرتِ منِّى شيمةً فلقد يُنْكَر ما ليس بذَام

فاُذكريها لى أُزِلْ عنها ولا تُسْفِحِى عينيك بالدّمع السِّجام

وأرى حبلكِ رثًّا خَلَقًا وحبالى جُدُداً غيرَ[1] رِمَام

ورأت جسمى عليه[2] كَبْرَةٌ وصُروفَ الدّهر قد أَبلت عِظامى

وهى بيضاء على مَنْكِبها قَطَطٌ جَعْدٌ ومَيَّال[3] سُحامِى

وإذا تَضْحك تُبدى حَبَباً كرُضَاب المِسْك فى الرّاح المُدام

كَمَلَتْ ما بين قَرْنٍ فإلى مَوضع الخلخال من تحت[4] الخدام

وأراها اليومَ لى قد أحدثتْ خُلُقاً ليس على العهد القُدام

أملق فمدح ابن عتاب فأجازه

وقيل :

أملق أعشى همدان ، فأتى خالدَ بن عتّاب بن وَرقاء ، وأنشده :

رأيتُ ثناءَ النّاس بالغَيْب[5] طيباً عليكَ وقالوا ماجدٌ وابْنُ ماجدِ

بَنِى الحارثِ السّامين للمَجد إنكم بَنيتم بناءً ذِكرُه غيرُ بائد

هَنيئاً لِما أعطاكُمُ اللهُ واعْلموا بأنى سأُطرى خالداً فى القَصائد

فإن يَكُ عَتّابٌ مَضى لسبيله فما مات مَن أبقى[6] له مثلَ خالد

فأمر له بخمسة آلاف درهم .

---

(١) رمام : بالية .

(٢) فى الأغانى : « علاه » .

(٣) القطط : القصير . والسحامى : الأسود ، على النسبة ، وخفف للشعر . وفى الأغانى : « سخام » بالخاء المعجمة . وهو اللين الحسن من الشعر . وعلى هذه الرواية فى البيت إقواء .

(٤) الخدام : الخلخال . والرواية فى الأغانى : « الخلخال منها والخدام » .

(٥) فى الأغانى : « بالقول » مكان « بالغيب » .

(٦) فى الأغانى : « يبقى » .

أنشد سابق لعمر ابن عبد العزيز من شعره فأبكاه

وقيل :

إنّ عمر بن عبد العزيز رضى الله عنه قال يوماً لسابق البَربرىّ، وقد دخل عليه : أَنشدنى يا سابق شيئًا من شعرك تذكِّرنى به . قال : أوَ خيراً من شعرى ؟ قال : هات . فأنشده للأعشى الهَمدانى :

و بينا المرءُ يُمسى ناعمًا جَـذِلاً في أهله مُعجَباً بالعيش[1] ذا أَنَقِ

غِرًّا أُتيح له من حَيْنـه عَرَضٌ فمـا تلبَّث حتى مات كالصَّعِق

ثُمَّتَ أَضحى ضُحًى من غِبِّ ثالثةٍ مُقنَّعاً غـيرَ ذى رُوح ولا رَمَق

فمـا تزَوَّدَ ممَّا كان يَجْمعُـه إلا حَنُوطًا وماواراه من[2] خِرَق

وغيرَ نَفْحَـــةِ أعواد تُشَبُّ له وقَلَّ ذلك من زادٍ لمُنْطلق

فبكى عُمر رحمه الله تعالى حتى اُخضَلَّت لحيتُه .

مقتـــله

ذكر مقتل الأعشى

قيل : بعث الحجّاج بن يوسف الثَّقفى ، وهو يومئذ أميرُ العراق ، لعبد الملك ابن مَروان . عبدَ الرَّحمن بن محمد بن الأَشعث بن قَيس الـكِنْدىّ ، فى عسكر كَثيف لقتال التُّرك ، وفى ذلك الجيش الأعشى وخَلْق من القُرّاء والوجُوه وأَهل النَّباهة . وكانت وطأة الحجّاج قدثقُلت على الناس. فأَجمعوا على خَلع الحجّاج. فخَلعوه و بايعوا عبدَ الرحمن بن الأشعث . فأَقبـل بالناس يُريد العراق للاُستيلاء عليه وطَرْد الحجّاج منه . وجعل الأعشى يقـول الشِّعر فى اُبن الأَشعث يَمدحه ويُحرِّض أَهلَ الـكُوفةَ بأشعاره على القتال . فـكان ممّا قاله فى ذلك :

(١) الأنق : الفرح والسرور .

(٢) رواية الأصل : « إلا حنوطاً غداة البين أو خرق » . والحنوط : طيب يعد للموتى .

يأبَى الإله وعــــزةُ ابن مُحمّدٍ وجدودُ مَلْك قبل آل ثَمُودِ
أن تأنسوا بمُذَمَّمين عُروقُهم فى الناس إن نُسبوا عروقُ عَبيد
كم من أبٍ لك كان يعقِد تاجَه بجَبين أبلجَ مِقْولٍ صِنْديد
و إذا سألت المَجد أين محلُّه فالمجدُ بين محمَّد وسَعيد
بين الأشجِّ و بين قيسٍ باذخٌ بَخْ بَخْ لوالده وللمَوْلود
ما قصَّرت بك أنْ تنال مَدى العُلاَ أخلاقُ مكرُمة و إرثُ جُدود
قَرْمٌ إذا سامَى القُرومَ تَرى له أعراقَ مَجْدٍ طارفٍ وتَليد
و إذا دعا لِعظيمةٍ حُشدت له هَمْدان تحت لوائه المَعْقود
يمشُون فى حَلق الحديد كأنّهم أُسْد الأَباء (١) سَمِعْن زَأْر أُسود
و إذا دعوتَ بآل كِنْدة أجْفلوا بكُهول صِدْقٍ سيِّدٍ ومَسُود
وشبابِ مأسَدة كأنّ سُيوفَهم فى كُل مَلْحمة بُروقُ رُعود
ما إن ترى قيساً يُقارب قَيسَكم فى المَكْرُمات ولا تَرى كسعيد

وجاءت الحجاجَ الأمدادُ من الشأم ، وكانت بينه و بين ابن الأشعث الوَقْعة العظيمة المَعروفة بوقعة الجماجم ، وغيرها . وكان الأعشى شديد التَّحريض على الحجّاج فى تلك الحُروب . فذُكر أنّ أصحاب ابن الأشعث جالوا جَولةً ثم عادوا ، فنزل الأعشى عن سَرجه ونزَعه عن فَرسه ونَزع دِرْعه فوضعها فوق السَّرج ثم جلس على الدِّرع فأَحدث فى السَّرج ، والناس يرَوْنه ، ثم قال لهم : لعلكم أنكرتُم ما صنعتُ ؟ قالوا : أَوَليس هذا بمُنكر ؟ قال : كُلكم قد سَلَح فى سَرْجه ودِرعه خوفاً وفرقاً ، ولكنكم سَتَرْتُموه وأظهرتُه . فَحمِي القومُ وقاتلوا قتالاً شديداً

(١) الأباء : جمع أباءة ، وهى الأجمة .

يومَهم إلى الليل. وشاع فيهم الجِراحُ والقَتل . وأنهزم أصحاب الحجّاج يومئذ . ثم عاودوهم من غدٍ وقد نكأتْهم الحربُ وجاءهم مَدد من الشّأم ، فباكروهم القِتال وهم مُستريحون، فأنهزم ابن الأشعث أقبحَ هزيمة .

هو والحجاج ومقتله

قيل :

وأُتى الحجاجُ بالأعشى أسيراً ، فقال له الحجاج : الحمد لله الذى مكّن منك ، ألستَ القائل :

لمّا سَموْنا[1] للكَفُور الفتّانْ ... بالسيِّد الغِطْريف عبد الرحمنْ

سار بجَمْعٍ كالقَطَا مِن قَحْطان ... ومِن مَعَدٍّ قد أتى ابنُ عَدْنان

أمكن ربِّى من ثقيف هَمْدان ... يوماً إلى اللّيل يُسَلِّى ما كان

إنّ ثقيفاً منهم الكذّابان ... كذّابُها الماضِى وكذّاب ثان

أوَلست القائل :

يابن الأشجِّ قَريع[2] كِنْــدة لا أُبالى فيك عَتْبا

أنت الرّئيسُ ابن الرّئيـس وأنتَ أعْلَى الناسِ كَعْبا

نُبِّئْتُ حجّاجَ بن يو سفَ خَرَّ مِن زَلَقٍ فتَبّا

فانهضْ هُدِيت لعلّه يَجْلو بك الرحمنُ كَرْبا

وابعث عَطيّةَ فى[3] الجُنـود يَكُبّهن عليه كَبّا

كلّا يا عدوّ الله ، عبد الرحمن هو الذى خَرّ من زَلَق فتَبّ ، وخار[4]

(١) فى بعض أصول الأغانى : « سفونا » . و سفا : خف وأسرع .

(٢) الأشج : الأشعث بن قيس الكندى ، جد عبد الرحمن بن محمد ، مخاطب الأعشى فى هذا الشعر . والقريع : السيد .

(٣) عطية ، هو ابن عمرو العنبرى . كان على مقدمة جيوش عبد الرحمن بن الأشعث ، وكان لا يلقى خيلا إلا ضربها .

(٤) خار : انكسر وضعف . ورواية الأغانى : « حار » .

وأُنكبّ ، وما لقى ما أحبّ . ورفع بها صوتَه وأربدّ بها وجهه واُهتز منكباه . فلم يبقَ فى المجلس أحدٌ إلّا هَمّته نفسُه وأرتعدت فرائصُه . فقال له الأعشى : أنا القائل أيها الأمير :

أَبَى اللهُ إلّا أن يُتمِّم نُورَه ... ويُطفِىء نار الفاسقين فتَخْمُدَا

ويُنزل ذُلًّا بالعراق وأهله ... كما نَقضوا العهدَ الوثيق المُؤكَّدا

وما لَبِث الحجّاجُ أن سَلّ سَيفَه ... علينا فولّى جمعُنا مُتبدِّدا

وما زاحف الحجّاجُ إلّا رأيتَه ... حُساماً مُلَقًّى للحُروب مُعوَّدا

فكيف رأيتَ اللهَ فرّق جَمْعهم ... وفرّقهم عُرْضَ البِلاد وشرّدا

بما نَكثُوا من بَيْعةٍ بعد بَيْعةٍ ... إذا ضَمِنوها اليوم خاسُوا بها غَدا

وما أحدثوا من بِدعةٍ وعَظيمةٍ ... من القَوْل لم تَصْعد إلى الله مَصْعدا

فصَار بنا[1] الحجّاجُ دون صُفوفنا ... كِفَاحاً ولم يَضْرب لذلك مَوعدا

بجُنْد أمير المُؤمنين وخَيْله ... وسُلطانُه أمسى مُعاناً مُؤيَّدا

لِيَهنىء أميرَ المُؤمنين ظُهورُه ... على أمة كانوا بُغاةً وحُسَّدا

وَجدنا بنى مَرْوانَ خيرَ أئمة ... وأعظمَ هذا الخَلق حِلْماً وسُؤدُدا

وخيرَ قُريش من قُريش أرومةً ... وأكرمَهم إلّا النبىّ محمّدا

إذا ما تدبّرنا عَواقب أمرِنا ... وجدنا أمير المُؤمنين المُسدَّدا

سيُغلب قومٌ غالبوا اللهَ[2] جهلةً ... وإنْ كايدوه كان أقوى وأكيَدا

كذاكَ يُضِلُّ اللهُ مَن كان قلبُه ... مَريضاً ومَن وَالى النِّفاق وألْحدا

وقد تركوا الأموال والأهلَ خلفهم ... وبِيضاً عليهنّ الجَلابيبُ[3] خُرَّدا

---

(١) فى الأغانى : « فصادمنا » .

(٢) ويروى : « سيغلب قوماً غالبوا الله جهرة » .

(٣) الخرد : الخفرات من النساء . جمع نادر لخريدة .

يُنادينهم مُستعبراتٍ إليهمُ ... ويُذْرِين دَمْعًا فى الخُدود و إثمِدا
فإلّا تنَاوَلْهن منك[1] برَحمةٍ ... يكُنَّ سَبايا والبُعولةُ أَعْبُدا
تَعَطَّف أميرَ المُؤمنين عليهمُ ... فقد تَركوا أَمر السَّفاهة والرَّدَى
لعلّهمُ أن يُحدِثوا العامَ تَوبةً ... وتَعرفَ نُصْحًا منهمُ وتَودُّدا

فقال من حَضر من أهل الشأم : قد أَحسن أيها الأمير ، فخَلِّ سبيلَه . فقال : أتظُنون أنه أَراد المَدح ؟ لا والله ! ولكنّه قال هذا أسفاً لغَلبتكم إيّاه ، وأراد أن يحُض أصحابه . ثم أقبل عليه فقال : أَظننتَ يا عدوَّ الله أنك تَخدعنى بهذا الشِّعر وتُفلت منِّى حتى تنجو ! ألستَ القائل و يلك :

بين الأَشجّ و بين قَيس باذخٌ ... بَخْ بَخْ لوالده وللمَولُودِ

والله لا تَنجح بعدها أبداً ! ألست القائل :

وأصابنى قومٌ وكنتُ أُصيبهم ... فاليومَ أَصبرُ للزَّمان وأَعرفُ

كذبتَ والله ! ما كنتَ صبوراً ولا عَرُوفاً! ثم قلتَ بعده:

و إذا تُصِبْك من الحوادث نكْبةٌ ... فاْصبر فكُل غَيَابة ستَكشَّفُ

أما والله لتكونن نكبة لا تَنْكشف غَيَابتُها أبداً . يا حَرسىّ، اُضربْ عُنُقه . فضُربت عُنقه .

مصيرابن الأشعث

قلت :

وكان آخر أمر اُبن الأَشعث أَنْ هَرب إلى ملك التُّرك فاْستجار به. فكاتب الحجاجُ ملكَ التُّرك فى تَسليمه إليه و بَذل له بذلاً ، والتزم أنه لا يَغزوه مُدّةً . فسلَّمه ملكُ التُّرك إلى مَن وَرد إليه من عند الحجّاج . فمضَوْا به إليه . فبات ليلةً

(١) فى الأصل : « فإلاتنالوهن منكم » .

على سَطح عالٍ فى بعض المَنازل ، واُغتنم غفلةً ممن يحْرُسه ، ثم رَمى بنفسه من السَّطح ، فمات أنفةً وحميَّـةً لئلا يقَع فى يد الحجّـاج . وفى ذلك يقول أبو بكر ابن دُريد :

وابنُ الأشجِّ القَيل[1] قاد نَـفْسه ... إلى الرَّدى حِذارَ إشماتِ العِـدا

(١) القيل : الملك .

أخبار حماد الراوية

نسبه وولاؤه

هو حماد بن مَيسرة . وقيل : ابن سابور ، مولى بنى شَيبان .

علمه وصلة بنى أمية له عليه

وكان من أعلم الناس بأيّام العرب وأخبارها وأشعارها وأنسابها ولُغاتها . وكانت مُلوك بنى أُمية تُقدِّمه وتُؤثره وتستزيره . ويَقدم عليهم ويُنادمهم ، ويسألونه عن أيام العرب وعُلومها ويجزلون صِلته .

بينه وبين الوليد ابن يزيد وقد سأله عن لقبه

وذُكر أن الوليد بن يزيد قال له : بما استحققْتَ هذا اللَّقب ، فقيل لك : حماد الرَّاوية ؟ قال : بأنى أروى لكل شاعر تعرفه يا أمير المؤمنين أو سمعتَ به ، ثم أَروى لأكثر منهم ممن تعرف بأنك لم تعرفهم ولم تسمع بهم ، ولا أُنْشَد شعراً لقديم ولا مُحدث إلّا ميزت القديم منه من المُحدث . فقال : إن هذ العِلْم وأبيك لكثير ! فكم مقدارُ ما تَحفظ من الشِّعر ؟ قال : كثير ، ولكنى أُنشدك على أىّ حَرف من حُروف المُعجم مائة قَصيدة كبيرة سِوى المُقطَّعات من شعر الجاهلية ، دون شعر الإسلام . قال : سأَمتحنك فى هذا الأَمر . وأمره بالإنشاد . فأَنشد حتى ضَجر الوليد ، ثم وكَّل به من أستحْلفه أن يَصْدُقه عنه ويستوفىَ عليه . فأنشده ألفين وتِسعمائة قَصيدة للجاهليين . وأُخبر الوليد بذلك . فأَمر له بمائة ألف .

الحمادون الثلاثة

وقيل :

كان بالكوفة ثلاثةُ نَفَر يقال لهم : الحمَّادون — حمّاد عَجرد ، وحمّاد الراوية ، وحماد بن الزِّبْرقان — يتنادمون على الشَّراب ، ويتناشدون الأَشعار ، ويتعاشرون مُعاشرة جَميلة ، وكانوا كأنّهم نفسٌ واحدة ، وكانوا يُرْمَون بالزّندقة جميعاً .

(١) وقبل أخبار حماد ساق أبو الفرج « أخبار أحمد النصبى » المغنى فى صفحات قليلة ، ولكن ابن واصل أضرب عن ذكرها .

وفوده إلى هشام بن عبد الملك

وحكى حمّاد قال :

كان انقطاعى إلى يزيدَ بن عبد الملك ، وكان هشام يَجْفونى لذلك دون سائر أهله من بنى أُمية فى أيّام يزيد ، فلما مات يزيدُ وأَفضت الخلافةُ إلى هشام جَفانى، ومكثت فى بَيتى سنة لا أخرج إلّا لمن أثق به من إخوانى سرًّا ، فلمّا لم أسمع أحداً يذكُرنى سنةً أَمِنْتُ وخرجتُ فصلَّيتُ الجُمعة ، ثم جلستُ عند باب الفِيل، فإذا شُرَطيّان قد وَقفا علىّ وقالا : يا حَماد،أَجِبالأمير يُوسفَ بن عُمر[1] . فقلتُ فى نفسى : مِن هذا كنتُ أحذر . ثم قلتُ للشرطيَّيْن : هل لكما أن تدعانى آتى أهلى فأُودّعهم وَداع مَن لا يرجع إليهم أبداً ، ثم أَصير إليه ؟ فقالا : ما إلى ذلك مِن سبيل . فاستسلمتُ فى أيديهما وصِرت إلى يوسف بن عُمر ، وهو فى الإيوان الأحمر ، فردّ علىّ السلامَ ورَمى إلىّ كتاباً فيه :

بسم الله الرحمن الرحيم . من عبد الله هِشام أمير المُؤمنين إلى يوسف بن عُمر . أما بعد . فإذا قرأتَ كتابى هذا فابعثْ إلى حمّاد الرّاوية من يأتيك به غير مُروَّع ولا مُتَعْتَع ، وادفع إليه خمسمائة دينار وجملاً مَهْرِيًّا[2] يَسير عليه اثنتى عشرةَ ليلةً إلى دمشق .

قال : فأخذت الخمسمائةَ الدينار ، ونظرتُ فإذا جَمل مَرْحول ، فوضعتُ رِجلى فى الغَرْز[3] وسِرْتُ اثنتى عشرةَ ليلةً ، حتى وافيتُ بابَ هِشام ، فاستأذنتُ فأُذن لى ، فدخلتُ عليه فى دار قَوْراء[4] مَفروشة بالرُّخام ، و بين كل رُخامتَيْن قضيبُ ذَهبٍ ، وحيطانُه كذلك ، وهشام جالسٌ على طِنْفِسَةٍ حمراء ، قد تَضمَّخ

---

(١) لعله خالد بن عبد الله القسرى ، لأنه عندما تولى هشام الخلافة سنة ١٠٥ ﻫ عزل عمر بن هبيرة عن ولاية العراق وولى مكانه خالد بن عبد الله القسرى ، فبقى على العراق حتى سنة ١٢٠ ﻫ . فعزله هشام وولى العراق يوسف بن عمر .

(٢) نسبة إلى : مهرة بن حيدان ، حى من قضاعة من عرب اليمن . تنسب إليهم نجائب الإبل .

(٣) الغرز : ركاب الرحل .

(٤) قوراء : واسعة .

بالمِسك والعَنبر ، و بين يديه مِسْك مَفْتوت فى أوانى الذّهب، يُقلِّبه بيـدَيه فتفوح روائحه، فسلّمتُ فَردَّ علىّ السلامَ ، وأَسـتدنانى ، فدنوتُ حتى قبّلت رجلَه، و إذا جاريتان لم أَرَ مثلَهما، فى أُذنَىْ كُلّ واحدةٍ منهما حَلْقتان من ذهب فيهما لُؤلُؤتان تتوقّدان . فقال : كيف أنت ياحمّاد؟ وكيف حالُك؟ فقلت : بخير يا أمير المُؤمنين . قال : أَتدرى فيم بعثتُ إليك ؟ قلت : لا . قال : بعثتُ إليك لبيتٍ خَطرِ ببالى لم أَدْرِ مَن قاله ؟ قلت : وما هو ؟ فقال :

فدعَوْا بالصَّبُوح يوماً فجـاءت قَيْنـةٌ فى يَمينهـا إبريقُ

فقلت : هذا يقوله عَدِىّ بن زَيد فى قصيدة له . قال : فأنشدنيها . فأنشدتُه :

بَكر العـاذلون فى وَضَح الصُّبْـ ـح يقُولون لى أمَا تَستفيقُ
لستُ أَدرى إذ أكثروا العَذْل عندى أعـدوٌّ يلُومنى أو صَـدِيق
ويلُومون فيك يا بنـة عبـد اللّـه والقلبُ عنـدكم[1] مُوَهُوق
زانهـا حُسْـنُها وفَرْعٌ عَميمٌ وأَثيثٌ صَلْتُ الجَبـين[2] أَنيق
وثَنـايا مُفلَّجـات عِـذاب لا قِصارٌ تُرى ولا هُنَّ[3] رُوق
فدعَوْا بالصَّـبُوح يوماً فجـاءت قَينـةٌ فى يَمينهـا إبْريق
قدّمتْـه على عُقـار كعَين الدِّ يك صَفَّى سُـلافَها[4] الرّاوُوق
ثم كان المِزاجُ ماءَ سمـاء غـيرَ ما آجن ولا مَطْروق

فطرب وقال : أحسنت والله يا حمّاد ! يا جارية أسقيه . فسقتْنى شَرْبةً ذهبت بثُلث عقلى، وقال: أعد . فأعدتُ . فاستخفّه الطَّرب حتى نَزل عن فَرشه . ثم قال : للجارية الأخرى: أسقيه شَربة . فسقَتْنى، فذهبت بثُلث عقلى. فقلتُ: إن سُقيت الثالثة

(١) موهوق : مشدود بالوهق ، وهو الحبل المغار .
(٢) الفرع : الشعر . والأثيث : الكثير . والصلت : الواضح . (٣) روق : طوال .
(٤) الراووق : المصفاة .

أُفتضحتُ . فقال : سَل حوائجك . فقلت : كائنةً ما كانت ؟ قال : نعم . قلت : إحدى الجاريتَيْن . قال : هما جميعاً لك بما عليهما وما لهما . ثم قال للأُولى : أُسقيه . فسقتْنى شَربة سقطتُ معها ، فلم أعقل . فلما أصبحتُ إذا بالجاريتين عند رأسى ، وإذا عشرةٌ من الخَدم مع كُل واحدٍ منهم بَدْرة . فقال لى أحدهم : أمير المؤمنين يقرأ عليك السلامَ ويقول لك : خُذ هذه فأنتفع بها فى سَفَرك . فأخذتُها والجاريتَيْن وأنصرفتُ .

ثم ذكر أبو الفرج روايةً أُخرى لم يذكُر فيها أنه سقاه . ورجَّحها أبو الفرج ، لأن هشام بن عبد الملك لم يثبُت عنه أنه كان يشرب مُسكراً ولا يَسقيه بحَضرته، وكان يَعيب السُّكر ويُعاقب عليه .

توسط مطيع له عند جعفر وسوء حظه

وذُكر أن جَعفر بن أبى جعفر المَنصور ، المعروف بأبن الكُرْديّة ، كان يَستخفّ مُطيع بن إياس ويُحبه ، وكان منقطعاً إليه ، وله معه منزلةٌ حَسنة . فذَكر مُطيع حماداً الراوية لجعفر ، وكان صديقَه ، وكان حمَّاد مُطَّرَحاً فى أيّام بنى العبّاس ، وإنما كانت سعادتُه فى أيام بنى أُمية . فقال له جَعفر : أْتنا به لنَراه . فأَتى مُطيعٌ حمَّاداً فأَخبره بذلك ، وأمره بالمَسير إليه معه . فقال له حماد : دَعنى ، فإن دولتى كانت مع بنى أُمية ، ومالى عند هؤلاء خَير . فأَبى مُطيع إلّا الذَّهابَ إليه . فأستعار حمّاد سواداً وسيفاً ثم أتاه . فمَضَى به مُطيع إلى جَعفر ، فلما دَخل عليه سلَّم سلاماً حَسناً وأثنى عليه وذَكر فَضله . فردّ عليه وأمره بالجُلوس ، فجلس . فقال له جعفر : أَنشدنى . فقال : لمن أيها الأمير ؟ لشاعر بعينه أو لمن حَضر ؟ قال : لجرير . قال : فَسلخ الله شعر جَرير من قَلبى إلا قولَه :

بانَ الخَليطُ برامتَيْن فودَّعوا ... أَوَكُلَّما أعْتزموا لبَيْنٍ تَجْزَعُ

(١) رامتان : رامة ، منزل فى طريق البصرة إلى مكة . يأتى فى الشعر مثنى ومجموعاً .

فاندفعتُ أُنشده إيّاها حتى انتهيتُ إلى قوله :

وتقول بوزَعُ قد دَببتَ على العصا هلّا هَزِئْتِ بغيرنا يا بَوْزَعُ

قال حماد : فقال لى جعفر : أعد . فأعدته . فقال لى : بَوزع ، أى شىء هو ؟ فقلت : امرأة اسمها بوزع . فقال : هو برىء من الله ورسوله ، ونفىٌّ من العبّاس ابن عبد المطلب إن كان بوزع إلّا غُولاً ! تركتنى والله يا هذا لا أنام الليلةَ من فَزع بوزع ! يا غِلمان ، قفاه ! فصُفِعْتُ والله حتى لم أدر أين أنا . ثم قال جُرُّوا برجله . فجرُّوا برجلى حتى خَرجتُ من بين يديه مَسْحوباً ؛ فتخرّق السَّواد ، وانكسر جفنُ السَّيف ، ولقيتُ شرًّا عظيما مما جرى علىّ . وكان أغلظَ من ذلك كلِّه وأشدَّه بلاءً إغرامى ثمنَ السَّواد وجفنِ السَّيف . فلما انصرفتُ أتانى مُطيع يتوجَّع لى . فقلتُ له : ألم أُخبرك أنِّى لا أُصيب منهم خيراً ، وأن حظِّى مَضى مع بنى أُمية .

طلب من بعض الرؤساء حاجة فقضاها له

وقيل :

كتب حمّاد إلى بعض أشراف الرُّؤساء :

إنّ لى حاجةً فرأيك فيها لك نَفسى فِدًى من الأَوْصابِ

وهى ليستْ مما يُبلِّغها غيْـ ـرى ولا يَستطيعها فى كِتاب

غيرَ أنى أقولُها حين ألقا كَ رُوَيْدًا أُسِرُّها فى حِجاب

فكتب إليه الرَّجلُ : اكتُب بحاجتك ولا تَشْهرنى بشعرك . فكتب إليه حمّاد :

إنّنى عاشقٌ لجُبَّتك الدَّكْـ ـناء عِشْقاً قد حال دون الشَّرابِ

فاكسُنيها فدتْك نفسى وأهلى أتَباهى بها على الأَصحاب

ولك اللهُ والأمانةُ أن أجـ ـعلَها عُمرَها أميرَ ثِيابى

فبعث إليه بها .

بدء حياته

وذُكر أنّ حمّاداً كان فى أوّل أمره يتشطَّر و يَصحب الصَّعاليك واللُّصوص ، فنَقَب ليلةً على رجل وأَخذ مالَه ، فكان فيه جُزء من شعر الأنصار ، فقرأه حمّاد وأستحلاه وتحفَّظه ، ثم طلب الأَدب والشِّعر وأيّام الناس ولغاتِ العرب بعد ذلك ، وترك ما كان عليه ، فبلَغ فى العِلم ما بلغ .

رأى المفضل فيه

وذُكر أن المُفضَّل الضَّبى كان يقول :

قد سُلِّط على الشعر من حمّاد ما أَفسده فلا يَصلح أبداً ! فقيل له : وكيف ذلك ؟ أَيُخطىء فى روايته أو يلحن ؟ قال : ليته كان كذلك ، فإن أهل العِلم يردُّون مَن أخطأ إلى الصواب ، لا ، ولكنّه رجلٌ عالم بلُغات العرب وأشعارها ، ومَذاهب الشعراء ومَعانيهم ، فلا يزال يقول الشِّعر يُشبه به مذهَب رجلٍ ، ويُدخله فى شعره ، ويُحْمَل عنه ذلك فى الآفاق ، فيختلط بأشعار القدماء ، ولا يَتميّز الصَّحيح منها إلّا عند عالم ناقد ، وأين ذاك !

رأى المهدى فيه وفى المفضل

وحكى بعضهم قال :

كُنَّا فى دار أمير المُؤمنين المَهدىّ بعيساباذ(١) ، وقد أُجتمع فيها عدّةٌ من الرُّواة والعُلماء بأيام العرب وآدابها وأشعارها ولُغاتها ، إذ خَرج بعض أصحاب المهدىّ ، فدَعا بالمُفضَّل الضَّبى الرّاوية ، فَدخل . فمكث مليًّا . ثم خرج ذلك الرجلُ بعينه فَدعا بحّماد الرّاوية . فدخل . فمكث مليًّا . ثم خَرج إلينا ومعه حمَّاد والمُفضَّل جميعاً ، وقد بان فى وَجه حمَّاد الأنكسار ، وفى وجه المُفضَّل النشاطُ . ثم خَرج حُسين الخادم بعدها ، فقال : يا معشرَ من حَضر من أهل العِلم ، إن أمير المُؤمنين يُعلمكم أنه قد وَصل حماداً الشاعرَ بعشرين ألف درهم ، لجودة

(١) كانت شرقى بغداد .

شِعره ، وأبطل روايتــه لِزيادته فى أشعار العرب ما ليس فيهــا ، ووَصل المُفَضَّل بخَمسين ألفاً لصِدْقه وصحّــة روايته ، فمن أراد أن يَسمع شعراً جيداً مُحدثاً فَلْيسمع من حمّاد ، ومن أراد رواية صحيحة فَلْيأْخذها من المُفَضَّل .

فسألنا عن السَّبب فى ذلك ، فأُخبرنا أن المَهــدىَّ قال للمُفضل ، لمّــا دعا به وحدَه : إنى رأيت زُهير بن أبى سُلْمى قد افتتح قصيــدته بأن قال :

دَع ذا وعَــدِّ القولَ فى هَرِمٍ خَير الـكُهول وسَيِّد الحَضَرِ

ولم يتقدَّم قولٌ قبــل ذلك ، فما الذى أمر نفسَه بتركه ؟ فقال له المُفَضَّل : ما سمعتُ فى هــذا يا أمير المؤمنين شيئاً ، إلا أنى توهّمتُــه يُفكر فى قول ليقوله ، أَو يُروِّى فى أن يقول شعراً ، فعدل عنه إلى مَدح هَرِم ، فقال : دَع ذا . أوكان مفكِّراً فى شيء من شأنه فتركه ، وقال : دع ذا ، أى دع ما أنت فيه من الفِــكر وعَدِّ القولَ فى هرم . فأمسك المهدىُّ عنه . ثم دعا بحمّاد فسأله عن مثــل ما سأل عنه المُفضل . فقال : ليس هكذا قال زُهير يا أمير المُؤمنين . قال : فــكيف قال ؟ فأنشده :

لمن الديار بقُنَّـــة الحَجْر أَقْوَيْنَ من حِجَجٍ ومن[1] دَهْرِ
قَفْر بمُنْدَفع النَّحــائت من صَفْوَى بذات الضَّال[2] والسِّدْر
دَع ذا وعَــــدِّ القولَ فى هَرِمٍ خــيرِ الـكُهول وسَـيِّد الحَضَر

فأطرق المهدىُّ ساعةً ، ثم أقبل على حماد فقال له : قد بلغ أميرَ المُؤمنين عنك خبرٌ لا بُدَّ من استحلافك عليــه . ثم استحلفه بأيمان البَيْعة وكُلِّ أيمان مُحْرِجة

(١) القنة : أعلى الجبل ، وما أشرف من الأرض . والحجر : موضع . ورواية الأغانى : « مذ حجج ومذدهر » .

(٢) النحائت : آبار بعينها . وصفوى : دون المدينة . والضال : السدر البرى ، فإن نبت على شطوط الأنهار ، فهو عبرى . وهو يريد به الأول ، فعطف عليه للمغايرة . والرواية فى الأغانى : « صفوى أولات » .

لَيَصْدُقَنَّه عن كُل ما يسأله عنه ، فحلف له . فلما توثّق منـه قال : أصدُقنى عن حال هـذه الأَبيات ومَن أَضافها إلى زُهير ؟ فأقرّ له حينئذ أنه قائلها . فأمر فيـه وفى المُفَضَّل بما أمر به من شُهرة أمرهما وكَشْفه .

الشعر الذى فيه الغناء

والشعرُ الذى فيه الغناء ، وافتتح به أبو الفرج أخبارَ حماد ، هو :

تَنكَّر من سُعْدَى وأَقفرَ من هِنْدِ ... مُقامُهما بين الرَّغامَيْن[1] فالْفَرْدِ

مَحلٌّ لسُـعْدى طالما سكنتْ به ... فأَوْحش ممَّن كان يسكُنه بَعدى

* * *

الصوت الذى فيه غناء عبادل

قلت :

ثم أَتبع أبو الفرج أخبـار حمّاد الراوية بأخبار عَبادل المُغنى ، ولم أجد فيها ما أختاره . ثم أتبع ذلك بذكر صوت فيه الغناء ، وهو :

ليست نَعمْ منك للعـافين[2] مُسْجَلةً ... من التخلُّق لـكنْ شـيمةٌ خُلُقُ

يكادُ بابُك من عِلْمٍ بصاحبـه ... من دُون بوّابه للنـاس[3] يَنـدلقُ

وذُكر أن البيت الأول من هذين البيتين لطُريح الثَّقفى من قَصيدة يمـدح بها الوليـدَ بن يزيد ، والثانى لإبراهيم بن هَرمة .

قصيدة طريح

فأما القصيدة التى لطريح فإنه يقول فى تَشبيبها :

تقول والعِيسُ قد شُـدَّت[4] بأرْحُلنا ... أَلْحَقَّ أنّك منّـا اليومَ مُنطلِقُ

قلتُ نعم فاكْظِمى قالت وما جَلَدى ... ولا أظُن اجتماعاً حين نفْـترِق

فقلت إنْ أَحْيَ لا أُطوِلْ بِعـادَكمُ ... وكيف والقلبُ رهنٌ عنـدكم[5] غَلَق

فارقتُهـا لا فؤادى من تَذكُّرها ... سـالِى الهُمومِ ولا حَبْلى لهـا خَلَق

---

(١) الرغام : رملة من نواحى اليمامة . وثناه الشاعر للضرورة . والفرد : موضع .
(٢) مسجلة : مبذولة أو مرسلة .
(٣) يندلق : ينفتح فى خفة وشدة .
(٤) فى رواية : « بأرحلها » .
(٥) غلق : أى لا فكاك له .

فاضتْ على إثرهم عيناكَ[١] أدْمُعها كما تتابع يجرى اللؤلؤ النَّسَق

فاُستبق عينَك لا يُودى البُكاء بها واُكفُفْ بوادرَ من عَيْنيك[٢] تَسْتبق

ليس الشُّؤون و إن جادت بباقيةٍ ولا الجُفونُ على هذا ولا الحَدَق

يقول فى المديح :

وما نَعَمْ منك للعافين مُسْجَلةٌ من التخلّق لكنْ شيمةٌ خُلُقُ

ساهمتَ فيها وفى «لا» فاُختصصتَ بها وطار قومٌ بلا والذَّمّ فاُنطلقوا

قومٌ همُ شَرَف الدُّنيا وسُؤدَدُها صَفْوٌ على الناس لم يُخْلَط بهم رَنَق

إن حاربُوا وَضَعوا أو سَالموا رَفَعوا أو عاقدوا أحْكموا[٣] أو حدّثوا صَدقوا

* * *

[رجع إلى أخبار ابن هرمة] .

ابن هرمة والعباس ابن الوليد

وأما البيت الثانى المَنسوب إلى اُبن هَرمة ، فذكر أبو الفَرج أن العبّاس اُبن الوليد بن عَبد الملك بن مَروان كان بَخيلاً لا يُحبُّ أن يُعطى أحداً شيئاً ، فقال : ما للشُّعراء تمدح أهل بيتى أجمع ولا تَمدحنى ! فبلغ ذلك اُبنَ هرمة ، وكان قد مَدحه فلم يُثبه ، فقال يُعرِّض به ويَمدح عبدَ الواحد بن سُليمان بن عبد الملك ابن مَروان :

ومُعْجَب بمديح الشِّعر يَمنعه من المديح ثوابُ الشِّعر[٤] والشَّفَقُ

يا آبِيَ المَدْح من قولٍ يُحبِّره ذو نِيقةٍ فى حَواشى شعره[٥] أَنَق

إنَّك والمدحَ كالعَذْراء يُعجبها حُسْن الرِّجال ويَثْنى قَلْبها الفَرَق

---

(١) فى الأغانى : « دمعهما » .
(٢) فى الأغانى : « بوادر دمع منك » .
(٣) فى الأغانى : « ضمنوا » .
(٤) فى الأغانى : « المدح » .
(٥) يحبره : يجوده ويحسنه . والنيقة : التجود فى الأمر والمبالغة فيه . والأنق : الروعة والحسن .

لـكنْ بمَدْين من مُفْضَى[(١)] سُوَيْمرة — من لا يُذَمُّ ولا يُشْنَا له خُلُق
أهلُ المـدائح تأتيـه فتَمْدحه — والمـادحُون إذا قالوا له صَـدَقوا

يقول فيها :

يكاد بابُك من جُودٍ ومن كَرم — من دُون بوّابه للنـاس ينْدَلق

حَـكى ابنُ هرمة قال :

ابن هرمـة وعبد الواحد ابن سـليمان

كان أولُ من رفعنى فى الشـعر عبدُ الواحد بن سُليمان بن عبـد الملك ، فأخذ علىّ ألّا أمدح غيرَه ، وكان والياً على المدينة ، فكان لا يَدَع برّى وصِلتى والقيام بمؤونتى . فلم يَنْشَب أن عُزِل ووُلّىَ غيره مكانَه . وكان الوالى من بنى الحـارث ابن كَعب . فَدَعَتْنى نَفْسى إلى مَدْحه طمعاً أن يَهب لى ، كما كان عبـدُ الواحد يهب لى ، فمدحتُه ، فلم يَصنع بى ما ظننتُ . ثم قَدم عبدُ الواحد المدينةَ فأُخبر أنى مدحتُ الذى عُزل به . فأمر بى فحُجبت عنه ، ورُمت الدُّخول عليه ، فمُنعتُ . فلم أَدَعْ بالمدينة وجهاً ولا رجلاً له نَباهة وقَدْر من قُريش إلّا سألته أن يشفع لى فى أن يُعيـدَنى إلى منزلتى ، فيأبى ذلك ولا يَفعله . فلما أعوزتْنى الحِيلُ أتيتُ عبدَ الله بن الحَسَن بن الحسَن بن علىّ بن أبى طالب رضى الله عنهم ، فقلتُ : يابن رسول الله ، إن هـذا الرجل قد أكرمنى وأخذ علىّ ألّا أَمدح أحداً غيرَه ، فأعطيتُه بذلك عهـداً ، ثم دعانى الشَّره والنَّـكَدُ إلى أن مدحتُ الوالى بعـده . وقَصصتُ عليـه قصّتى وسألته أن يَشفع لى . فرَكِب معى . فأخبرنى الواقفُ على رأس عبد الواحد أنّ عبد الله لمّا دخل ، قام عبدُ الواحد فعانقَه وأجلسه إلى جَنْبه ثم قال : أحاجةٌ غدت بك أصلحك الله ؟ قال : نعم . قال : كُل حاجة مَقْضـية إلّا ابنَ هرمة . قال : إن رأيت ألّا تَستثنى فى حاجتى فأفعل . قال : قد فعلتُ .

(١) مدين : تجاه تبوك بين المدينة والشام . وسويمرة : فى نواحى المدينة .

قال : لحاجتى أبنُ هرمة . قال : قد رَضِيتُ عنه وأعدته إلى منزلته . قال : فتأذن له أن يُنشدك ؟ قال : فتُعْفِينى من هذه ؟ قال : أسألك أن تفعل . قال أُئتوا به . فدخلتُ عليه وأنشدتُه قولى فيه :

وجدنا غالباً كانت جناحاً وكان أبوك قادمةَ الجَناحِ

فغضب عبدُ الله بن الحسن حتى أنقطع رِزّه[1] ، ثم وثب مُغضَباً . وأوجزت فى الإنشاد ، ثم لحقتُه فقلت : جزاك الله خيراً يا بن رسول الله ! قال : لكن لا جزاك خيراً ياماصّ بَظْر أُمه ! تقول لأبن مَرْوان :

* وكان أبوك قادمة الجَنَاح *

بحَضرتى ، وأنا أبنُ رسول الله صلّى الله عليه وسلّم ، وأبن على بن أبى طالب ؟ فقلت : جَعلنى الله فِداك ! إنى قلتُ قولاً أخدعه به طلباً للدُّنيا ، ووالله ما قِسْتُ بكم أحداً قَطُّ ، ألم تَسمعنى قد قلتُ :

* و بعض القول يذهب بالرِّياح *

فضَحك عبدُ الله وقال : قاتلك الله ! ما أظرفك !

قال أبو الفرج :

وهذه القصيدة الحائية ، التى مَدح بها أبنُ هرمة عبدَ الواحد بن سُليمان ، من فاخر الشِّعر ونادر الكلام ومن جيِّد شعر أبن هَرمة خاصّةً ، وأولُها :

صَرَمْتَ حَبائلاً من حُبِّ سَلْمى لهندٍ ما عَمَدتَ لمُسْتَراحِ
فإنك إن تُقِم لم تَلْق هِنْداً و إن تَرْحل فقلبُك غيرُ صاحى
يَظَلُّ نهارَه يَهذِى بهندٍ و يأْرَق ليلَه حتّى الصّباح
أعبدَ الواحد المَحْمُودَ إنّى أَغَصُّ حِذار سُخطك بالقَراح

(١) الرز : الصوت .

فشُلَّت رَاحتَاى ومال مُهرى وألقانى بمُشْتَجر الرِّماح
وأَقعدنى الزّمانُ فبتُّ صِفراً من المال المُعزَّب[1] والمُراح
إذا فَخَّمْتُ غيرَكَ فى ثَنَائى ونُصْحى فى المَغيبة وامْتداحى
كأنّ قصائدى لك فاصْطنعنى كرائمُ قد عُضِلْنَ[2] عن النِّكاح
فإن أكُ قد هَفَوْتُ إلى أمير فعَنْ غير التطوُّع والسَّماح
ولكن سَقْطةٌ كُتبتْ[3] علينا و بعضُ القول يَذْهب فى الرِّياح
لعمرك إنّنى وبَنِى عَدِىّ ومَن يَهوى رَشادِى أو صَلاحى
إذا لم تَرْض عنِّى أو تَصِلْنى لفى حَيْنٍ أُعالجه مُتَاح
و إنك إن حَطَطْتُ إليك رَحْلى بغَرْبِىّ الشَّرَاة[4] لذُو ارتياح
هَشَشتَ لحاجةٍ ووعدتَ أُخرى ولم تَبْخل بناجزة السَّراح
وجَدْنا غالباً كانت جَناحاً وكان أبوك قادمةَ الجَناح
إذا جَعل البخيلُ البُخْل تُرْساً وكان سلاحَه دُون السِّلاح
فإنَّ سلاحك المَعروفُ حتى تَفوزَ بعِرْض ذى شِيَم صِحَاح

بين الجمحى و بينه فى مدحه عبد الواحد

وذَكر عبدُ الله بن إبراهيم الجُمحىّ قال :

قلتُ لابن هَرْمة : أتمدح عبد الواحد بن سُليمان بشعر ما مدحتَ به أحداً غيره ، فتقول فيه :

وجدنا غالباً كانت جناحاً وكان أبوك قادمةَ الجَناح
أعبد الواحد المَحْمودَ إنى أَغَصُّ حِذَار سُخْطك بالقَراح

(١) المال : الإبل . والمعزب : الذى يبيت فى المرعى ولم يرح . والمراح : الذى رد إلى مأواه .
(٢) عضلن : منعن . (٣) فى رواية : « عيبت » . (٤) الشراة : صقع بالشام .

فبأى شىء أستوجب هـذا منك ؟ فقال : أُخبرك بالقصّة لتعذُرنى : أصابتنى أزمة وقَحْمة[١] بالمدينة ، فاستنهضتْنى ابنـةُ عمِّى للخُروج ، فقلت لها : إنه ليس عندى ما يُقِلُّ جَناحى . فقالت : أنا أُنهضك بما أمكننى.وكانت عندى نابٌ لى، فنهضتُ عليها حتى دفَعْتُ إلى دمشق ، فأويتُ إلى مسجد عبد الواحد فى جَوف الليل ، فجلستُ فيه أنتظره ، إلى أن نظرتُ إلى بُزوغ الفجر ، فإذا البـاب يَنْفلق عن رجل كأنه البدر ، فدنا فأذّن وصلّى ركعتين ، فتأمّلته فإذا هو عبـد الواحد ، فقُمت فدنوتُ منـه وسلّمت عليه . فقال : يا أبا إسحاق ، أهلاً ومرحباً . فقلتُ : لَبَّيك ، بأبى أنت وأمى ،حيَّـاك الله بالسَّلام وقرّبك من رضوانه. فقال : أما آن لك أن تزُورنا! فقدطال العَهد واشتدّ الشوق ، ما وراءك ؟ فقلت : لا تسألنى بأبى أنت وأمى ، فإنّ الدهر قد أَخْنَى علىّ ، فما وجدتُ مُستغاثاً غيرَك . فقال: لا ترُعْ ، فقد قدمتَ على ما تُحبّ إن شاء الله . فوالله إنى لأُخاطبه إذا بثلاثة فِتْيَة كأنّهم الأشطان[٢] ، فسلّموا عليه. فاستدنى الأكبر منهم فهمَس إليه بشىء دُونى ودون أخوَيْه . فمضى إلى البيت ثم رَجع فجلس إليـه فكلّمه بشىء ثم ولّى . فلم يلبث أن خَرج ومعه عبدٌ ضابط[٣] يحمل عِبْئاً من الثّيـاب حتى ضَرب به بين يدىّ . ثم هَمس إليه ثانية ، فعاد . وإذا به قد رجع ومعـه مثلُ ذلك ، فضَرب به بين يدىّ . فقال لى عبدُ الواحد: اُدْن أبا إسحاق، فإنى أعلم أنك لم تَصر إلىّ حتى تَفاقم صَدْعك ، فخُذ هذا وارجع إلى عيالك ، فوالله ما سَلَلْنا لك هذا إلّا من أشداق عِيالنا، ودفع إلىّ ألف دينار ، وقال لى: قُم فارحل فأَغِثْ مَن وراءك . فقُمت إلى

(١) القحمة : القحط والسنة الشديدة .

(٢) الأشطان : جمع شطن ، وهو الحبل .

(٣) ضابط : قوى شديد .

الباب ،فلما نظرتُ إلى ناقتى ضِقْت . فقال لى : ما أظُن هذه مُبْلغتك ! يا غُلام ، قَدِّم إليـه جَملى فلاناً . فوالله لـكنتُ بالجمل أشـدَّ سُروراً منى بكُل ما نِلْته . فلا تَلومنِّى أن أغَصّ حِذار سُخط هذا بالقَراح .

بين المهدى وأبيه المنصور وقد قصر فى جائزته

وذُكر أن أبن هرمة دخل على المَنصور فقـال : يا أمير المُؤمنين ، إنّى قد مدحتُك مدحةً لم يَمدح أحدٌ أحداً بمثلها .فقال : وما عسى أن تقول فىّ بعد قول كَعب[1] فى آل المُهلب :

بَراكَ اللهُ حين براكَ بَحـراً وفَجَّر منك أنهـاراً غِزارَا

فقال له : قد قلتُ أحسن من هذا . قال : هاتِ . فأنشده :

له لَحَظاتٌ عن حِفـافَىْ سَريره إذا كَرَّها فيهـا عِقـابٌ ونائِلُ
فأُمُّ الذى أَمَّنتَ آمنـةُ الرَّدى وأُمُّ الذى خَوَّفتَ بالثُّكل ثاكِل

فأمرَ له بأربعـة آلاف دِرهم . فقال له أبنه المَهـدىّ : يا أمير المؤمنين ، قد تكلّف إليك فى سَـفره نَحوها . فقال له المَنصور : يا بُنى، قد وهبتُ له ما هو أعظم من ذاك ، وهبت له نَفسه ، أليس هو القائل لعبد الواحد بن سُليمان :

إذا قيـل مَن خَيرُ مَن يُرتَجى لمُعـترٍّ[2] فهْرٍ ومُحْتاجِهـا
ومن يُعجل الخَيلَ يومَ الوَغى بإلجامهـا قبـل إسراجهـا
أشارتْ نِسـاءُ بنى مالكٍ إليكَ بها قَبْـل أزواجهـا

وهذا الشِّعر من فاخر شِعر أبن هَرمة ، وأولها :

أَجارتَنـا رَوِّحى نَغْمةً على هائمِ النَّفس مُهْتاجِهـا
فلا خَـيْر فى وُدِّ مُسْـتكرِهٍ ولا حاجةٍ قبـل إنْضاجهـا

(١) هو كعب بن معدان ، من الأزد ، وأمه من عبد القيس . وستأتى ترجمته .
(٢) المعتّر : المتعرض للمعروف دون أن يسأل .

يقول فى المديح :

إلى مَلِكٍ لا إلى سُــوقةٍ كَسَته المُلوك ذُرَا تَاجهــا
تَحُــلُّ الوُفـــودُ بأبوابهِ فتلْقى الغِنَى قبــل إرْتاجهــا
رَكُود الجِفان غداةَ الصَّــبا ويومَ الشَّمال[1] و إرْهاجهـا

هو ورسول المنصور وقد دسه عليه

وحَــكى محمدَ بن سُليمان بن المنصور قال :

وجَّه المنصور رسولاً قاصـداً إلى أبن هَرْمة ودَفع إليه ألف دينـار وخِلعة ، ووَصفه له وقال : أمْض إليه ، فإنك تراه فى مجلس كذا من المَسجد ، فأنتسب له إلى بنى أُمية ومواليهم ، وأسأله أن يُنشدك قصيدتَه الحائية التى يَمدح بها عبدَ الواحد أبن سُليمان :

وجدنا غالباً كانت جَنَــاحاً وكان أبوك قادمةَ الجَنَــــاح

فإن أنشدكها فأخرجه من المسجد وأضْرب عُنقه وجئنى برأسه ، و إن أنشدك قصيدتى اللاميــة التى يَمدحنى فيها ، فأدفع إليــه الألف الدينار والخِلعة ، وما أراه يُنشدك غيرها ، ولا يعترف بالحائية . وأتاه الرسولُ فوجده كما قال المنصور ، فجلس فأستنشده قصيدتَه فى عَبد الواحد . فقال : ما قلتُ هــذه القصيدةَ ولا أعرفها ، و إنما نَحلها إياى من يُعادينى . ولــكن إن شِئتَ أنشدتُك أحسن منهــا . فقال : قد شئتُ فهات . فأنشده :

* سَرى ثوبَه عنك الصِّبا المُتخايل *

حتى أتى على آخرها . ثم قال : هات ما أمر لى به أميرُ المؤمنين أن تَدفعــه إلىّ . فقال : أى شىء هو يا هذا ؟ فقال : دَع ذا عنك ، فوالله ما بَعث بك إلّا

(١) الركود من الجفان : الثقيل المملوء . والإرهاج : الامطار .

ومعك مالٌ وكُسوة ، وأمرك أن تسألنى عن هــذه القصيدة ، فإن أنشدتُك إيّاها ضربتَ عُنق وحَملت رأسى إليه ، وإن أنشدتُك هذه دفعتَ إلىّ ما حَمَّلك إياه . فضحك الرّسولُ وقال : صدقتَ لَعَمْرى ! ودفع إليه الألف دينار والخلعة .

قال : فما سمعنا شيئاً أعجبَ مِن حديثهما (١) .

---

(١) وجاء هنا آخر مخطوطة المتحف البريطانى : « والله أعلم بالصواب وإليه المرجع والمآب .

تم كتاب الأغانى بحمد الله تعالى على يد العبد الفقير محمد بن عبد الله خطيب جامع الشيخ علوان بحماه المحمية ، من كل بلية ، غفر الله له ولمالكه وللمسلين أجمعين فى العشر للآخر من شهر رمضــان المعظم من شهور سنة ألف ومائة وعشر . والحمد لله على التمام وعلى نبينا محمد أفضل الصلاة والسلام

أخبار المرقشين

الأكبر والأصغر

الأكبر وشىء عنه

أما الأكبر منهما فاسمُه عمرو — وقيل : عَوف — ابن سَعد بن مالك ابن ضُبيعة بن قَيس بن ثَعلبة بن عُكابة بن صَعْب بن علىّ بن بكر بن وائل . وإنما لُقِّب المرقِّش لقوله :

الدارُ وحشٌ والرُّسوم كما رقَّش فى ظَهر الأَديم قَلَمْ

وهو أحدُ من قال شعراً فلُقِّب به . وهو أحد المُتيَّمين ، كان يَهوى ابنة عمه أَسماء بنت عَوف بن ضُبيعة .

الأصغر وشىء عنه

وأما الأصغر فهو ابن أخى المُرقِّش الأكبر . وهو رَبيعة بن سُفيان بن سَعد ابن مالك — وقيل : عمرُو بن حَرملة بن سَعد بن مالك — وهو أحد المتيَّمين أيضاً ، كان يهوى فاطمةَ بنت الملك المُنذر ويُشبِّب بها .

من شجاعتهما

وكان للمرقِّشَيْن معاً موقع ، فى بكر بن وائل وحُروبها مع بنى تَغلب ، وبأسٌ وشجاعة ، ونَجدة وتقدُّم فى المَشاهد ، ونِكاية فى العدوّ وحُسن أثر .

عم الأكبر وشىء من شجاعته

وكان عَوف بن مالك بن ضُبيعة ، عمُّ المرقِّش الأكبر ، من فُرسان بكر ابن وائل ، وهو القائل يوم قِضة ، وهو أحد الأيام التى كانت فيها الحربُ بين بكر وتغلب : أفى كل يوم فِرار ! أَمَا ومَحْلوفى لا يَمُرّ بى رجلٌ من بكر بن وائل منهزماً إلا ضربتُه بسيفى . فسُمِّى « البُرَكَ » يومئذٍ .

أخو الأكبر وشىء من شجاعته

وكان أخوه عمرُو بن مالك من فُرسان بكر . وهو الذى أَسر مُهلهل بن ربيعة، أخا كُلَيْب : التقيا فى خَيْلين من غير مُزاحفة ، فى بعض الغارات بين بكر

وتغلب،في موضع يقال له : نقَا الرَّمل. فانهزمت خيلُ مُهلهل،وأدركه عمرُو بن مالك فأَسره ، فانطلق به إلى قومه، وهم فى نواحى هَجَر، فأحسن إساره. ومر عليه تاجر يبيع الخمر قَدِم بها من هَجَر ، وكان صديقاً لمُهَلْهل يَشترى منه الخمر . فأَهدى إليه وهو أسير زِقَّ خَمر ، فاجتمع إليــه بنو مالك فنَحروا عنده بكراً وشَربوا عنـد مهلهل فى بيته . وقد أَفرد له عمرٌو بيتاً يكون فيه . فلما أخذ فيهم الشرابُ تَغنَّى مُهلهل فيما كان يقوله من الشِّعر و ينُوح به على كُليب . فسَمع ذلك عمرُو بن مالك ، فقال : إنه لريَّان ، والله لا يَشرب عندى ماءً حتى يَرِدَ رَبيبٌ — يعنى جملاً كان لعمرو بن مالك ، كان يتناول الدِّهاسَ[1] من أجواف هَجر فيرعى فيهـا غِبًّا بعد عَشر فى حَمارَّة القيظ —فطلبت رُكْبانُ بنى مالك رَبيباً ، وهم حِراصٌ على ألّا يُقتل مُهلهل ، فلم يَقـدروا على البعير حتى مات مُهلهـل عطشاً . وكان هَبَنَّقةُ القَيسىّ ، أحد بنى قيس بن ثعلبة، واسمه يزيد بن ثَرْوان، مُحمَّقاً، وهو الذى تَضرب به العرب المَثل فى الحُمق ، يقول : لا يكون لى جَمل أبداً إلّا سميتهُ ربيباً . يعنى أن ربيباً مُباركاً لقَتله مُهلهلاً .

تعشقه ابنة عمه و حديث زواجها وموته

وذُكر أن المُرقِّش الأكبر عَشِق ابنة عمِّه أسماء بنت عَوف بن مالك ، وهو البُرَك ، فخطبها إلى أبيها ، فقال : لا أُزوِّجك حتى تُعرَف بالبأس — وهذا قَبل أن تخرج ربيعـة من أرض اليمن — وكان يَعده فيها المَواعيـد . ثم انطلق مُرقِّش إلى مَلك من المُلوك ، فـكان عنـده زماناً ، ومَدحه فأجازه . وأصاب عوفاً زمانٌ شديد ، فأتاه رجلٌ من مُراد،أحد بنى غُطيف، فأَرغبه فى المال ، فزوّجه أَسماءَ على مائة من الإبل ، ثم تنحَّى عن بنى سَـعد بن مالك . ورجع مرقِّش . فقال إخوتُه : لا تُخبروه إلا أنهـا ماتت . فذَبحوا كبشاً وأكلوا لحمــه ودَفنوا عِظامه ولفُّوها فى مِلْحَفة ثم قَبروها . فلما قَدِم مُرقِّش عليهم أَخبروه أنها ماتت ، وأتَوْا به

(١) الدهاس : المكان السهل ليس برمل و لا تراب .

موضعَ القبر، فنظَر إليه. وكان بعد ذلك يعتاده ويَزُوره. فبينا هو ذاتَ يوم مُضطجع وقد تغطَّى بثوبه، وابنا أخيه يلعبان بكَعْبين لهما، إذ اختصما فى كَعب، فقال أحدهُما: هذا كعبي أعطانيه أبى من الكبش الذى دفنوه، وقالوا: إذا جاء مُرقِّش أخبرناه أنه قبر أسماء. فكشف مُرقِّش عن رأسه ودعا الغُلام، وكان قد ضَنِي ضَنًى شديداً، فسأله عن الحديث. فأخبره بتزْويج الُمراديّ أسماء. فدعا مُرقِّش وليدةً له ولها زَوج من غُفَيلة، وكان عَسيفاً[1] لمرقِّش، فأمرها أن تدعوَ له زوجَها، فدعتْه، وكانت له رَواحل، فأمره بإحضارها ليطلب الُمراديّ. فأحضره إياها. فركبها ومَضى فى طَلَبه، فمرِض فى الطريق حتى ما يُحمل إلا معروضاً. وإنهما نزلا كهفاً بأسفل نَجران، وهى أرض مُراد، ومع العُقيليّ امرأته وليدةُ مرقِّش، فسمع مرقِّش زوجَ الوليدة يقول لها: اتركيه فقد هَلك سقماً وهلكنا معه ضُرًّا وجُوعاً. فجعلت الوليدةُ تبكى من ذلك. فقال لها زوجُها: أطْعنى[2] فإنِّى تاركُك وذاهبٌ. وكان مرقِّش يكتب — كان أبوه دفعه وأخاه حَرملة، وكانا أحب ولده إليه، إلى نَصرانىّ من أهل الحيرة فعلَّمهما الخَط — فلما سمع مرقِّش قول العُقيلى كَتب مرقِّش على مُؤخَّرة الرَّحل هذه الأبيات:

يا صاحبيّ تلبَّثا لا تَعْجَلَا ... إنّ الرَّواح رهينُ ألا تفْعَلَا
يا راكباً إمّا عرضتَ فبلِّغا ... أنَس بن سَعدٍ إن لقيتَ[3] وحَرْمَلا
لله دَرُّكما ودَرُّ أبيكما ... أن يُفلت الغَفَلِيُّ[4] حتى يُقْتَلا
من مُبلغُ الأَقْوام أنّ مُرقِّشاً ... أضحى على الأصحاب عِبئاً مُثْقِلا
وكأنما تَرِدُ السِّباعُ بشِلْوه ... إذ غاب جمعُ بنى ضُبَيْعة مَنْهَلا

(١) العسيف: الأجير.
(٢) فى الأغانى: «أطيعينى».
(٣) أنس وسعد: أخوا المرقش.
(٤) فى المفضليات: «إن أفلت». والرواية فى الأغانى: «إن أفلت العبدان».

وانطلق الغفَلى وامرأتُه حتى رجعا إلى أهلهما، فقالا : مات المرقِّش . ونظر حرملةُ إلى الرَّحل فجعل يقلِّبه ، فقرأ الأبيات ، فدعاهما وخوَّفهما وأمرهما أن يَصْدُقاه ، ففَعلا ، فقتَلهما . وقد كانا وَصفا له الموضعَ . فركب فى طلب المُرقِّش حتى أتى المكان ، فسأل عن خَبره ، فعَرف أن مرقِّشاً كان فى الكهف ولم يزل فيه، حتى إذا هو بغنم تَنزو على الغار الذى هو فيه، فأقبل راعيها إليها، فلما بَصُر به قال له : من أنت ؟ وما شأنك ؟ فقال له المُرقِّش : أنا رجل من مُراد ، فراعى من أنت ؟ قال : راعى فلان . فإذا هو راعى زَوج أسماء . فقال له المرقِّش : أتستطيع أن تُكلم أسماء امرأة صاحبك ؟ قال : لا ، ولا أدنو منها ، ولكن تأتينى جاريتُها كلَّ ليلة فأَحلُب لها عَنزاً فتأتيها بلَبَنها . فقال له : خُذ خاتمى هذا فإذا حلبتَ فأَلْقه فى اللَّبن ، فإنها تعرفه ، وإنك ستُصيب به خيراً لم يصبه راعٍ قَطُّ إن أنت فعلت ذلك . فأَخذ الرَّاعى الخاتَم . ولما راحت الجاريةُ بالقَدح وحَلب لها العَنْز طَرح لها الخاتم فيه . فانطلقت به الجاريةُ وتركته بين يديها . فلما سكنت الرَّغوة أخذتْه فشربته . وكذلك كانت تفعل ، فقرع الخاتَم ثَنِيَّتها . فأخذتْه واستضاءت بالنار ، فعرفتْه . فقالت للجارية : ما هذا ؟ فقالت : ما لى به عِلْم. فأَرسلتها إلى مولاها فأَقبل فزعاً ، فقال : لم دعوتِنى ؟ فقالت : اُدْع عبدَك راعى غَنمك. فدعاه . فقالت : سَلْه أين وجد هذا الخاتَم ؟ فقال : وجدتُه مع رجل فى مَوضع كذا ، فقال: اُطرحه فى اللَّبن الذى تَشربه أسماء ، فإنك تُصيب به خيراً ، وما أدرى مَن هو ، ولقد تركتُه بآخر رمَق . فقال لها زوجها : وما هذا الخاتَم ؟ فقالت : خاتَم مرقِّش ، فأَعجل الساعةَ فى طلبه . فركب فرسَه وحَملها على فرس آخر حتى طرقاه من ليلتهما ، فاحتملاه إلى أهلهما ، فمات عند أسماء . وقال قبل موته :

سَرى نحوى[١] خيالٌ من سُلَيمى فأرّقنى وأصحابى هُجودُ

فبتُّ أُدير أمرى كُلَّ حالٍ وأذكر أهلَها وهمُ بَعيد

على أن قد سَما طَرْفى لنارٍ يُشَبُّ لها بذى الأَرْطَى[٢] وَقُود

حوالَيْها مَهاً بِيضُ التَّراقى وآرامٌ وغِزلانٌ رُقود

نواعمُ لا تُعالج بُؤْس عَيشٍ أوانسُ لا تَروحُ[٣] ولا تَرُود

يَرُحْن معاً بِطاءَ المشى[٤] روداً عليهن المَجاسد والبُرود

سَكنَّ ببلدةٍ وسكنتُ أُخرى وقُطِّعَتِ المواثقُ والعُهود

فما بالى أَفِى ويُخان عَهْدى وما بالى أُصاد ولا أُصِيد

ورُبَّ أسيلة الخدَّين بِكرٍ مُنعَّمة لها فرعٌ وجِيد

وذو أُشُرٍ[٥] شَتِيتُ النَّبتِ عذبٌ نَقِىُّ اللَّون بَرَّاقٌ بَرود

لهوتُ بها زماناً فى شَبابى وزارتْها النَّجائب والقَصِيد

أُناسٌ كلما أُخلفتُ وصلاً عَنانى منهمُ وصلٌ جَديد

الشعر الذى فيه الغناء

والشِّعرالذى فيه الغِناء، واُفتتح به أبوالفرج أخبار المُرقِّش الأكبر، هو :

النَّشر مسكٌ والوُجوه دنا نيرٌ وأطرافُ الأكُفِّ عَنَمْ

والدارُ وحشٌ والرُّسوم كما رَقَّش فى ظَهر الأَديم قَلَمْ

فهذه أخبار المُرقِّش الأكبر.

الأصغر وخبره مع فاطمة

فأما خَبر الأصغر ، وهو الذى تقدم ذكر نَسبه ، وهو ابن أخى الأكبر ، وعمّ طَرَفة بن العَبد . وهو أشعر المُرقِّشين وأطولُهما عمراً . وهو الذى عَشِق فاطمة بنت الملك المُنذر .

(١) فى الأغانى : « ليلا » مكان « نحوى » .
(٢) الأرطى : شجر ينبت بالرمل ، عصيا من أصل واحد ،ويطول قدر قامة .
(٣) تروح . من الرواح . وهو مع العشى. وترود : تسعى طالبة باحثة . وكأنه جعله فى مقابل الرواح نهاراً . أى لايعنين أنفسهن مع الإمساء والإصباح .
(٤) رودا : على مهل . وفى الأغانى : « بدا » أى كثيرات لحم الفخذين .
(٥) الأشر : تحزز فى الأسنان .

وخبره معها: أنه كانت فاطمة هذه لها وليدة يقال لها: بنت عَجْلان . وكان لها قصر بكاظمة وعليه حَرس . وكان الحرسُ كُلَّ ليلة ينثُرون التراب حول القَصر الذى فيه فاطمةُ ويَجُرُّون عليه ثوباً حتى يستوى،فلا يدخل عليها إلا أبنةُ عَجلان . فإذا كان الغد بَعث الملكُ بالقَافة فينظرون أثر من دخل عليها و يعودون فيقولون : لم نَر إلى أبنة عَجلان .

وكان لبنت عَجْلان كلَّ عُشية رجل ممن يُعجبها يبيت معها . وكان مرقِّش تِرْعية[1] لا يفارق إبله.فأقام يوماً، وتَركَ إبله ظمأى . وكان من أجمل الناس وجهاً وأحسنهم شَعراً . وكانت فاطمة بنت المنذر تَقْعد فوق القصر تنظر إلى الناس . فجاء مرقِّش فبات عند أبنة العَجلان ، حتى إذا كان الغد تَجرّدت عند مولاتها ، فقالت : ما هذا بفَخِذيك ؟ فإذا نُـكَتٌ كأنها آثار السِّياط من شدة حَفْزه إياها عند الجِماع . فقالت : آثار رجل بات معى الليلة . وكانت فاطمةُ قالت لها : قد رأيتُ رجلاً جميلاً راح نحونا العشيةَ لم أره قبل ذلك . قالت : فإنه فتًى قَعد عن إبله وكان يرعاها ، وهو الفتى الجميلُ الذى رأيتِه ، وهو الذى بات معى الليلةَ فأثر فىّ هذه الآثار . فقالت لها فاطمة : إذا كان غدٌ وأتاك فقدِّمى له مِجمراً ومُريه أن يجلس عليه وأعطيه سِواكاً ، فإن استاك به أو رَدَّه فلا خَير عنده ، و إن قعد على المِجمر أو رَدَّه فلا خير عنده . فأتته بالمِجمر فقالت : أجلس عليه . فأبى وقال : أَدْنيه منِّى، فدخَّن لحيته وجُمَّته وأبى أن يَقعد عليه ، وأخذ السواك فقَطع رأسه وأستاك به . فأتت أبنةُ عجلان فاطمةَ بنت الملك فأخبرتْها بما صنع . فازدادتْ به عجباً وقالت: أئتنى به. فتعلَّقت به كما كانت تتعلّق. فمضى معها وحملتْه على ظَهرها، وحزمت على بطنها بثوب وأدخلتْه[2] إليها . فبات معها . فلما أصبح الملك بعث

---

(١) التِرعية ، مثلثة التاء : الذى يحسن رعية الإبل .

(٢) الرواية فى الأغانى : « حملت بنت عجلان مرقشاً على ظهرها و حزمته إلى بطنها بثوب » .

بالقَافة فنظروا ، ثم عادوا إليه فقالوا : رأينا آثار ابنة العجلان وهى مُثقلة . فمكث كذلك حيناً يدخُل إليها . وكان عمرو بن جَناب بن عوف بن مالك يَرى ما يفعل ولا يعرف مَذْهبه . فقال له : ألم تكن عاهدْتنى عهداً ألّا تكتمنى شيئاً ولا أكتمك ولا نتكاذب ؟ فأخبره مُرقِّش الخبرَ . فقال له : لا أرضى عنك ولا أكلمك أبداً أو تُدْخلَنى عليها ، وحلف على ذلك . فانطلق مرقِّش إلى المكان الذى كان يواعد فيه ابنة عَجلان ، فأجلسه فيه وانصرف ، وأخبره كيف يصنع . وكانا مُتشابهيْن ، غير أن عمراً كان أشعر . فأتتْه ابنة عَجلان فاحتملتْه وأدخلته إليها . وصَنع ما أمره به مرقِّش . فلما أراد مُباشرتها وجدتْ مسّ شعر فَخذيه واستنكرته، فإذا هو يُرْعَد . فدفعتْ صدرَه وقالت : قَبحَ الله سرًّا عند المُعَيْدىّ ! ودعت بنت عَجلان ، فذهبتْ به . فلما رأى صاحبُه أنه قد أسرع الكرّة ولم يلبث إلّا قليلاً ، علم أنه قد افتضح . فعضّ على إصبعه فقطعها . ثم انطلق إلى أهله وترك إبله التى كان مُقيما فيها ، حياءً مما صنع ، وقال فى ذلك قصيدةً أولها :

ألَا يا سَلْمَى لا صُرْمِ لِى اليومَ فاطمَا ولا أبداً ما دام وصلُكِ دائمَا

ومنها :

صحا قلبُه عنها على أنّ ذِكرةً إذا خَطرتْ دارتْ به الأرضُ قائما

ومنها :

وإنى لأستحيى فُطَيمةَ جائعًا خَميصاً وأستحيى فُطيمةَ طاعِما
وإنى وإنْ كَلّت قَلُوصى لراجمٌ بهـا وبنفسى يا فُطَيم المَراجما

ومنها :

أفاطمَ لو أنّ النِّساء ببلدةٍ وأنتِ بأخرى لاُتبعتُك هائما
متى يشأ ذو الودّ يَصْرِم خليلَه ويَغْضَبْ عليه لا محالةَ ظالما

فمن يلق خيراً يحمد الناسُ أمره ... ومن يَغوِ لا يَعدم على الغيّ لائما

وآلى جَنابٌ حِلفةً فأطعتَه ... فنفسَك وَلِّ اللَّوْمَ إن كنتَ[1] نادما

ألم تر أنّ المرء يَجْذم كفّه ... ويَجْشَم من لَوْم الصّديق[2] المَجاشما

أمن حُلُم أصبحتَ تنكُت[3] واجماً ... وقد تَعْتَرى الأحلامُ مَن كان نائما

ثم ذكر أبو الفرج وقعة «دُولاب» لتعلّقها بشعر فيه الغِناء، فذكرها مُختصرة .

---

(١) فى بعض أصول الأغانى: « لائما » .

(٢) يجذم : يقطع . ويجشم : يركب المكروه .

(٣) الواجم : الحزين المغتم ، وهو كثيراً ما ينكت الأرض ويخطط فيها بعود .

وقعة دولاب

الخوارج

لما حَكَّم أميرُ المُؤمنين علىّ بن أبى طالب رضى الله عنه ، ومعاوية بن أبى سُفيان الحكَمين : أبا موسى الأشعرىّ وعمرو بن العاص، فارق عليًّا رضى الله عنه جماعةٌ من أصحابه وأكفروه بسبب التَّحكيم ، وقالوا : إنه حكَّم الرجال فى دِين الله ، ولا حَكَم إلا الله عزّ وجلّ . فدعاهم ووَعدهم ووَعظهم وأقام عليهم الحُجة . فأَصرّوا على ضَلالهم وعِنادهم. إلا فِرقة عَرفت الحق ورجعت إليه . ثم قاتل علىّ رضى الله عنه من أَصَرّ على الخرُوج عليه بالنَّهروان فأبادهم. وهذه الفرقة هى المارقة الذين أخبر عنهم رسُولُ الله صلى الله عليه وسلم أنهم يَمْرقون من الدّين كما يَمرق السهمُ من الرَّمية . ومَذْهبهم تولِّى أبى بكر وعُمر رضى الله عنهما خاصةً ، والتَّبرى من عثمان وعلىّ ، وطلحة ، والزُّبير ، وعائشة ، ومعاوية ، وأهل الشام والعراق ، وكُل من لم يَقُل بقولهم . ويكفِّرون أهل دار الإسلام ، ويَستبيحون الدماء والأموال . وكانوا مع ذلك يُظهرون التعبُّد والتقشُّف . وسَمَّوا أنفسهم الشّراة ظنًّا منهم أنهم قد شَرَوْا أنفسهم لله وبذلوها فى اتّباع مَرضاته. ومن هؤلاء القوم: عبدُ الرحمن بن مُلجم ، قاتل علىّ رضى الله عنه .

نافع بن الأزرق والحرب بينه وبين أهل البصرة

ولما أفضت الخلافةُ إلى مُعاوية صار يَخرج عليه منهم الطائفةُ بعد الطائفة . وظهر فيهم بعد موت معاوية وابنه يزيد ، رجلٌ يقال له : نافع بن الأزرق ، فأحدث فيهم مقالةً لم تكن قبل ذلك ، وأَباح قَتْل أطفال المُخالفين ، واُحتجّ بقوله تعالى: (وَلاَ يَلِدُوا إلا فَاجِراً كَفَّاراً) . واُتبعته طائفةٌ منهم يقال لهم الأزارقة، نِسبةً إليه . وخالفه فى ذلك سائر الخوارج وتَفرّقوا فرقاً كثيرة ، تُذكر فى كُتب المقالات .

وكان أهل العِراق لما مات يزيد بن معاوية قد أمّروا على أنفسهم عبد الله بن الحارث بن نوفل بن الحارث بن عبد المُطلب المعروف بِبَبَّة (١). فقصد نافعُ بن الأزرق ومن معه من الخوارج العراق وبَذلوا السيف وقتلوا الرجال والنّساء والولدان. وكانوا كلما وطئوا بلداً فعلوا به هذا، فإن أجابهم أهلُ ذلك البلد إلى الدُّخول في ملّتهم رفعوا السيف عنهم ووضعوا عليهم الجِباية. فاشتدت شوكتُهم، وعظُم أمرهم. فحرّض الأحنفُ بن قيس الناسَ بالبصرة على حَربهم، وطَلب منه عبدُ الله بن الحارث أن يؤمِّر أميراً يَنهر الناس على فعالهم. فأمّر مُسلم بن عُبيس بن كُريز بن ربيعةَ، واجتمع إليه عشرة آلاف، وكان فارساً شجاعاً ديِّنا. فلما نفذ من جسر البصرة أقبل على الناس وقال: إنى ما خرجتُ لامتيار ذهب ولا فضة، وإنى لأحارب قوماً إن ظفرتُ بهم فما وراءهم إلّا سُيوفهم أو رماحهم، فمن كانت نيته الجهاد فَلْينهض، ومن أحب الحياة فَلْيرجع. فرجع نَفر يسير ومَضى الباقون معه. وذلك فى سنة خمس وستين. فلما صاروا بدُولاب، وهى قَرية من قُرى الأهواز بينها وبين الأهواز أربعة فراسخ، خَرج إليهم نافع، فاقتتلوا قتالاً شديداً حتى تكسّرت الرِّماح، وعُقِرت الخيل، وكثُرت الجِراح والقَتلى، وتَضاربوا بالسُّيوف والعَمَد. فقُتل فى المَعركة ابن عُبيس أمير جيش البَصرة، ونافع بن الأزرق أمير الخوارج. وكانت الخوارج يومئذٍ نحو ستمائة رجل. فقام بأهل البصرة الربيعُ بن عمرو الغُدانى، وقام بأمر الخوارج عبدُ الله بن بِشر بن الماحُوز — وكان الرَّبيع يقال له: الأجذم، لأنّ يده كانت أُصيبت بكابُل مع عبد الرحمن بن سَمُرة — فبقيت الحربُ بينهم نيِّفاً وعشرين يوماً، فأصبح الرَّبيع بن عمرو ذاتَ يومٍ فقال لأصحابه: إنِّى مقتول لا محالة. قالوا: وكيف؟ قال: إنى رأيتُ البارحةَ كأن يدى التى أُصيبت بكابُل انحطّت من السماء، فاستَشلتْنى (٢). فلما كان من الغد قاتل إلى اللّيل، ثم غاداهم

(١) لقب به لكثرة لحمه فى صغره.
(٢) استشلتنى: استنقذتنى.

القِتال . فقُتل يومئذٍ . فقام بأمر أهل البصرة الحجّاج بن باب الحميرىّ . وقد اُقتتل الناسُ يومئذٍ وقَبله بيومين قِتالاً شـديداً ، لم يَقْتتلوا مثلَه ، تَطاعنوا بالرِّماح حتى تقَصَّفت ، ثم تَضاربوا بالسُّيوف والعَمد حتى لم يَبْق لأحد منهم قُوة ، وحتى كان الرَّجل يَضرب الرجل فلا يُغنى شيئاً من الإعياء ، وحتى كانوا يترامَوْن بالحجارة ويتكادمون [1] بالأفواه . وقاتل الحجّاجُ بن باب قتالاً شديداً . ثم اُختلف هو وعِمْران بن الحارث الرَّاسبىّ بضَرْبتين ، كُل واحد منهما قَتل صاحبه . ثم تحاجزوا، وأصبح أهلُ البصرة وقدهَرب عامّتهم. وقام بأمر أهل البصرة حارثةُ بن بدر الغُدانى. وجاء للخوارج مَدد من اليمامة فقوُوا به ، واُنهزم حارثة بمن معه من أهل البصرة . وتبعتْهم الخوارجُ ، فألقى أهل البصرة أنفسهم فى دُجيل ، فغَرِق منهم خَلْق كثير، وسلمت بقيّتُهم . ففى ذلك يقول قَطرىٌّ بن الفُجاءة المازنى من الخوارج — وقيل: قائله صالح بن عبد الله العَبْشَمىّ . وقيل: عَمرو القَنا . وقيل: حَبيب بن سهم — وهو الشعر الذى فيه الغناء واُفتتح به أبو الفرج خَبر وقعة دولاب ، وهو :

لعمرك إنّى فى الحياة لزاهـدٌ ... وفى العيش مالم أَلْقَ أُمَّ حَـكيم
مِن الخَفِرات البِيض لم أَر مِثْلَهـا ... شِفـاءً لذى بَثٍّ ولا لِسَقيم
لعمرُك إنّى يومَ أضرب وَجْهها ... على نائبات الدَّهر غَـيرُ حَليم
فلو شهدتْنى يومَ دُولاب أبصرتْ ... طِعانَ فتىً فى الحرب غَير [2] ذَميم
غَداةَ طَفَتْ عَلْماءِ [3] بكرُ بن وائلٍ ... وأُلافها مِن حِمْيرٍ [4] وسَلِيم
ومال الحجازيّون نحـوَ بلادهم ... وعُجْنا صُدورَ الخيـل نحو تَميم
وكان لعبد القَيْس أول جدِّها ... وولّتْ شُيوخُ الأَزد فهى [5] تَعوم

(١) يتكادمون : يتعاضون .
(٢) فى الأغانى : « لئيم » .
(٣) يريد : على الماء .
(٤) هو سليم بن منصور بن عكرمة ، بالتصغير ، وكبر للوزن .
(٥) فى البيت إقواء .

ولم أر يوماً كان أكثر مُقْعَصًا يَمُجّ دماً من فائظٍ (١) وكَليم
وضاربةً خدًّا كريماً على فتًى أغرّ نجيبِ الأُمهات كَريم
فلو شَهِدتنْا يومَ ذاك وخيلُنا تُبيح من الكُفّار كُلّ (٢) هَزيم
رأت فِتيةً باعُوا الإله نفوسَهم بجنّات عَدْن عنده ونَعيم

شيء عن أم حكيم

وذُكر أن أُم حكيم التى عناها الشاعر كانت أمرأة من الخوارج مع قَطَرىّ بن الفُجاءة ، وكانت من أشجع الناس وأجملهم وجهاً . فخَطبها جماعةٌ منهم فردّتهم ولم تُجِبهم إلى ذلك . فأَخبر مَن شهدها أنها كانت تحمل على الناس وترتجز :

أحمِل رأساً قد سئمتُ حَمْلَه وقد مَلِلْتُ دَهْنَه وغَسْلَه
ألا فتًى يَحمل عنى ثِقْلَه

قال :

وهم يُفَدُّونها بالآباء والأُمهات · فما رأيت قبلها ولا بعدها مثلَها .

* * *

كلمة عن العروضى

ثم ذكر أبو الفرج عبد الله بن هارون العَروضىّ . ولم يذكر له أخبارا . وشِعره الذى فيه الغناء .

يأيها الرجلُ الذى قد زان منطقَه البيانُ
لا تَعتبنّ على الزّما ن فليس يُعْتِبك الزّمان

بعض من ذكرهم الأصفهانى من المغنين وأهملهم ابن واصل

ثم ذكر أبو الفرج جماعةً من المُغنين وهم : سِياط ، ونُبيه ، وسُليم ، وأُبن عبّاد ويحيى المَكّى . ولم أجد لهم شيئاً يُنتفع بذكره ، إذ كان كل ما ذُكر فيما يتعلّق بأصوات الغناء والنَّغم والصناعة . وهذا الكِتاب فقد شُرط فيه التّجريدُ من ذلك كُله .

(١) المقعص : الذى طعن بالرمح فمات مكانه . والفائظ : الميت . والكليم : الجريح .
(٢) فى الأغانى : « حريم » مكان « هزيم » .

أخبار النميرى

نسبه ومنشؤه وهواه بزينب

هو محمد بن عبد الله بن نُمير بن خَرَشَة بن رَبيعة بن حُبَيِّب بن الحارث بن مالك بن حُطَيط بن جُشَم بن قَسِيّ ، وهو ثقيف . شاعرٌ غَزِل . مَولده ومَنشؤه بالطائف . من شُعراء الدَّولة الأَموية . وكان يهوى زَينب بنت يوسف ، أُخت الحجّاج بن يُوسف، أمير العراقين،لأَبيه وأُمه. وله فيها أشعارٌ كثيرة يَنْسبفيهابها.

شىء عن الفارعة أم زينب

وأم زينب والحجّاج الفارعةُ بنت همّام بن عُروة بن مَسْعود الثّقفىّ . وكانت عند المُغيرة بن شُعبة ، فرآها المُغيرة يوماً بُكْرةً وهى تَتخلَّل ، فقال : والله لئن كان من غَداء لقد أَجْشَعت! (1) و إن كان من عَشاء لقد أنْتنت ! ولَفظها وطَلَّقها . فقالت : أَبعدك الله ! فبئس بعلُ الحُرة أنت ! والله ما هو إلا من شَظِيَّة مِسواك استمسكتْ بين أسنانى .

وقوع الحجاج فيه وهو غلام لذكره أخته

وحكى مُسلم بن جُندب قال: إنّى لمع مُحمد بن عبد الله بن نُمير بنَعْمان ، (2) وغُلام يَشتدّ خلفه يشتمُه أقبح الشَّتيمة · فقلت : مَن هذا ؟ فقال : هذا الحجّاج أبن يوسف ، دَعْه فإنّى ذ كرتُ أُخته فى شعرى فأَحفظه ذلك .

الحجاج فى ميراث لأخته مع عروة عند ابن زياد

وحُكى أنه وَلدت الفارعةُ أم الحجّا ج من المُغيرة بن شُعبة بنتاً ، فماتت . فنازع الحجاجُ عُروة بن المُغيرة فى مِيراثها ، فأَغلظ الحجاج لعُروة ، فأَمر به عُبيد الله أبن زِياد فضُرب أسواطاً على رأسه وقال : ألأبى عبد الله تقول هذه المَقالة ! وكان الحجّاج حاقداً على آل زياد و ينفيهمعن آلأبى سُفيان .

---

(1) المسموع فيه : جشع ،من باب فرح .

(2) هو نعمان الأراك : واد بينه و بين مكة نصف ليلة .

أول شعره فى زينب

وذُكر أن الفارعة أُم الحجاج كانت نَذرت لئن عُوفى يوسف أبو الحجّاج ، وكان أُعتلّ فطالت عِلّته ، أن تَمشى إلى الكعبة معه . فعُوفى ، فخرجتْ فى نِسوة فقطعْن بطن وَجٍّ (١) — وهو ثلثمائة ذِراع — فى يومٍ جعلته مرحلةً ، لِثقل بَدَنها ، ولم تَقطع ما بين مكة والطائف إلا فى شَهر . فبينا هى تسير إذ لقيها إبرهيمُ بن عبد الله النُّميرى ، أخو محمّد بن عبد الله ، مُنصرفاً من العُمرة ، فلما قَدم الطائف أتى محمداً يُسلِّم عليه ، فقال : ألك عِلْم بزَينب ؟ قال : نَعم ، لَقيتُها بالهَماء (٢) فى بَطن نَعْمان . فقال : ما أَحسبك إلّا وقد قلتَ شيئاً ؟ قال : نعم ، قلتُ بيتاً واحداً وتناسيتُه كراهةَ أن يَنْشَب بيننا و بين إخوتنا شرّ . فقال محمد هذه القصيدة ، وهى أولُ ما قاله :

تَضوَّعَ مِسْكاً بَطْنُ نَعمانَ أن مَشَتْ ... به زَينبٌ فى نِسوة عَطِراتِ

فأَصبح ما بين الهَمَاء (٣) وجَذوة ... إلى الماء ماء الجِزْع (٤) ذى العُشَرات

له أَرجٌ من مِجْمر الهِنْدِ ساطِعٌ ... تطلّع رَيّاه من (٥) الكَفِرات

تَهادَيْن ما بين المُحصَّب (٦) من مِنًى ... وأَقْبلن لا شُعْثاً ولا غَبِرات

أعان الذى فوق السَّموات (٧) بيتَه ... مَواشِىَ بالبطحاء (٨) مُؤتجِرات

مَرَرْن بفَخٍّ ثم رُحْن عشيةً ... يُلبِّين للرحمن مُعْتمِرات

يُخمِّرن (٩) أَطرافَ البَنان من التقى ... ويَخْرجن جُنْحَ الليل (١٠) مُعْتجِرات

---

(١) واد بالطائف .وقد ساق أبوالفرج الحديث وجعل التى نذرت زينب .وعلى رواية ابن واصل فكأن زينب فى ركب أمها .

(٢) الهماء : موضع بنعمان .

(٣) وفى رواية : «فحزوة ». وليس فى معجم البلدان مكان بهذا الاسم أو ذاك. وفى رواية أخرى : « فصاعداً » .

(٤) العشرات : من كبار الشجر ، جمع عشر . (٥) الكفرات : الجبال العظيمة .

(٦) المحصب : موضع قريب من منى ، بينه و بين مكة .

(٧) فى الأغانى : « عرشه » مكان «بيته» .

(٨) مؤتجرات : طالبات للأجر . وفى رواية : « معتجرات ، أى لابسات المعاجر ، وهى أثواب تلفها النساء على رءوسهن .

(٩) فى الأغانى : « يخبئن » .

(١٠) الرواية فى الأغانى : ويقتلن بالألحاظ مقتدرات .

تقسّمن لـبِّى يومَ نعمانَ إننى رأيتُ فؤادى عارمَ (١) النظَرات
جلَوْن وُجوهاً لم تَلُحْها سَمائمٌ حَرورٌ ولم يُسْفَعْن (٢) بالسَّبَرات
فقلتُ يعافيرُ الظِّباء تناولتْ نِياعَ (٣) غُصون المَرْد مُهتَصِرات
ولما رأتْ ركْبَ النُّميرىِّ راعَها وكُنَّ مِنَ انْ يَلْقَيْنه حَذِرات
فأَدنين حتى جاوز الركبُ دونها حجاباً من القَسِّىِّ (٤) والحِبَرات
فكِدْتُ اشتياقاً نحوها وصَبابةً أُقطِّع (٥) نفسى إثْرها حَسَرات
فراجعتُ نفسى والحَفيظةَ بعد ما بَلَلْتُ رِداء العَصْب (٦) بالعَبَرات

هو وعبد الملك والحجاج فى هذه القصيدة

وذُكر أنّ هذه القصيدة بلغتْ عبد الملك بن مروان ، فكتب إلى الحجّاج ابن يوسف :

قد بلغنى قولُ الخبيث فى زينب ، فالْهُ عنه وأعرض عن ذكره ، فإنك إن أدنيتَه أو عاتبتَه أطمعتَه ، وإن عاقبتَه صدّقته .

وذُكر أن النُّميرى هرب من الحجّاج إلى عبد الملك بن مروان واستجار به . فقال له عبد الملك : أنشدنى ما قلتَ فى زينب . فأنشده . فلمّا انتهى إلى قوله :

ولمّا رأتْ رَكْبَ النُّميرى أعرضتْ وكُنَّ مِنَ ان يَلْقينه حَذِراتِ

فقال له عبد الملك : ما كان ركبُك يا نُميرى ؟ قال : أربعة أحمرة لى كنتُ أجلبُ عليها القَطِران ، وثلاثة أحمرة صُحبتى تحمل البَعر . فضحك عبدُ الملك حتى استغرب ضحكا ، ثم قال : لقد عظُم أمرُك وأمر رَكبك ! وكتب إلى الحجّاج :

(١) عارم : شارد .
(٢) السبرات : جمع سبرة ، وهى شدة البرد .
(٣) النياع : المتمايلة . والمرد : ناضج الأراك .
(٤) القسى : ثياب منسوبة إلى « قس » بلدة كانت بين العريش والفرما .
(٥) فى رواية : « تقطع » .
(٦) العصب : ضرب من البرود .

لا سبيلَ لك عليه . فلمّا أتاه الكتابُ وضعه ولم يقرأه . ثم أقبل على يزيدَ بن أبى مُسلم فقال له : أنا برىء من بَيعة أمير المُؤمنين ، لئن لم يُنشدنى ما قال فى زَينب لآتين على نفسه ، ولئن أنشدنى لأعفونّ عنه ، وهو إذا أنشدنى آمن . فقال له يزيد : و يلك ! أنشده . فأنشده قوله :

تَضوّع مسكاً بطنُ نَعمان أن مشتْ ... به زينبٌ فى نِسْوة عَطِرات

فقال له : كذبت والله ! ما كانت تَعطَّر إذا خرجتْ من منزلها . ثم أنشده حتى بلغ إلى قوله :

ولما رأت رَكْب النُّميرى أعرضتْ ... وكُنّ منْ أن يَلْقينـه حَـذِرات

فقال : يحقٌّ لها أن ترتاع لإنّها من نسوة خَفِرات صالحات . ثم أنشده حتى بلغ إلى قوله :

مَرَرْن بفخٍّ رائحاتٍ عشـيةً ... يُلبِّين للرَّحمٰن مُعْتمـرات

فقال : صدقتَ ! لقد كانت حجّاجة صوّامة ما علمتَها . ثم أنشده حتى بلغ إلى قوله :

يخمِّرن أطرافَ البَنـان من التُّقى ... ويَخرجن جُنْح اللَّيـل مُعتجرات

فقال له : صدقت ! هكذا تَفعل المرأة الُحرة المُسلمة . ثم قال له : ويحك ! إنى أرى ارتياعك ارتياع مُريب ، وقولك قول برىء ، وقد أمّنتك . ولم يعرض له .

من شعره فى زينب

ومما قاله النُّميرى فى زينب أخت الحجّاج :

طَرِبْتَ وشاقتْك المنازلُ من[1] جَفْن ... ألاَ ربما يعتـادك الشوقُ بالُحزْنِ

نظرت إلى أظعـان زينبَ باللِّوى ... فأعولْتها[2] لو كان إعوالُها يُغنى

فوالله لا أنْسـاكِ زينبُ ما دعتْ ... مُطوّقةٌ وَرْقاء شَجْواً على غُصن

(١) جفن : واد بالطائف لثقيف

(٢) الإعوال : رفع الصوت بالبكاء .

وإن أحتمال الحىّ يومَ تحمّلوا عَنَاك وهل يَعْنيك إلا الذى يَعْنى
ومُرْسِلة فى السرّ أن قد فضحتنى وصرّحت باسمى فى النّسيب فما تكْنى
وأشمتَّ بى أهلى وجُلّ عشيرتى لِيَهْنئْك ما تَهواه إنْ كان ذا يَهْنى
وقد لامنى فيها ابنُ عَمِّىَ ناصحاً فقلتُ له خُذ لى فؤادىَ أوْ دَعنى

ويقال: إنه بلغ زينبَ قولُه هذا، فبكتْ. فقالت لها خادمتها: ما يُبكيك؟ فقالت: أخشى أن يَسمع بقوله هذا جاهلٌ لا يَعرفنى ولا يَعلم مَذهبى فيظُنّه حقًّا.

ومما قاله فيها أيضاً، وهو الشعر الذى فيه الغناء وافتتح به أبو الفرج أخبار النُّميرى:

أهاجتْك الظعائنُ يومَ بانُوا بذى الزِّىِّ الجَميل من الأَثاثِ
ظعائنُ أُسلكت نَقْبَ (١) المُنَقَّى تُحَثُّ إذا ونتْ أىّ احتثاث
تُؤمِّل أن تُلاقِىَ أهلَ بُصْرى فيا لك من لقاء (٢) مُسْتراث
كأنّ على الحَدائج يومَ بانُوا نِعاجاً ترتَعى بَقْل (٣) البِرَاث
يُهيِّجنى الحَمامُ إذا تَداعى كما سَجع النَّوائح فى (٤) المراثى
كأنّ عُيونهنّ من التبكّى فُصوصُ الجَزْع أو يُنْع (٥) الكَباث
أَلاقِ أنت فى الحِجج البَواقى كما لاقيتَ فى الحِجج الثلاث

ما أخذه عبدالملك على الحجاج بشأنه حين بعثه لحرب ابن الزبير

وذُكر أن عَبد الملك بن مَروان لما بَعث الحجاجَ بن يوسف إلى حرب عبدالله

(١) نقب المنقى: بين مكة والطائف.
(٢) مستراث: بطىء.
(٣) الحدائج: من مراكب النساء، مثل الهودج. والنعاج: البقر الوحشى. والبراث: الأماكن السهلة.
(٤) فى الأغانى: «بالمراثى».
(٥) الجزع: الخرز فيه سواد وبياض. وينع: جمع يانع. والكباث: النضيج من ثمر الأراك.

أبن الزُّبير قام إليه يوسفُ بن الحكم أبو الحجاج ، فقال : يا أمير المؤمنين ، إن غُلاماً منّا قال فى أبنتى زينب ما لا يَزال الرجلُ يقولُ مثلَه فى أبنة عمّه ، و إن هذا — يَعنى الحجاج — لم يزل يتتوّق إليه و يَهُم به ، وأنت الآن تبعثه إلى ما هنالك ، وما آمنه عليه . فدعا عبدُ الملك الحجّاجَ فقال له : إن محمداً النُّميرى جارِى ولا سُلطان لك عليه ، فلا تَعرض له .

تهديد الحجاج له وهربه وشعره فى ذلك

وذُكر أن الحجّاج كان يتهدّد النُّميرى و يقول: لولا أن يقول قائل: صدق، لقطعتُ لِسانَه . فهرب إلى اليمن ثم ركب بحر عَدَن ، وقال فى هربه :

أتتْنى عن الحجّاج والبحرُ بيننا ... عقاربُ تَسرى والعُيون هواجِعُ
فضِقْتُ بها ذَرْعاً وأجهشتُ خِيفةً ... ولم آمَنِ الحجّاجَ والأمرُ فاظع
فبِتُّ أُدير الأَمر والرأىَ ليلتى ... وقد أخضلتْ خدَّى الدُّموعُ التَّوابع
فلم أرَ خيراً لى من الصَّبر إنّه ... أعفُّ وخَيرٌ إذ عَرتْنى الفواجع
وما أَمِنَتْ نفسى الذى خِفْتُ شرّه ... ولا طاب لى مما خَشِيتُ المضاجع
إلى أن بدا لى رأسُ إسْبِيلَ[1] طالعاً ... و إسبيلُ حِصْنٌ لم تَنله الأَصابع
فنى الأرض ذَاتِ العَرض عنك أبنَ يُوسف ... إذا شئتُ مَنأًى لا أبا لَك واسع
فإن نِلْتنى حجّاجُ فاْشتف جاهداً ... فإنّ الذى لا يَحفظ اللهُ ضائع

فطلبه الحجّاج فلم يَقدر عليه ، وطال على النُّميرى مقامَه هارباً ، واْشتاق إلى وطنه ، فجاء حتى وقف على رأس الحجّاج . فقال له : إيه يا نُميرى! ألستَ القائل:

* فإن نِلْتنى حجّاج فاْشتف جاهداً *

فقال : بل أنا الذى أقول :

أخاف من الحجّاج ما لستُ خائفا ... من الأسد العِرْباض[2] لم يَثنِه ذُعْرُ

(١) إسبيل : جبل فى مخلاف ذمار .
(٢) العرباض : العظيم .

أخاف يدَيْه أن تَنالا مَقاتلى ... بأبيضَ عَضْبٍ ليس من دونه سِتْر

وأنا الذى أقول :

فهأنذا طوّفتُ شَرقاً ومغرباً ... وأُبْت وقد دوَّخت[1] كُلّ مَكانِ

فلو كانت العَنقاء يوماً تَطيربى ... لِخلْتُك إلّا أن تَصُدّ تَرانى

فتبسم الحجّاج وأمّنه وقال له : لا تُعاود ما تَعلم . وخلّى سبيلَه .

شىء عن زواج زينب ثم وفاتها ورثاء النميرى لها

وذُكر أن الحجّاج عَرض على زينب أُخته أن يُزوِّجها محمد بن القاسم بن محمد بن الحكم بن أبى عَقيل ، وهو ابن سبعَ عَشرة سنة ، وهو يومئذ أَشرفُ ثقفىّ فى زَمانه ؛ أو الحَكم بن أيوب بن الحَكم بن أبى عَقيل ، وهو شيخ . فاختارت الحَكم . فزوّجها إياه . فلما ولى الحجّاج العراقَ استعمل الحَكم زوجَ أُخته زَينب على البَصرة . فلما خَرج على الحجّاج عبدُ الرحمن بن محمد بن الأشعث وجّه الحجاجُ بزينب مع حُرمه إلى الشام ، خوفاً عليهنّ . فلما قُتل ابنُ الأشعث كَتب إلى عبد الملك بن مروان بالفَتح ، وكتب معه كتاباً إلى زَينب يُخبرها الخبر. فأعطاها الرسولُ الكتابَ وهى راكبةٌ على بَغلة فى هَودج، فنشرتْه تقرؤه ، فسمعت البغلةُ قَعقعة الكِتاب ، فنفرتْ وسَقطت زينبُ عنها ، فانْدقّ عَضُدها وتَهرّأ جوفُها ، فماتتْ . وعاد إليه الرسولُ ، الذى نَفذ بالفَتح ، بوفاة زينب . فقال النميرى يَرثيها :

لزينبَ طيفٌ تَعتَرينى طوارقُه ... هُدوءاً إذا النَّجم ارجحنّت[2] لواحقُهْ

سَيَبْكيك مِرْنانُ العشىّ يُجيبه ... لَطيفُ بنان الكَفّ دُرْمٌ[3] مَرافقه

إذا ما بِساطُ اللَّهو مُدَّ وأُلقيت ... للِذّاته أنماطُه ونَمارقه

---

(١) دوخت كل مكان : سرت فيه حتى عرفته فلم تخف على طرقه .

(٢) ارجحن النجم : مال إلى الغروب .

(٣) مرنان العشى : يريد الصنج ذا الأوتار . والدرم : التى لا حجم لعظامها ، الواحد : أدرم .

أعجب ابن المسيب بشعره و زاد عليه

وذُكر أن سَعيد بن المُسيِّب رحمه الله مرّ فى بعض أزقّة مكة ، فسمع الأخضر الحربىّ يتغنّى فى دار العاص بن وائل :

تَضوّع مسكاً بَطنُ نَعْمان أن مَشتْ ... به زينبٌ فى نِسْوة عَطِراتِ

فضرب سعيدٌ برجله وقال : هذا والله مما يلذّ استماعُه ! ثم قال :

وليستْ كأُخرى أوسعتْ جَيب دِرْعها ... وأبدت بَنان الكَفّ للجَمَرات

وعلَّت بَنان المِسك وَحْفاً [(١)] مُرجّلاً ... على مِثل بَدْرٍ لاحَ فى الظلمات

وقامت تَراءى يومَ جَمْعٍ [(٢)] فأفْتنت ... برُؤْيتها مَن راح من عَرَفات

فكانوا يَرْوون [(٣)] هذا الشعر لسعيد بن المُسيِّب .

استنشدته عائشة بنت طلحة شعره فى زينب

وذكر أنه لما تأيّمت عائشةُ بنت طلحة كانت تُقيم بمكة سنةً و بالمدينة سنة ، وتَخرج إلى مالٍ لها عظيم بالطائف وقَصرٍ كان لها هناك تَتنزّه فيه ، وتَجلس بالعشيات ، فيتناضل بين يديها الرُّماة . فمرّ بها النُّميرى الشاعر . فسألت عنه فنُسب لها . فقالت : أئتُونى به . فأتوها به . فقالت له : أنشدنى ما قُلت فى زَينب. فامتنع عليها ، وقال: بنت عَمّى قد صارت عِظاماً باليةً . فقالت : أقسمت عليك إلّا فعلتَ . فأنشدها قوله : « تضوّع مسكا » الأبيات . فقالت : والله ما قُلتَ إلّا جميلاً ، ولا ذكرت إلا كرماً وطيبا ، ولا وصفت إلا دِينا وتُقًى ! أعطوه ألف دِرهم . فلما كانت الجُمعة الأُخرى تعرّض لها. فقالت : علىّ به. فأُحضر . فقالت: أنشدنى من شعرك فى زَينب . فقال لها : أَوَ أُنشدك من شعر الحارث بن خالد [(٤)]

(١) الوحف : الشعر الغزير . وبنان المسك : أصابعها المغمورة به ، فكأنها هو . وعلت : أى سقت بأصابعها شعرها الطيب مرة ومرة . يشير إلى تكرار مرور الأصابع بالشعر .
(٢) جمع : المزدلفة .
(٣) فى الأغانى : « يرون أن » .
(٤) سبقت ترجمته (ج ١ ص ١٢٩) .

فيك ؟ فوثَب مواليها إليــه . فقالت : دعُوه فإنه أراد أن يَسْتقيد لأُبنة عَمِّه . هات مِمّا قال الحارث فىّ . فأَنشدها :

طَعَن الأمــيرُ بأحسن الخلْق وغدوْا بلبّك مَطْلَعَ الشَّرقِ

فقالت : والله ما ذَكر إلا جَميلا ، ذكر أنّى إذا صبَّحتُ زوجاً بوجهى غدا بكوكب الطَّلْق،(١) وأنى غدوتُ مع أميرٍ تزوَّجنى إلى الشَّرق ، وأنى أحسنُ الخلْق فى البيت ذى الحَسب الرفيع . أعطُوه ألف درهم، واكسُوه حُلَّتين ، ولا تَعُدْ لإتياننا بعد هذا يا نُميرىّ .

من شعره فى زينب

ومن شعر النُّميرى فى زينب :

ألاَ مَن لقَلْبٍ مُعنًّى غَـزِلْ أحبَّ المُحـلَّة أُخت المُحِـلّ
تراءتْ لنـا يـومَ فَرْع الارا كِ بين العَشِىّ(٢) وبين الأُصُل
كأنّ القرَنْفُل والزَّنجبيلَ وريحَ الخزامَى وذَوْب العَسل
يُعَـلّ به بَرْدُ أنيابهـا إذا النَّجْم وسْط السّماء(٣) اعْتدل

وعَنى النُّميرى « بالمُحل » أخاها الحجّاج ، وكان يُسمى(٤) بذلك لإحلاله الكعبة بمُحاصرته ابن الزُّبير ورَميها بالمجانيق . وكان أهلُ الشام يُسمّون ابن الزبير بذلك ، لأنه أحلّ الكعبة بمقامه فيها .

(١) تشير إلى بيت الحارث فيها :
ما صبحت أحداً برؤيتها إلا غدا بكواكب الطلق

(٢) فى رواية : « العشاء » .

(٣) ويروى العجز :
* إذا ما صفا الكوكب المعتدل *

(٤) فى الأغانى : « وكان أهل الحجاز يسمونه بذلك » .

أخبار الوضاح

اسمه ونسبه ولقبه

وهو عبد الرحمن بن إسماعيل بن عبد كُلال بن داذ بن أبي جَمَد .

واُختلفوا فى تحقيق نَسَبه ، فقيل : إنه من أولاد الفُرس الذين قَدِموا معوَهْرِز لنُصرة سَيف بن ذى يَزَن على الحَبشة .

وقيل : إنه من آل خَولان بن عمرو بن قيس بن مُعاوية بن جُشَم بن عبد شمس بن وائل بن الغَوث بن قَطن بن عَريب بن زُهير بن أيمن بن الهَمَيْسع بن حِمْير ابن سبأ بن يَشْجُب بن يَعْرُب بن قحطان .

والوضّاح لَقب غَلب عليه لجمَاله و بهائه .

قيل : مات أبوه وهو طِفل ، فاُنتقلت أُمه إلى أَهلها ، واُنقضتْ عِدتُها ، وتزوّجت رجلاً من أهلها من أولاد الفُرس . وشَبّ وضّاح فى حِجر زوج أُمه . فجاء عَمُّه وجدّتُه أُم أبيه ، ومعهم جماعةٌ من أهل بيته من حِمْير ، ثم من آل ذى جَدَن ، يطلبُونه . فاُدعى زوجُ أُمه أنه ولدُه . فحاكموه فيه ، وأقاموا البينةَ أنه وُلد على فراش إسماعيل بن عبد كُلال أبيه . فحكم به الحاكمُ للحِميْريين . ومَسح على رأسه وأعجبه جمالُه وقال له : اُذهب فأنت وضّاح اليمن ، لا مِن أتباع ذى يَزن — يَعنى الفُرس الذين قدم بهم اُبنُ ذى يَزن لنُصرته — فعلقت به هذه الكلمةُ يومئذ ، فلُقِّب وضّاحَ اليمن .

هو والمقنع والطائى

وقيل :

كان وضّاح اليَمن والمُقنَّع الكِنْدىّ وأبو زُبيد الطائىّ يَرِدون مواسمَ العَرب مُقنَّعين يستُرون وجُوهم خوفاً من العَين وحَذَراً على أنفسهم من النِّساء لجمالهم .

هو وروضة وشعره فيها

وذُكر أن وضّاح اليمن كان يَهوى اُمرأة يقال لها : رَوْضَة من أهل اليمن ، ثم أصابها الُجذام من بعد ذلك ، فاُنقطع ما بينهما . وفيها يقول :

يا رَوْضَةَ الوضّاحِ قد عَنَّيتِ وضَّاح اليَمَنْ
فاُسقِى خليلَك مِن شرا بٍ لم يُكدِّره الدَّرَن
الريحُ ريح سَفَرْجلٍ والطعمُ طعم سُلَافِ دَنْ
إنّى تُهيِّجنى إليـ ـكِ حَمامتان على فَنَن

ومن هذه القصيدة :

دَسَّتْ حُبَيْبة مَوْهِناً إنِّى وعيشِك يا سَكَن
أُبلغتُ عنكِ تبدُّلاً وأَتى بذلك مُؤْتمن
وظننتُ أنك قد فعلـ ـتِ فكِدْتُ من حَزَنٍ أُجَنّْ
ذَرَفتْ دُموعى ثم قُلـ ـتُ بمَنْ يُبادلنا (١) بمَن

ومنها :

أبغضت فيـه أحبّتى وقَلَيتُ أَهْلى والوطَن
أَتركتنى حتى إذا عُلِّقت أَبيضَ كالشَّطَن
أنشأتَ تطلُب وَصْلَنا فى الصَّيف ضَيَّعتِ (٢) اللَّبن
لو قيل يا وضّاح قُم فاختَرْ لنفسك أو تَمَنّْ
لم أَعْد روْضـةَ والذى ساق الحجيجُ له البُدُن

وله فيها أشعار كثيرة . ومما قاله فيها قصيدتَه التى أولها :

يا لَقَوْمى لـكثرة العُـذَّالِ ولِطَيفٍ سَرى مَليحِ الدَّلالِ

---

(١) فى رواية : « يبادلنى » .
(٢) هذا مثل . وأصله أن امرأة كانت تحت شيخ كبير موسر فكرهته ، فطلقها . فتزوجها فتى جميل مملق . فبعثت إلى الأول تستميحه . فقال ذلك المثل .

زائر فى قصور صَنْعاء يَطْوى[1] | كُلَّ أرضٍ مَخُوفةٍ وجِبَالِ

ومنها :

يَقطع الحَزْنَ والمَهامه والبيـ | ـد ومِن دونه ثَمانُ لَيالِ
عاتبٌ فى المَنام أَحْبِبْ بعُتْباه | إلينا وقولِه مِنْ مَقالِ
قلتُ أهلاً ومرحباً عددَ القَطْـ | ـرِ وسهلاً بطَيف هذا الخَيالِ
حبّذا مَن إذا خلونا نَجيًّا | قال : أَهلى لك الفِداء ومالى
فهى الهمُّ والمُنَى وهوى النَّفْـ | ـس إذا اُعتلَّ ذو هَوًى باُعتلالِ
لم أَجِدْ حُبَّها يُشا كله الحُـ | ـبّ ولا وَجْدَنا كوجد الرِّجالِ
كُل حبٍّ إذا اُستطال سيَبْلى | وهَوى رَوْضةِ المُنى غيرُ بالى

ومنها :

كيف عَذْلى على التى هى منِّى | بمكان اليمين أُخت الشِّمالِ
والذى أحرموا له وأَحلُّوا | بمِنًى صُبْحَ عاشراتِ[2] اللَّيالى
ما ملكتُ الهوَى ولا النفسَ منِّى | مُنذ عُلِّقْتُها وكيف[3] اُحتمالى
إن نأتْ كان نأيُها الموتَ صِرْفاً | أو بدتْ[4] لى فثَمَّ يبدو خَيالى

حبه لأم البنين

ثم هَوى وضّاح اليمن أم البَنين بنت عبد العزيز بن مَروان ، زوجة الوليد بن عبد الملك بن مروان، وأكثر من التَّشبيب بها. وكان سَبب حُبّه لها أنها اُستأذنت زوجَها الوليد بن عبد الملك فى الحج ، فأَذن لها ، وهو يومئذٍ خليفة . فقدمتْ مكة ومعها من الجوارى مالم يُرَ مثله حُسنا وكتب الوليد يتوعد الشعراء جميعاً إن ذكرها أحد منهم أو ذكر أحداً من تبعها .فقدِمت ، فتراءت للناس . وتصدّى لها أهل الغزَل والشُّعراء ، ووقعت عينُها على وضّاح اليمن فهويته .

(١) فى رواية : « يسرى » .
(٢) أى جمع الليلة العاشرة من ذى الحجة .
(٣) فى رواية : « احتيالى » .
(٤) فى رواية : « أو دنت » .

أم البنين وكثير ووضاح

وقيل: إنها بعثت إلى كُثيِّر والى وضّاح: أن انْسُبا بى. فأما وضّاح فإنه ذَكرها وصَرَّح فى النَّسيب. وأما كُثير فعدل عن ذِكرها ونَسَب بجاريتها غاضرة.

أعانته أم البنين عند الوليد بن عبد الملك

وقيل: مدح وضّاح اليمن الوليدَ بن عبدالملك، ووعدتْه أُم البنين أن ترْفِده [1] عنده وتُقوِّى أمره — فقدم عليه وضّاح اليمن، فأنشده قولَه فيه:

صَبا قَلبى ومال إليكَ مَيْلاَ ... وأرّقنى خيالُك يا أُثَيْلاَ
يمَانيةٌ تُلِمّ بنا فتُبْدى ... دَقيقَ مَحاسنٍ وتُجِنّ [2] غَيْلا
دَعينا ما أَمَمْنا [3] بناتِ نَعْش ... من الطَّيف الذى يَنتاب لَيْلا
ولكنْ إن أردتِ فهيِّجينا ... إذا رَمقتْ بأعينها [4] سُهَيلا
فإنكِ لو رأيتِ الخيل تعدو ... عوابِسَ [5] يتّخذن النَّقع ذَيْلا
إذاً لرأيتِ فوق الخيل أُسْداً ... تُفيد مَغانماً وتُفيت نَيْلا
إذا سار الوليدُ بنا وسِرْنا ... إلى خَيل نَلُفّ بهن خَيْلا
ونَدخل بالسُّرور ديارَ قَوم ... ونُعقب آخرين أذًى ووَيْلا

فأحسن الوليد رِفْده وأعظم جائزته.

نكاية الوليد به

ومَدحه بعد ذلك بعدة قصائد. ثم نُمى إليه أنه يُشبب بزَوجته أُم البنين. فجفَاه وأمر بأن يُحجب عنه ودَبّر فى قَتْله. فمدَحه بقوله:

ما بالُ عَيْنك لا تَنام كأنما ... طلب الطبيبُ بها قَذًى فأضَلّهُ
أمْ ما لِقَلْبك لا يَزال كأنه ... نَشوانُ أَنْهله النَّديم وعَلَّه
ما كنت أحسَب أن أبيتَ ببلدةٍ ... وأَخى بأُخرى لا أَحُل مَحلّه

---

(١) ترفده: تعينه.
(٢) الغيل: الساعد الريان.
(٣) بنات نعش: من الكواكب الشامية، وكان غزوه نحو الروم، وفى رواية «ما أممت».
(٤) ويروى:
ولكن إن أردت فصبحينا ... إذا أمت ركائبنا سهيلا
(٥) فى رواية: «سراعاً» مكان «عوابس».

كُنا لعَمْرُكِ ناعِمين بغبطةٍ ... مع مَن نُحب مَبيتَه ومَظَلّه

يقول فيها:

وألْق ابنَ مرْوانَ الذى قد هَزّه ... عِـرْقُ المَكارم والنّدى فأقله
وأشْكُ الذى لاقيتَه من[1] جَفْوةٍ ... وانْشُر إليـه داء قلبـك كُلّه
فعلى ابن مَرْوانَ السلامُ من امرىءٍ ... أمسى يذُوق مِن الرُّقاد أقلّه
فإليـــك أعملتُ المطايا ضُمَّراً ... وقطعتُ أرواح الشّتاء[2] وظلّه

وقيل:

حكاية مقتله

لمّـا عَزم الوليدُ على قَتل الوضّاح، قال له ابنه عبدُ العزيز بن الوليـــد —وأمه أم البنين— : لا تفعل يا أمير المُؤمنين فتحقق قولَه، ولـكن افعل به كما فَعل مُعاوية بن أبى سُفيان بأبى دَهْبَـل، فإنه لما شبّب بابنته شكاه يزيد ابنـه وسأله أن يقتُلَه، فقال: إذاً تُحقِّق قولَه، ولكن تَبرّه وتُحسن إليه فيَستحى ويكُفّ ويُكذِّب نَفْسه. فلم يَقبل منه، وجَعله فى صُندوق ودَفنه حيًّا.

وحكى ابنُ الـكَلبى قال:

عشقتْ أُم البَنـين وضّاح اليمن، فكانت تُرسـل إليه فيدخُل إليها ويُقيم معها، فإذا خافت وارتْه فى صُندوق عندها وأقفلت عليه. فأهدى للوليد جَوْهر له قيمة، فأعجبه واستحسنه، فدعا خادما له فبعث به إلى أُم البنين وقال: قل لهـا: إن هذا الجوهر أعجبنى فآثرتُك به. فدَخل الخادمُ عليها مُفاجأة ووضّاح اليمن عندها، فأدخلتْه الصُّندوق وهو يرى، فأدّى إليها رسالةَ الوليد ودفع إليها الجوهر وقال لها: يا مولاتى، هَبى لى منه حَجَراً. فقالت: لا يا بن اللّخناء ولا كرَامة! فرَجع إلى الوليد فأخبره. فقال: كذبتَ يا بن اللّخناء. وأمر به فوُجئت عُنقه.

(١) فى رواية: «من دونه».
(٢) فى رواية: «وظله».

ثم لَبس نَعْليه فدَخل على أم البنين وهى جالسةٌ فى ذلك البيت تَمتشط ، وقد وَصف له الخادمُ الصُّندوق الذى أدخلتْه فيه . فجلس عليه ثم قال لها : يا أُم البَنين. ما أَحبَّ إليك هذا البيتَ من بين البُيوت ! فلِمَ تَختارينه ؟ فقالت : أجلس فيه وأختاره لأنه يَجمع حوائجى كلها فأَتناولها منه كما أُريد من قُرب . فقال لها : هَبى لى صُنْدوقا من هذه الصَّناديق. فقالت : كُلها لك يا أمير المؤمنين . فقال : ماأُريد كُلها إنما أُريد منها واحداً . قالت : خُذ أيها شئت . قال : هذا الذى جلستُ عليه . قالت: خُذ غيره، فإنلى فيه أشياء أحتاج إليها . قال : ماأُريد غيره . قالت : خُذه يا أمير المؤمنين . فدعا بالخَدم وأمرهم بَحمله ، فَحملوه حتىاُنتهى به إلى مجلسه ، فَوضعه فيه . ثم دعا بعَبيدٍ له عَجم فأَمرهم بحَفر بئر فى المجلس عميقة ، فنُحِّى البِساط وحُفرت إلى الماء ، ثم دعا بالصُّندوق فوُضع على شَفير البئر ، ودنا منه وقال : يا صاحب الصُّندوق ، إنه بلغنا شىء إن كان حقًّا فقد كَفَّيناك ودَفنَّاك ودفنَّا أثرك إلى آخر الدَّهر ، و إن كان باطلاً فإنما دفنَّا الخشب ، وما أهونَ ذلك . ثم قَذف به إلى البئر وهِيل عليه التُّراب وسُوِّيتَ الأرض ، وردَّ البساط إلى حاله وجَلس عليه . ثم ما رُئىلوضّاح بعد ذلكأثر فى الدُّنيا إلى هذا اليوم، وما رأت أُم البنين لذلك أثراً فى وجه الوليد حتى فَرّق الموتُ بينهما .

حكاية الوليد به التشبيه بفاطمة أخته

قلت : وقد ذكر أبو الفرج عن خالد بن كُلثوم أن هذه الحكاية وضعها بعضُ الشُّعوبية لمّا تلاحى هو و بعضُ ولدِ الوليد . وأنالحقّ هو الرواية الأُولى. والله أعلم أىّ ذلك كان .

وقد ذُكر أن الوليد كان قد أمسك عن قَتْل وضّاح اليمن على غَيظ وحَنق ، لمّا نهاه اُبنهُ عبد العزيز عن قَتْله خوفَ الفَضيحة ، حتى بلغه أنه تعدّى أُمَّ البنين إلى أُخته فاطمة بنت عبد الملك ، وكانت زوجة اُبن عمّه عُمر بن عبدالعزيز ، رضىالله عنه ، وقال فيها :

بنتُ الخليفة والخليفةَ جدُّها   أخت الخليفة والخليفةُ بعلُها
فرحتْ قوابلُها بها وتباشرتْ   وكذاك كانوا فى المَسرّة أهلُها

فاُختلط واُشتد غيظهُ ودَفنه حيًّا .

وله فى أم البنين وقد اعتلت

وذُكر أن أُم البَنين مرِضتْ ، ووضّاح مُقيم بدمشق ، وكان نازلاً بها ، فقال فى علّتها :

حتّام نَكْتُمُ حُزْننا (١) حتّامَا   و إلام نَسْتَبِق الدُّموعَ (٢) إلاَمَا
إنّ الذى بى قد تفاقم واعتلَى   ونَما و زاد وأوْرَث الأسْقاما
قد أَصبحت أُم البنين مَريضةً   نَخشى ونُشفق أن يَكون حِماما
يا ربّ أمْتِعنا بطُول بَقائها   وأجْبر به الأَرمال والأَيتاما
واُجْبُر بها الرجلَ الغَريب بأرضها   قد فارق الأخوالَ والأعماما
كم راغبين و راهبين و بُؤّسٍ   عُصموا بقُرب جَنابها إعْصاما
بجَناب ظاهرة الثّنا محمودةٍ   لا يُستطاع كلامُها إعظاما

الشعر الذى فيه الغناء

والشعر الذى فيه الغناء ، واُفتتح به أبو الفرج أخبار وضّاح اليمن ، هو :

يا قلبُ و يحك لا يذهبْ بك الخُرُق   إنّ الأُلَى كنتَ تَهواهم قد اُنطلقُوا
ما بالهُم لم يُبالوا إذ هجرتَهُم   وأنت مِن هَجرهم قد كِدْتَ تَحترق

(١) فى التجريد : « حبنا » .
(٢) فى بعض أصول الأغانى : « وعلام تستبق الدموع علاما » .

خبر بشار مع عبده

لبشار فى عبدة

قد تقدّمت أخبار بشار ، وذكر أبو الفَرج هنا شعراً لبشار يُغَنَّى فيه ممّا قاله فى عبدة ، فاقتضى ذلك أن نذكر خَبر بشّار مع عبدة خاصّة . والشعر هو :

أَلاَ طَرَد الهوى عنِّى رُقادِى ... فَحسْبى ما لقيتُ من السُّهادِ

لعبدةَ إنّ عبدة تيَّمَتْنى ... وحلَّت من فُؤادى فى السَّواد

روايته بينه و بينها

وذكر هشام بن الأحنف روايةُ بشار قال :

إنى عند بشّار ذات يوم إذ أتته امرأةٌ فقالت : يا أبا مُعاذ ، عبدةُ تُقرئك السلام وتقول لك : قد اشتد شوقُنا إليك ولم نرك منذُ أيام . فقال : عن غير مَقْلية كان . ثم قال : اكتب عنِّى ما أقولُ . وأمْلَى عليه :

عَبْدَ إنِّى إليك بالأشواق ... لِتَلاقٍ وكيف لى بالتلاقى

أنا والله أشتهى سِحْرَ عَيْنيـ ... ـك وأخشى مَصارِعَ العُشَّاق

وأخاف الحَرْسِىّ[1] مُحْتَسِب الجُنْـ ... ـد يلُفّ البرىء بالفُسَّاق

من شعره فيها

ومن قوله فيها :

يا عَبْد إنِّى قد ظُلِمْت و إننى ... مُبْدٍ مقالةَ راغبٍ أو راهِبِ

وأتُوب مما تكرهين لتَقْبلى ... واللهُ يَقْبل حُسن فِعْل التائب

ومن قوله :

يا عَبْد زُورينى تَكُن مِنّةً ... لله عندى يومَ ألقاكِ

واللهِ ثم اللهِ فاسْتَيْقنى ... إنى لأرجوك وأخشاك

---

(١) الحرسى ، بالتحريك : حرس السلطان ، وسكن للضرورة .

يا عَبْد إنِّى هالكٌ مُدْنفٌ إن لم أذُق بَرْدَ ثَنــــاياك
فــلا تَرُدِّى عاشقاً مُدْنفا يَرضَى بهذا القَدْرِ[1] عن ذاك

حديث حبه عبدة

وكان أول أمره معها أن النِّساء كن يحضُرن مجلسه ، إذ سمع كلام عَبْدة هذه فعَشقها ، فدعا غُــلامه فقال : إنِّى قد عُلِّقتُ امرأة ، فإذا تكلمتْ عرَّفْتُك ، وانْظُرْ مَن هى فاعرفهــا ، فإذا انقضى المجلسُ وانصرف أهلُه فاتبعها وكلِّمهــا وأَعلمها أَننى مُحبٌّ لها ، وأنشدها هذه الأبيات ، وعَرّفها أننى قلتُها فيها :

قالوا بمَن لا تَرى تَهْـذِى فقلتُ لهم الأُذن كالعَين تُوفى القَلْبَ ما كانا
ما كنتُ أوّلَ مَشْغوفٍ بجــاريةٍ يَلْقى بلُقْيانهـــا رَوْحاً ورَيْحانا
يا قومُ أُذْنى لبعض الحىّ عاشــقةٌ والأُذن تَعْشق قَبْلَ العَــين أحيانا

فأَبلغها الغلامُ الأبيات . فهشَّت لها ، وزارتْ بشّارا فى نِسْوة ، فأَكلن عنده وشَرِبْن ، ولم تُطْمعه فى نفسها . وأَكثر من قَول الغَزل فيها .

---

(١) فى التجريد : « القول » .

أخبار الأحوص مع أم جعفر

شعره فيها الذى يغنى به

قد تقدَّم أيضاً نَسب الأحوص الأنصاريّ وأخبارُه . وذكر أبو الفرج هنا خَبره مع أُم جَعفر خاصة ، لقوله فيها مما يُغَنَّى به :

أرسلتْ أم جَعفر : [1] لا تزُرْنا ليت شِعْرى بالغَيْب من ذا دَهاها

أأتاهــا مُحــرِّشٌ بنَمِيمٍ كاذبٍ ما أراد إلاّ رَدَاهــا

وأُم جعفر هذه امرأة من الأنصار من بنى خَطْمة .

هو وأخوها وعمر بن عبد العزيز

وذُكر أن الأحوص لما أكثر التَّشْبيب بأُم جعفر وشاع شعرُه فيها أوعده أخوها أَيْمَن وتَهدَّده ، فلم يَنْتَه . فاستعدى عليه عُمرَ بن عبد العزيز رضى الله عنه . فَربطهما فى حَبل ودَفع إليهما سَوْطين ، وقال لهما : تجالدا . فغَلب أخوها .

وقيل : إن الأحوص سَلح فى ثيابه وهَرب ، وتَبعه أخوها حتى فاته الأحوص هرباً ، وقد كان الأحوص قال فيها :

لقد منعتْ معروفَها أُمُّ جَعفرٍ وإنِّى إلى مَعروفهــا لفَقــيرُ

وقد أنكرتْ بعدَ اعترافٍ زيارتى وقد وَغِرتْ فيها علىّ صُدور

أَدُور ولولا أنْ أرى أُمَّ جَعفر بأبياتكم ما دُرْتُ حيثُ أَدور

أزور البُيوتَ اللّاصقات بيتَها وقَلبى بالبيت [2] الذى لا أزور

وما كنت زَوّاراً ولكنّ ذا الهوى إذا لم يَزُر لابُدّ أن سيَزُور

للسائب يعيره بفراره ورده عليه

وقال السائب بن عمرو بن عَوف يُعيره بفراره ويُعارضه فى هذه الأبيات :

لقد مَنع المعروفَ من أُم جعفر أخو ثِقةٍ عنــد الجِلاد صَبُورُ

(١) فى رواية : « لا تزور »
(٢) فى الأغانى : « وقلبى إلى البيت » .

عَلاكَ بمتْن السَّوط حتى اتَّقيتَه ... بأَصفر من ماء الصِّفاق[1] يفُور

رد الأحوص

وقال الأحوص :

إذا أنا لم أَغْفــر لأَيْمن ذَنْبَه ... فمَن ذا الذى يَعفو له ذَنْبَه بَعْدِى

أُريد انتقــامَ الذَّنب ثم تَرُدُّنى ... يَدٌ لأدانيه مُبــاركة عنــدى

اقتداء عمر بعثمان فيما فعل

وإنما أعطاهما عُمر رحمه الله السَّوطين وأمرهما أن يَتنضار با بهما إقتداءً بعُثمان بن عفان رضى الله عنه ، فإنه لما تهاجَى سالمُ بن دَارة ومُرة الغَطفانى لَزَّهما عثمان بحَبل وأعطاهما سَوْطين ، فتجالدا بهما .

من شعره فى أم جعفر

ومما قاله الأحوص فى أُم جعفر هذه :

وإنّى لَيدْعونى هوَى أُمّ جَعفر ... وجاراتها من ســـاعةٍ فأُجيبُ

وإنى لآتى البيتَ ما إن أُحبُّـه ... وأُكثِرهَجر البيت وهو حَبيب

وأُغضِى على أشياءَ منــكم تَسُوءنى ... وأُدْعَى إلى ما سَرّكم فأُجيب

هَبينى امرأً إمّا بَريئاً ظلمتِـــه ... وإمّا مُســيئاً مُــذنباً فيتوب

أَبُثُّــك ما أَلقى وفى القَلب حاجةٌ ... لهــا بين جِلْدى والعِظام دَبيب

لكِ اللهُ إنّى واصــلٌ ما وصلتنى ... ومُثْنٍ بمـــا أَوْليتِنى ومُثيب

وآخُذ ما أَعطيتِ صفواً[2] وإننى ... لأَزْوَرُ عمّا تكرهين هَيُوب

ولا تَترُكى نَفْسى شَعاعا فإنهـــا ... من الحُزن قدكادت عليك تذوب

هو وأم جعفر وقد جاءته متنقبة

وذُكر أن الأحوص لمــا أكثر من ذِكر أُم جَعفر جاءت مُتَنَقِّبةً فوقفتْ عليه فى مجلس قَومه ، وهو لا يعرفهــا ، وكانت امرأةً عفيفة ، فقالت : اُقْض ثمن الغَنم التى اُبتعتَها منّى . فقال لها : ما اُبتعتُ منك شيئاً . فأظهرت كتاباً قد وضعتْه عليه وبكتْ وشكت حاجةً وضُرًّا وفاقةً وقالت : يا قوم ، كلِّموه . فلامه قومُه

(١) الصفاق : جمع صفق . وهو الجلد الجديد يصب عليه الماء فيخرج أصفر .

(٢) فى رواية : « عفوا » .

وقالوا له : أقض المرأةَ حقَّها . فجعل يحلِف أنه ما يَعرفها ولا رآها قطُّ . فكشفت وَجهها وقالت : وَيلك ! ما تعرفني ؟ فجعل يَحلف مُجتهداً أنه ما رآها قطُّ ولا يَعرفها، حتى أستفاض قولُها وقولُه ، وأجتمع الناسُ وكثرُوا وسَمعوا ما دار بينهم وكثر لغَطهم . ثم قامت وقالت: ياعدو الله ! صدقتَ ، والله مالى حَقٌّ ولا تَعرفنى، وقد حلفتَ على ذلك ، وأَنا أُم جعفر ، وأنت تقول : قلتَ لأُم جعفر ، وقالت لى أُم جعفر ، فى شعرك . فخجل الأحوصُ وأنكسر عن ذلك ، و برئتْ أُم جعفر عندهم [1].

---

(١) ثم ساق أبو الفرج أيضاً شيئاً من أخبار عاتكة بنت شهدة . وهى مغنية لها ألحان . فربها ابن واصل ولم يجرد لها ، للسبب الذى ذكره قبل فى هذا الجزء .

أخبار أبي ذؤيب الهذلى

نسبه

هو خُويلد بن خالد بن مُحرِّث بن زُبَيد بن مَخزوم بن صاهلة بن كاهل بن الحارث بن تَميم بن سعد بن هُذيل بن مُدركة بن اليأس بن مُضر بن نِزار .

طبقته وإسلامه

وهو أحد المُخضرمين ممن أدرك الجاهلية والإسلام ، وأسلم وحَسُن إسلامه .
وكان من فُحُول الشُّعراء ، فصيحاً كثير الغَريب ، متمكّناً في الشّعر .

تقدمه على الشعراء

ويقال : إن أبا ذُؤيب تقدَّم على جميع شُعراء هُذيل بقصيدته العينيّة التى يَرثى بها بَنيه ، وأولها :

أَمِنَ المَنون ورَيْبه تَتَوجَّعُ ... والدَّهرُ ليس بمُعْتِبٍ من يَجْزَعُ

يقول فيها :

قالت أُميمةُ ما لِجسمك شاحباً ... منذ ابتُذلتَ ومثلُ مالك يَنفع
أم ما لجنبك لا يُلائم مضجعاً ... إلّا أَقضَّ عليك ذاك المَضجع
فأجبتُها أنْ ما بجسمى أنه ... أَوْدى بَنِيّ من البلاد فودَّعوا

وهذه يقولُها فى بنين له خمسة أصيبوا فى عام واحد بالطاعون .

خروجه مع عبد الله بن سعد لغزو إفريقية ثم عودته وموته بمصر

وذكر أنه خرج أبو ذؤيب مع ابنه وابن أخٍ له حتى قَدموا على عُمر بن الخطاب رضى الله عنه ، فقال له : أى العَمل أفضل ؟ قال : الإيمان بالله ورسوله . قال : قد فعلتُ ، فأيُّه أفضلُ بعده ؟ قال: الجهاد فى سبيل الله . فقال : ذلك كان علىّ و إنى لا أرجو جنّة ولا أخاف ناراً . ثم خَرج فغزا أرض الرُّوم مع المُسلمين فى جُند عبد الله بن سَعد بن أبى سَرح ، أحد بنى عامر بن لؤى ، وذلك فى سنة ست وعشرين، فى خلافة عثمان بن عفان رضى الله عنه ، ففتَح الله عليهم إفريقية .

حديث ابن الزبير فى هذه الحرب

فحكى عبدُ الله بن الزُّبير رضى الله عنهما ، وكان فى ذلك الجَيش وعُمره ستّ

وعشرون سنة — وقيل : أربع وعشرون سنة — قال : أحاط صاحبُ إفريقية ، وهو ملك إفرنجة ، بنا فى مائة ألف وعشرين ألفاً ، ونحن فى عشرين ألفا ، فضاق المسلمون من ذلك واختلفوا فى الرأى . فدخل عبد الله بن سعد فُسطاطه يخلو فيه ويفكّر. قال عبدُ الله بن الزُّبير : فرأيت عَوْرة من صاحب إفريقية ، والناس على مَصافهم ، رأيتُه على بِرْذون أشهب خلف أصحابه مُنقطعاً عنهم ، ومعه جاريتان تُظلِّان عليه من الشَّمس بريش الطَّواويس . فجئتُ فُسطاط عبد الله بن سَعد فطلبتُ الإذن عليه من حاجبه . فقال : إنه فى شأنكم وقد أمرنى أن أمسك الناسَ عنه . قال : فدُرْت فأتيتُ مُؤخَّر فُسطاطه فرفعتُه ، فإذا هو مُستلق على فراشه . ففَزِع وقال : ما أَدخلك علىّ يابن الزُّبير؟ فقلت : إنى رأيتُ عورةً من عدوِّنا فرجوتُ الفُرصة فيها وخَشِيتُ فَوَاتَها ، فاندب الناسَ إلىّ . فقال : وما هى ؟ فأخبرتُه . فخرج فقال : أيها الناس ، انتدبوا مع ابن الزُّبير إلى عدوّكم . فاخترتُ ثلاثين فارساً ، فقلت : إنّى حاملٌ فاضربوا عن ظَهرى ، فإنى سأكفيكم مَن ألقى إن شاء الله تعالى. فحملتُ فى الوجه الذى هو فيه ، فحملوا فذبُّوا عنّى حتى خَرقتُ صفوفهم إلى أرض خالية. وتبينته فصمَدْتُ صَمْده . فوالله ماحسب إلّا أنى رسولٌ ، ولا ظَن أكثرُ أصحابه إلا ذاك ، حتى رأى ما بى من أثر السّلاح ، فثَنى بِرْذونه هارباً ، فأدركتُه فطعنتُه فسقط ، ورميتُ بنفْسى عليه ، واتقتْ جاريتاه عنه السَّيفَ فقُطعت يدُ إحداهما . وأَجهزتُ عليه . ثم رفعتُ رأسَه فى رُمحى ، وجال أصحابُه وحَمل المسلمون فى ناحيتى وكبَّروا ، فقتَّلوهم كيف شاءوا وكانت الهزيمةُ . فقال لى عبدُ الله بن سعد : ما أجد أحداً أحقّ بالبشارة منك . فبَعثنى إلى عُثمان. وقَدِم مَروان[1] بعدى على عثمان حين اطمأنوا وباعوا المَغْنم وقسموه. ووضَع عثمانُ عن مَروان خمسمائة ألف ، كان اشترى بها خُمس المَغنم . وكان ذلك مما تكلّم الناسُ فى عثمان بسَببه .

(١) هو مروان بن الحكم بن أبى العاص .

فقال عبدُ الرحمن بن حَنْبل بن مُليل ، أخو صَفوان بن أُمية بن خَلف الُجمحى لأُمه ، يذكر ما نقم به على عثمان ، رضى الله عنه :

أحلف بالله جَهد اليميـ ـن ما ترك الله شيئاً سُدَى
ولكن خُلقتَ لنا فِتْنةً لكى نُبتَلى فِيك أو تُبتلى
دعوتَ الطَّريد [1] فأَدْنيتَه خلافاً لسُنة مَن قد مضَى
وأعطيت مَروان خُمْس العبا د ظُلماً لهم وحَمَيْتَ الِحمَى
ومالاً أَتاك به الأشعرىّ مِن الَفىء أعْطيتَه مَن دنا
وإنّ الأمينَيْن قد بَيّنا مَنارَ الطَّريق عليه الهُدى
فما أَخذَا دِرْهماً غِيلةً ولا قَسّما دِرهماً فى هَوى

والمال ، الذى ذُكر أن الأشعرى جاء به ، مالٌ كان أبو موسى قَدم به من العِراق على عثمان، فأَعطى عبدَ الله بن أَسِيد بن أبى العِيص منه مائة ألف درهم — وقيل : ثلثمائة ألف درهم — فأنكر الناس ذلك .

وذُكر أن عبد الله بن الزُّبير لمّا قَدِم بالبشارة فى هذه السنة — أعنى سنة ست وعشرين — بُشِّر عند مَقدمه بابنه خُبيب بن عَبد الله ، وبأَخيه عُروة بن الزُّبير . وخُبيب أكبرهما .

خبر آخر فى موته

وذُكر أن عبد الله بن سَعد لمّا بَعث ابنَ الزَّبير بخبَر البشارة بَعث معه أبا ذُؤيب الهُذلى فى جماعة ، فلما قَدموا مِصْر مات أبو ذُؤيب بها ـ وقيل: بل مات أبو ذؤيب بإفريقية ، وأنه أخذه الموتُ لمّا قَفل المسلمون من الغَزاة ـ فأراد ابنُه وابن أخيه أن يتخلّفا عليه جميعاً ؛ فمَنعهم صاحبُ السَّاقة وقال : ليتخلَّف عليه أحدُكما وليعلمْ أنه مقتول . فكِلاهما أراد أن يتخلّف عليه . فقال لهما أبو ذؤيب :

---

(١) الطريد : هو الحكم بن العاص بن أمية ،وكان يفشى سر النبى صلى الله عليه وسلم فنفاه عن المدينة ،فنزل الطائف فلم يزل به حتى رده عثمان .

اُقترعا . فوقعت القُرعة على اُبن أخيه ، فتخلّف عليه ، ومضى اُبنُهُ مع الناس .

فكان أبوعبيد ، اُبن أخيه يُحدث، قال: قال لى أبو ذُؤيب: اُحْفِر ذلك الُجرف برُمحك ، ثم اعضِد[١] من الشّجر بسيفك ، ثم اُجْرُرْنى إلى هذا النّهر فإنك لا تَفْرغ حتى أفرغ ، فاُغسلنى وكفّنى بكَفنى ، ثم اُجعلنى فى حُفرتى واُنثِل[٢] علىّ الُجرفُ برُمْحك ، وأَلْقِ علىّ الغُصون والحجارة ، ثم اُتْبع الناسَ فإن لهم رَهْجة[٣] تَراها فى الأفق إذا أمسيت كأنها جَهَامة .[٤] قال : فما أخطأ مما قال شيئاً . ولولا نعتُه لم أهْتد لأثر الجيش .

شعره فى موته

وقال وهو يجود بنفسه :

أبا عُبيد رُفع الكِتابُ   واُقترب الموعدُ والحِسابُ

وعند رَحْلِى جَمَلٌ نُجابُ   أحمرُ فى حارِكه[٥] اُنصباب

ثم مضيتُ حتى لحقتُ الناس. فكان يقال : إن أهل الإسلام أبعدوا الأثر فى بَلد الرُّوم ، فما كان وراء قَبر أبى ذُؤيب قبرٌ يُعلم لأحد من المُسلمين .

* * *

شىء عن حكم الوادى

ثم ذكر أبو الفرج حَكم الوادى ، وهو الحكم بن مَيمون ، مولى الوليد بن يزيد بن عبد الملك ، وعاش إلى أيام الرّشيد . ولم أختر من أخباره شيئاً.

(١) عضد : قطع .
(٢) انثل على الجرف ، أى أخرج ترابه فأهله على .
(٣) الرهجة : ما أثير من الغبار .
(٤) الجهامة : السحابة لا ماء فيها . والعبارة فى أصول الأغانى : « إذا مشيت كأنها جهامة »
(٥) الحارك : أعلى الكاهل .

أخبار ابن جامع

نسبه

هو إسماعيل بن جامع بن إسماعيل بن عبد الله بن المطَّلب بن أبى وَدَاعة بن ضُبيرة بن سُعيد بن سَعد بن سَهم بن عمرو بن هُصَيص بن كَعب بن لُؤى ابن غالب بن فِهر .

أبو وداعة والمطلب ابنـه

وكان أبو وداعة بن أبى ضُبيرة أسيراً كافراً يوم بدر ، وفداه ابنُه المُطلب . وكان المُطلب بن أبى ودَاعة رجلَ صِدْق . ورَوى عن رسول الله صلّى الله عليه وسلّم الحديثَ .

كنية ابن جامع وشيء من أخبار أمه

ويُكنى ابن جامع أبا القاسم . وأمه امرأة من سَهم، وتزوَّجت بعد أبيه رجلاً من أهل اليمن، فذُكر أنها أتت مَعن بن زائدة الشَّيبانى ، وابن جامع معها وهو صغير يَتبعها ويَطأ ذَيلها ، ومَعن يومئذ على اليمن ، فقالت : أصلح الله الأمير ، إنّ عَمِّى زوَّجنى زوجاً ليس بكُفء ، ففرِّق بينى و بينه . فقال : ومَن هو ؟ قالت : ابنُ ذى مُناجب . قال : علىّ به . فدَخل أَقبحَ من خَلْق الله تعالى وأشوْهه خَلقاً . فقال : مَن هذه منك ؟ قال : امرأتى . قال : خَلِّ سبيلَها . ففعل . فأطرق معنٌ ساعةً ثم رفع رأسه ، فقال :

لَعمرى لقد أصبحتَ غيرَ مُحبَّبٍ ... ولا حَسَنٍ فى عَينها ذا مُناجِبِ

فمـا لُمْتُها لمّا تبيّنتُ وجهَه ... وعيناً له حَوْصاءَ مِن تحت حاجب

وأنفاً كأنف البَكْر يقطُر دائباً ... على لحية عَصْلاء[1] شابتْ وشارب

---

(١) عصلاء : معوجة .

أتيتَ بها مثل المَهاة [١] تسُومها فيا حُسْن مَجلوب و يا قُبح جالب

وأمر لها بمائتى دينار وقال : تجهَّزى بها إلى بلادك .

من ورعه

وكان ابنُ جامع من المُغنين المُجيدين، وكان من أحفظ خَلق الله لـكتاب الله تعالى ، وأعلمه بما يحتاج إليه ، وكان يخرج من منزله مع الفَجر يوم الجمعة فيصلِّى الصُّبح ثم يُصفّ قدَميه حتى تَطلُع الشمس ، ولا يُصلِّى الناسُ الجمعة حتى يختم القرآن ، ثم ينصرف إلى منزله .

مع أبى يوسف القاضى بباب الرشيد

قيل : وكان ابن جامع حسنَ السَّمت كثيرَ الصلاة ، قد أخذ السجودُ جبهتَـه . وكان يَعتمّ بعمامة سوداء على قَلَنْسوة ويَلبس لباس الفُقهاء [٢] وعليه زىّ أهل الحجاز . فَقدِم قَدْمةً من مكة على الرشيد . فبينا هو واقفٌ على باب يحيى بن خالد يلتمس الإذن عليه ، فوقف على ما كان يَقف النـاسُ عليه فى القَديم حتى يأذنَ لهم أو يَصْرفهم. فأقبل أبو يوسف القاضى صاحب أبو حنيفة رحمهما الله بأصحابه أهل القَلانس. فلما هجم على الباب نظر إلى رجل يقف إلى جانبـه و يُحادثه ، فوقعت عينُه على ابن جامع ، فرأى سَمْته وحلاوة هيئته. فجاء أبو يوسف فوقف إلى جانبه ثم قال: أمتع الله بك، توسّمت فيك الحجازيّـة والقُرشية . قال: أصبت. قال: فمن أى قُريش أنت؟ قال : من بنى سَهم. قال : فأى الحرَمين منزلك ؟ قال . مكة . قال : فمن لقيتَ من فُقهائهم؟ قال : سل عمّن شئت . ففاتحه الفِقهَ والحديث فوجد عنده ما أَحب، فأُعجب به . ونظر الناس إليهما فقالوا : هذا القاضى قد أقبل على المُغنِّى ! وأبو يوسفُ لا يعلم أنه ابنُ جامع . فقال أصحابه : لو أخبرناه عنه ! ثم قالوا : لا ، لعلّه لا يعود إلى مُواقفته بعد اليوم ، فلِمَ نَغُمُّـه . فلما كان الإذن الثـانى ليحيى، غدا عليه الناسُ

---

(١) فى الأغانى : « تسوقها » .

(٢) العبارة فى الأغانى : « ويركب حمارا مريسيا فى زى أهل الحجاز » .

وغدا عليه أبو يوسف ، فنَظر يطلُب ابنَ جامع فرآه ، فذهب فوقف إلى جانبه ، فحادثه كما فعل . فلما انصرف قال له بعضُ أصحابه : أيها القاضى ، أتعرف هذا الذى تُواقف وتحادث ؟ قال : نعم ، رجل من قُريش من أَهل مكة من الفقُهاء . فقالوا : هذا ابن جامع المُغنى . قال : إنّا لله ! قالوا : إن الناس قد شَهَروك بمُواقفته ، فأنكروا ذلك مِن فعلك . فلما كان الإذن الثالث جاء أبو يوسف ونظر إليه فتنكّبه ، وعرف ابنُ جامع أنه قد أُنذر به ، فجاء حتى وقف ، فسلّم عليه . فردّ عليه السلام بغير ذلك الوجه الذى كان يَلقاه به ، ثم انحرف عنه . فدنا منه ابنُ جامع ، وعرف الناسُ القِصة . وكان ابنُ جامع جهيراً ، فرفع صوتَه ثم قال : يا أبا يوسف ، ما لك تَنحرف عنّى ! أىّ شىء أنكرت ؟ قالوا ، لك : ابنُ جامع المُغنى فكرهتَ مواقفتى ! أسألك عن مسألة ثم اُصنع ما شئت . ومال الناسُ فأقبلوا نحوهما يَسمعون . فقال : يا أبا يوسف ، لو أن أعرابيًّا جِلفا وقف بين يديك فأنشدك بجَفاء وغِلظة من لسانه فقال :

يا دارَمية بالعَلياء فالسَّنَد ... أقوت وطال عليها سالفُ الأبدِ

أكنتَ ترى بذلك بأساً ؟ فقال : لا ، قد رُوى عن رسول الله صلى الله عليه وسلّم أنه سمع الشِّعر ــ ورَوى فى الحديث ــ قال ابن جامع : فإن قلتُ أنا هكذا ، ثم اندفع يتغنَّى فيه حتى أتى عليه ، ثم قال : يا أبا يوسف ، هل رأيتَنى زِدْتُ فيه أو نقصتُ منه ؟ قال : عافاك الله ! أَعفنا من هذا . فقال : يا أبا يوسف ، أنت صاحب فُتْيا ، ما زِدْتُه على أن حسَّنتُه بألفاظى فحسُن فى السماع ووصل إلى القَلب . ثم تَنحَّى عنه ابن جامع .

جاء به ابن الربيع لما ولى الهادى

وذكر أنّ ابن جامع والحرّانى[1] كانا مُنقطعَيْن إلى موسى الهادى فى أيام أبيه

---

(١) هو ابراهيم الحرانى ، كان من ندماء الهادى وقيمه على خزائن الأموال .

المهدىّ ، وكَره المهدىُّ انقطاعَهما إلى ٱبنه فضَربهما وطَردها . فلما أفضت الخلافةُ إلى الهادى أعطى الفضلُ بن الربيع لبريدٍ له دَنانير ، وقال : الحق بمكة فَأْتنى بٱبن جامع وٱحمله فى قُبة ولا تُعلمنّ به أحداً. ففعل ذلك وحَمله إليه . فأنزله الفضلُ بن الرَّبيع وٱشترى له جاريةً . وكان ٱبن جامع صاحبَ نساء . فذكره موسى الهادى ذاتَ ليلة فقال لجلسائه : أما فيكم أَحد يُرسل إلى ابن جامع ، وقد عَرفتم موقعَه منِّى! فقال له الفضلُ بن الرَّبيع : هو والله عندى يا أمير المؤمنين ، وقد فعلتُ الذى أردتَ . فبَعث إليه فأُتى به فى اللَّيل . فوصل الفضلَ فى تلك الليلة بعشرة آلاف دينار ، وولّاه حِجابته .

أطرب الرشيد بصوت أخذه عن سوداء فأجازه

وحكى إسماعيل بن جامع قال :

بينا أنا بغُرفة لى باليمن وأنا مُشرف على مَشْرَعة[1] إذ أقبلتْ أَمةٌ سوداء على ظهرها قِرْبة ، فملأتْها ووضعتْها عند المَشرعة لتَستريح ، وجلستْ فغنتْ :

فرُدِّى مُصابَ القَلب أنتِ قَتلتِه ولا تُبْعِدى فيما تجشَّمتِ كُلْثُمَا
إلى الله أشكوا بُخْلَها وسَماحتى لها عَسَلٌ منِّى وتَبذُل عَلْقما
أَبى الله أن أُمسى ولا تذكُرينى وعَيْناى مِن ذكراكِ قد ذَرفتْ دَما
أَبيتُ فما تَنفكّ لى منكِ حاجةٌ رَمى الله بالحُبّ الذى كان أَظْلما

قال : ثم أخذت قِربتها لتمضى ، فٱستفزّنى من شهوة الصوت مالا قِوام لى به ، فنزلتُ إليها وقلت لها : أعيديه . فقالت : أنا عنك فى شُغل بخَراجى . قلت: وكم هو ؟ قالت : دِرهم فى كُل يوم . فقلت : هذان دِرهمان ، ورُدّيه علىّ حتى آخُذه منك . فأعطيتُها درهمين . فقالت : أمّا الآن فنَعم ، فلم تبْرح حتى أخذتُه منها . وٱنصرفتُ فلهوتُ به يومى . وأصبحتُ من غد لا أذكر منه حرفاً ، فإذا

(١) المشرعة: مورد الشاربة .

أنا بالسوداء قد طَلَعت ففعلتْ كفِعلها بالأمس ، فلما وضعت القربةَ تغنَّت غيرَه . فغدوتُ فى إثرها ، فقلت : يا جارية ، بحقِّى عليك رُدِّى علىّ الصوتَ فقد ذَهبت عنِّى منه نَغْمة . قالت : لا والله ، ما مثلُك تَذهب عنه نَغمة ، أنت تَقيس أولَه على آخره ، ولكنك أُنسيتهَ ، ولستُ أفعل إلّا بدرهمين آخرَيْن . فدفعتهما إليها ، فأعادته علىّ حتى أَخذتُه ثانيةً . فقالت: إنك تَستكثر أربعة دراهم ، وكأنى بك قد أصبت به أربعة آلاف دينار .

فكنتُ عند هارون الرشيد يوماً ، وهو على سريره ، فقال : مَن غنّانى فأَطربنى فله ألف دينار . وقُدّامه أكياس فى كُل كيس ألف دينار . فغنَّى القومُ وغنيتُ ، فلم يَطرب . حتى دار الغناء إلىّ ثانيةً ، فغنيتهُ صوتَ السّوداء ،فَرمى إلىّ بكيس وقال : أعِدْه . ففعلتُ . فَرمى إلىّ بثانٍ ، ثم قال : أعده . فأعدتهُ . فرمى إلىّ بثالث ، وأمسك . فضحكتُ . فقال : ما يُضحكك ؟ فقلت : لهذا الصوت حديثٌ عَجيبٌ يا أمير المُؤمنين. فحدّثته به وقَصصت عليه القصة . فرمى إلىّ برابع، وقال : لا تُكذِّب قولَها .

شعر للسموءل فيه لابن جامع غناء

قلت : وذَكر أبو الفَرج من الشِّعر الذى لابن جامع فيه صنعةٌ ، شعرَ السموءل بن عادياء الغسّانى اليهودىّ ، صاحب تَيماء،[1] بالحِصْن المَعروف بالأَبْلق — وقيل : إن الشعر لابنه شُريح — وهو :

تُعيِّرنا أنّا قليلٌ عديدُنا	فقلتُ لها إنّ الكِرام قَليلُ
وما ضَرّنا أنّا قليلٌ وجارُنا	عَزيزٌ وجارُ الأكثرين ذَليل
وإنّا لقومٌ لا نَرى القَتْل سُبَّةً	إذا ما رأته عامرٌ وسَلول

(١) تيماء : بليدة فى أطراف الشام .

يُقرِّب حُبُّ الموت آجالَنا لنا وتَكرهه آجالُهم فتَطُول

فاُقتضى ذلك ذِكر خبر السَّموءل وابنه شُريح ، فنذكره :

خبر السموءل وابنه شريح

كان السموءل من يهود يَثْرب ، وهو الذى يُضرب به المثل فى الوفاء . وخَبره : أن امرأ القيس بن حُجر الكِنْدىّ أودع السَّموءل أدراعا ، فأتاه الحارثُ بن ظَالِم — وقيل : الحارث بن أبى شَمِر الغسّانى — ليأخذها منه ، فتحصّن منه السَّموءل ، فأخذ ابناً له غُلاماً وناداه : إما أن تُسلِم الأدراع وإما أن أقتُل ابنك . فأبى السموءلُ أن يُسلِّم الأدراع إليه . فضرب الحارث وسَط الغلام بالسيف فقَطعه بنصفَيْن . فقال السموءلُ فى ذلك :

وفيتُ بأدرُع الكِندىّ إنّى إذا ما ذُمَّ (١) أقوامٌ وَفيتُ
وأوصى عادِياً يوماً بألّا تُهدِّمَ يا سموءلُ ما بَنيت
بَنى لى عاديا حِصْناً حَصِينا وماءً (٢) كلما شِئتُ اسْتقَيْت

ومنها :

أعاذِلتى ألاَ لا تَعذُلينى فكم من أَمر عاذلة عَصَيتُ
دَعينى وأرشُدى إن كنتُ أُغوَى ولا تَغْوَىْ زَعمتِ كما غَويْت
أعاذلَ قد طَلَبتِ اللَّومَ (٣) حتى لو أنّى مُنْتَهٍ لقد انْتهيت
وصَفراءِ المَعاصم قد دَعَتْنى إلى وَصْلٍ فقلتُ لها أَبيت
وزِقٍّ قد جَررتُ إلى النَّدامَى وزِقٍّ قد شربتُ وقد سقيت
وحتى لو يكون فتى أُناسٍ بكى من عَذل عاذلةٍ بكَيت

أسر الأعشى وشفاعة شريح فيه

وذُكر أنْ الأعشى هجا رجلاً من كَلب ، فقال :

(١) فى الأغانى : « ما خان » .
(٢) ويروى : « عيناً » و « بئراً » .
(٣) طلبت اللوم ، أى جعلته شغلك وأكثرت فيه .

بنو الشَّهر الحَرام فلستَ منهم ... ولستَ من الكرام بنى عُبَيْدِ
ولا مِن رَهْط جَبّار بن قُرْط ... ولا من رَهْط حارثةَ بن زَيد

وهؤلاء كُلهم من كَلْب . فقال الكلبى : أنا ، لا أبالك ! أشرفُ من هؤلاء . فَسبّه الناسُ بعدُ بهجاء الأعشى . وكان مُتغيِّظاً عليه . فأغار الكلبىّ على قوم قد بات بهم الأعشى ، فأَسر منهم نفراً ، وأَسر الأعشى وهو لا يَعرفه . فجاء حتى نزل بشُريح بن السَّموءل بن عادِياء الغسّانى ، صاحب تَيماء ، بحِصْنه الذى يقال له : الأَبلق ، فمر شُريْح بالأَعشى . فنادى به الأَعشى بقوله :

شُرَيْحُ لا تَتْرُكَنّى بعد ما عَلِقَتْ ... حِبالُك اليومَ بعد القِدّ[1] أظفارِى
قد جُلْتُ ما بين بانِقْيا[2] إلى عَدَنٍ ... وطال فى العُجْم تَكْرارى[3] وتَسْيارى
وكان أكرمَهم عهداً وأوثقهم ... عَقداً أبوك بعُرفٍ غيرِ إنكار
كالغيثِ ما استمطروه جادَ وابلُه ... وفى الشدائد كالمُستأسِد الضّارى
كُنْ كالسَّموءل إذ طاف الهُمام به ... فى جَحْفلٍ كسَواد الليل جرّار
إذ سامه خُطّتَىْ خَسْفٍ فقال له ... قُلْ ما تشاء فإنّى سامعٌ حار
فقال غَدْرٌ وثُكْلٌ أنتَ بينهما ... فاختَرْ وما فيهما حَظٌّ لمُختار
فشَكّ غيرَ طويلٍ ثم قال له ... اُقتُل أسيرَك إنّى مانعٌ جارى
وسوف يُعقِبُنيه إن ظَفِرتَ به ... ربٌّ كريمٌ وبيضٌ ذاتُ أطهار
لا سِرُّهن لدينا ذاهبٌ هَدَراً ... وحافظاتٌ إذا استُودِعْن أسرارى
فاختارَ أدراعَه كى لا يُسَبَّ بها ... ولم يكنْ وعدُه فيها بخَتّار[4]

(١) القد : القيد .
(٢) بانقيا : ناحية بالكوفة .
(٣) فى الديوان : « تردادى » .
(٤) الختار : الغادر .

قال : فجاء شُرَيْح إلى الكَلْبى فقال له : هَب لى هذا الأَسير المغرور.[١] فقال : هو لك . فأَطلقه وقال له : أقم عندى حتى أُكرمك وأَحْبوك . فقال له الأعشى : إن من تمام صَنيعتك أَن تُعطينى ناقةً ناجيةً [٢] وتُخلِّينى الساعةَ . فأعطاه ناقةً فركبها ومَضى من ساعته . وبَلغ الكَلبىَّ أن الذى وهب لشُرَيْح هو الأعشى ، فأرسل إلى شريحْ : اُبعث لى بالأسير الذى وهبتُ لك حتى أحبَوه وأُعطيه . فقال : قد مَضى . فأُرسل الكَلبىُّ فى طَلبه ، فلم يَلْحقه .

(١) فى الأغانى : « المضروب » . وصححها الشنقيطى بقلمه : « المضرور » .
(٢) ناجية : سريعة .

أخبار أبي سفيان بن حرب

اسمه

هو صَخر بن حَرب بن أُمية بن عبد شَمس بن عبد مَناف بن قُصَىّ بن كِلاب بن مُرة .

أم حرب

وأُم حَرب بنتُ أبى هَمْهمة بن عبد العزّى بن عامر بن عميرة بن وَديعة بن الحارث بن فِهْر .

أمه

وأُم أبى سُفيان صفيّة بنت حَزن بن بُجير بن الهُزَم بن رُوَيْبة بن عبدالله بن هلال بن عامر بن صَعصعة . وهى عمة أم المُؤمنين مَيمونة . وأُختها أُم الفَضل أُم بنى العبّاس بن عبد المُطلب .

شىء عن حرب ووفاته

وكان حَرب بن أُمية قائدَ بنى أُمية فى الجاهلية .

وذُكر أن سبب وَفاة حَرب بن أُمية أنه لما انصرف هو وإخوتُه من حَرب عُكاظ مَرّ بالقُريّة[1] ـ وهى إذ ذاك غيضة شجرمُلتفّ لا يُرام ـ فقال له مِرداس ابن أبى عامر : أما تَرى هذا الموضع ؟ قال : بلى . فما له ؟ قال : نِعْم المُزْدرع هو ! فهل لك أن نَكون شَريكين فيه ونُحرِّق هذه الغَيضة ثم نَزدرعه بعد ذلك ؟ قال : نَعم . فأضرما النار فى الغيضة . فلما استطارت وعلا لهبُها سُمع من الغَيضة أنينٌ وضجيجٌ كثير . ثم ظَهرت حيّاتٌ بِيضٌ تَطير حتى قطَعتْها وخرجتْ منها . فقال مرداس بن أبى عامر فى ذلك :

إنّى انتخبتُ لها حرباً وإخوتَه ... إنّى بحَبْلٍ وثيقِ العَهد[2] دَسّاسُ

إنى أُقوِّم قبل الأمر حُجتّه ... كيما يقالَ ولىُّ الأمر مِرداس

---

(١) القرية : موضع فى ديار بنى سليم .

(٢) فى الأغانى : « العقد » .

قِيل : وسَمِعوا هاتفاً يقول لما أُحترقت الغَيضةُ :

ويلٌ لحربٍ فارساَ مُطاعناً مُخالساَ
ويل لعمرو فارسا إذ لبسوا [1] القلانسا
لنقتُلنْ بقتله جَحاجحاً عنابسا

فلم يلبث حربٌ ومرداسٌ أن ماتا .

مكانته فى قريش وفقء عينيه

وكان أبو سُفيان بن حَرب سيّداً من سادات قُريش فى الجاهليّة ، ورأساً من رءوس الأحزاب على رسول الله صلّى الله عليه وسلّم قبل إسلامه . وهو صاحب العَير يوم بدر ، وقائد المشركين يوم أحد والخندق ، وأسلم يوم فتح مكة ، وشهد مع النبىّ صلّى الله عليه وسلّم يوم حُنين والمَشاهدَ كُلها بعده . وفُقئت عينُه يوم الطائف ، فلم يَزل أَعور إلى يوم اليَرموك ، ففُقئت عينُه الأُخرى يومئذ فعمِى .

قوله فى زواج ابنته أم حبيبة من النبى صلى الله عليه وسلم

وكانت أُبنته أُم حبيبة إحدى أزواج النبىّ صلّى الله عليه وسلّم ، وأبو سفيان يومئذ مُشركٌ يُحارب رسول الله صلّى الله عليه وسلّم ، فقيل له : إنّ محمداً قد نَكح أُبنتك . فقال : ذاكَ الفَحل الذى لا يُقْدَع أَنفُه .

واسم أُم حَبيبة رَملة . وقيل : هند . والأول أصح .

وذُكر أنه بعد إسلامه سُمع يُمازح النبىَّ صلّى الله عليه وسلّم فى بيت أُبنته أُم حبيبة و يقول : إن هو إلا أن تركتُكَ فتركَتْكَ العربُ ،فما أُنتطحتْ جمّاء [2] ولا ذاتُ قَرن . ورسولُ الله صلّى الله عليه وسلّم يَضحك و يقول له : أنت تقول ذلك يا أبا حَنظلة !

هو والنبى صلى الله عليه وسلم وقد أبطأ إذنه

وقيل : أذن رسولُ الله صلّى الله عليه وسلّم يوماً للناس ، وكان آخر مَن دخل

(١) فى رواية : « القوانسا » : جمع قونس ، وهو أعلى البيضة .
(٢) الجماء : الشاة لا قرن لها .

عليه أبو سُفيان بن حَرب ، فقال : يا رسول الله ، لقد أَذنت للناس قَبلى حتى ظننتُ أن حِجارة الخَندمة [١] ليُؤذن لها قَبلى . فقال رسول الله صلّى الله عليه وسلّم : أما والله إنك والناسَ لكما قال الأول : كُل الصَّيد فى جَوف الفَرا [٢] . أى كل شىء لهؤلاء من المَنزلة فإن لك وحْدَك مثله .

هو وهرقل عن النبى صلى الله عليه وسلم

وحدث ابن عبّاس قال : حدّثنى أبو سفيان قال :

كُنّا قوماً تجاراً ، وكانت الحربُ بيننا و بين رسول الله صلّى الله عليه وسلّم قد حصرتْنا حتى نَهكت أموالنا . فلما كانت الهُدنة ، هُدنة الُحديبيــة ، بيننا و بين رسول الله صلّى الله عليه وسلّم ، خرجتُ فى نفر من قُريش إلى الشام، وكان وَجْهُ مَتْجرنا غَزّة ، فقَدِمْناهــا حين ظَهر هرقلُ على من كان فى بلاده من الفُرس، فأخرجهم منها ورُدّ عليه صليبُه الأعظم ، وقد كانوا اُستلبوه إياه . فلما بلغه ذلك ، وكان منزله بحِمْص من أرض الشام ، خرج منها يَمشى إلى بيت المَقدس ليصلِّى فيه شكراً لله ، تُبسط له البُسط ويُطرح له عليها الرَّياحين ، حتى اُنتهى إلى إيلياء فصلَّى بها . فأصبح ذَات غَداة وهو مَهموم يُقلِّب طرفَه إلى السماء . فقالت بَطارقته : أَيها الملك ، لقد أصبحتَ مهموماً . فقال : أجل . فقالوا : وما ذاك ؟ قال : أُريت فى هذه الليلة أن مُلْك الِختان ظاهر . فقالوا : فوالله ما نَعــلم أُمةً من الأُمم تَخْتتن إلا اليَهود ، وهم تحت يَديك وسلطانِك ، فإن كان قد وَقع هذا فى نَفسك منهم فاُبعث فى مَملــكتك كُلِّها ولا يبقى يهودىّ إلا ضُربتْ عنقه ، فتستريح من هذا الهمّ . فإنهم فى ذلك من رأيهم يُدبِّرونه إذ أتاهم رسولُ صاحِب بُصْرى برجلٍ من العرب قد وَقع إليهم . فقال : أيها الملك ، إن هذا رجل من أهل العرب من أهل

---

(١) الخندمة : جبل بمكة .

(٢) الفرا : الحمار الوحشى .

الشاء والإبل يحدِّثك عن حَدَثٍ كان فى بلاده ، فاسـألْه عنه . فلما انتهى قال لتَرْجُمَانه : سَلْه ما هذا الخبر الذى كان فى بلاده ؟ فسأله . فقال : رجلٌ من العَرب من قُريش خَرج يزعُم أنه نبىّ ، وقد اتبعه أقوام وخالفه آخرون ، وقد كانت بينهم مَلاحمُ فى مَواطن كثيرة ، فخرجتُ من بلادى وهم على ذلك . فلما أخبره الخبر قال: جَرِّدوه ، فإذا هو مَختون . فقال : هـذا والله الذى أُريت لا ما يقولون . أعطوه ثَوبه . انطلق لشأنك . ثم دعا صاحب شُرطتـه فقال له : اقْلب لى الشأم ظهراً لبطن حتى تأتينى برجل من قَوم هذا أسأله عن شأنه .

قال أبو سفيان : فوالله إنى وأَصحابى لبغَزة إذ هَجم علينا صاحبُ شرطته فسألنا : من أنتم ؟ فأخبرناه . فساقنا إليه جميعاً . قال أبو سفيان : فوالله ما رأيت رجلاً قطُّ أزعم أنه كان أدهى من ذلك الأقلف ــ يُريد هرقل ــ فلما انتهينا إليه قال : أيكم أمسّ به رحماً ؟ فقلت : أنا . فقال : أَدنوه منِّى . فأَجلسنى بين يديه ، ثم أَمر أصحابى فأَجلسهم خلفى ، وقال : إن كذب فردُّوا عليه . قال أبو سفيان : فلقد عرفتُ أن لو كذبت ما ردّوا علىّ ، ولـكن كنتُ امرأً سيّداً أتكرم[1] وأَستحى من الـكذب ، وعرفت أنّ أَدنى ما يكون فى ذلك أن يردّوا علىّ ثم يتحدثوا عنّى بمكة ، فلم أكذبه . فقال : أخبرنى عن هذا الرجل الذى خَرج فيكم . فزهَّدت له شأنه وصغَّرت له أمره ، فوالله ما التفت إلى ذلك منِّى وقال : أخبرنى عما أسألك عنه من أَمره . فقلت : سَلنى عما بدا لك . فقال : كيف نَسبه فيكم ؟ قلت مَحضٌ ، من أوسطنا نسباً . قال : فأخبرنى هل كان من أهل بيته أحد يقول مثل قوله فيتشبّه به ؟ فقلت : لا . قال : فأخبرنى هل كان له فيكم مُلك فاستلبتموه إياه فجاء بهذا الحديث لتردُّوا عليه مُلـكه ؟ فقلت : لا . قال : أخبرنى عن أتباعه منكم من هم ؟ قلت : الضعفاء والمساكين والأحداث من الغلمان والنساء ، فأما ذوو الأسنان

(١) فى الأغانى : « أتبرم عن الكذب » .

من الأشراف من قومه فلم يتبعه منهم أحد . قال : فأخبرنى مَن يَصحبه : أيُحبه وَيلزمه أم يَقْليه و يفارقه ؟ قلت : قلما صَحِبه رجل ففارَقه . قال: فأخبرنى عن الحرب بينكم و بينه . فقلت : سجال ، يُدال علينا ونُدال عليه . قال : فأخبرنى : هــل يَغدر ؟ فلم أجد شيئاً أغتمزُ فيه إلاهى ، فقلت : لا ، ونحن منه فى هُدنة [1]لا نأمن غَدره. قال: فوالله ماالتفت إليهامنّى. فأعادعلىّ الحديث، فقال: زعمتَ أنه من أَمحضكم نسباً ، وكذلك يأخذ الله النّبىّ ، لا يأخذه إلا من أوسط قومه . وسألتك : هل كان من أهل بيته أحد يقول مثل قوله يتشبّه به ؟ فقلتَ : لا . وسألتك : هل كان له مُلك فاستلبتموه إياه فجاء بهذا الحديث لتردّوا عليه ملــكه ؟ فقلتَ: لا. وسألتك عن أتباعه ، فزعمتَ أنهم الأحداث والمَساكين والضعفاء ، وكذلك أتباع الأنبياء فى كُل زمان . وسألتك عمّن يَتبعه : أيُحبه و يَلزمه أم يَقْليه و يُفارقه ؟ فزعمتَ أنه قَلّ مَن يَصحبه فيُفارقه ، وكذلك حلاوة الإيمان لا تدخل قلباً فتَخرج منه . وسألتك كيف الحربُ بينكم ؟ فزعمتَ أنها سجال يُدال عليكم وتُدالون عليــه . وكذلك تكون حُروب الأنبياء ولهم العاقبة . وسألتك : هل يَغدر ؟ فزعمتَ أنه لا يَغدر. ولئن صدقْتنى ليغلبنّى على ما تحت قَدمى،ولوددتُ أنى عنده فأَغسل قدميه . الحَقْ بشأنك . فقمُت وأنا أضرب بإحدى يدى على الأُخرى وأقول : عبادَ الله ، لقد أَمِرأَمْرُ ابن أبى كَبشة ! [2] أصبح ملوك بنى الأصفر يخافونه فى سُلطانهم .

---

(١) يريد هدنة الحديبية ، وفى الأغانى : « فى مدة »

(٢) أمر : عظم . وابن أبى كبشة : رجل خالف قريشاً فى عبادة الأوثان فسموا النبى صلى الله عليه وسلم باسمه لخروجه عليهم .

إسلام أبي سفيان

رَوَى ابن عبّاس قال :

لما عَزم رسولُ الله صلّى الله عليه وسلّم على فتـح مكة خَرج لعَشر مَضَيْن من شَهر رمضان — قلت : يعنى سنة ثمانٍ من الهجرة — فصام وصام الناسُ معه ، حتى إذا كان بالكُديد أفطر . ثم مَضى رسولُ الله صلّى الله عليه وسلّم حتى نَزل مَرَّ الظَّهران [1] فى عشرة آلاف من المُسلمين ، وقد عميت الأخبـار عن قُريش ، ولا يأتيهم خَبر عن رسول الله صلّى الله عليه وسلّم ، ولا يَدرون ماهو فاعل . فخرج فى تلك الليلة أبو سُفيان بن حَرب ، وحَكيم بن حِزام ، و بُديل بن وَرقاء ، يتجسّسون و ينظرون هل يجدون خبراً ، أو يسمعونه .

قال العباس : فقلت : واصباح قُريش ! لئن دخل رسولُ الله صلّى الله عليه وسلم مكة عَنوة قبل أن يأتوه فَيستأمنوا إليه ، إنه لهلاك قُريش إلى آخر الدهر .

قال العباس : فركبتُ بغلةرسولالله صلّى اللهعليهوسلّم البيضاءَ فخرجتُ عليهاحتى جئتُ الأراك، [2] أقول: لعَلّى أرى بعض الحطّابة ،أو صاحب لَبن أوذا حاجة يأتيهم فيُخبرهم بمكان رسول الله صلّى الله عليه وسلّم . قال : فوالله إنى لأسير عليها وألتمس ماخرجتُله إذسمعتُ كلامأبىسفيان،وحكيم بنحزامو بديل بنرقاء،يتجسسون الخبر عنرسول الله صلى الله عليه وسلم ، وسمعنا أبو سفيان يقول : مارأيت كالليلة نيراناً قطّ ولاعسكرا !قال : فعرفتُ صوتأبىسفيان .فقلت: أبا حنظلة ! فعرف صوتى فقال : أباالفضل! قلت : نعم.قال:مالك ؟ فداكأبى وأُمى ! قلت: و يلك! هذا رسولالله صلّى الله عليهوسلّم فى الناس ، واصباحَ قُريش ! فقال : ما ترى؟ فقلت : تَركب عَجُز هذهالبغلة فأستأمنلك رسول الله صلّى الله عليه وسلّم ، فوالله لئن ظفر بك ليضربنّ

(١) من الظهران : واد قرب مكة .

(٢) الأراك : قرب مكة .

عُنقك . فرَدِفنى . فخرجتُ به أركض بغلة رسول الله صلّى الله عليه وسلّم نحو رسول الله صلّى الله عليه وسلّم . فكلما مررتُ بنارٍ من نيران المُسلمين فنَظروا إلىّ قالوا : عَمّ رسول الله صلّى الله عليه وسلم على بغلة رسول الله صلّى الله عليه وسلّم . حتى مررتُ بنار عُمر بن الخطّاب . فقال : أبو سفيان ! الحمد لله الذى أمكن منك بغير عَقد ولا عهد . ثم اشتد نحو رسول الله صلّى الله عليه وسلّم . وركضتُ البغلة حتى اقتحمت على باب القُبة، وسبقتُ عُمر بما تَسبق به الدابة البطيئة الرجلَ البطىء. فدخل عُمر على رسول الله صلّى الله عليه وسلّم فقال : يا رسول الله ، هذا أبو سفيان أمكن الله عزّ وجلّ منه بغير عَقد ولا عَهد ، فدعنى أضرب عُنقه . فقلت : يا رسول الله ، إنى قد أجرتُه . ثم جلست إلى رسول الله صلّى الله عليه وسلّم وأخذت برأسه وقلتُ : والله لا يُناجيه اليومَ أحد دونى . فلما أكثر فيه عُمر قلت : مهلاً يا عمر ، فوالله ما تَصنع هذا إلّا لأنه رجل من بنى عَبد مَناف ، ولو كان من بنى عدىّ بن كَعب ما قلتَ هذا ! فقال : مهلا يا عبّاس ، فوالله لإسلامك يومَ أسلمت كان أحبَّ إلىّ من إسلام الخطّاب لو أَسلم ، لأنى أعلم أَن إسلامك أحبُّ إلى رسول الله صلّى الله عليه وسلم من إسلام الخطّاب لو أسلم. فقال رسولُ الله صلّى الله عليه وسلم :اذهب فقد أمّناه حتى تَغدو به علىّ الغَداةَ. فرجعتُ به إلى منزلى . فلمّا أصبح غدا به على رسولِ الله صلّى الله عليه وسلّم . فلما رآه قال : ويحك يا أبا سفيان ! أما آن لك أن تَعلم أنه لا إله إلا الله ؟ قال : بأبى أنت وأُمى ، ما أَوْصلك وأحلمك وأكرمك ! والله لقد ظننتُ أنه لو كان مع الله عزّ وجلّ غيره لقد أغنى عنّى شيئاً . فقال : ويحك يا أبا سفيان ! أما آن لك أن تعلم أنى رسولُ الله ؟ قال : بأبى أنت وأُمى ، ما أَوصلك وأَحلمك وأكرمك! أمّا هذه فإن فى النّفس منها شيئاً . قال العبّاس : فقلتُ له : ويحك! تَشهد شهادة الحقّ قبل أن تُضرب عُنقك . قال : فتشهّد . فقال رسولُ الله صلّى الله عليه وسلّم للعبّاس حين تشهّد أبو سفيان : انصرف يا عبّاس

فأحبسه عند خَطْم الجبل بمَضيق الوادى ، حتى تَمُر عليه جُنود الله عزّ وجل . فقلت : يا رسول الله ، إن أبا سفيان يُحب الفَخر فاجعل له شيئاً . فقال : نعم ، مَن دخل دار أبى سفيان فهو آمن ، ومن دخل المَسجد فهو آمن ، ومَن أَغلق عليه بابه فهو آمن . فخرجتُ حتى أجلسته عند خَطم الجبل بمَضيق الوادى . فمرتْ عليه القبائل ،فجعل يقول : من هؤلاء يا عباس ؟ فأقول : سُليم . فيقول : مالى ولسُليم ! فتمر به قبيلة ، فيقول : مَن هؤلاء ؟ فأقول : أَسلم . فيقول : مالى ولأسلم ! وتمُر جُهينة . فيقول : من هؤلاء ؟ فأقول : جهينة : فيقول : مالى ولجهينة ! حتى مَرّ رسولُ الله صلّى الله عليه وسلّم فى الخضراء ، كتيبة رسول الله صلّى الله عليه وسلّم من المُهاجرين والأَنصار ، فى الحديد لا يُرَى منهم إلا الحدَق . فقال : مَن هؤلاء يا أبا الفضل ؟ فقلت: هذا رسولُ الله صلّى الله عليه وسلّم فى المُهاجرين والأنصار . فقال: يا أبا الفضل، لقد أَصبح مُلك ابن أَخيك عظيماً . فقلت : ويحك ! إنها النبوّة . فقال : نعم . فقلت : الحق الآن بقومك فحذّرهم . فخرَج سريعاً حتى أتى مكةَ ، فصَرخ فى المَسجد : هذا محمد قد جاءكم بمالا قِبَل لكم به . قالوا : فمَه ! قال: فمَن دخل دارى فهو آمن . فقالوا : ويحك ! ماتُغنى دارك عنا ! قال : ومن دخل المسجد فهو آمن ، ومن أغلق عليه بابه فهو آمن .

أبو سفيان يوم اليرموك

وتَحدث عبدُ الله بن الزُّبير قال :

لما كان يوم اليَرموك خلّفنى أبى ، فأخذتُ فرساً له وخرجتُ ، فرأيتُ جماعةً من الطُّلقاء ، منهم أبو سفيان بن حَرب ، فكانت الرُّوم إذا هَزمت المُسلمين قال أبوسفيان بن حَرب : إيها بنى الأصفر ! فإذا كَشفهم المُسلمون قال أبوسفيان :

و بنو الأصفر الكرامُ ملوكُ الرُّ وم لم يَبق منهُم مذكُور

فلما فَتح الله على المُسلمين حدّثتُ أبى فقال : قاتله الله ! أَبى إلّا نِفَاقاً ، أو لسنا خيراً له من بنى الأصفر ! ثم كان يأخذ بيدى فيطوف بى على أصحاب رسول الله صلّى الله عليه وسلّم فيقول : حدِّثهم . فأُحدثهم . فيَعجبون من نِفاقه .

هو وعلى لما ولى أبو بكر

وقيل: لما تُوفى رسولُ الله صلّى الله عليه وسلّم وولى الخلافةَ أبو بكر الصِّدّيق رضى الله عنه، جاء أبو سفيان بن حَرب إلى علىّ بن طالب رضى الله عنه فقال: يا أبا الحسن، ما بالُ هذا الأمر فى أضعف قُريش وأقلِّها! فوالله لئن شئت لأملأنّها عليهم خيلاً ورجالاً. فقال على رضى الله عنه: طالما عاديتَ اللهَ ورسولَه والمُسلمين، فما ضرّهم ذلك شيئاً، إنّا وجدنا أبا بكر لهـا أهلاً.

شعر له لما ولى أبو بكر

وقال أبو سفيان، لمـا ولى أبو بكر رضى الله عنه:

وأضحت قُريشٌ بعد عِزٍّ ومَنْعة ... خُضوعاً لتَيْمٍ[1] لا بضَربِ القَواضبِ

فيا لَهْفَ نَفْسى للذى ظَفِرتْ به ... وما زال منهـا فائزاً بالرّغائب

والشعر الذى فيه الغناء، وافتتح به أبو الفرج أخبار أبو سفيان، هو أبيات قالها فى سَلَام بن مِشكم اليهودىّ، لما نزل عليه أبو سفيان فى غَزاة السَّويق، وهى:

سَقـانى فَرَوّانى كُمَيْتاً مُـدامةً ... على ظَمإٍ منِّى سَلَامُ بن مِشْـكَمِ

تخيّرتُه أهلَ المدينة واحِـداً ... سواهم فلم أُغْبَن ولم أتنـدَّمِ

فلما تَقضَّى الليـلُ قلتُ ولم أكُن ... لأُفْرِحَه أَبشر بعُرف ومَغْـنم

وإنّ أبا غُنْم يجود ودارُه ... بيثرب مأوى كُل أبيضَ[2] خِضْرِمِ

هو فى غزوة السويق

وذُكر أنه لمّا انقضت غزوةُ بدر نَذر أبو سفيان ألاّ يَمس رأسَه ماءٌ من جنابة حتى يَغزو رسولَ الله صلّى الله عليه وسلّم. فخرج فى مائتى فارس من قُريش ليُبرّ يَمينه، فسَلك النجديّةَ حتى نَزل بصَدر قَناة إلى جَبل يُقال له تَيَب،[3] من المَدينة على بريد أو نحوه. ثم خَرج من الليل حتى أتى بنى النّضير من اليهود، تحت

(١) هو تيم بن مرة بن كعب. وإليه قبيلة أبى بكر.

(٢) الخضرم: الجواد الكثير العطية.

(٣) تيب، بالتحريك والباء آخراً، ويقال فيه: تيت، بسكون الياء، وتشديدها مع الفتح والكسر.

الليل ،فأتى حُيَىّ بن أخطب فضَرب عليه بابَه ، فأَبى أن يفتح له وخافه . فمضى إلى سَلَام بن مِشْكم ، وكان سيِّد بنى النَّضير فى زَمانه ذلك وصاحب كنزهم ، فاُستأذن عليه . فأذن له . فقَراه وسَقاه الخمر ونَظر له خَبَر الناس ، ثم خَرج فى عقب ليلته حتى جاء أَصحابه ، فبعث رجالاً من قُريش إلى المدينة . فأَتوا ناحيةً منها يقال لها : العُرَيض ، فحرّقوا فى نَخل لها ، ووجدوا رجلاً من الأنصار وحايفاً له فى حَرْث لهما ، فقتلوهما ، ثم اُنصرفوا راجعين . ونَذِر بهم الناسُ. فخرج رسولُ الله صلّى الله عليه وسلّم فى طلبهم حتى بلغ قَرْقرة الـكُدْر[1] ، ثم اُنصرف راجعاً لم يَلْق كَيْداً ، وقد فاته أبو سفيان وأصحابُه ، وقد رأَوْا من مَزاود القوم ما قد طرحوه فى الحَرْث ، يتخففَّون به للنَّجاة ، وفيها سَويق ، فلذلك سُمِّيت الغَزوة : غزوةَ السَّويق.

وذكر أبو الفَرج أنها إنما سُميت بذلك لأن قُريشاً عَيَّرت أبا سفيان بكونه خَرج فلم يَصنع شيئاً ، وقالوا : إنما خرجتم تَشربون السَّويق .

وقال المُسلمون ، حين رجع بهم رسولُ الله صلى الله عليه وسلم : أَنطمع أن تكون غزوة ؟ قال : نعم .

(١) على ستة أميال من خيبر .

أخبار الوليد بن يزيد

هو الوليد بن يزيد بن عبد الملك بن مَروان بن الحكم بن أبي العاصِ بن أُمية ابن عبد شمس بن عبد مناف . ويكنى : أبا العباس .

نسبه و كنيته

وأُمه أُم الحجّاج بنت محمد بن يوسف بن الحكم بن أبي عَقيل الثَّقفي . وهي بنت أخي الحجّاج بن يوسف . وفيه يقول أبو نُخَيلة :[1]

أمه

بين أبي العاصِ و بين الحجّاجْ   يا لكما نُورًا سِراجٍ وهّاجْ
عليه بعد عَمّه عِقْد التاجْ

وأُم يزيد بن عبد الملك بن مَروان عاتكةُ بنت يزيد بن معاوية بن أبي سُفيان بن حَرب بن أُمية . وأُمها أم كُلثوم بنت عبد الله بن عامر بن كُريز بن ربيعة بن حَبيب بن عبد شمس . وأُم عبد الله بن عامر بن كُريز أُم حكيم البَيضاء بنت عبد المُطلب بن هاشم ، عَمّة رسول الله صلّى الله عليه وسلّم ، ولذلك يقول الوليدُ بن يزيد :

أم يزيد

نَبِيُّ الهُدى خالي ومن يكُ خالُه   نَبِيَّ الهُدى يَقْهَرْ به من يُفاخرُ

وكان الوليدُ بن يزيد من فِتْيان بني أُمية وظُرفائهم وشُعرائهم وأجوادهم وأشدّائهم ، وكان مع ذلك خليعاً مُنهمكاً في الشرب واللّهو وسَماع الغناء ، وولي الخلافةَ بعد عَمّه هِشام بن عبد الملك بن مَروان بعهدٍ من أبيه يزيدَ بن عبد الملك .

شيء عن الوليد و ولايته الخلافة

ذُكر أنه لما خَرج بالعراق يزيدُ بن المُهلَّب بن أَبي صُفرة الأَزدي على يزيدَ

ولايته العهد بعد هشام وطمع هشام في خلعه

(١) ستأتي ترجمته .

ابن عبد الملك بن مروان ، ووجَّه يزيدُ بن عبد الملك الجيُوشَ لقتاله ، وعقـد لأخيه مَسْلمة بن عبد الملك على الجيش ، و بعث ابنَ أخيه العباسَ بن الوليد بن عبد الملك وعَقَد له على أهل دمشق ، قال له العبّاس : يا أمير المُؤْمنين ، إنّ أهل العراق أهل غَدْر و إرجاف ، وقد وجهتنا مُحاربين والأحداثُ تحدُث ، ولا آمَن أن يُرْجِفَ أهلُ العراق و يقولوا : مات أميرُ المُؤْمنين ولم يَعهد ، فيفُتُّ ذلك فى أعضاد أهل الشأم . فلو عَهِدْتَ عهداً إلى عبد العزيز بن الوليـد ؟ فقال : غدا . و بلغ ذلك مَسلمةَ بن عبد الملك ، فأتى يزيدَ فقال : يا أمير المؤمنين ، أيما أحبُّ إليك : ولدُ عبد الملك أو ولد الوليد ؟ فقال : بل ولدُ عبد الملك . فقال له : فأخوك أحقُّ بالخلافة أم ابن أخيك ؟ قال : إذا لم تكن فى ولدى فأخى أحقُّ من ابن أخى . قال : فابنك لم يبلُغ ، فبايِعْ لهشام ثم لابنك بعد هشام. والوليدُ بن يزيد يومئذٍ ابن إحدى عشرة سنة . قال: غدا أُبايع . فلما أصبح فعل ذلك و بايع لأخيه هشام بن عبد الملك بولاية العهد و بعده لابنه الوليـد . وأخذ على هشام ألاّ يَخلع الوليدَ بعده ،ولا يُغيِّر عهده ، ولا يَحتال عليه . فلما بلغ الوليدُ بن يزيد نَدِم أبوه على تَقْديم هشام عليه ، فـكان يقول: الله بينى و بين مَن جعل هشاماً بينى و بينك. ثم تُوفى يزيد بن عبد الملك سنة خمس ومائة ، وعُمْر الوليد ابنه خمسَ عشرة سنة . وولى الخلافةَ هشامُ بن عبد الملك بن مروان ، والوليد ولىّ عهده ، فلم يزل الوليدُ مُكرَّماً عند عمِّه هشام رفيعَ المَنزلة مدة ، ثم طَمِع هشام فى خَلع الوليد وعَقد العهد بعده لابنه مَسلمة بن هشام ، فجعل يذكر الوليدَ بن يزيد وتَهتُّكه و إدمانه على الشَّراب ، و يُظهر ذلك فى مَجلسه ، و يقوم به و يقعد . وولّاه الحجَّ ليُظهر ذلك منه بالحرَمَيْن فيسقطَ . فحجّ فظهر منه فِعْلٌ كثير مَذْموم،وتَشاغل بالمُغنِّين والشَّراب ، وأمر مولًى له فحجّ بالناس . فلما رَجع طالبـه هشامٌ بأن يَخلع نفسَه ، فأبى ذلك ، فحرمه العَطاء وحَرم سائر مواليه وأسبابَه وجفاه جَفاءً شديداً . فخرج مُتبدِّياً . (١)

---

(١) خرج متبدياً ، أى إلى البادية .

وخَرج معه عبدُ الصمد بن عبد الأعلى مُؤدِّبه ، وكان يُرمَى بالزَّندقة . ودعا هشامٌ الناسَ إلى خَلع الوليد والبيعة لأبنه مَسلمة .

—وأمُّه أمّ حكيم بنت يَحيى بن الحكم بن أبي العاصى . وكان يُكنى: أبا شاكر. كُنِّي بذلك لمَولًى كان لمَروان يكنى : أبا شاكر . وكان ذا رأى وفَضل ، وكانوا يُعظِّمونه ويتبرّكون به —

فأجابه إلى خَلع الوليد والبيعة لَمسلمة بن هشام : محمدٌ، وإبراهيم ـ أبنا هشام بن إسماعيل المخزوميّ ـ وعبدالعزيز ، وخالد، والوليد ، بنو القَعقاع بن خُويلد العَبْسى، وغيرهم من خاصّة هِشام . وكتب هشام إلى الوليد : ما تَدع شيئاً من المُنكر إلّا أرتكبْته ، فليتَ شِعرى ما دِينُك ؟ فما أدرى أعلى الإسلام أنت أم لا ؟ فكتب إليه الوليدُ بن يزيد :

يأيها السائلُ عن دِيننا نحن على دين أبي شاكرِ
نَشربُها صِرْفاً ومَمزوجةً بالسُّخْن أحياناً وبالفاترِ

فغَضب هشامٌ على أبنه مَسْلمةَ وقال : يُعيِّرنى بك الوليدُ وأنا أُرشِّحك للخلافة ! فألزم الأدب وأحضُر الصلوات . وولّاه الموسمَ سنةَ سبعَ عشرةَ ومائة . فأظهر النُّسك وقَسم بمكة والمدينة أموالاً . فقال رجلٌ من أهل المدينة :

يأيها السائلُ عن دِيننا نحنُ على دين أبي شاكرِ
الواهبِ البُزْلَ[1] بأَرْسانها ليس بزنديقٍ ولا كافرِ

يُعرِّض بالوليد .

إباء خالد القسرى بيعة مسلمة

وبلغ خالدَ بن عبد الله القَسرىّ ما عزم عليه هشامٌ، فأباه وقال : أنا برىء من خليفة يكنى : أبا شاكر . فبلغت هشاماً عنه . فكان ذلك سبب إيقاعه به .

الوليد والعباس فى مجلس هشام

وذُكر أن الوليد بن يزيد دَخل يوماً على مجلس هشام ، وقد كان فى ذِكره قَبل أن يدخل . فحمقه مَن حَضر من بنى أُميــة . فلما جَلس قال له العبّاس بن

(١) البزل من الإبل : التى استكملت الثالثة وطعنت فى التاسعة ؛ الواحد : بازل . والأرسان : الحبال تقاد بها الإبل ؛ الواحد : رسن .

الوليد بن عبد الملك ، وعُمر بن الوليد : كيف حُبُّك يا وليد للرُّوميّات ، فإن أباكَ كان يُحبّهن وكان بهنّ مشغوفاً ؟ قال : إني لأُحبهنّ ، وكيف لا أُحبهنّ ولن تزال الواحدة منهنّ قد جاءت بالهجين مِثْلك . وكانت أُم العبّاس روميّة . فقال : اُسكتْ ! فلست (١) الفحلَ يأتى عَسْبُه (٢) بمثلى . فقال له الوليد : اُسكت يابن البَظْراء ! فقال : أَتَفْخر علىّ بما قُطع من بَظْر أُمك . وأَقبل هشام على الوليد فقال له : ما شرابك ؟ قال : شرابُك يا أَمير المؤمنين ، وقام مُغْضَباً فخرج . فقال هِشام : أهذا الذى تَزْعُمون أنه أَحمق ! ما هو أحمق ، ولكنى ما أظُنه على المِلّة .

هوسعيد بن هشام وإبراهيم المخزومى فى مجلس هشام

وذُكر أنّه دَخل الوليدُ بن يزيد يوماً مجلسَ هِشام بن عبد الملك ، وفيه سعيدُ ابن هِشام بن عبد الملك ، وإبراهيم بن هشام بن إسماعيل المخزومى ، وأبو الزُّبير ، مَولى مروان ، وليس هشام حاضراً . فجلس الوليدُ مجلسَ هشام . ثم أقبل على سَعيد ابن هشام ، فقال له : من أنت ؟ وهو به عارف . قال : سعيد ، ابن أمير المؤمنين . قال : مرحباً بك . ثم أَقبل على أبى الزُّبير فقال : مَن أنت ؟ فقال : أبو الزُّبير مولاك أيها الأمير . فقال : مرحباً بك . ثم أقبل على إبراهيم بن هشام فقال : من أنت ؟ قال : إبراهيم بن هشام بن إسماعيل . فقال : مَن إسماعيل ؟ فقال : إسماعيل ابن هشام بن الوليد بن المُغيرة . فقال : مَن الوليدُ بن المُغيرة ؟ قال : الذى لم يكن جَدُّك يُرَى أنه فى شىء حتى زَوَّجه أبى ، وهو بعضُ ولدِ ابنته . فقال : يابن اللَّخناء ! أتقول هذا ! وانتخذا (٣) . وأقبل هشامٌ ، فقيل لهما : قد جاء أمير المؤمنين . فجلسا وكفَّا . فما كاد الوليدُ يتنحَّى عن صَدر مجلسه ، إلا أنه زَحَل له قليلاً . فجلس هشامٌ فقال : كيف أنت يا وليد ؟ فقال : صالحٌ . قال : ما فعلتْ

(١) فى الأغانى : « فليس » .
(٢) العسب : ماء الفحل .
(٣) انتخذا : تصارعا .

برَابِطُك [١] . قال مُعْمَلةٌ . قال : فما فَعل نُدماؤك ؟ قال : صالحون ، ولَعنهم الله إنْ كانوا شرًّا ممّن يحضُرك . فقال هشام : يا بن اللَّخناء ! جَؤُوا عُنقه . فلم يفعلوا ودَفعوه رُويداً . فقال الوليدُ :

أنا ابن أبي العاصِي وعثمانُ والدِي ومروانُ جَدِّي ذو الفَعَال وعامرُ

أنا ابنُ عَظيم القَرْيتين وعزُّها ثَقيفٌ وفِهْرٌ والعُصاةُ الأكابر

نبيُّ الهُدَى خالِي ومن يَكُ خالُه نبيَّ الهُدى يَفْخر به [٢] ويُكاثر

شعره لهشام لما أراد خلعه

وقيل : لمّا أراد هشام بن عبد الملك أن يَخلع الوليدَ بن يزيد مِن ولاية عَهده ، قال الوليد يُؤنبه ويَذكر إحسان والده إليه ويحذّره سُوء عاقبة فِعْله :

كفرتَ يداً من مُنعِمٍ لو شكرتَها جَزاك بها الرحمنُ ذو الفَضل والمَنِّ

رأيتُك تَبني جاهداً في قَطيعتي ولو كنتَ ذا حزم [٣] لهدّمتَ ما تَبْني

أراك على الباقين تَجني ضَغينةً فيا وَيْحهم إن مُتَّ من شرِّ ما تَجْني

كأنّي بهم يوماً وأكثرُ [٤] قِيلهم أيا ليت أنّا حين يا ليت لا تُغْني

ذم هشاماً بشعر لعبثه بخاصته

وذُكر أن هشام بن عبد الملك عَبث [٥] بالوليد بن يزيد وخاصّته ، فخرج الوليدُ في نَفرٍ من أصحابه فنَزل بالأبرق ، وخَلّف في الرُّصافه كاتبَه عِياضَ بن مُسْلم ، مولى عبد الملك ، ليُكاتبه بما يحدُث . فقال الوليدُ لمؤدِّبه عبد الصمد بن عبد الأعلى ، وقد شَربوا يوماً : قُل أبياتاً نُغنّي فيها . فقال أبياتاً وأمر عُمر الوادى فغنَّى فيها ، وهي :

ألم تَر للنَّجم إذ [٦] سَبَّعا يُبادر في [٧] بُرْجه المَرْجِعَا

(١) البرابط : جمع بربط ، وهو العود .
(٢) في الأغاني : « يقهر به ويفاخر » .
(٣) في الأصل : « أرب » مكان « حزم » .
(٤) في الأغاني : « قولهم » مكان « قبلهم » . (٥) في الأغاني : « عتب على الوليد »
(٦) سبع : أقام سبعا .
(٧) في الأصل : « عن » . مكان « في »

تحـيَّرعن قَصْـد مَجْراتِه إلى الغَوْر والْتمس المَطْلَعا
فقلتُ وأَعْجبـنى شـأنُه وقد لاح إذ لاح لى مُطْمِعا
لعلّ الوليدَ دنا مُلْـكُه فأَمسَى إليه قد اُسْتَجمعا
عَقَدْنا له مُحْـكمات الأُمو رِ طَوْعاً وكان لها مَوْضِعا

فرُوِى هذا الشعرُ، و بلغ هشاماً، فقَطع عن الوليد ما كان يُجرى عليه وعلى أصحابه وحَرمِهم . وكتب إليه : بَلغنى أنك قد اتخذتَ عبـد الصمد خِدْناً ومُحدِّثاً ونديماً ، وقد حقَّق ذلك ما بلغنى عنك ، ولن أُبرّئك من سُوء ، فأَخرج عبد الصمد مَذْموماً مَدْحوراً . فأَخرجه الوليدُ وقال :

لقـد قذفـوا أبا وَهْبٍ بأَمرٍ كبيرٍ بل يزيدُ على الـكَبيرِ
فأَشْهد أنهم كَذَبوا عليه شهـادةَ عالمٍ بهـمُ خَبـير

وكتب الوليدُ إلى هشام بأنه قد أَخرج عبد الصمد، واُعتذر إليه من مُنادمته، وسأله أن يأذن لاُبن سُهيل فى الُخروج إليه . وكان من خاصّة الوليد .فضَرب به هشام ونَفاه وسيَّره . وكان اُبن سُهيل من أهل الشَّرف والنُّبـل ، وَلى دِمشق مِراراً ، وولى غيرَها . وأخذ عياضَ بن مُسلم ، كاتب الوليد فضَرب به ضرباً مُبرِّحًا، وأَلْبسه المَسُوح وقَيّده وحَبسه . فغَمّ ذلك الوليدَ وقال : مَن يَثِق بالنـاس ! ومَن يَصطنع المَعروف ! وهذا الأحـولُ المشئوم قدَّمه أبى على وَلده وأهل بيته وأولاده ، وهو يَصنع ما ترَوْن ، ولا يَعلم أنّ لى فى أحدٍ هوًى إلا ضَرب به وأَضرَّ به . كتب إلىّ بأن أُخرج عبدَ الصمد، فأَخرجتُه . وكتبتُ إليه فى أن يأذن لاُبن سُهيل فى الُخروج إلىّ ، فضَرب به وطَرده ، وقد عَـلِم رأيى فيه . وعَرف مكان عياض منِّي وانقطاعه إلىّ فضَرب به وحَبسه ، يُضارُّنى بذلك . اللهم أَجِرْنى منـه . ثم قال الوليدُ :

أنا النَّذيرُ لمُسْدِى نعمــةٍ أبداً — إلى المَقاريفِ[1] لمّا يَخْبُرِ الدَّخَلاَ
أتشمخون ومنّا رأسُ نعمتكم — ستعلمون إذا أبصرتُم الدُّوَلا
إنْ أنت أكرمتَهم ألفيتَهم بَطِرُوا — وإنْ أهنتَهمُ ألفيتَهم ذُلُلا
أنظُر فإن أنت لم تقدر على مَثَل — لهم سِوَى الكلْب فاضرِبْه لهم مَثَلا
بينا يُسمِّنه للصَّيْد صاحبُه — حتى إذا ما استوى من بعد ما هُزِلا
عدا عليه فلم تضرُرْه عَدْوتُه — ولو أطاق له أكلاً لقد أَكلا

شعره فى الفخر على هشام

وقال الوليدُ أيضاً يفتخر على هشام :

أنا الوليد أبو العبّاس قد علمت — عُلْيا مَعَدٍّ مَدَى كَرِّى وإقْدامِى
إنّى لفى الذِّرْوة العُلْيا إذا انْتَسبوا — مُقابَلٌ[2] بين أخوالى وأعمامى
بَنى لىَ المجدَ بانٍ لم يكُن وَكِلاً — على مَنارٍ مُضيئاتٍ وأعلام
حللتُ من جوهر الأَعْياص قد علموا — فى باذخٍ مُشمخرِّ العزِّ قمْقام[3]
صَعْبِ المَرام يُسامِى النَّجمَ مَطلعُه — يَسْمو إلى فَرْع طَوْدٍ شامخٍ سامى

وقيل : إن الوليد بَعث براويته إلى هشام فأنشده هذه الأبيات. فقال : هشام: والله ما علمتْ له مَعَدٌّ كَرًّا ولا إقداماً ، إلا أنه شَرب مرةً مع عمِّه بكّار بن عبد الملك فعَرْبد عليه وعلى جواريه ، فإن كان يَعْنى ذاك بكَرِّه وإقدامه فعسى .

هو وأبو الزناد فى حديث هشام بعد موته

وحكى أبو الزِّناد قال :

دخلتُ على هشام بن عبد الملك، وعنده الزُّهرىّ ،وهما يَعيبان الوليدَ ، فأعرضتُ عنهما ، ولم أدخُل فى شىء من ذِكْره . فلم ألبث أن اُستُؤْذن للوليد ، فأُذن له . فدَخل وهو مُغضب ، فجلس قليلاً ثم نهض . فلما مات هشامٌ ووَلى الوليدُ كَتب إلى المدينة فحُملت ، فدخلت إليه ، فقال لى : أتذكر قولَ الأحول والزُّهرى ؟

(١) المقاريف : الأنذال . (٢) المقابل : الكريم النسب من قبل أبويه .

(٣) الأعياص : العاص ، وأبو العاص ، والعيص ، وأبو العيص ، أولاد أولاد أمية بن عبد شمس الأكبر . والقمقام : العدد الكثير .

فقلت : نَعم . وما عَرضتُ فى شىء من أمرك . فقال : صدقتَ ، أتدرى مَن أبلغنى ذاك ؟ قلت : لا . قال الخادمُ الواقفُ على رأسه ، وأيمُ الله ، لو بَقِى الفاسقُ الزُّهرى لقتلتُه — قيل : وكان الزُّهرى أجمع على أن يدخُل إلى بلاد الرُّوم إن وَلى الوليد بن يزيد . فمات الزُّهرى قبل ذلك — ثم قال الوليد : ذَهب هشام بعُمرى . فقلت : بل يُبقيك الله يا أَمير المُؤمنين . وقام فصلّى العَصر ثم جَلس يتحدّث إلى المَغرب ، ثم صلَّى ودعا بالعَشاء ، فتعشيتُ معه ثم جَلس يتحدَّث حتى صلَّى العَتَمه ، ثم قال : أسقينى . فأتينه بإناء مُغطًّى ، وجاء جوارٍ فقُمْن بينى و بينه ، فشَرب وانصرفْن ، ومكث قليلاً ثم قال : أسقينى . ففعلن مثل ذلك . وما زال والله ذلك دأبَه حتى طَلع الفجر ، فأَحصيتُ له سبعين قَدحاً .

شعره فى الرد على من عابه بشرب الخمر

وقيل : بلغ الوليدَ أن ابن عمّه العبّاس بن الوليد بن عبد الملك ، وغيرَه من بنى مَروان ، يَعيبونه بالشَّراب ، فلَعنهم وقال : إنهم ليَعيبون علىّ أمراً لو كانت لهم اللذّة فيه لما تَركوه ، وقال هذه الأبيات ، وهى من جيد شعره :

ولقد قَضيتُ وإن تَجلَّل لِمَّتى ... شَيبٌ على رَغْم العِدَى لَذَّاتى
من كاعباتٍ كالدُّمَى ومَناصِفٍ ... ومَراكب للصَّيد والنَّشَوات
فى فِتيةٍ يأبَى الهوانَ وجُوهُهم ... شُمِّ الأُنوف جَحاجح سادات
إنْ يطلبوا بتِراتهم يُعطَوْا بها ... أو يُطْلبوا لا يُدْركوا بتِرات

كتابه إلى هشام وكتاب هشام إليه

وذُكر أن الوليد بن يزيد كَتب إلى عمّه هِشام : بلغنى الذى أحدث أميرُ المؤمنين من قَطع ما قَطع عنّى ، ومَحو مَن مَحا من صحابتى ، وأنه حَرمنى وأهلى ، ولم أكُن أخاف أن يبتلى اللهُ عزّ وجلّ أمير المُؤمنين بذلك فىّ ، ولا ينالنى مثلُه منه ، ولم يبلغ أستصحابى لابن سُهيل ومسألتى فى أمره أن يَجْرى عليه[1] ماجَرى ، فإن كان ابن سُهيل على ما ذكر أمير المؤمنين فبَحْسب العَيْر أن يقرُب من الذئب ،

(١) فى الأغانى : «على» .

وعلى ذلك فقد عقد اللهُ جلّ وعزّ لى من العهد ، وكتب لى من العُمر ، وسبَّب لى من الرزق ، ما لا يقدر أحدٌ دونه — تبارك وتعالى — على قَطْعه عنّى دون مُدَّته، ولا صَرْفه عن مواضعه المحتومة له . فقدرُ الله يجرى على ما قدَّره فيما أَحبَّ الناسُ وكرهوا ، لا تَعجيلَ لآجله ولا تأخير لعاجله ، والناسُ بعد ذلك يكتسبون [1] الأوزار ويَقترفون الآثام على أنفسهم بما يَستوجبون من الله عزّ وجلّ العقوبة عليه . وأمير المؤمنين أحقُّ بالنظر فى ذلك والحفظِ له . والله يُوفّق أمير المؤمنين لطاعته ، ويُحسن القَضاء له فى الأمور بقُدرته . وكتب فى آخر كتابه :

أَليس عظيماً أن أرى كُلَّ واردٍ ... حِياضَك يوماً صادراً بالنَّوافِلِ

وأَرجعَ مَحْدود الرجاء مُصَرَّداً ... بتَحلئةٍ عن وِرد تلك المَناهل

فأصبحتُ مما كنت آمُل منكُم ... وليس بلاقٍ مارجا كُلُّ آمل

كمُقْتَبض يوماً على عُرْض [2] هَبْوةٍ ... يَشُدّ عليها كفَّه بالأنامل

فكتب إليه هشام بن عبد الملك : قد فهم أميرُ المؤمنين ما كتبتَ به من قَطْع ما قَطع عنك وغير ذلك . وأمير المؤمنين يَستغفر الله من إجرائه ما كان يُجرى عليك ، ولا يتخوّف على نفسه اقتراف المآثم فى الذى أَحدث من قَطْع ما قَطع ، ومَحْو من مَحا من صَحابتك ،لأمرين : أمّا أحدهما فإن أمير المؤمنين يَعلم مواضعك التى كنت تَصرف إليها ما يُجريه عليك . أما الآخر فإثبات صحابتك وأرزاقُهم دارَّة عليهم لا يَنالهم ما يَنال المُسلمين عند قَطع البُعوث عليهم ، وهم مَعك تَجول بهم فى سَفهك . وأمير المُؤمنين يرجو أن يكفِّر الله عزّ وجلّ عنه ما سَلف من إعطائه إياك باستئنافه قَطْعَه عنك . وأما ابنُ سُهيل ، فَلَعمرى لئن كان نَزَل منك بحيث يسوءك ما جَرى عليه لما جعله الله تعالى لذلك أهلا . وهل زاد ابن سُهيل —

---

(١) فى الأغانى : « يحتسبون » .

(٢) الهبوة : الغبرة .

لله أبوك — على أن كان [1] زفّاناً مُغنّياً قد بلغ من السّفه غايتَه ، وليس مع ذلك أبن سُهيل بشَرٍّ ممن كنتَ تَصحبه مع الأمور التى يُنزِّه أميرُ المُؤمنين نفسَه عنها ، مما كنتَ لعمرى أهلاً للتّوبيخ فيه . وأما ما ذكرتَ مما سبَّبه الله عزّ وجلّ لك، فإن الله تبارك وتعالى قد أبتدأ أمير المُؤمنين بذلك وأصطفاه له ، والله بالغ أمره . ولقد أصبح أميرُ المُؤمنين ، وهو على اليقين من رأيه ، إلا أنه لا يَملك لنفسه ، مع ما أعطاه الله من كرامته ، ضُرًّا ولا نَفعا . وإن الله جلّ وعزّ وَلِيّ ذلك منه ، وإنه لا بُدّ له من مُفارقته . وإن الله أرأف بالعِباد وأرحم من أن يُوَلِّى أمرَهم مَن لا يَرتضيه لهم منهم . وإن أمير المؤمنين مع حُسن ظَنه بربِّه لعلى أَفضل الرَّجاء لأن يولِّيه بسبب ذلك لمن هو أهله فى الرِّضَى به لهم . فإن بلاء الله عند أمير المؤمنين لأعظمُ من أن يَبلغَه ذِكرُه ، أو يُوازيَه شُكره ، إلّا بعَون منه . ولئن كان قَدَّر الله لأمير المؤمنين تعجيل وفاةٍ ، فإن فى الذى هو مُفْضٍ وصائرٌ إليه من كرامة الله جَلّ وعَز لَخلفاً من الدُّنيا . ولَعمرى إنّ كتابك إلى أمير المؤمنين بما كتبتَ به لغيرُ مُستنكر من سَفَهك وحُمْقك ، فأَبْقِ على نفسك ، وقصِّر من غُلَوائها ، وأرْبعْ على ظَلَعك ، فإن لله جَلّ وعز سطواتٍ وغِيَراً يُصيب بها من يشاء من عباده . وأمير المؤمنين يسأل الله العِصْمة والتَّوفيق لأحبِّ الأُمور إليه وأرضاها له . وكَتب فى أسفل الكتاب .

إذا أنت سامحتَ الهَوى قادك الهَوى إلى كُل ما فيه عليك مَقالُ

والسلام .

تبشيره بالخلافة بعد هشام

وحَكى أبو الزُّبير المُنذرُ بن عمرو ، وكان كاتباً للوليد بن يزيد ، قال :

أرسل إلىّ الوليدُ صَبيحةَ اليوم الذى أتتْه فيه الخلافةُ ، فأتيتُه . فقال : يا أبا الزُّبير ، ما أَتَتْ علىَّ ليلةٌ أَطولُ من هذه الليلة ، عرضتْ لِى أُمور وحدّثتُ فيها

(١) الزفان : الراقص .

نفسي بأمور ، وهذا الرجلُ — يعني هشام بن عبد الملك — قد أُولع بي ، فاُركبْ بنا نتنفَّس . فركب وسِرتُ معه ميلين ، ووَقف على تلٍّ وجعل يشكو هشاماً ، إذ نَظر إلى رَهْج قد أَقبل ، وسمع قَعْقعة البَريد ، فتعوَّذ بالله من شرِّ هشام وقال : إن هذا البريد قد أَقبل بموتٍ وَحِيٍّ [(١)] أو بملك عاجلٍ . فقلت : لا يسوءكَ اللهُ أيها الأمير بل يسرُّك ويُبقيك أبداً . إذ بدا رجلان على البريد يقبلان ، أحدهما مولًى لآل أبي سُفيان بن حَرب . فلما قرُبا رأيا الوليدَ فنزلا يعدُوان حتى دنَوا ، فسلَّما عليه بالخلافة . فوَجم . وجعلا يكرِّران التَّسليم عليه بالخلافة . فقال . ويحكما ! أمات هشام ؟ قالا : نعم . قال : فمرحباً بكما ، ما معكما ؟ قال : كتاب مولاك سالم ابن عبد الرحمن . فقرأ الكتاب . وانصرفنا . وسأل عن عياض بن مُسلم كاتبه ، الذي كان هشام ضَربه وحَبسه . فقالا : يا أمير المؤمنين ، لم يَزل محبوساً حتى نَزل بهشام أمرُ الله . فلما صار إلى حالٍ لا تُرجَى الحياة لمثله معها أرسل عياضٌ إلى الخُزَّان : احتفظوا بما في أيديكم ولا يصلنَّ أحد إلى شيء . وأفاق هشام إفاقةً ، فطلَب شيئاً فمُنعه . فقال: أرانا كُنَّا خُزَّانا للوليد! وقضى من ساعته . فخرج عِياضٌ من السجن ساعةَ قَضى هشام ، فختَم الأبواب والخزائنَ ، وأَمر بهشام فأُنزل عن فِراشه ، ومَنعهم أن يُكفِّنوه من الخزائن . فكفَّنه غالب مولى هشام . ولم يجدوا قُمْقُماً [(٢)] حتى استعاروه .

لاتعقيب لابن وصل

قلتُ : ذُكر أن هشام بن عبد الملك كانت تُحمل ثيابه على أربعمائة ظهر ، وأفضى الحال عند موته إلى أن لم يُوجد له كَفن حتى كفَّنَه غالب ، هذا . فسبحان من لا يزول مُلكه .

وكانت وفاته سنة خمس وعشرين ومائة . وكانت مُدة خلافته نحواً من عشرين سنة .

---

(١) الوحى : السريع .

(٢) القمقم : إناء من نحاس يسخن فيه الماء .

الوليد وابنا هشام المخزومى

قال أبو الفرج :

وأمر الوليد بأخذ أبنى هشام بن إسماعيل المخزومى ، فأُخذا بعد أن عاذ إبراهيم ابن هشام بقبر يزيد بن عبد الملك . فقال الوليد : ما أُراه إلا قد نجا . فقال له يحيى ابن عُروة بن الزُّبير ، وأخوه عبد الله بن عُروة : إن الله لم يَجعل قبرَ أبيك معاذاً للظالمين ، فخُذْه برَدّ ما فى يده من مال اللهِ تعالى . فقال : صدقتَ . فأَخذهما ، فبعث بهما إلى يُوسف بن عمر والى العراقَيْن وكتب إليه بأن يَبْسُط عليهما العذابَ حتى يَتْلفا . ففعل ذلك بهما ، وماتا جميعاً فى العذاب ، بعد أن أُقيم إبراهيم بن هشام للناس حتى اُقتضوا منه المظالم .

شعر الوليد حين نعى إليه هشام

وذُكر أنه لما نُعى هشام إلى الوليد ، قال : والله لأتلقَينَّ هذه النِّعمةَ بسَكْرة قبل الظهر ، ثم قال :

طاب يَومى ولَذَّ شُربُ السُّلافَه ... إذ أتانا نَعِىُّ مَن بالرُّصافه

وأتانا البريدُ ينعَى هِشاماً ... وأتانا بخاتمٍ للخِلافه

فاُصطبحنا من خمر عانَةَ[1] صِرْفاً ... ولهَوْنا بقَيْنةٍ عَزّافه

ثم حَلف ألاّ يَبرح موضعَه حتى يُغنَّى فى هذا الشعر . فغُنى له فيه وشَرب حتى سكر ، ثم دَخل فبُويع له .

قيل : وسَمع صياحاً فسأل عنه ، فقيل : هذا من دار هشام تبكيه بناتُه . فقال :

إنّى سمعتُ بليلٍ ... وَرَا المُصلَّى برَنَّهْ

إذا بناتُ هشامٍ ... يندُبْن والدَهُنَّه

يندُبْن قَرْماً جَليلا ... قد كان يَعْضُدهُنَّه

أنا المخنَّثُ حقّاً ... إن لم[2] . . . .

(١) عانة : بلد على الفرات مشهورة بالخمر .

(٢) مكان هذا النقط كلمة صريحة .

وقال الوليد أيضاً :

ليت هشـاماً عاش حتى يَرى ـ مكيـاله الأوفرَ قد أُتْرِعَا
كِلْنـا له الصّاعَ التى كالَها ـ وما ظَلمنـاه بها أَصْوُعا
لم نَأتِ ما جئناه [1] من بِدْعة ـ أحـلّه القُرآنُ لى أَجمعا

من شعره المطرب

ومن شِعر الوليد بن يزيد، وكان أبو غسّان يكاد يرقُص إذا أنشده :

أَصدع نَجيّ الهمُوم بالطرب ـ وأُنْعم على الدّهر بابنة العِنَبِ
واُستقبل العَيش فى غَضارته ـ لا تَقْفُ منه آثارَ مُعْتقِب
من قهوةٍ زانها تقادُمها ـ فهى عَجوز تَعْلو على الحِقَب
أشهى إلى الشَّرْب يوم جلوَتها ـ من الفتاة الكَريمة النَّسب
فقد تجلَّت وراق جوهرُها ـ حتى تبدّت فى جَوهر [2] عَجب
فهى بغير المِزاج من شَرَر ـ وهى لدى المَزْج سائل الذّهب
كأنها فى زُجاجها قَبَسٌ ـ تذكو ضياءً لعَين مُرْتقب
فى فتيةٍ من بنى أُميةَ أهـ ـلِ المَجد والمَأثُرات والحَسب

وله أيضا عندما نعى هشام إليه

وقال الوليد أيضا لما أتاه نعىُ هشام :

طال ليلى وبِتُّ أُسقَى المُداما ـ إذ أتانى البريدُ يَنْعَى هِشامَا
وأتانى بحُلّة وقَضيب ـ وأتانى بخاتَم ثم قاما
فجعلتُ الولىّ من بعد فقدى ـ أفضل [3] الناس ناشئاً وغُلاما
ذلك ابنى وذاك قَرْم قُريش ـ خيرُ قَرم وخيرُهم أَعماما

غناه عمر الوادى بشعره فى موت هشام

وحكى عُمر الوادى قال :

---

(١) فى الأغانى : « ماتأتيه » .
(٢) فى الأغانى : « فى منظر » .
(٣) فى الأغانى : « يفضل » .

كنت يوماً عند الوليد إذ ذكر هشاماً ، فقال لى : غَنِّى بهذه الأبيات . فقلت : ما هى يا أمير المؤمنين ؟ فقال :

هَلكَ الأحولُ المَشُو ... مُ فقد أُرسل المَطرْ

ثُمَّتَ اُستُخلف الولي ... دُ فقد أورق الشَّجر

ما أخذه أبونواس من معانيه

قال أبو الفرج :

وللوليد فى ذِكر الخمر وصفتها أشعار كثيرة ، قد أخذها الشعراء فأدخلوها فى أشعارهم، وسلخوا معانيها ، وخاصّة أبو نُواس فإنه سَلخ معانيه كُلها فجعلها فى شعره، وكرّرها فى عدة مواضع . ومن جَيِّد شعره قولُه :

إذا لم يكن خيرٌ مع الشر لم تجدْ ... نصيحاً ولا ذا حاجة حين تفزعُ

وكانوا إذا همُّوا بإحدى هَناتهم ... حسرتُ لهم رأسى ولا أتقنع

من شعره فى هشام

ومن نادر شعره قوله يخاطب هشاما :

فإن تكُ قد مَلِلتَ القُرب منى ... فسوف تَرى مُجانبتى و بُعدى

وسوف تلوم نفسَك إن بَقينا ... وتبلو الناس والإخوان [(١)] بعدى

فتَندمُ فى الذى فرّطت فيه ... إذا قايستَ فى ذَمى وحمدى

شعره لما بويع

وحكى الهيثم بن عِمران قال : لما بويع الوليد بن يزيد سمعتهُ يقول على المنبر:

ضمِنتُ لكم إن لم تَعقُنى [(٢)] منيّتى ... بأن سماء الضُّر عنكم ستُقلعُ

وقيل : إنه كتب بذلك إلى أهل المدينة ، وهذا من أبيات أولها :

ألا أيها الركب المُخبّون أَبلغوا ... سلامِى سُكانَ البلاد فأسمِعوا

ومنها :

وقولوا أتاكم أشبهُ الناس سنةً ... بوالده فاُستبشِروا وتوقّعوا

سيُوشك إلحاقٌ بكم وزيادة ... وأعطيةٌ تأتى تباعاً فُتشفع

وقيل: لما ولى الوليد الخلافة بعث إلى جماعة من أهله، فلما حضروا قال: أتدرون

(١) فى الأغانى : « الأحوال »
(٢) فى الأغانى : « لم ترعنى » .

لم دعوتكم ؟ قالوا : لا . قال : ليقل قائلكم . فقال رجل منهم : أردت يا أمير المؤمنين أن ترينا ما جدد الله عز وجل لك من نعمه وإحسانه . فقال: نعم، ولكنى :

أُشهد اللهَ والملائكةَ الأبْـ ... ـرار والعابدين أهل الصَّلاح
أننى أشتهى السَّماع وشُرْب الـ ... ـكأس والعضّ للخُدود المِلاح
والنَّديمَ الكريمَ والخادمَ الفا ... ره يَسعى إلىّ بالأقداح

قُوموا إذا شئتم .

من شعره

قلت : ومن شِعره :

أشربُ الرَّاح وأهوى ... كُلَّ مضفور الذُّؤابَهْ
أنا للناس إمامٌ ... غير أنى ذو صَبابَهْ

غنت جارية فاشتراها

وذُكر أنه عُرضت على الوليد بن يزيد جاريةٌ صفراء كوفيّة مولَّدة ، يقال لها: سعاد . فقال لها : أى شىء تُحسنين؟ قالت : أنا مُغنية . فقال لها: غَنِّى . فغنَّت :

لولا الذى حُمِّلتُ من حُبّكم ... لكان فى إظهاره مَخْرَجُ
أو مَذهبٌ فى الأرض ذو فُسحة ... أجَلْ ومن حَجَّت له مَذْحج
لكنْ سَبانى منكمُ شادنٌ ... مُربَّبٌ ذو غُنَّةٍ أدعج
أغرُّ ممكورٌ هَضيم الحَشَى ... قد ضاق عنه الحِجْل والدُّمْلُج

فطرب طرباً شديداً ، وقال : يا غلام ، اُسقنى . فسقاه عشرين قدحاً ، وهو يَستعيدها . ثم قال لها : لمن هذا الشِّعر ؟ فقالت : للحارث بن خالد . فقال : وممّن أخذتِه ؟ قالت : من حُنين . فقال : وأين لقيتِه ؟ قالت : رُبِّيت بالعِراق وكان أهلى يجيئون به فيُطارحنى . فدعا صاحبَه وقال : اُذهب فابْتعها بما بلغتْ ولا تُراجعنى فى ثمنها . ففَعل . ولم تَزل حظيّة عنده .

شرب هو ومحمد بن سليمان بجرن

وذُكر أنه فى أيام الدولة العباسيّة خَرج عبدُ الوهاب بن إبراهيم الإمام بن محمد ابن علىّ بن عبد الله بن العبّاس يوماً إلى بعض الدّيارات ، فنزل فيه ، وهو والٍ

على الرَّملة . فسأل صاحب الدَّير : هل نَزل بك أحد من بنى أُمية ؟ قال : نعم ، نزل بى الوليدُ بن يزيد ، ومحمد بن سُليمان بن عبد الملك . قال : فأى شىء صَنعا ؟ قال : شَربا . قال : أين شربا ؟ قال : فى ذلك المَوضِع ، ولقد رأيتُهما شربا فى آنيتهما ، ثم قال أحدهما لصاحبه : هلم نشرب بهذا الجُرن [1] — وأومأ إلى جُرن عظيم من رخام — قال : أفعلُ. فلم يزالا يتعاطيانه بينهما ويَشربان به حتى ثَملا . فقال عبدُ الوهاب لمولًى له أسود: هاته . قال الراوى : فلقد رأيته ، وكان يُوصف بالشدة ، فذهب يحركه فلم يقدر . فقال له الراهب: واللهِ لقد رأيتُهما يتعاطيانه وكُل واحد منهما يملؤه لصاحبه ، فيرفعه ويَشرب به غير مكترث .

طلاقه سعدة وهيامه بأختها سلمى

ذُكر أنه كانت تحت الوليد بن يزيد أُم عبد الملك ، واُسمها سَعْدة بنت سَعيد ابن خالد بن عمرو بن عثمان بن عفان ، فمرض سَعيد ، وكان ذلك فى حياة يزيد ابن عبد الملك . فأتاه الوليدُ عائداً فدَخل فلَمح سَلْمى بنت سَعيد ، أُختَ زوجته سَعْدة ، فسترها حواضنُها وأختها ، وقامت ففرعتهن طُولاً ، فوقعتْ بقَلب الوليد . فلما مات يزيد طَلَّق أُم عبد الملك زَوجته ، وخَطب سلمى إلى أبيها ، وكانت لها أُخت يقال لها : أُم عثمان، تحت هشام بن عبد الملك ، فبعثت إلى أبيها : أتريد أن تَسْتفَحل الوليدَ لبناتِك، يُطلِّق هذه وينكح هذه — وقيل : الذى بعث بذلك إلى أبيها هشامٌ — فلم يُزوِّجه سعيدٌ وردّه أقبح ردْ . وهَويها الوليدُ ورام السُّلو عنها ، وكان يقول : العَجب لسعيد ! خطبتُ إليه فردَّنى، ولو مات هشام ووَلِيتُ لزوَّجنى ، وهى طالق ثلاثاً إن تزوجتُها حينئذ ، وإن كنت أهواها .

أشعب بينه وبين سعدة

وقيل : إنه لما طلّق سَعْدة ندم على ذلك وغَمّه ، وكان لها من قَلبه محلٌّ ، ولم تحصُل له سلمى ، فاغتمّ لذلك وجَزع وراسل سَعدة ، وقد كانت تزوَّجت غيرَه ، فلم ينتفع بذلك . فذُكر أنه بَعث إلى أَشعب بعدما طلّق امرأته ، فقال: يا أشعب،

(١) الجرن : حجر منقور يصب فيه الماء فيتوضأ به .

لك عندى عشرة آلاف درهم على أن تبلِّغ رسالتى سَعدة . فقال : أحضر العشرة الآلاف درهم ، حتى أنظر إليها . فأحضرها الوليد . فوضعها أشعبُ على عُنقه وقال: هاتِ رسالتك يا أمير المؤمنين . فقال : قل لها : يقول لك أمير المؤمنين :

أَسَعدةُ هل إليكِ لنا سَبيلٌ وهل حتى القيامة مِن تَلاقِ

فأُصبحَ شـامتاً وتَقَرَّ عَيْنى ويُجْمعَ شَمْلُنا بعـد افتراق

فأتى أشعبُ البابَ ، فأُخبرتْ بمكانه، فأمرت بفُرشٍ لها ففُرشت، وجلست ، فأَذنت له . فلما دخل أنشدها ما أَمره به . فقالت لخدَمها : خُذوا الفاسق. فقال: يا سيّدتى ، إنها بعشرة آلاف درهم . قالت : والله لأَقتلُنَّك أو تُبلِّغه كما بلَّغتنى. قال : وما تَهبين لى ؟ قالت : بساطى الذى تحتى. قال : قُومى عنه . فقامت عنه ، فطَواه ، ثم قال : هاتى رسالتك ، جُعلتُ فِداك . قالت : قل له :

أَتَبْكِى على لُبْنَى وأنتَ تركْتَها فقد ذهبتْ لُبْنى فما أَنت صانعُ

فأقبل أشعب فدَخل على الوليد ، فقال : إيه . فأنشده البيتَ . فقال : أَوَّهْ ، قتلتَنى يا بن الزانية ! اختَرْ: إما أن أُدَلِّيكَ على رأسك مُنكَّسا فى بئر ، أو أَرمى بك منكَّساً من فوق القَصْر ، أو أَضرب رأسك بعَمودى هذا ضربةً ، هذا الذى أنا صانع ، فاختر أنت الآن ما أنت صانع . قال : ما كنتَ لتَفعل شيئاً من ذلك. قال: ولِمَ يا بن الزَّانيـه ؟ قال : ما كُنتَ لتُعذِّب عينَين نظرتا إلى سَعدة . قال : صدقت والله ، أَفلتَّ والله بهذا منّى يا بن الزَّانية ، اُخرُج عنِّى .

حيلته لرؤية سلمى وشعره فى ذلك

وذُكر أن الوليد بن يزيد خَرج يوماً يتوقّع أن يرى سَلمى أُخت سَعـدة . فلَقيه زيّات معه حِمار عليه زَيت . فقال : هل لك أن تأخُذ فَرسى هذا وتُعطينى حِمارك وما عليه ، وتأخذ ثيابى وتُعطينى ثيابك ؟ ففعل الزيّات ذلك . وجاء الوليدُ وعليه الثياب ، و بين يديه الحمارَ يسوقه متنكِّراً ، حتى دخل قصر سعيد ، فنادى :

مَن يشترى الزيتَ ؟ فاُطَّلع بعضُ الجوارى فرأينه ،فدخَلْن إلى سَلمى فقُلن لها : إن بالباب زيّاتاً أشبه الناس بالوليد ، فاُخرجى فانظُرى إليه . فخرجت فرأتْه ورآها، فرجعت القَهْقرى وقالت : هو والله الفاسق الوليد ! وقد رآنى . فقلن له : لاحاجة بنا إلى زيتك. فانصرف الوليدُ وقال :

إننى أبصرتُ [1] شخصاً حسنَ الوجه مليحِ
ولباسِى ثوبَ [2] شيخ من عَباء ومُسوح
وأبيع الزَّيت بيعاً خاسراً غيرَ رَبيح

وقال أيضاً :

فما مِسْكٌ يُعَلُّ بزَنْجبيلٍ ولا عَسلٌ بألبان اللِّقاحِ
بأشهَى من مُجاجة ريقِ سَلْمى ولا ما فى الزِّقاق من القَراح
ولا والله ما أنسى حياتى وَثاقَ البابِ دُونى واطِّراحى

فلما ولى الخِلافة أحضر المُغنين ، فحضَروه ، وفيهم معبد وابن عائشة وذووها ، فقال لابن عائشة : يا محمد ، إنْ غنَّيتنى صوتَيْن فى نفسى فلك عندى مائة ألف درهم . فغنّاه :

* إننى أبصرتُ شخصاً *

وغنّاه :

* فما مِسك يُعلّ بزَنجبيل * الأبيات

فقال الوليد : والله ما عدوتَ ما فى نفسى ، وأمر له بمائة ألف درهم وألطاف وخِلع ، وأمر لسائر المُغنين بدون ذلك .

---

(١) فى بعض أصول الأغانى : « شيخا » مكان « شخصاً »
(٢) فى الأصل : « سوء » مكان « شيخ » .

زواجه بسلمى وموتها وشعره فى رثائها

وذُكر أنه لما طال بالوليد ما به ، كتب إلى أبيها سعيد :

أبا عُثمان هل لك فى صَنيع تُصيب الرُّشدَ فى صلتى هُدِيتَا

فأشكر منك ما تُسدى[١] وتُحيي أبا عثمان مَيِّتةً ومَيْتا

فلم يُجبه إلى ذلك حتى ولى الخلافة ، فلما وليها زوَّجه إياها . فلم تَلبث معه إلا مدة يسيرة حتى ماتت . وقال فى ليلةِ زفافها إليه :

خفَّ من دار جِيرتى يا بن داود أُنْسُها

وهى طويلة ، يقول فيها :

أوَلا تخرج العَروس فقد طال حَبْسُها

قد بدا الصبحُ أو دنا وَهْى لم يُقْضَ لُبْسُها

بَرزتْ كالهلال فى ليلةٍ غاب نَحْسُها

بين خمس نواعمٍ أكرمُ الجنس[٢] جِنْسها

وقيل :

كانت مدة مُقامها عنده أربعين يوماً ، ثم ماتت . فقال يرثيها :

ألمّا تَعلما سَلْمى أقامت مُضَمَّنةً من الصَّحراء لحدَا

لعمركَ يا وليدُ لقد أجنّوا بها حَسَباً ومكرُمة ومجْدا

ووجهاً كان يقصُر عن مداه شُعاع الشَّمس أهلاً أن يُفدَّى

فلم أرَ ميّتاً أبكى[٣] لِعَيْنٍ وأكثر جازعاً وأجلّ فقدا

وأجدر أن ترى ملكاً[٤] لديه يُريك جَلادةً ويُسِرّ وَجْدا

(١) فى الأصل : « ماتهدى » مكان « ما تسدى » .
(٢) فى الأغانى : « كواعب * أكرم الخمس » .
(٣) فى الأصل : « لعينى » .
(٤) فى الأغانى : « وأجدر أن تكون لديه ملكا » .

شعره فى سلمى

وللوليد بن يزيد فى سَلْمى هذه أشعار كثيرة ، منها قوله :

أســـقِنى يابْنَ سَالمٍ قــد أنارَا كوكبُ الصُّبح وانجلى واستنارَا
أســقِنى من سُلاف رِيق سُليمى واسق هذا النَّديمَ كأساً عُقارا

وقوله :

قــد تمنَّى معشرٌ إذ أُطْربوا من عُقَار وسَــوَامٍ وذَهَبْ
ثم قالوا لى تمنَّه (١) نَسْتمع كيف تَنْحو فى الأمانى والطَّلب
فتمنّيتُ سُليمى إنهــــا بنت عمِّى مِن لَهاميمِ العَرب

وحكى أبو الفَرج عن الوليــد أنواعاً من السّخف والتهتّك، فكرهتُ ذكره لفرط قُبحه ، والغالب على الظن عدم صحة أكثره .

من تهتكه

وحكى أنه واقع جارية من جواريه وهو سكران، فلما فَرغ منها آذنه المُؤذن بالصلاة ، فحلف ألَا يُصلى بالناس غيرُها . فخرجت وهى متلثّمة فصلّت بالناس.

مع ابن الزندبوذ

وذكر أنه بعث الوليد بن يزيد إلى شراعة بن الزّندبوذ . (٢) فلما قَدِم عليه قال : يا شُراعة ،إنى لم أُحضرك لأسألك عن العلم ولا لأستفتيك فى الفِقه ، ولا لتُحدثنى ولا لتُقرئنى القرآن . فقال له شراعة : لو سألتنى عن هذا لوجدتَنى فيــه حماراً . قال : كيف عِلمك بالفتوة ؟ قال : ابن بجدتها ، وعلى الخبير بها سقطت ، فسَل عما شئت . قال : كيف عِلمك بالأشربة ؟ قال : يسألنى أمير المؤمنين عما أحبّ. قال : ما قولُك فى الماء ؟ قال : هو الحياة ويَشركنى فيه الحمار . قال : فاللبن ؟ قال: ما رأيته قط إلا ذكرت أمى فاستحييت . قال : فالخمر ؟ قال : تلك السارّة البارّة ، وشراب أهل الجنة . قال : لله دَرُّك ! قال : فأى شىء أحسن ما يُشرب عليه ؟

(١) فى الأغانى : « تمن واستمع » .
(٢) كان من المجان الندماء .

قال : عجبت لمن قدَر أن يشرب على وجه السماء فى كِنٍّ من القُرّ والحَرّ كيف يختار عليها شيئاً !

هو والمصحف

وحكى أبو الفرج عنه ما لو صحّ كان محكوماً بكُفره . وغالب ظنّى عدمُ صحته، لكنّه مَشهور عند أهل الأخبار ، وهو :

أن الوليد دعا ذاتَ ليلة بمُصْحف ، فلما فتحه صادف ورقةً فيها :

(واسْتَفْتَحوا وخَابَ كُلُّ جَبَّارٍ عَنِيد . مِنْ ورائه جَهنّم و يُسْقَى مِنْ مَاء صديد .)

فقال : أسجعاً ! سَجْعا ! علقّوه . ثم أَخذ القوس والنَّبل فرماه حتى مزّقه ، ثم قال :

أتُوعِدُ كُلَّ جبّارٍ عَنيد ... فهـا أنا ذاك جبَّار عَنِيـدُ
إذا ما جئتَ[1] ربَّك يومَ حَشْرٍ ... فقُل يا ربِّ[2] مزّقنى الوَليد

وما لبث بعد ذلك إلّا قليلا حتى قُتل .

هو والقاسم ابن الطويل

وذُكر أن الوليد بن يزيد كان يُنادم رجلاً يقال له : القاسم بن الطويل العِبادىّ ، وكان أديباً ظَريفاً شاعراً ، فكان لا يَصبر عنه . فغنّاه معبدٌ ذاتَ يوم بشعر عدىّ بن زيد العِبادى :

بَكر العاذلون فى وَضَح الصُّبْــح يقولون لى ألاَ تَستفيقُ

فاستحسنه الوليد وأُعجب به وطَرب عليه ، وجَعل يَشرب إلى أن غَلب عليه السكر ، فنام فى موضعه ، وانصرف ابنُ الطويل . فلما أفاق الوليدُ سأل عنه ، فعَرَف خَبر انصرافه . فغضب وقال وهو سكران لغلام كان واقفاً على رأسه ،

(١) فى رواية : « لاقيت » .
(٢) فى رواية : « لله » .

يقال له : سَبْرة : ائتنى برأسه . فمضَى الغـلامُ حتى ضَرب عُنقه وأتاه برأسه . فجعله فى طَسْت بين يديه . فلما رآه أنكره ، وسأل عن الخبر فعرّفه ، فاُسترجع وندم على ما فَرط منه ، وجعل يُقلّب الرأس بيديه ويَبكى ، ثم قال يرثيه :

عَيْنَىَّ للحـدَث الجليل ... جُودَا بأربعةٍ [1] هُمُولِ
جُـودا بدَمع إنّه ... يَشفى الفُؤادَ من الغَليل
لله قـبرٌ ضُمِّنت ... فيـه عظامُ ابن الطَّويل
ماذا تَضمَّن إذ ثَوى ... فيه من اللبّ الأصيل
قد كنتُ آوى مِن هوا ... كَ إلى ذُرَى كَهْفٍ ظَليل
أصبحتُ بعدك واحـداً ... فرداً بمَدْرجة السُّيول

ثم دخل على جواريه فقال : ما أبالى متى جاءنى الموت بعد ابن الطويل . فيقال : إنه لم يَعش بعده إلا مُديدة ، ثم قُتل .

ذكر مقتل الوليد بن يزيد

يزيد الناقص والعباس بن الوليد فى شأنه

لما أعلن الوليد بالفِسق والفُجور ، وبالغ فى التهتّك وزاد على من تقدّمه فى ذلك ، وبايع لولديه عُثمان والحكم بولاية العهد بعده ، ولم يبلغا الحُلُم ، وبَسط المكروه على أولاد عمّيه : الوليد ، وهشام ، ابنى عبد الملك ، وأفرط فى ضَلاله وغيّه ، ملّه الناسُ عامةً ، وبنو أمية خاصة ، وكرهوا دولته وسئموا أيامَه ، فمشى بعضُهم إلى بعض فى خَلعه . وكان أقواهم فى ذلك يزيدُ الناقص بن الوليد بن عبد الملك بن مروان ، فمشى إلى أخيه العبّاس بن الوليد ، وكان امرأ صدْق ، ولم يكن فى بنى أمية مثله، فشكا إليه مايجرى على الناس من الوليد . فقال له : يا أخى، إن الناس قد ملّوا بنى مروان ، فإن مَشى بعضكم فى أمر بعض أكلتُم ، وللرجل أجلٌ

(١) يعنى : اللحاظين والموقين .

لا بُد أن يبلغَه ، فانتظره . فخرج من عنده ومَشى إلى غيره ، فبايعه جماعةٌ من اليمانية الوُجوه . فعاد إلى أخيه العبّاس وأعاد عليه القول ، وعَرّض له بأنه قد دُعى له بالخلافة . فقال : والله لولا أنى لا آمنه عليك ، لِمَا أعلمه من تَخليطه [١] ، لوجّهتُك الساعةَ إليه مشدوداً ، فنشدتُك الله ألاّ تَسعى فى شىء من هذا . فانصرف من عنده وجعل يدعو الناسَ إلى نفسه .

وذُكر أن يزيد بن الوليد الناقص دخل هو وأخوه بِشْر على أخيهما العبّاس ابن الوليد، وأخذا يَقعان فى الوليد ويُحرّضان أخاهما العبّاس فى خَلعه ، فأبى ذلك عليهما وقال : يا بنى مَروان ، أظن أن الله جلّ وعزّ قد أذن فى هلاككم ، ثم قال :

إنّى أعيذكُمُ بالله مِن فِتَنٍ ... مثلِ الجبالِ تَسامَى ثم تَندفعُ
إنَّ البريةَ قد مَلّت سياستَكم ... فاستمسكوا بعَمود الدِّين وارتدعوا
لا تُلْحِمُنّ [٢] ذئابَ الناس أنفسَكم ... إن الذّئاب إذا ما أُلْحِمت رَتَعوا
لا تَبقُرن بأيديكم بُطونَكُمُ ... فثَمّ لا حِيلةٌ [٣] تُغنِى ولا جَزع

اجتماع الأمر ليزيد الناقص

فلما استجمع ليزيد الناقص أمرُه ، وهو مُتبَدٍ ، أقبل إلى دمشق، و بين مكانه الذى كان فيه و بين دِمشق أربع ليالٍ ، فأقبل متنكّراً فى سَبعة أَنفُس على حُمُر ، وقد بايع له أكثرُ أهل دمشق و بايع له أهلُ المِزّة .

فذكر مولًى لعبّاد بن زياد ، قال : إنى لَبجَرُود ، و بين جرود ودمشق مرحلة ، إذ طلع علينا سبعةٌ مُعتمّون على حُمر ، فنزلوا ، وفيهم رجلٌ طويل جَسيم ، فَرمى بنفسه فنام ، فألقوا عليه ثوباً ، وقالوا لى : هل عندك شىء نَشتريه

(١) فى الأغانى : « لا آمنه عليك من تحامله » .
(٢) أى لا تطعمن لحمكم ذئاب الناس .
(٣) فى الأغانى : « لا فدية » .

من الطعام ؟ فقلت : أما بيعٌ فلا ، وعندى من قِراكم ما يُشبعكم . قالوا : عجِّله . فذبحتُ لهم دَجاجاً وفِراخاً ، وأتيتهم بما حَضر من عَسل وسَمن ، وقُلت لهم : أَيقظوا صاحبَكم للغداء . فقالوا : هو محمومٌ لا يأكل . فسفَروا للغداء ، فعرفتُ بعضَهم ، وسفَر النائم ، فإذا هو يزيد بن الوليد بن عبد الملك ، فعرفتُه ، فلم يُكلِّمنى . ومضوا فى نَفر من أصحابهم مُشاةٍ إلى معاوية بن مَصاد ، وهو بالمِزّة ، وبينها وبين دمشق مِيل ، فأصابهم مطرٌ شديد ، فأتوا منزلَ معاوية بن مَصاد ، فضربوا بابَه وقالوا : يزيد بن الوليد . فدخلوا . فقال معاوية : الفِراشَ ، ادخل أصلحك الله. فقال : فى رجلى طين وأخاف أن أُفسد عليك بساطَك . فقال : ما تُريدنى عليه أفسدُ . فمشى على البِساط وجلس على الفراش . ثم كلَّم معاويةَ بن مَصاد ، فبايعه . ثم خرج يزيد إلى دمشق فدخلها ، ونزَل دار ثابت بن سُليمان الخشنىّ ، وعلى دمشق ، من قبل الوليد بن يزيد عبدُ الملك ، محمدُ بن الحجاج بن يُوسف ، وكان خرج منها خوفاً من الوباء فنزل قَطَناً ، واستخلف ابنه على دمشق . وعلى شرْطته أبو العاج كثيرُ بن عبد الله السُّلمى . وأَجمع يزيد على الظُّهور وقد تم أمره. وقيل لعامل دمشق : إن يزيد خارج فلم يُصدق . وأرسل يزيد إلى أصحابه بين المَغرب والعشاء ، من ليلة الجمعة من جمادى الآخرة سنة سبع وعشرين ومائة ، فكَمنوا فى ميضأة عند باب الفَراديس ، [1] حتى إذا أَذَّنوا العَتَمةَ دخلوا المسجد على الناس فصلُّوا ، وللمسجد حَرس قد وُكِّلوا بإخراج الناس من المسجد بالليل ، فإذا خرج الناسُ خرج الحرسُ وأَغلق صاحب المسجد الأبوابَ ، ودخل الدارَ من باب المَقصورة ، فدَفع المفاتيح إلى من يحفظُها ويخرج . فلما صلّى الناسُ العتمةَ صاح الحرسُ بالناس فخرجوا ، وتباطأ أصحاب يزيد الناقص ، فجعلوا يُخرجونهم من باب ويَدخلون من باب ، حتى لم يَبق فى المسجد إلا الحرسُ وأصحاب يزيد ، فأخذوا

(١) من أبواب دمشق .

الحرس. ومَضى يزيد بن عَنْبسة إلى يزيد الناقص فأخبره وأخذ بيده وقال: قُم يا أمير المؤمنين وأبشر بعون الله تعالى ونَصره. فأَقبل فى أثنى عشر رجلاً. فلما كانوا عند سُوق القَمح لحقهم فيها مائتا رجل من أصحابهم، فمضَوْا حتى دخلوا المسجد، وأتوا باب المقصورة فقالوا: نحن رسل الوليد. ففَتح لهم الخادمُ الباب، فدخلوا وأخذوا الخادم، فإذا أبو العاج خليفة عامل البلد سكران، فأَخذوه وأخـذوا خُزَّان بيت المال وصاحب البريد، وأَرسل إلى كل من كان يَحذره فأَخذه، وأرسل من ليلته إلى محمد بن عُبيدة، مولى سَعيد بن العاص، وهو والى بَعلبك، و إلى عبد الملك بن محمد، عامل دمشق، فأَخذهما، وبَعث أصحـابه إلى الخَشبيّة [1] فأَتوه. وقال للبوابين: لا تفتحوا الباب غُدوة إلا لمن أَخبركم بشعار كذا وكذا — للشعار الذى بينهم — فتركوا الأبواب فى السلاسل. وكان فى المَسجد سِلاح كثير قَدِم به سليمان بن هشام من الجزيرة، ولم يكن الخُزّان قبَضوه، فأَخذوه وأصبحوا، وقد جاء أهلُ المِزّة مع حُريث بن أبى الجَهم، فما انتصف النهار حتى بايع الناسُ يزيدَ، وهو يتمثّل بقول النابغة:

إذا استُنْزِلُوا عنهنّ للطَّعن أَرقلوا ... إلى الموت إرقالَ الجمال المَصاعِبِ

فجعل أصحابهُ يتعجّبون ويقولون: انظروا إلى هذا، كان قُبيل الصبح يُسبِّح، وهو الآن يُنشد الشعر. ثم أمر يزيد الناقص ابنَ عمّه عبدَ العزيز بن الحجّاج ابن عبد الملك بن مروان، فوقف بباب الجابية فنادى: ألا من كان له عطاء فَلْيأت إلى عطائه، ومن لم يكن له عطاء فله ألف دِرهم معونة. فبايعه الناسُ، وأَمر بالعطاء. ونَدب الناسَ إلى قتال الوليد بن يزيد مع عَبد العزيز بن الحجّاج بن عبد الملك، ونَادى مُناديه: من سارع مع عبد العزيز فله ألفان. فانتدب ألفا رجلٍ. فأَعطاهم

---

(١) أصحاب المختار بن أبى عبيد.

وقال : موعدكم ذَنَبَةُ [١] . فوافاها ألف ومائتا رجل . فقال : ميعادكم مَصْنعة بالبريّة ، وهى لبنى عبد العزيز بن الوليد . فوافاه ثمانمائة رجل . فسار فوافاهم ثَقَلُ [٢] الوليد فأخذوه . وتقدّم عبد العزيز بن الحجّاج فيمن معه حتى نزلوا قريباً من الوليد وهو بقصره ، بموضع يقال له : البَخْراء ، بالبرية . فقال الوليد : أخرجوا لى سريراً . فأخرجوه ، فصعد عليه ، وأتاه خبرُ [٣] العبّاس بن الوليد : إنى أجيئك . وأُتى الوليد بفرَسين يقال لهما: الذائد والسِّنْدىّ . وقال: أعلىّ يَتواثب الرجالُ وأنا أثب على الأسد وأعضّ [٤] الأفاعى . وهم يَنتظرون العبّاس أن يأتيهم . فلم يكن بينهم كبير قتال . فقُتل عثمان الخشبىّ [٥] . وكان من أولاد الخشبية الذين كانوا مع المُختار . و بلغ عبدَ العزيز بن الحجّاج أن العبّاس بن الوليد يأتى الوليد ، فأرسل منصورَ بن جُمْهور فى جَريدة خَيل ، فقال: إنكم تلقون العبّاس بن الوليد ، ومعه بنوه بالشِّعب ، فخُذوه . فخرج منصورٌ فى تلك الخيل وتقدّموا إلى الشِّعب ، فإذا العبّاس ومعه ثلاثون قد تقدّموا أصحابَه . فقالوا له : أعدل إلى عبد العزيز . فشتمهم . فقال له منصور : والله لئن تقدّمت لأُنفُذَن حَصينك [٦] بالرُّمح . فقال : إنا لله! فأقبلوا به يسوقونه إلى عبد العزيز . فقال له عبد العزيز : بايعْ ليزيد . فبايع ووقف ، ونصبتْ راية ، وقالوا : هذا العبّاس قد بايع . ونادى مُنادى عبد العزيز : مَن لَحق بالعبّاس بن الوليد فهو آمِن . فقال العبّاس : خُدعة من خُدع الشيطان . إنّا لله ! هَلك والله بنو مَروان : فتفرّق الناس عن الوليد وأتوا العبّاس . وظَاهر الوليدُ فى

---

(١) من أعمال دمشق .

(٢) الثقل : المتاع .

(٣) فى الأصل : « رسول » .

(٤) فى الطبرى : « أتخصر » . والتخصر : الإمساك بالمخصرة . وهى العصا . يريد أنه يقبض عليها بيديه كما يقبض على المخصرة .

(٥) فى الأصل : « يزيد بن عثمان » . « والتصويب من الطبرى » .

(٦) يريد : درعه .

درعين وقاتلهم ، ونادى الوليد : من جاء برأسٍ فله خمسمائة درهم . فجاء جماعةٌ بعدّة رءوس ، فقال : اكتبوا أسماءهم . فقال له رجلٌ من مواليه : ليس هذا يا أمير المؤمنين يوماً يُعمل [١] فيه بنسيئة . وناداهم رجالٌ : اقتُلوا اللُّوطيّ ، قِتْلةَ قوم لُوط . فرمَوْه بالحجارة . فلما سمع ذلك دخل القصر وأغلق بابه ، وقال :

دَعُوا لى سُلَيْمى والطِّلاء وقَيْنةً وكأساً ألاَ حَسْبى بذلك مالاَ
إذا ما صَفا عيشٌ برَمْلةِ عالجٍ وعانقتُ سَلمى لا أُريد بِدالا
خُذوا مُلْككم لاثبّت اللهُ مُلْككم ثباتاً يُساوى ماحييتُ عِقالا

ثم قال لعُمر الوادى : يا جامع لذّتى ، غنِّنى بهذا الشِّعر . فغنّاه به . وأحاط الُجند بالقصر ، فقال لهم الوليد من وراء الباب : أما مِنكم رجلٌ شريفٌ له حَسب وحياءٌ أُكلِّمه ! فقال له يزيد بن عنبسة السَّكْسكيّ : كلِّمني . فقال الوليدُ : ياأخا السَّكاسك ، ما تَنْقمون منِّى ؟ ألم أزد فى أعطياتكم وأعطية فُقرائكم ، وأخدمتُ زَمْناكم ، ورَفعت [٢] عنكم المُؤن ؟ قال : ما نَنْقم عليك فى أنفسنا شيئاً ، ولكن نَنقم عليك انتهاكَ ما حرّم الله ، وشُرب الخمور ، ونِكاح أُمهات أولاد أبيك ، واستخفافك بأمر الله عز وجل . فقال : حَسْبُك يا أخا السَّكاسك ، فَلعمرى لقد أغرقتَ وأكثرتَ ، وإن فيما أحل الله سبحانه لسعةً عمّا ذكرت . ورجع إلى الدار فجلس وأخذ المُصحف وقال : يوم كيوم عُثمان . ونَشر المصحف يقرأ . فعلَوا الحائط ، وكان أول مَن علاه يزيد بن عنبسةَ . فنزل وسيفُ الوليد إلى جَنبه . فقال له يزيد : نحِّ سيفَك . فقال له الوليد : لو أردتُ السيفَ لكانت لى ولك حالٌ غير هذه . فأخذ بيده وهو يريد أن يُدخله بيتاً ويُؤامِرَ فيه . فنزل من الحائط عشرةٌ ، منهم : منصُور بن جُمهور ، وعبد الرحمن بن رواحة [٣] مولى يزيد بن عبد

(١) فى الأغانى : « يعامل » .
(٢) فى الأغانى : « دفعت » .
(٣) فى الطبرى : « عبد الرحمن بن عجلان » . وفى الأغانى : « عبد الرحمن وقيس مولى ... الخ » .

الملك ، والسرىّ بن زياد بن أبى كبشة . فضربه عبد الرحمن بن رواحة على رأسه ضربةً ، وضَربه السرىُّ بن زياد على وجهه ضربة ، وجرُّوه بين خمسة ليُخرجوه . فصاحت أُمرأة كانت فى الدار ، فكفُّوا عنه فلم يخرجوه . واحتز رأسه أبو عِلاَقة القُضاعى ، وخاط الضربة التى فى وجهه بالعَقَب [1] . وقدم بالرأس على يزيد بن الوليد بن عبد الملك ، وهو بدمشق ، روْح بن مُقبل ، فقال : أبشر يا أمير المُؤمنين بقَتل الفاسق . فأحسن صلته .

تمثيلهم به بعد موته

ولما قُتل الوليدُ جعل أبو مِحْجن ، مولى خالد القَسرىّ ، يُدخل سيفه فى إست الوليد وهو مَقتول . وجاء يزيد بن خالد القَسرىّ فضَربه تسع ضَربات وهو مقتول .

عمر الوادى ساعة مقتله

وحكى عُمر الوادى قال :

كنت أغنِّى الوليد :

كذبتْك عينُك [2] أم رأيتَ بواسطٍ غَلَس الظلامِ من الرَّباب خَيالاَ

فما أتممتُ الصوت حتى رأيتُ رأسه فارق جَسده .

ابنا الوليد ويزيد ابن هشام

قيل :

وكان عثمان ، والحكم ، أُبنا الوليد بن يزيد ، قد بايعهما الوليدُ بالعهد بعده . فلما قُتل الوليد وأفضت الخلافةُ إلى أُبن عمّه يزيد بن الوليد بن عبد الملك ، أخذهما فحبَسهما فى الخضراء [3] . فدَخل عليهما يزيد بن هشام بن عبد الملك ، المَعروف بالأفقم ، فجعل يشتُم أباهما الوليدَ ، وكان قد ضَربه وحَلقه . فبكى الحكمُ . فقال له أخوه عثمان : أُسكت يا أخى ، وأقبل على يزيد فقال : أتشتُم أبى ! قال : نعم . قال :

---

(١) العقب : العصب تعمل منه الأوتار .

(٢) فى الأغانى : « نفسك » . (٣) لعله : موضع بالشام .

لكنى لا أشتم عمّى هشاماً ، ووالله لو كنتَ من بني مَروان ما شتمتَ أحداً منهم . فانظُر إلى وجهك ، فإن كنتَ رأيت حَكَمِيًّا (١) يُشبهك فأنت منهم . لا والله ، ما فى الأرض حَكَمِىّ يُشبهك .

الرشيد وابن الغمر ابن يزيد

وذُكر أن ابناً للغَمْر بن يزيد بن عبد الملك دخل على الرَّشيد ، فقال له : ممّن أنت ؟ قال : من قُريش . قال : من أيِّها ؟ فأمسك . قال : قل وأنت آمن ، ولو أنك مَروانى . قال : أنا ابن الغمر بن يزيد . قال : رَحم الله عمَّك ولَعن يزيدَ النَّاقص وقَتلةَ عمِّك جميعاً ، فإنهم قتلوا خليفة مُجْمَعاً عليه ! ارفع إلىّ حوائجك ، فقَضاها .

المهدى وابن علاثة فى شأن الوليد ابن يزيد

وذكر شَبيب بن شَيْبَة قال :

كنّا جلوساً عند المهدىّ ، فذكروا الوليد بن يزيد ، فقال المهدى : إنى لأحسبه زنديقاً . فقال ابن عُلاثة الفقيه : يا أمير المُؤمنين ، الله أعظم وأجلّ من أن يولِّى خلافةَ النبوّة وأمرَ الأُمة من لا يُؤمِن به ، لقد أخبرنى من كان يَشهده فى مَلاعبه وشُربه عنه بمُروءة فى طهارته وصَلاته ، وحدّثنى أنه كان إذا حضرت الصلاةُ يَطرح ثياباً كانت عليه من مُطَيَّبةٍ ومُصبَّغة ويتوضأ فيُحسن الوضوء ، ويُؤتى بثياب بِيض نِظاف من ثياب الخلافة ، فيصلِّى فيها أحسن صلاة ، وأحسن سكوت وسكون ورُكوع وسُجود ، فإذا فرغ عاد إلى تلك الثِّياب التى كانت عليه قبل ذلك ، ثم يعود إلى شربه ولَهوه ؛ أفهذه أفعالُ من لا يُؤمن بالله تعالى ؟ فقال المهدى : صدقتَ ، بارك الله عليك يا بن عُلاثة .

تعقيب لابن واصل فى زوال ملك بنى أمية

قلت : إن مُلك بنى أُميــة اُضطرب بقتل الوليد ، وإن يزيد لما بُويع له لم يلبث فى الخلافة إلاستة أشهر . وكان مروان بالجزيرة ، فعَصى عليه ولم يُبايع له . وتُوفّى يزيد فى هذه السنة ــ أعنى سنة سبع وعشرين ومائة ــ وكان يلقَّب بالناقص ،

(١) نسبة إلى حكم بن أبى العاص والد مروان ، رأس هذه الأسرة .

لأنه نَقَص الجند أعطياتِهم فلُقِّب بذلك . و بُويع بالخلافة أخوه إبراهيم بن الوليد ، وكان ضعيفاً ، تارةً يُسلَّم عليه بالخلافة ، وتارةً بالإمرة، وتارةً بأسمه . فمكث ثلاثة أشهر والدُّنيا مضطربة عليه . وقَصده مروان بن محمد الملقَّب بالحمار، و بعث إبراهيمُ ومَن معه إلى الغُلامَيْن ــ ولدَى الوليد ــ مَن قتلهما فى الحبس . وفى ذلك يقول ابن أبى عَقِب ، صاحب الملاحم :

إذا قُتل الخَلْف المُديم لِسكره ... بقَفرمن البَخْراء[1] أُسّس فى الرَّمْلِ

وسِيق بلاجُرْمٍ إلى الحَتْف والرَّدَى ... بُنياه حتى يُذْبحا مذبح[2] السَّخْلِ

فويح[3] بنى مَروان مما أصابهم ... بأيدى بنى العبّاس بالأسر والقَتلِ

ودخل مروان دمشق فبُويع له بالخلافة ، وخلع إبراهيم ، و بقى إبراهيم إلى وقعة الزّاب فغَرِق فى الزاب لما انهزم مروان من بنى العبّاس . وزال مُلك بنى أُمية ، وجرى عليهم من بنى العبّاس ما تقدم ذِكره .

* * *

عمر الوادى

ثم ذكر أبو الفرج عُمر بن داود الوادى ، وهو من موالى عمرو بن عثمان بن عفّان . ونِسبته إلى وادى القُرى . وكان مُختصًّا بالوليد بن يزيد ، ولم يزل يُطربه ويُغنِّيه إلى أن قُتل .

أبو كامل المغنى

ثم ذكر أبا كامل المُغنِّى . وأسمُه الغُزَيِّل ، مولى الوليد بن يزيد . وكان مُغنياً مُحسناً وطيِّباً مُضحكاً . لم يُسمع له بخَبر بعد بنى أُمية . ولعله مات فى أيامهم ، أو قُتل معهم . ولم أختر لهذين خبراً فأذكره .

---

(١) البخراء : بالشام .

(٢) السخل : جمع سخلة ، وهى ولد الشاة ، من المعز والضأن ، ذكراً كان أو أنثى .

(٣) فى الأغانى : « فويل » .

أخبار يزيد بن ضَبَّة

نسبه وولاؤه

وٱسم أبيه مِقسم . وضبَّة أُمه غلبتْ على نَسبه ، لأن أباه مات وخلّفه صغيراً . وكانت أُمه تحضُن أولاد المغيرة بن شُعبة ، ثم أولاد ٱبنه عُروة بن المغيرة ، فكان يُنسب إليها يزيد لشهرتها ، أيامئذ . وولاؤه لبنى مالك بن حُطَيط .

هو بين ولاية هشام والوليد

وكان يزيد بن ضَبة مُنقطعاً إلى الوليد بن يزيد فى حيـــاة أبيه يزيد بن عبد الملك ، فلما أفضت الخلافةُ إلى هشام بن عبد الملك دَخل إليه يزيد بن ضبة مُهنئاً بالخلافة ، فلما ٱستقرّ به المجلس ، ووصلت إليه الوفود ، وقامت الخطباء تُثني عليه ، والشُّعراء تمدحه ، مَثل يزيد بن ضبة بين السِّماطين فٱستأذنه فى الإنشاد . فلم يأذن له ، وقال : عليك بالوليد فٱمدحه وأنشده . وأَمر بإخراجه . فبلغ الوليدَ خبرُه ، فبعث إليه بخمسمائة دينار وقال له : لو أمنتُ عليك هشاماً لما فارقتَنى ، ولكن ٱخرُج إلى الطائف ، وعليك بمالى هناك ، فقد سوّغتك جميع غلَّته ، ومهما ٱحتجتَ إليه من شىء بعد ذلك فالْتمسه منّى . فخرج إلى الطائف ، فلم يَزل مُقيماً بها إلى أن مات هشام ، وولى الوليدُ بن يزيد الخلافةَ ، فوفد عليه . فلما دَخل عليه والناسُ بين يديه جلوسٌ ووقوفٌ على مَراتبهم ، سلّم عليه وهنّأه بالخلافة . فأَدناه الوليدُ وضمّه إليه، وقَبّل ابنُ ضَبة رجلَه والأرض بين يديه . فقال الوليد لأصحابه : هذا طريدُ الأحول لصُحبته إياى، وٱنقطاعه إلىّ . فٱستأذنه يزيدُ فى الإنشاد ، وقال : يا أمير المؤمنين ، هذا اليومُ الذى أمرنى[1] عمُّك هشام بالإنشاد فيه ، قد بلغتُه بعد يأس ، والحمد لله على ذلك . فأذن له . فأَنشده قَصيدةً ، أولُها :

---

(١) فى الأغانى : « نهانى »

سُلَيمى تلك فى العِيرِ   قِفِى أُخبرك[1] أَو سيرِى
إذا ما بِنتِ لم تأوِى   لصَبٍّ القَلب مَغمُور

يقول فى مَديحها :

ويُعطى الذهبَ الأحْمـ   ـر وَزْناً بالقَناطير
بلَوْناه فأَحمدنا   ه فى عُسْر ومَيْسور
كريمُ العُود والعُنْصـ   ـر غَمرٌ غير مَنْزور
إمامٌ يُوضِح الحقَّ   له نُور على نُور
بإحكامٍ وإخلاص   وتَفْهيم وتَحْبِير

فأمر الوليدُ بعدّ أبيات القَصيدة ويُعْطى لكُل بيت ألف درهم . فكانت خمسين بيتاً ، فأُعطى خمسين ألفاً .

وكان أولَ خليفة عدّ أبيات الشعر فأعطى على عددها بكُل بيت ألف درهم ، ثم لم يفعل ذلك بعده أحد إلا هارون الرّشيد ، فإنه بلغه خبرُ يزيد بن ضبة مع الوليد ، فأعطى مروان بن أبى حفصة ومَنصورا النَّمرىّ ، لمّا مَدحاه وهَجَوا آل أبى طالب ، لكل بيت ألف درهم .

* * *

اسماعيل بن الهربذ

ثم ذكر أبوالفرج: إسماعيل بن الهربذ ، مولى آل الزُّبَير بن العوّام ، وكان مُغَنِّياً ، غنَّى الوليد بن يزيد ، وعُمِّر إلى أيام الرشيد وغناه ، ولم أَختر شيئاً من أخباره .

(١) فى الأغانى : « أسألك » .

أخبار نابغة بنى شيبان

نسبه

وهو عبد الله بن المُخارق بن سُلَيم بن حُضْرة بن قيس بن سِنان بن حمّاد ابن حارثة بن عَمرو بن أبى ربيعة بن ذُهل بن شَيبان بن ثَعلبة بن عُكابة بن صَعب بن علىّ بن بكر بن وائل بن قاسط بن هِنْب بن أفصى بن دُعْمِىّ بن جَديلة بن أسد بن ربيعة بن نِزار .

شاعر بدوى

شاعر بدوىّ من شُعراء الدولة الأُموية . وكان يفد إلى الشام إلى خُلفاء بنى أُمية فيمدحهم ويُجزلون عطاءه .

دينه

قال أبو الفرج :

وكان فيما أرى نصرانيًّا ، لأنى وجدتُه فى شعره يَحلف بالإنجيل والرُّهبان والأيمان التى يحلف بها النَّصارى .

ممدوحوه

ومدح عبد الملك بن مَروان ، وولده، وولد ولده [1] . وله فى الوليد بن يزيد ابن عبد الملك مدائحُ كثيرة .

مدحه لعبد الملك عند همه بخلع أخيه وتولية ابنه

وذُكر أن عبد الملك بن مَروان لما هَمّ بخَلع أخيه عبد العزيز من ولاية عَهده ونقل ذلك إلى وَلده الوليد بن عبد الملك ، وكان نابغة بنى شيبان مدَّاحاً لعبد الملك ومُنقطعاً إليه ، دخل إليه فى يومٍ حَفل بالناس والناسُ حواليه ، وولده قُدّامه ، فمثل بين يديه وأنشده قولَه :

أَشْتقتَ وأنْهل دمعُ عينك أن ... أَضحى قِفاراً من أهله [2] طَلَحُ

أزحْتَ عنّا آلَ الزُّبير فلو ... كانوا همُ المالكين ما صَلَحوا

---

(١) فى الأغانى : « ومدح عبد الملك بن مروان ومن بعده من ولده » .

(٢) طلح : موضع دون الطائف .

إنْ تَلْق بَلْوَى فأنتَ مُصْطَبِرٌ ... وإن تُلاقِ النُّعْمَى فلا فَرِح
آلُ أبى العاصِ أهلُ مأثُرة ... غُرٌّ عِتاقٌ بالخير قد نَفَحوا
خيرُ قُريش وهم أفاضلُها ... فى الجِدِّ جِدٌّ وإن هُمُ مَزَحوا
أرحبُها أذْرُعاً وأصبرُها ... أنتم إذا القوم فى الوَغَى كَلَحوا
أمّا قُريش فأنتَ وارثُها ... تكُفُّ من شَغْبِهم[1] إذا طَمحوا
حفِظتَ ما ضَيَّعوا وزَنْدَهمُ ... أوريتَ إن أصْلدوا[2] وقد قَدحوا
آليتُ جهداً وصادقٌ قَسمى ... بربِّ عبدٍ لله[3] يَنْتَصِح
لابنك أوْلى بمُلك والده ... ونجم من قد عصاك مُطَّرح
داود عَدْلٌ فاحكم بسيرته ... ثم ابنُ حَرْب فإنّهم نَصحوا
وهم خيارٌ فاعمل بسُنّتهم ... وأحْيَ بخيرٍ واكْدح كما كَدحوا

فتبسّم عبدُ الملك ولم يتكلم فى ذلك بإقرار[4] ولا دَفع . فعلم الناس أنّ رأيه خَلعُ عبد العزيز أخيه . وبلغ عبدَ العزيز قولُ النابغة. فقال: أدخل ابنُ النَّصرانية نفسه مُدْخلاً ضيِّقاً ، وأوردها مَوْرداً خَطِراً ، ولله علىّ إن ظفرتُ به لأخضِبنَّ قَدَمه بدمه .

وله يهنئ يزيد بمقتل ابن المهلب

وذُكر أنه لما قُتل يزيد بن المهلب بن أبى صُفرة ، الخارج على يزيد بن عبد الملك ، دخل النابغةُ الشيبانى على يزيد بن عبد الملك ، فأنشده قولَه فى تهنئته بالفَتح :

ألاَ طال التَّنظر والثَّواء ... وجاء الصَّيف وانكشف الغِطاء
وليس يُقيم ذو شَجَنٍ مقيمٍ ... ولا يَمْضى إذا ابتُغى المَضَاء

(١) فى الأغانى : « صعبهم » .
(٢) أصلد الزند : قدحه ولم يور .
(٣) فى الديوان : « برب عبد تجنه الكرح» . والكرح : بيوت للرهبان .
(٤) فى بعض أصول الأغانى : «بإنذار» . و فى سائرها : « بإقدار » .

طَوالَ الدّهرِ إلّا فى كِتابٍ بمقدار[1] يوافقه القضاء
فما يُعْطَى الحريص غِنًى لحرصٍ وقد يَنْمِى لذى الجود الثَّراء
وكلُّ شديدةٍ نزلت[2] بقوم سَيَتبعُها إذا انتهت الرخاء

يقول فيها :

أؤُمُّ فتًى من الأعياص مَلْكاً أغَرَّ كأن غُرّته ضِياء
لأُسْمِعه غريبَ الشِّعر مدحاً وأُثني حيث يتَّصل الثَّناء
يزيد الخيرِ فهو يزيد خيراً ويَنْمِى كلّما ابتُغى النَّماء
فَضَضْتَ كتائبَ الأزدىّ فَضًّا بكَبْشك حين لَفَّهما اللِّقاء
سَمَكْتَ[3] المُلْكَ مُقْتَبلاً جديداً كما سُمِكتْ على الأرض السَّماء
نرجِّى أن تدوم لنا إماماً وفى مُلك الوليد لنا رَجاء
هشامٌ والوليدُ وكلُّ نفسٍ تُريد لك الفَناء لك الفِداء

وهى طويلة . فأمر له بمائة ناقة من نَعم كَلْب ، وأن تُوقَر بُرًّا وزَبيباً ، وكساه وأجزل صلته .

وفوده على الشام حين ولى هشام

ولما وَلى الخلافةَ هشامُ بن عبد الملك وَفد عليه ، فلما رآه قال : يا ماصّ . ما أبقت المواسِي من بَظر أُمه ، ألست القائل :

هشامٌ والوليدُ وكلُّ نَفْسٍ تُريدُ لك الفَناء لك الفِداء

أَخرجوه عنِّى ، فوالله لا يَرْزؤنى[4] شيئاً أبداً . فلم يزل طول أيّامه طريداً حتى ولى الوليد . فوفد إليه ومَدحه مدائح كثيرة ، فأجزل صلته .

---

(١) فى الأغانى : « ومقدار » .
(٢) فى الأغانى : « بحى » مكان « بقوم » .
(٣) سمك : رفع .
(٤) أى لا يصيب منى شيئاً .

وشعر النابغة الذى فيه الغِناء ، وافتتح به أبو الفرج أخباره ، هو :

أيها الساقى سَقته[1] مُزنةٌ ... من ربيعٍ ذى أهاضِيبَ[2] وطَشّْ

أمدح الكأس ومَن أعملها ... واهْجُ قوماً قتلونا بالعَطَش

إنما الكأس ربيعٌ باكرٌ ... فإذا ما غاب عنّا لم نَعِش

وكأنّ الشَّرْب قومٌ مُوِّتوا ... من يَقُم منهم لأمرٍ يرْتعش

خُرُس الألسُن ممّا نالهم ... بين مَصروع وصاحٍ مُنْتعش

مِن حُميّا قَرْقف حُصِّيةٍ ... قَهوة حَوْليـة[3] لم تُمتَحش

يَنفع المزكومَ منها رِيحُها ... ثم تَنفى داءه إن[4] لم تُنَش

كُل من يَشربها يألفُها ... يُنفق الأموال فيها كُلَّ هَشّ

وهى قصيدة طويلة .

---

(١) فى الأغانى : « سقتك » .

(٢) الربيع : المطر فى أول فصل الربيع . والأهاضيب : ما تحلب من القطر بعد القطر . والطش : المطر الضعيف .

(٣) الحميا : دبيب الشراب . والقرقف . الخمر . والحصية : نسبة إلى الحص ، وهو الزعفران . والحولية : التى مضى عليها حول . ولم تمتحش ، أى لم تصبها النار .

(٤) لم تنش ، أى لم تسكر .

أخبار أبى دهبل

نسبه

وهو وَهب بن زَمْعة بن أسيد بن أُحيحة بن خَلف بن وَهب بن حذافة ابن جُمَح بن عمرو بن هُصَيص بن كعب بن لُؤى بن غالب بن فِهْر .

أمه

وأم أبى دَهبل هُزيلة بنت سَلَمة ، من هُذيل .

من جماله وأول قوله الشعر

وكان أبو دَهبل رجلاً جميلاً ، شاعراً ، وكانت له جُمَّة يُرسلها تَضرب مَنْكِبيه . وقال الشِّعر فى خلافة على بن أبى طالب رضى الله عنه . ومَدح مُعاوية ابن أبى سُفيان ، وعبد الله بن جعفر بن أبى طالب . وولّاه ابن الزبير بعض أعمال اليمن .

هو وعمرة

وقيل : كان أبو دَهبل سيّداً من سادات بنى جُمح ، يَحمل الحمالات ، ويُعطى الفقراء ، ويَقْرى الضيف . فهوى أمرأةً من قومه يقال لها : عَمْرة . وكانت جَزْلة يجتمع إليها الرجالُ للمُحادثة . فكان أبو دَهبل لا يُفارق مجلسها مع كُل من يَجتمع إليها ، وكانت هى أيضاً مُحبة له .

ذُكر أنه تزوّجها بعد ذلك . وقيل. لم يصل إليها. وكانت عَمْرة تُوصيه بحفظ ما بينهما وكِتمانه . فضَمن لها ذلك . واتصل ما بينهما ، فوقفتْ على ذلك زوجتُه . فدسّت إلى عَمرة أمرأةً داهيةً من عجائز أهلها ، فجاءتها فحادثتْها طويلاً . ثم قالت لها فى عُرض حديثها : إنى لأَعجب لك كيف لا تتزوّجين أبا دَهبل مع ما بينكما ! قالت : وأى شىء بين مثلى وبين مثل أبى دَهبل ! فتضاحكت وقالت : أتسترين عنى شيئاً قد تحدّثت به أشراف قُريش فى مَجالسها . وسُوقة أهل الحجاز فى أسواقها ، والسُّقاة فى مواردها ! فما يتدافع أثنان فى أنه يهواكِ وتَهوينه . فوثبتْ

عن مَجلسها واُحتجبت ومَنعت كُلَّ من يُجالسها من المَصير إليها . وجاء أبو دَهبل على عادته . فحجبته ، وأرسلت إليه بما يكره . ففى ذلك يقول :

تطاول هــذا الليــلُ ما يتبلَّجُ وأعيتْ غَواشِى عَبْرتى ما تفرَّجُ
وبتُّ كئيباً ما أنام كأنما خِلالَ ضُلوعى جمرةٌ تتوهَّج
فطوْراً أُمنِّى النَّفس من عَمْرة المُنَى وطَوراً إذا ما لجّ بى الحُزن أنْشِج
لقد قطع الواشُون ما كان بيننا ونحن إلى أن يُوصَل الحبلُ أحوج
همُ مَنعونا ما نُحب وأوقدوا علينا وشَبُّوا نار صُرم تَأَجَّج
ولو تركونا لا هَدَى الله(١) أمرهم ولم يُلْحِموا قولاً من الشر يُنْسَج
لأَوْشك صَرْفُ الدَّهر يفرُق بيننا ولا يَستقيم الدَّهرُ والدهرُ أعوج
عسى كُرْبةٌ أمسيتِ فيها مُقيمةً يكون لنا منها نجاةٌ ومَخرج
فيُكْبَتَ أعداءٌ ويَجْذَل آلفٌ له كَبِدٌ من لوعة الحُبِّ تُلْعَج
وإنى لمَذْعورٌ(٢) عشيّة زُرتُها وكنتُ إذا ما جئتُها لا أُعرِّج
أُخطِّط فى ظَهر الحَصير كأننى أسيرٌ يَخاف القَتْل لهْفان(٣) مُلْفَج
وأُشفَق قلبى من فراق خريدةٍ لها نَسَبٌ فى فرع فِهْرٍ مُتوَّج
يَجُول وَشَاحاها ويَغْتَصّ(٤) حَجْلها ويَشْبَع منها وقْفُ عاج(٥) ودُمْلج
فلما اُلتقينا لَجْلَجت فى حديثها ومن آية الصَّد الحديثُ المُلَجلج

وقال فيها أيضاً :

يلومُوننى فى غير ذَنب جنيتُه وغيرىَ بالذَّنب الذى كان ألْوَمُ

---

(١) فى الأغانى : « سعيهم » مكان « أمرهم » .
(٢) فى الأغانى : « لمحزون » . مكان « لمذعور » .
(٣) فى الأغانى : « ولهان » مكان « لهفان » . والملفج : الفقير المحتاج .
(٤) يغتص : يمتلىء .
(٥) الوقف : السوار .

أمنّا أُناساً كنتِ تأتمنينهم فزادوا علينا فى الحديثِ[1] وأَوْهَموا
وقالوا لنا ما لم نَقُل ثم كَثَّروا علينا و باحُوا بالذى كنت أكتمُ
وقد مُنحتْ عَينى القَذى لفِراقهم وعاد لها تَهتانُها فهى تَسْجُمُ
وصافيتُ نِسْواناً فلم أرَ فيهمُ هوايَ ولا الوُدُّ الذى كنتُ أعلم
أليس عظيماً أن نكون ببلدةٍ كلانا بها ثاوٍ ولا نتكلم

هو وعاتكة

وذكر أن عاتكة بنت معاوية بن أبى سُفيان حَجَّت فنزلتْ من مكة بذِى طُوًى . فبينا هى ذاتَ يومٍ جالسةٌ ، وقد اُشتدّ الحرُّ واُنقطع الطريقُ ، وذلك فى وقت الهاجرة ، فأمرت جواريها فرفَعْن السِّتر ، وهى جالسة فى مجلسها ، عليها شُفوف لها ، تنظُر إلى الطريق ، إذ مرّ بها أبو دَهْبل الجُمحىّ ، وكان من أحسن الناس وجهاً ، وأجملهم منظراً ،فوقف طويلاً ينظُر إليها و إلى جَمالها ، وهى غافلةٌ عنه . فلما فَطِنتْ له سَترت وجهها وأمرت بطَرْح الستر وشَتمتْه . فقال أبو دَهْبل :

إنّى دَعانى الحَيْنُ فاُقتادنى حتى رأيتُ الظَّبى بالبابِ
يا حُسْنه إذ سَبَّنى مُدْبراً مُستتراً عنِّى بجِلْبابِ
سُبحان من وقَّفها حسرةً صُبَّتْ على القَلْبِ بأَوْصابِ
يذُود عنها إن تطلّبتُها أبٌ لها ليس بوهّابِ
أَحلّها قصراً منيعَ الذُّرى يُحْمَى بأبوابٍ وحُجّابِ

وأنشد أبو دَهْبل هذه الأبيات بعضَ إخوانه ، فشاعت بمكّة وشُهرت . وغنّى فيها المُغنُّون حتى سمعتها عاتكةُ إنشاداً وغناءً ، فضحكتْ وأعجبتها ، و بعثت إليه بكُسوة . وجَرت الرُّسُلُ بينهما ، فلما صَدرت عن مكة خَرج معها إلى الشام ،

---

(١) أوهموا : نقصوا .

فنزل قريباً منها . فكانت تعاهَدُه بالبرِّ واللُّطف ، حتى وَرَدت دِمشق ووَرد معها. فانقطعت عن لقائه وعجز عن أن يراها ، ومَرِض بدمشق مرضاً طويلاً ، فقال فى ذلك :

طال لَيلى وبتُّ كالمَحْزونِ ومَلِلْتُ الثَّواء فى جَيْرُونِ[1]

وأطَلتُ المُقام بالشَّأم حتّى ظَنَّ أهلى مُرَجَّماتِ الظُّنون

فبكتْ خَشيةَ التفرُّق جُمْلٌ كبكاء القَرين إثْر القَرين

ولَقَدْ قُلْتُ إذ تطاول سُقْمى وتَقَلَّبْتُ ليلتى فى فُنونِ

ليت شِعرى أعن هَوًى طار نَوْمى أم بَرانى البارى قَصِيرَ الجُفون

وهى زهراء مثل لُؤلؤة الغوّا ص مِيزتْ من جوهر مَكْنون

وإذا ما نَسَبْتَها لم تجِدْها فى سَناءٍ من المَكارم دُون

تَجعل المِسْك والأَلُوَّة والنَّـدَّ صِلاءً لها[2] على الكانون

ثم خاصرتُها إلى القُبة الخَضْـراء تَمْشى فى مَرْمرٍ[3] مَسْنون

قُبَّة من مَراجلٍ ضَربوها عند بَرْد الشتا فى قَيْطون

عن يَسارى إذا دخلتُ من البا ب وإن كنتُ خارجاً عن يَمينى

هو ومعاوية

وشاع هذا الشِّعرُ حتى بلغ معاوية بن أبى سُفيان ، فأمسك عنه، حتى إذا كان فى يوم الجمعة دَخل عليه الناسُ وفيهم أبو دَهْبل ، فقال معاوية لحاجبه : إذا أراد أبو دَهْبل الخُروج فامْنعه واُرْدُدْه علىّ . فجعل الناسُ يُسلِّمون ويَنصرفون ، فقام أبو دَهْبل لينصرف ، فناداه مُعاوية : يا أبا دَهبل ، هلُمّ إلىّ . فلما دنا منه أجلسه حتى خلا به ، ثم قال له : ما ظننتُ أن فى قُريش أشعر منك ، حيث تقول :

* ولقد قلتُ إذ تطاول سقمى *

---

(١) جيرون : حصن بدمشق . وقيل : هو دمشق بعينها .

(٢) الألوة : العود . والذى فى الأغانى : «وليلتجوج » . وهو عود البخور والصلاء : ما تصطلى به .

(٣) المسنون : ما كان على استواء.

وأنشده هـذا البيت والأبيات الثلاثة بعده ، ثم قال : والله إن فتـاةً أبوها معاوية، وجدُّها أبو سفيان ، وجدّتها هِندبنتعُتبة ، لكما ذكرتَ، فأىَّشىء زدتَ فى قَدرها ! ولقد أسأت فى قولك :

ثم خاصرتُهـا إلى القُبـة الخَضْـــراء تمشى فى مَرمرٍ مَسـنون

فقال : والله يا أمير المؤمنين ، ما قلتُ هـذا ، وإنما قيل على لسانى . فقال : أما مِن جهتى فلا خوف عليك ، لأنى أعلم صـيانة ابنتى نَفْسها ، وأعلم أن فِتيان الشَّعراء لم يتركوا أنْ يقولوا فى النَّسيب فى كُل مَن جاز أن يقولوه فيـه ، وكُلِّ من لم يَجُز ، وإنما أكره لك جِوار يزيد وأخاف عليك وَثَبـاته ، فإن له سورة الشّباب وأنفة المُلوك . وإنما أراد معـاوية أن يَهْرُب أبو دَهْبل فتَنقضى المقالةُ عن ابنته . فحذِر أبو دَهبل وخَرج إلى مكة هاربًا على وَجهـه ، فـكان يُـكاتب عاتكة . فبينا معــــاويةُ ذاتَ يوم فى مجلسه ، إذ جاءه خَصِىّ له ، فقال : يا أمير المُؤمنين ، لقد سَقط اليومَ إلى عاتكةَ كتابٌ ، فلما قرأتْه بكت ، ثم أخذتْه فوضعتْه تحت مُصلّاها ، وما زالت خاثرةَ النفس منـذ اليوم . فقال له : اذهب فالطُف لهذا الـكتاب حتى تأتينى به . فانطلق الخصىّ فلم يَزل حتى أصاب منها غِرّة ، فأخذ الـكتاب فأقبل به على معاوية ، فإذا فيه :

أعاتِكُ هـلّا إذ بَخِلْت فـلا تَرَىْ	لذى صَبْوَةٍ زُلْفَى لديك ولا حَقّـا
رَددتِ فؤاداً قــد تولَّى به الهَوى	وسكَّنْتِ عيناً لا تَمَلُّ ولا تَرْقا
ولـكنْ خلبت القَلْب بالوَعد والمُنَى	ولم أَرَ يوماً منك جُوداً ولا صِـدْقا
أتَنْسَين أيامى برَبْعـك مُـــدْنَفًا	صَريعاً بأرض الشام ذا سَقَمٍ مُلْقَى
وليس صـــديقٌ يُرْتَضى لوصـيَّة	وأدعو لدائى بالشَّراب فلا أُسْـقَى
فوا كبِــدِى إذ ليس لى منك مجلسٌ	فأشكو الذى بى مِن هَواك وما أَلْقى
رأيتُك تزدادين للصَّبّ غِلْظَـةً	فيزداد قَلبى كُلَّ يومٍ لـكم عِشْـقا

فلما قرأ مُعاوية الشِّعر بعث إلى ابنه يزيد . فأتاه فدخل عليه ، فوجد معاويةَ مُطرقاً ، فقال : يا أمير المؤمنين ، ما هـذا الأَمر الذى شَجاك ؟ قال : أمر أمرضنى وأقلقنى منذ اليوم ، وما أدرى ما أعمل فى شأنه . قال : وما هو ؟ قال : هذا الفاسقُ أبو دَهْبل ، كتب بهـذه الأبيات إلى أُختك فلم تزل باكيـةً إلى اليوم ، وقد أفسدها ، فما ترى فيه ؟ فقال : والله يا أمير المؤمنين إن الشأن فى أمره لهيِّن . قال : وما هو ؟ قال : عَبد من عَبيدك يَكْمُن له فى بعض أزقة مكّة فيُريحنا منـه . فقال معـاوية : والله إن امرأً يُريد بك ما يُريد ، ويَسمو بك إلى ما يسمو ، لغـير ذى رأى ! وأنت قد ضاق ذَرعك بكلمة وقَصُر فيها باعُك حتى أردتَ أن تقتُل رجلاً من قُريش ، أوَما تعلم أنك إذا ما فعلتَ ذلك صدّقت قولَه ، وجعلْتنا أُحدوثة أبداً . فقال : يا أمير المؤمنين ، إنه قال قَصيدة أُخرى تَناشَدها أهلُ مكة . قال : وما هى ؟ قال : قال :

أَلَا لا تَقُل مهلاً فقـد ذَهب المَهْـلُ ... وما كُل من يَلْحى مُحِبًّا له عَقْـلُ
لقـد كان فى حَوْلَين حالَا فلم أَزُرْ ... هَواى وإن خُوِّفتُ عن حُبِّها شُغل
حَمَى الملكُ الجَبَّـار عَنِّى لقـاءها ... فمِن دونها تُخْشَى المَتـالفُ والقَتل
فلا خـيرَ فى حُبٍّ يُخاف وَبالُه ... ولا فى حَبيبٍ لا يكون له وَصْـل
فواكبـدى إنّى شُهرتُ بحُبهـا ... ولم يك فيما بيننا سـاعةً بَذْل
ويا عجباً إنى أُكاتم حُبَّهـا ... وقد شاع حتى قطِّعت دونها السُّبْل

فقال معاوية : قد والله رفَّهت عنّى ، فوالله ما كنتُ آمنُ أن يكون قد وصل إليها ، فأما الآن وهو يشكو أنه لم يكن بينهما وَصل ولا بَذْل ، فالخطبُ يسـير . قُم . فقام يزيد فانصرف . وحج معاويةُ فى تلك السنة ، فلمـا انقضتْ أيام الحجّ كتب أسماءَ وجُوه قُريش وأشرافهم وشُعرائهم ، وكتب فيهم اسم أبى دَهْبـل ، ثم دعاهم ، ففرّق فى جميعهم صِـلاتٍ سنيّة وأجازهم جوائز كثيرة . فلمـا قَبض

أبو دَهْبل جائزته وقام لينصرف ، دعا به معاوية فرجع إليه . فقال له : يا أبا دَهْبل ، ما بالى رأيت أبا خالد يزيدَ ابن أمير المؤمنين عليك ساخطاً فى قوارِصَ تأتيه عنك، وشعرٍ لا تزال قد نطقتَ به وأنفذتَه إلى خصمائنا ومواليناً ، لا تَعرض لأبى خالد . فجعل يَعتذر إليه ويَحلف أنه مَكْذوب عليه . فقال له معاوية : لا بأس عليك ، وما يَضُرّك هذا عندنا . هل تأهّلت ؟ قال : لا . قال : فأىّ بنات عمِّك أحبُّ إليك ؟ قال : فلانة . قال : قد زوَّجكها أمير المُؤمنين وأَصدقها ألفى دينار ، وأَمر لك بألف دينار . فلما قَبضها قال : إن رأى أميرُ المؤمنين أن يَعفُوَ لى عما مَضى ، فإن نطقتُ ببيتٍ فى معنى ما بَلغه وسَبق منّى فقد أبحتُ به دَمى ، وفلانةُ التى قد زوَّجنيها أميرُ المؤمنين طالقٌ البتةَ . فسُر بذلك معاوية وضَمن له رِضا يزيد عنه ، ووعده بإدرار ما وَصله فى كُل سنة ، وانصرف إلى دِمَشق ، ولم يحج معاوية فى تلك السنة إلا من أجل أبى دَهْبل .

هو وشامية تزوجها

وذكر أن أبا دَهْبل خَرج يريد الغَزو ، وكان رجلاً صالحاً عفيفاً ، وكان جميلاً ، فلما كان بجيرون جاءته اُمرأة فأعطتْه كتاباً وقالت له : اقرأ هذا الكتاب . فقرأه لها . ثم ذهبتْ فدخلت قصراً ، ثم خرجت إليه وقالت : لو بلغتَ القَصْر فقرأت الكِتاب على اُمرأة كان لك فيه خير كثير ، فإنه من غائب لها يَعنيها أمرُه . فبلغ معها القَصْر ، فلما دخل إذا فيه جَوارٍ كثيرة ، فأغلقْن القَصر عليه ، وإذا اُمرأة وضيئة الوجه ، فدعتْه إلى نفسها ، فأبى ، فأمرت به فحُبس فى بَيت فى القَصر ، وأُطعم وسُقى قليلاً قليلاً ، حتى ضَعُف وكاد يموت ، ثم دعتْه إلى نفسها ، فقال : أما حَراماً فلا يكون ذاك أبداً ، ولكن أتزوّجك . قالت : نعم . فتزوَّجها . فأمرت به فأُحسن إليه حتى رجعت نفسُه إليه . فأقام معها زماناً طويلاً لم تَدَعْه يخرج ، حتى أيس منه أهلُه وولدُه ، وتزوّج بنوه وبناتُه ، واقتسموا مالَه ، وأقامت زوجتُه تبكى عليه حتى عَمِشَتْ ، ولم تُقاسمهم مالَه . ثم قال لامرأته التى

هو عنـدها : قد أَيْمتِ فِىّ وفى وَلدى وأهلى ، فَأْذَنى لى أُطالِعهم وأعود إليك . فأخذت عليـه أيمانًا ألّا يُقيم إلا سنةً ثم يعود إليها : فخرج من عندها يقطع البلادَ[1] ، حتى قَدِم على أهله، فرأى حال امرأته وما صار إليه ولدُه . وجاءاليه ولدُه ، فقال لهم : لا والله ما بينى و بينكم عَمل ، أنتم قد ورثتمونى وأنا حَىّ ، والله لا يَشْرك زَوْجتى فيما قدمتُ به أحد . وقال لهـا : شأنَك به فهو لك كُلُّه . وقال قَصيدته النُّونية التى تقدَّم ذِكرُها . فلما جاء الأجل أراد الخُروجَ إلى امرأته التى تزوّجها بالشام ، فجاءه خبرُ موتها ، فأقام .

من شعره فى مدح ابن الأزرق

ومن جيّد شعر أبى دَهْبل قولُه فى ابن الأزرق ، وهو عبد الله بن عبد الرّحمن ابن الوليد بن عبد شَمس بن المُغيرة بن عبد الله بن عُمر المخزومى ، يَمدحه فى أبيات :

لئن كفرتُكَ ما أوْليتَ من نِعَمٍ إنّى لفى اللُّؤْم أَحظى منك[2] بالـكَرمِ
وكيف أَنْساكَ لا نُعْماكَ واحـــدةٌ عندى ولا بالّذى أَسْديتَ من قِدَمِ

وكان ابن الأزرق هـذا قد ولّاه ابن الزُّبير بعضَ أعمـال اليمن ، فمدّ يده فى أموالها وأعطى عَطايا سنيّة ، و بثّ فى قُريش منها أشياء جَزيلة ، فتهافتتْ قُريش عليه ، ووَفدوا إليه ، فأَسنى لهم العطايا . و بلغ ذلك ابن الزُّبير فعَزله بإبراهيم بن سَعد ابن أبى وقّاص . فلمّا قَدِم عليه أراد أن يُحاسبه ، فقال له : مالك عندى حِساب ، ولا بَيني و بينك عَمل . فخافت قُريش أن يُفتّشه ابنُ الزبير أو يَكْشِفه ، فلبست السلاحَ وخَرجت إليه لتَمنعه . فلما لَقيهم نزلتْ قُريش فسلّمت عليه ، و بَسطت له أَرْديتها ، وتلقّتْه إماؤهم وولائدهم بمَجامر الأَلُوّة والعُود المَنْدِلىّ يُبَخّرون بين يديه ، حتى انتهى إلى المسجد ، فطاف بالبيت، ثم جاء إلى ابن الزُّبير فسلّم عليه ، وهم به

(١) فى الأغانى : « بجر الدنيا » . يريد أنه خرج بخير كثير .
(٢) رواية هذا البيت فى الأغانى :

ماذا رزئنا غداة الخل من رمع عند التفرق من خيم ومن كرم

(والخل : موضع باليمن فى وادى رمع) .

يُطيفون . فعلم ابنُ الزُّبير أنه لا سَبيل إليـه ، فما عَرض له ولا صَرّح له بشيء . ومَضى إلى منزله . فقال أبو دَهْبل :

فمن يَكُ شانَ العزلُ أو هدّ رُكنَـه لأعـــدائه يوماً فما شـانكَ العزْلُ
وما أصبحتْ من نعمةٍ مُسـتفادةٍ ولا رَحِمٍ إلا عليهـا لك الفَضْـل

وقال فيه أيضاً :

عُقِم النِّسـاء فلم يَـلِدْن شبيهَه إنّ النِّسـاء بمثـــله عُقْمُ
مُتهلِّل بنعَم بلا مُتبــاعِدٌ سـيَّانِ منه الوَفْر والعُــدْم
نَزْر الـكلام من الحَياء تخاله ضَمِناً[1] وليس بجسمه سُـقْم

من جيد شعره

ومن جيِّد شِعر أبى دَهْبل :

أأَتْرُك ليلَى ليس بينى و بَينها سِوَى ليـلةٍ إنِّى إذاً لَصبُورُ

وهذا البيتُ من أبيات تقدَّم ذِكْرُها ونُسبت إلى المَجنون ، والصحيح أنهـا لأبى دَهْبل .

(١) الضمن : المريض .

أخبار الحسين بن الضحاك

نســبه — قيل: إنه باهليٌّ صَلِيبةٌ[1] . وقيل : بل مولَى باهلة .

قال أبو الفرج : وهو الأَصح .

منشؤه وشعره — وهو بَصْرِىّ المَولد والمَنشأ . من شُعراء الدولة العباسية ، وأحد نُدماء الخلفاء من بنى العبّاس ، وأول من جالس منهم محمد الأمين بن زُبيده . وهو شاعر أديب ظريف مَطبوع غَزِل ، حَسن التصرُّف فى الشعر ، حُلْو المَذهب ، لشعره قبول ورَونق صافٍ .

انتفاع أبى نواس بمعانيه — وكان أبو نُواس يأخُذ معانيه فى الخَمر فيُغير عليها ، و إذا شاع له شعر نادر فى هذا المعنى نَسبه الناسُ إلى أبى نُواس .

لقبه وموته — وكان يُلقَّب بالخَليع والأشقر . وعُمِّر عُمراً طويلاً حتى قارب المائة السنة، ومات فى خلافة المُستعين ، أو المُنتصر .

هو وأبو نواس — وحَكى الحُسين بن الضحَّاك الخَليع قال : أنشدت أبا نُواس لما حججتُ قصيدتى التى قلتُها فى الخمر ، وهى :

بُدِّلتُ من نَفحات الوَرْد بالآء ... ومن صَبُوحك دَرَّ الإبْل والشاء

حتى اُنتهيت إلى قولى :

حتى إذا أُسْندتْ فى البيت واحتُضرتْ ... عند الصباح[3] بِسمّامين أكفاء

فُضَّت خواتمُها فى نَعْت واصفها ... عن مثل رَقْراقةٍ فى جَفْن[2] مَرْهاء

---

(١) صليبة : خالص النسب .

(٢) فى الأغانى : « الصبوح » .

(٣) الرقراقة : الدمعة تترقرق فى العين ولا تسيل . والمرهاء : المرأة لم تكتحل .

قال : فصَعِق صَعْقةً أفزعتنى ، وقال : أحسنت والله يا أشقر ! فقلت : ويلك يا حسن ! لقد أفزعتنى والله . فقال : بل أنت والله أفزعْتنى ورُعْتَنى ، هذا معنًى من المعانى التى كان فِكْرى لا بُدَّ أن يَنْتهى إليها ويَغُوص عليها ، وقد سبقْتنى إليه واُختلسْته منِّى ، وستَعلم لمن يُرْوى : إلىّ أم لك ؟ فكان والله كما قال ، سمعتُ من لا يعلم يَرويها له .

مع المأمون بعد الأمين

وقيل :

كان الحُسين الخَليع مُنقطعاً إلى محمد الأَمين ، فلما قُتل محمد الأمين وأفضت الخلافةُ إلى أخيه المأمون ، وقَدم بغداد من خُراسان أمر أن يُسمَّى له قومٌ من أهل الأدب ليُجالسوه ويُسامروه . فذُكر له جماعةٌ منهم الحُسين بن الضحَّاك الخليع ، فقرأ أسماءهم حتى بلغ اُسم حُسين . فقال : أليس هو الذى يقول فى محمد :

هلَّا بَقيتَ لسدِّ فاقتنا أبداً وكان لغيرك التَّلفُ
فلقد خلفتَ خلائفاً سلَفُوا ولسوفَ يُعْوِز بعدك الخَلَف

لا حاجةَ لى فيه ، والله لا يرانى أبداً إلا فى طريق . ولم يعاقبْه على ما كان من هجائه له وتعريضه به . فاُنحدر الحُسين إلى البصرة وأقام بها طول أيام المأمون .

صالح ابن الرشيد والمأمون فى أمره

وحَكى صالح بن الرَّشيد قال :

دخلتُ على المأمون ومعى بيتان للحُسين الضحاك ، فقلت : يا أمير المؤمنين ، أُحب أن تَسْمع منِّى بيتين ، قال : أنشدهما . فأنشدته :

حَمِدْنا اللهَ شُكْراً إذ حَبانا بنَصْرك يا أمير المُؤمنينَا
فأنت خليفةُ الرَّحْمٰن حقًّا جمعتَ سماحةً وجمعتَ دينا

فقال : لمن هذان البيتان يا صالح ؟ فقلت : لعبدك يا أمير المؤمنين حُسين

ابن الضحّاك . فقال : قد أحسن ! فقلت : وله يا أمير المؤمنين أجودُ من هذا . قال : وما هو ؟ فأنشدتُه قولَه :

أيَبْخَلُ فَرْدُ الحُسْنِ فَرْدُ صِفاته   علىَّ وقد أفرَدْتُه بهوًى فَرْدِ
رأى اللهُ عبدَ الله خيرَ عِبادِه   فملَّكه واللهُ أعلَمُ بالعبدِ

قال : فأطرق ساعةً ثم قال : ما تَطيب نفسى له بخَير بعد ما قاله فى أخى محمد وقاله فىّ .

وقوف المأمون على شعر له غنى به ابن بانة عند صالح بن الرشيد

وحُكى أن صالح بن الرّشيد قال لعمرو بن بانة يوماً ، وهو عنده : لستَ تَطرح على جوارىّ وغِلْمانى ما أَستجيده ! فقال له : ويلك ! ما أَبغضك ! أُبعث إلى مَنزلى فجِىء بالدّفاتر التى فيها الغِناء واُختر منها ما شئت حتى أُلقيَه عليهم . فبعث إلى منزله فجِىء بدفاتر الغِناء ، فأخذ منها دفتراً ليتخيّر ممّا فيه ، فمرّ به شعرُ الحُسين بن الضحاك يَرثى محمداً الأمين ويَهجو المأمون ، وهو :

أَطِلْ جَزَعاً واُبْكِ الإمامَ محمداً   بحُزن وإن خِفْتَ الحسام المُهنَّدا
فلا تمّت الأشياءُ بعد محمدٍ   ولا زال شَملُ المُلك فيه مُبدَّدا
ولا فَرِح المأمونُ بالمُلك بعده   ولا زال فى الدُّنيا طَريدا مُشرَّدا

قال عمرو بن بانة : فقال لى صالح : أنت تَعلم أن المأمون يجىء إلىّ فى كُل ساعة ، فإذا قرأ هذا ما تُراه يكون فاعلاً ؟ ثم دعا بسكّين وجعل يحكّه ، وصَعد المأمون من الدَّرجة ورَمى صالح بالدّفتر . فقال المأمون : يا غلام ، الدفتر . فأُتى به ، فنَظر فيه ووقف على الحَكّ وقال : إن قلتُ لكم ما كنتم فيه تَصْدقُونى ؟ قلنا : نعم . قال : ينبغى أن يكون أخىقال لك : ابعث فجِىء بدَفاترك لنتخيّر ما نَطرحه على الجوارى . فوقف على هذا الشّعر فكرِه أن أراه ، فأمر بحكه . قلنا : كذا كان . قال : غنّه يا عمرو . فقلت : يا أمير المؤمنين ، الشعر لحُسين بن الضحّاك

والغناء لسعيد بن جابر. قال: وما يكون! غنه. فغنيتُه. قال: أُرْدُده. فرددتُه ثلاث مرات. وأمر لى بثلاثين ألف درهم وقال: حتى تعلم أنه لم يضُرْك عندى.

حزنه على الأمين ومن مراثيه فيه

قيل:

وكان الحسين بن الضحّاك كثيرَ المَراثى فى محمد الأمين، شديد الجزع عليه. وكان لفَرْط محبّته وجَزعه لقتله أنه خُولط فى عَقله، فكان يُنكر قَتله، ويَدفعه ويقول: إنه مُستتر، وإنه قد بَثّ دُعاتَه فى الأمصار يدعون إلى مُراجعة أمره. فكان يَطمع فى عَوده إلى مُلكه والاجتماع به. ومن جيد مراثيه فيه:

سألونا أنْ كيف نحن فقلنا ... مَنْ هوَى نجمُه فكيف يكونُ

نحن قومٌ أصابنا حَدَثُ الدَّهـ ... ـر فظَلْنا لرَيْبه نَستكين

نتمنَّى من الأمين إياباً ... لَهْفَ نَفْسى وأين منّا الأَمين

ومن جيد مراثيه فيه قوله:

أعزِّى يا محمد عنك نفسى ... معاذَ الله والأيدى الجِسامِ

فهلاّ مات قومٌ لم يموتُوا ... ودُوفع عنك لى يومُ الحِمام

كأن الموتَ صادف منك غُنْماً ... أو اُستشفى بقُربك من سَقام

تهنئة المعتصم بفتحه عمورية

وذُكر[1] أنه لما افتتح المُعتصم بن الرَّشيد عَمُّورية من بلاد الرُّوم امتدحه الشُّعراء بذلك وذكروا حُسن فِعله، وكان أحسن ما مدح به يومئذ، وما قدَّمه أهلُ العِلْم على سائر ما قاله الشعراء قولَ الحسين بن الضحاك:

قل للأُلى صَرفوا الوُجوه عن الهدى ... مُتعسِّفين تَعسُّفَ المُرّاق

إنى أُحذّركم بوادرَ ضَيْغم ... دَرِبٍ بحَطْم موائل الأَعناق

مُتأهبٍ لا يَستفزُّ جَنانَه ... زَجلُ الرُّعود ولامعُ الإبْراق

لم يَبْق من مُتعرِّمين[2] تَوثَّبوا ... بالشَّام غيرُ جَماجِمٍ أَفْلاق

(١) ساق أبو الفرج هذا الخبر فى ولاية المعتصم وتهنئة الشعراء له بها

(٢) المتعرمون: ذووا العرامة والشراسة.

من بين مُنْجدل تَمُجّ عروقه ... عَلَق الأخادع أو أسيرِ وَثاق
وثنى الخيولَ إلى مَعاقل قَيْصر ... تختال بين أسنةٍ (١) ورِقاق
يَحْملن كُلَّ مُشمرٍّ مُتَغَشِّمٍ ... لَيْثٍ هِزَبْرٍ أهْرت (٢) الأشداق
حتى إذا أمَّ الحصونَ مُنازلاً ... والموتُ بين تَرائبٍ وتَراقى
هَرَّت بطارقُها هَريرَ قَساورٍ ... بُدهتْ بأكْرَه مَنْظرٍ ومَذاق
ثم استكانتْ للحصار ملوكُها ... ذُلاًّ وناط حلوقَها بخِناق
هَربتْ وأسلمتِ الصليبَ (٣) حُماتُها ... لم يَبق غيرُ حُشاشة الأرماق

فأمر له المُعتصم لكُل بيت بألف درهم، وقال له: أنت تعلم يا حُسين أن هذا أكثر ما مدحنى به مادح فى دولتنا. فقبّل الأرض بين يديه وشَكره، وحَمل المال معه.

استجاد الرياشى شعراً له فى الخمر

وقيل: وكان الرِّياشى يَستجيد قولَ الحسين بن الضحاك فى الخمر:

إذا ما الماء أمكننى ... وصَفْوُ سُلافةِ العِنَبِ
صَببتُ الفضّةَ البيضا ... ءَ فوق قُراضة الذّهب

أخذ أبو نواس معنى له فى الخمر

وحكى الحسين بن الضحّاك قال: أنشدت أبا نُواس قصيدتى التى أولها:

وشاطِرِىّ اللِّسان مُخْتلَقُ التَّكْـ ... ـريهِ شابَ المَجونَ بالنُّسُكِ

حتى بلغتُ إلى قولى:

كأنما نُصْبَ كاسه قَمَرٌ ... يَكْرع فى بعض أنْجُم الفَلَكِ

قال: فأنشدنى أبو نُواس بعد أيام لنفسه:

إذا عَبّ فيها شاربُ القوم خِلْتَه ... يُقبِّل فى داجٍ من اللّيل كوكبا

(١) كذا فى التجريد: يريد الرماح والسيوف. والذى فى بعض أصول الأغانى: «أحرة» وفسروها فقالوا: الغليظ من الأرض. كما فسروا «الرقاق» بالمستوية منها.
(٢) المتغشم: الغضوب. وأهرت الأشداق: واسعها.
(٣) فى الأغانى: «عشية» مكان «حماتها».

فقلت له : يا أبا عليّ ، هذه مُصالتةٌ (١) . قال: فقال : أتظُن أنه يُروى لك فى الخمر معنًى جيّد وأنا حيّ !

قلتُ : و بيت أبى نُواس ، و إن كان معناه مسروقاً من الُحسين ، أحسنُ ، فإن لفظ « يقُبل » ألطف من لفظ « يكرع » .

تهنئة الواثق بالخلافة

وقيل :

لما تُوفِّى المُعتصم ، وولى ابنه الواثقُ الخلافةَ ، دخل عليه الُحسين بن الضحّاك وأنشده قصيدتَه التى أولها :

أَلَم يَرُعِ الإسلامَ موتُ نَصيرِه … بَلَى حَقّ أن يَرتاع من مات ناصرُه

هو الملكُ المَجبول نفساً على التُّقَى … مُسلَّمةٌ من كُل سُوء عَساكره

سيُسليك عمّا فات دولةُ مُفْضلٍ … أوائلُه محمودةٌ وأواخره

ثَنى الله عِطْفَيْه وأَلَّف شَخصَه … على البِرِّ مُذْ شُدَّتْ عليه مآزِره

يَصَبٌّ (٢) بِبَذْل المال حتى كأنما … يَرَى بذلَه للمالِ نَهْباً يُبادِره

فما قدّم الرحمٰنُ إلاَّ مُقدَّما … مواردُه محمودةٌ ومَصادره

فقال الواثق : إن كان الُحسين ليَنطق عن صحّة طويّة ، و يمدح بخُلوص نية . ثم أمر بأن يُعْطَى لكُل بيْت قاله من هذه القصيدة ألفَ درهم . وأعجبته هذه الأبيات حتى أمر فصُنع فيها عِدةُ ألحان .

وحكى الُحسين بن الضحاك قال :

أنشد الواثق فى يوم غيم

دخلتُ على الواثق ذاتَ يوم وفى السماء لَطْخ غَيم (٣) . فقال : يا حُسين ، ما الرأيُ عندك فى هذا اليوم ؟ فقلت : يا أمير المؤمنين ، ما حَكم به وأشار إليه

(١) المصالتة : أن يأخذ الشاعر البيت لغيره لفظاً ومعنى .
(٢) يصب : يولع .
(٣) أى قليل غيم .

قبلى أحمد بن يوسف ، فإنه أشار بصوابٍ لا يُرد ، وجعله فى شعر لا يُعارض.

قال : وما قال ؟ قلت : قال :

أرى غَيماً تُؤلِّفه جَنوبٌ   وأحسبه سيأتينا بهَطْلِ

فعينُ الرّأى أن تَدْعو بِرِطْلٍ   فَتشربه وتَدْعو لى بِرِطْلْ

فقال : أصبتُما ، ودعا بالطَّعام والشراب والمُغنّين والجلساء واُصطبحنا .

وقيل :

وصف ليلة مع الواثق

كان الُحسين بن الضحاك ليلةً عند الواثق ، وقد شربوا إلى أن مضى ثُلث الليل ، فأمر أن يَبيت مكانَه . فلما أصبح خَرج إلى النُّدماء وهم مُقيمون ، فقال لُحسين : هل وصفتَ ليلَتنا الماضيةَ وطيبهَا ؟ فقال : لم يَمض شيء، وأنا أقول الساعةَ . وفكّر هُنيهة ، ثم قال :

حَثّت صَبُوحى فكاهةُ اللّاهى   وطاب يَومى بقُرب أشباهِى

فاُستَثِر اللهوَ من مَكامنه   مِن قبل يومٍ مُنَغِّصٍ ناهِى

باُبنة كَرْمٍ من كفِّ[1] مُنْتطِق   مُؤتزر بالمُجون تَيّاه

يَسْقيك من طَرفه ومِن يده   سَقْىَ لَطيفٍ مُجرِّب داهِى

كأساً فكأساً كأن شاربهَا   حيرانُ بين الذّكور والساهى

فأمر الواثق بردّ المجلس كهيئته ، واُصطبح يومَه ذلك معهم، وقال : نُحقِّق قولَك يا حُسين ونَقضى لك كُل أرب وحاجة .

هو وجارية للواثق غضبت عليه

وحكى حُسين بن الضحّاك قال :

كانت لى نوبةٌ فى دار الواثق أحضُرها ، جَلس أو لم يَجلس . فبينا أنا نائم ذاتَ ليلة فى حُجرتى إذ جاءنى خادم من خَدم الُحرَم فقال لى : قُمْ فإن أمير المؤمنين يَدعوك . فقلتُ له : ما الخبر ! فقال : كان نائماً وإلى جَنْبه حَظيَّةٌ له ،

(١) المنتطق : الذى شد وسطه بمنطقة .

فقام وهو يظنها نائمة ، فألم بجارية أخرى له ، ولم تكن ليلة نوبتها ، وعاد إلى فراشه . فغضبت حظيته وتركته حتى نام ، ثم قامت ودخلت حجرتها ، فانتبه وهو يظنها عنده، فلم يجدها ، فقال: اختُلست عزيزتى ، ويحكم !أين هى ؟ فأخبرناه الخبر وأنها غضبت ودخلت حجرتها ، فدعا بك . فقلت فى طريقى :

غضبتْ أن زُرتُ أخرى خِلْسةً ... فلها العُتْبى لدينا والرِّضَا

يا فدَتْك النَّفسُ كانت هفوةً ... فاْغفريها واْصْفَحى عمّا مَضى

واْتركى العذلَ على من قاله ... واْنسبى جَوْرِى إلى حُكم القَضا

فلقد نبَّهتِنى من رَقْدتى ... وعلى قَلبى كنِيران الغَضا

فلما جئتُه خبَّرنى بالقصة وقال لى : قُل فى هذا شيئاً . ففكَّرتُ هُنيهةً كأنى أقول شعراً ، وأنشدته الأبيات . فقال : أحسنت وحياتى ! أعدها يا حُسين . فأعدتُها عليه حتى حَفِظها ، وأمر لى بخمسمائة دينار ، وقام ، فمضى إلى الجارية . وخرجتُ أنا إلى حُجرتى .

شعره فى جارية للواثق ماتت فرآها فى النوم

وحكى حُسين الضحّاك قال :

كان الواثقُ يتحظَّى جاريةً فماتتْ فجزِع عليها جزَعاً شديداً ، وترك الشُّرب أياماً ، ثم تسلّاها وعاد إلى حاله . فدعانى ليلةً وقال لى : يا حسين ، رأيت فلانة فى النَّوم ، فليت نومى كان قد طال لأتمتع بلقائها ، فقُل فى هذا شيئاً . فقلتُ :

ليت عَينَ الدَّهر عنَّا غَفلتْ ... ورقيبَ اللَّيل عنّا رَقَدَا

وأقام النومُ فى مُدّته ... كالذى كان وكُنَّا أبدا

بأبى زَوْرٌ[1] تلفَّتُّ له ... فتنفَّسْتُ إليه الصعَدُا

بينما أضحك مَسروراً به ... إذ تقطَّعتُ عليه كَمدا

فقال الواثق : أحسنت ! ولكنّك وصفتَ رقيبَ الليل فشكوتَه ولا ذنبَ له : وإنما رأيتُ الرُّؤيا نهاراً . ثم عاد إلى مَنامه فرقد .

(١) الزور : خيال يرى فى النوم

بينه و بين ابن المهدى وكان عربد عليه

وحُكى أن الُحسين بن الضحّاك شَرب يوماً عند إبراهيم بن المَهدىّ ، فجرت بينهما مُلاَحاةٌ فى أَمر الدين والمَذهب ، فدعا له إبراهيم بِنطْع وسَيف ، وقد أَخذ منه الشراب . فانصرف الُحسين وهو غضبان . فكتب إليه إبراهيم يعتذر و يسأله أن يجيئه . فكتب إليه :

نديمى غيرُ مَنسوبٍ ... إلى شىء من الَحيْفِ

سقانى مثلَ ما يشر ... ب فِعْلَ الضَّيْفِ بالضَّيف

فلما دارت الكأسُ ... دعا بالنِّطْع والسَّيف

كذا مَن يَشرب الراح ... مع التِّنِّين فى الصَّيف

فلم يعد إلى مُنادمته مدةً . ثم إن إبراهيم تَحمَّل عليه [1] ووَصله . فعاد إلى مُنادمته .

توسله بابن مسعدة ليشفع له عند المأمون

وذُكر أنه لما أعيت الُحسينَ بن الضحّاك الحيلةُ فى رضا المأمون عنه، رَمَى بأَمره إلى عمرو بن مَسْعده وكتب إليه :

أنت طَوْدى من بين هذى الِهضَابِ ... وشِهابى من دون كُلِّ شِهابِ

أنتَ يا عمرو قُوتى وحيَاتى ... ولِسانى وأنت ظُفْرى ونَابى

أتُرانى أنسَى أياديكَ البيـ ... ـضَ إذ اسود نائلُ الأَصحاب

أين عطف الكرام فى مأقط [2] الحا ... جة يحمون حوزة الآداب

أين أخلاقُك الرضيّة حالت ... فىّ أم أين رِقّة الكُتّاب

أنا فى ذمّة السحاب وأظما ... إن هذا لوصمةٌ فى السَّحاب

قُم إلى سيِّد البريّة عنِّى ... قومةً تَسْتَجِرُّ حُسْنَ خِطاب

فلعلّ الإلٰه يُطفىء عنِّى ... بك ناراً علىّ ذاتَ التهاب

(١) تحمل عليه : ترضاه . (٢) المأقط : به الضيق .

فلم يزل عمرو بن مَسعده يتلطّف للمأمون حتى أوصله إليه وأُدِرّ عليه أرزاقه .

بينه و بين المأمون فى شعر قاله فى رثاء الأمين

وذُكر أنه لمّا دخل على المأمون ، قال له : أخبرنى عنك : هل عرفتَ يوم قُتل أخى محمد هاشميّةً قُتِلت أو هُتِكت ؟ قال : لا . قال : فما مَعنى قولك :

[1] وممّا شَجا قَلْبى وكَفْكف عَبْرتى	مَحارمُ مِن آل النبىّ اُستُحِلَّتِ
ومنهوكة بالخلد عنها سُجوفها	كَعاب كقَرن الشَّمس حين تَبدَّت
إذ حفزتها لوعةٌ من منازع	لها الفُرط عاذت بالخُشوع وزَنَّت
وسِرب ظباء من ذُؤابه هاشمٍ	هَتَفْن بدَعْوى خيرِ حىٍّ وميِّت
أرُدّ يداً مِنِّى إذا ما ذكرته	على كبدٍ حَرَّى وقلب مُفتَّت
فلا بات ليلُ الشامتين بِغبْطةٍ	ولا بلغتْ آمالهم ما تَمنَّت

فقال : يا أمير المُؤمنين ، لوعةٌ غلبتْنى ، وروعة فاجأتنى ، ونعمةٌ سُلبتها [2] بعد أن غمرتْنى ؛ وإحسانٌ شكرتُه فأَنطقنى ، وسيِّد فقدتُه فأَقلقنى ؛ فإن عاقبتَ فبحقِّك ، و إن عفوتَ فبفضلك . فدمَعت عينا المأمون وقال : قد عفوتُ عنك وأمرتُ بإدرار رِزقك عليك ، و إعطائك ما فات منها ، وجعلتُ عقوبةَ ذَنْبك اُمتناعى من اُستخدامك .

شعره فى غلام لصالح بن الرشيد غنى فيه عمرو بن بانة

وحكى عمرو بن بانة قال :

كُنَّا عند صالح بن الرَّشيد ليلة ، ومعنا حُسين بن الضحّاك ، وذلك فى خلافة المأمون ، وكان صالح يَهْوى خادماً له ، فغاضبه فى تلك الليلة فتنحَّى عنه ، وكان جالساً فى صَحنٍ حوله نرجس كثير ، فى قمر طالع حَسن. فقال للحُسين: قُل فى مجلسنا هذا وما نحن فيه أبياتاً يُغنِّى فيها عمرو بن بانة . فقال حُسين :

وصف البدرُ حُسن وجهك حتَّى	خِلْتُ أنِّى وما أَراكَ أَراكا

(١) لم ترد الأبيات الثلاثة الأولى فى الأغانى .

(٢) فى الأغانى : « فقدتها » .

وإذا ما تنفَّس النَّرجسُ الغَضُّ توهّمتُه نَسيمَ شَذا كا
خُدَعٌ للمُنى تُعلِّلنى فيضُـك بإشراق ذا وبهجة[1] ذا كا
لأَدُومنّ يا خليلى على العهـد[2] لهذا وذاك إذ حَكَيا كا

فقال لى صالح : تغنّ فيها . فغنَّيتُ فيها من ساعتى .

هو والمتوكل وشفيع خادمه

وحُكى أن المتوكل على الله أحب أن يُنادمه حُسين بن الضحّاك ، وأحب أن يرى ما بَقِى من ظَرفه وشهوته ، لما كان عليه ، وكان قد كَبِر وضَعُف ، فسقاه حتى سَكِر ، وقال لخادمه شَفيع : أسْقِه . فسَقاه وحيّاه بوَردة ، وكانت على شَفيع ثيابٌ مورَّدة . فمدّ الحسين يدَه إلى ذراع شَفيع . فقال له المتوكل : وَيحك ياحُسين ! أتُجَمِّش أخصَّ خَدمى عندى بحضرتى ، فكيف لو خلوتَ ! ما أحوجك إلى أدب ! وقد كان المتوكل غَمز شَفيعاً على العَبث به : فقال الحسين بن الضحّاك : ياسيدى ، أريد دواةً وقِرطاساً . فأمر له بذلك . فكتب بخطِّه :

وكالوردة الحَمراء حيَّـا[3] بوردة من الورد يَمشى فى قَرَاطِقَ[4] كالوَرْدِ
له عَبَثَاتٌ عند كل تحيّـةٍ بكفَّيه تَستدعى الحليمَ إلى الوَجد
تمنّيتُ أن أُسقى بكفَّيه شَرْبةً تُذكّرنى ما قد نَسيتُ من العَهد
سقى الله عيشاً لم أبت فيه ليـلةً من الدّهر إلاّ[5] مِن حَبيب على وَعد

ثم دفع الرُّقعة إلى شَفيع وقال له : ادفعها إلى مَولاك . فلما قرأها استملحها وقال : أحسنت والله يا حُسين ! ولو كان شَفيع ممن تجوز هبتُه لوهبتُه لك . ولكن بحياتى يا شَفيع إلا كُنت ساقيه بقية يومه هذا ، واخْدُمه كما تَخدُمنى . وأمر له بمال كثير يُحمل معه لما انصرف .

(١) فى الأغانى : « ونفحة » . (٢) فى الأغانى : « لأقيمن ماحييت على الشكر » .
(٣) فى الأغانى : « بأحمر » مكان « بورده » .
(٤) القراطق : جمع قرطق . وهو قباء ذو طاق واحد.
(٥) فى الأغانى : « سقى الله دهراً . . . : خلياً ولكن » .

شعره فى غلام

وحُكى أن الحسين بن الضحّاك مَرّ به يوماً غلامٌ حَسن الصورة، فقال له بعضُ أصحابه : أَتُحبه ؟ قال : نعم ، والله . قال : فأَعْلِمه . قال : هو أعلم بحُبى له منّى به . ثم قال :

عالمٌ بحُبِّيهِ ... مُطْرِقٌ من التِّيهِ
يوسفُ الجمالِ وفِر ... عونُ فى تَعدِّيه
لا وحقِّ ما أنا مِن ... عَطْفِه أُرجِّيه
ما الحياةُ نافعةٌ ... لى على تأبِّيه
النَّعيمُ يَشْغله ... والجمالُ يُطْغيه
فهو غير مُكترِثٍ ... للّذى أُلاقيه
تائهٌ تُزهِّده ... فىّ رغبتى فيه

هو وصالح بن الرشيد وغلام أخيه يسر

وحُكى أن صالح بن الرَّشيد كان يتعشّق يُسْرًا خادمَ أخيه أبى عيسى بن الرشيد ، وكان يُراوده عن نَفسه ، فيعده ولا يَفِى له . فأَرسله أبو عيسى يوماً إلى أخيه فى السَّحر يقول له : يا أخى ، إنِّى قد اُشتهيت اليوم أن أصطبح ، فبحياتى لمَا ساعدتَنى وصرتَ إلىّ لنصطبح اليوم جميعاً . فسار يُسر إلى صالح وهو مُنْتَشٍ ، وقد شَرب فى السحر ، فأبلغه الرِّسالة . فقال : نَعم وكرامةً ، اُجلس أولا. فجلس . فقال : يا غلام ، أَحضرنى عشرة آلاف درهم . فأحضرها . فقال له : يا يُسر ، دَعْنى من مواعيدك ومَطْلك ، هذه عشرة آلاف درهم فخُذها واُقض حاجتى ، وإلا فليس هاهنا إلا الغَصْب . فقال له : يا سيدى ، أنا أقضى الحاجة ولا آخذ المال . ثم فعل ما أراده وطاوعه . فقَضى حاجته . وأمر صالحٌ بحمل العشرة الآلاف معه . ثم خرج صالحٌ من خَلوته فقال للحُسين بن الضحّاك : يا حسين ، قد رأيتَ ما كُنّا فيه ، فإن حَضرك شىء فقُل . فقال :

أيا من طَرفه سِحْرُ ... ومَن رِيقته خَمْرُ
تجاسرتُ فكاشفـ ... ـتُك لما غُلب الصَّبرُ
وما أحسنَ فى مِثلـ ... ـك أن يَنهتِكَ (١) السِّتْر
وإن لامَنِى الناس ... ففى وَجهك لى عُذر
فدعنى من مواعيـ ... ـدك إذ حيَّنك الدَّهر
فلا والله لا أبر ... ح أو يَنفصل (٢) الأمر
فإما الغَضْب والذَّم ... وإما البَذل والشُّكر
فلو شئت تَيَسّرت ... كما سُمِّيت يا يُسْر
فكُن كاسمك لا تَمْنَـ ... ـعُك النَّخوةُ والكِبْر
فلا فُزْتُ بحظِّى منـ ... ـك إن ذاع له ذِكْر

فضحك صالحُ وقال : لعمرى لقد تَيَسّر يُسر كما قلت . فقال الحُسين : نعم ، ومن لا يتَيسّر بعد أخذ الدِّية ! ولو أردتَنى أنا أيضاً لتيسّرتُ . فضحك ثم قال : نُعطيك يا حُسين الدِّية لحضُورك ومساعدتك ، ولا نُريدك لما أردنا له يُسرا ، فبئست المطية أنت !

شعره فى تهنئة الواثق بالخلافة

وذكر أنه لما ولى الواثق الخلافةَ جَلس للناس ودَخل إليه المُهنِّئون والشُّعراء ، فمَدحوه وهنَّئوه ، ثم استأذن الحُسين بن الضحّاك فى الإنشاد ، وكان من الجُلساء فترفَّع عن الإنشاد مع الشُّعراء ، فأذِن له . فأنشده قصيدته التى أولها :

أكاتمُ وَجدى فما ينْـكتم ... بمَنْ لو شكوتُ إليه رَحِمْ
وإنِّى علـى حُسن ظنِّى به ... لأحْذر إن بُحتُ أن يَحْتشم
ولى عند نَظرته (٣) رَوعةٌ ... تُحقِّق ما قاله (٤) المُتَّهم

(١) فى بعض أصول الأغانى : « ينتهك » .
(٢) فى الأغانى : « فلا والله لا نبر * ح أو ينقضى » .
(٣) فى الأغانى : « لحظة » .
(٤) فى الأغانى : « ما ظنه » .

وقد عَلِم الناسُ أنّى له مُحِبٌّ وأحسبه قد عَلِم
وإنى لَمُغْضٍ على لَوعةٍ من الشَّوق فى كَبدى تَضْطرم

يقول فى مديحه :

يَضيق الفضاء به إن غدا بطَوْدَىْ أعاريبه والعَجم
ترى النصرَ يقدُم راياتِه إذا ما خَفَقْن أمام العَلم
وفى الله دوّخ أعداءه وجرّد فيهم سيوفَ النقَم
وفى الله يَكْظم من غَيْظه وفى الله يصفح عمّن ظَلَم
رأى شِيمةَ الُجود محمودةً وما شِيَمُ المجد[1] إلا قِسَم
فراح على « نَعَمٍ » واغتدى كأنْ ليس يُحسن إلاّ نَعم

فأمر له الواثق بثلاثين ألف درهم ، واتصلت أيامُه معه بعد ذلك ، ولم يزل فى نُدمائه .

بينه و بين أحد جند الشام

وحَكى الُحسين بن الضحّاك قال :

كان يألفنى إنسان من جُند الشام عَجيب الخِلقة والزىّ والشكل ، غَليظ جِلْف، فكنت أحتمل ذلك له ، و يكون حظّى التعجبَ به . وكان يأتينى بكُتب من عشيقة له ما رأيت كُتباً أحلى ولا أظرف منها ، ولا أبلغ ولا أشكل من معانيها ، و يسألنى أن أُجيب عنها ، فأَجْهد نفسى فى الجوابات وأصرف عنايتى إليها ، على عِلْم بأن الشامى يجهله ، لا يُميّز بين الخطأ والصواب ، ولا يفرّق بين الابتداء والجواب . فلما طال ذلك علىّ حسدتُه وتنبّهت إلى إفساد حاله عندها . فسأَلته عن اسمها ، فقال : بَصْبص . فكتبتُ إليها عنه فى جواب كتابٍ منها كان جاءنى به :

(١) فى الأغانى : « الجود » .

أَرْقصــنى حُبّك يا بَصْبص والحبّ يا سيّدتى يُرْقِصُ
أَرْمصْتِ أَجفانى بطُول البكا فما لأجفانك لا تَرْمَص
وا بأبى وجُهك ذاك الذى كأنه من حُسنه عُصْعُص

فجاءنى بعد ذلك فقال : يا أبا على ، جعَلني الله فِداك ، ما كان ذنبى إليك ، وما أردت بما صنعت ؟ فقلت له : وما ذاك ؟ عافاك الله ! قال : ما هو إلا أن وصل إليها ذلك الكتاب حتى بعثتْ إلىّ : إنى مُشتاقة إليك ، والكتاب لا ينوب عن الرؤية . فتعال إلى الرَّوْشن [(١)] الذى بالقُرب من بابنا فقِفْ بحياله حتى أراك . فتزينتُ بأَحسن ما قدرتُ عليه وصرتُ إلى الموضع . فبينا أنا واقفٌ أنتظر مُكلِّماً لى أو مشيراً إلىّ إذا شىء قد صُب علىّ فملأنى من قَرْنى إلى قدمى ، فأفسد ثيابى وسَرْجى وصيَّرنى وجميعَ ما علىّ ودابّتى فى نهاية السَّواد والنَّتْن والقَذر ، و إذا هو ماء قد خُلط ببول وسواد وسِرْجين. [(٢)] فانصرفتُ بخِزْى . وكان مامرّ بى من الصبيان وسائر من مررتُ به من الضّحك والطَّنْز [(٣)] والصِّياح بى أغلظَ مما جَرى لى ، ولحقنى من أهلى ومن فى مَنزلى شرٌّ من ذلك، وأوجعُ وأعظم من ذلك أن رُسُلها انقطعتْ عنى جملةً .

قال : فجعلتُ أعتذر اليه وأقول له : إن الآفة أنها لم تَعلم معنى الشِّعر لجودته وفَصاحته ، وأنا أحمد الله تعالى على ما قاله ، وأُسرُّ الشماتةَ به .

شعر له أعجب بن الأمين لما غنى به

وذكر أن محمداً الأمين غنّاه بعضُ المُغنِّين بشعر الحُسين بن الضحّاك ، وهو غائب عن مجلسه ، وهو :

ألستَ ترى دِيمةً تَهْطِلُ وهذا صباحُك مُسْتقبَلُ

---

(١) الروشن : النافذة .
(٢) السرجين : الزبل .
(٣) الطنز : السخرية .

وهذى العُقار وقد راعنا ... بطَلعته الشادنُ الأكحل

فعاد بنا وبه سكرةٌ ... تُهوِّن مكروهَ[1] ما ينزل

فإنى رأيتُ له نظرةً ... تُخبِّرنا أنه يفعل

فطرب محمدٌ وأمر بإحضار الحُسين ، فحضر .

هو وغلام أبى أحمد بن الرشيد

وذكر أنه كان الحُسين بن الضحّاك يتعشَّق خادماً من خَدم أبى أحمد ابن الرَّشيد ، فعمل فيه شعراً وغنّى فيه عمرو بن بانة . فغَضب الخادم وعاتب الحُسين على قول ذلك الشعر . فقال الحُسين :

فدَّيتُ مَن قال لى على خَفَرهْ ... وغَضّ جفناً له على حَوَره

سمَّع بى شعرُكَ المليح فما ... ينفكّ شاديه على وَتَره

فقلتُ يامستعيرَ سالفة الخِشف وحُسنِ الفُتور من نَظَره

لاتُنْكرنّ الحنين من طَرَبٍ ... عاود قلبى[2] الصِّبا على كِبَره

هو وغلام جميل

وحكى أبو العَيناء قال :

وقف علينا حُسين بن الضحَّاك يوماً ، ومعنا فتى جالسٌ من أولاد المَوالى ، جميل الوجه ، فحدّثنا طويلاً وجعل يُقبل على الفتى بحديثه ، والفتى مُعرض عنه ، حتى طال ذلك . ثم أقبل عليه حُسين فقال :

تَتيه علينا أن رُزقتَ ملاحةً ... فمَهْلاً علينا بعضَ تِيهك يا بَدْرُ

لقد طالما كُنَّا مِلاحاً وربما ... صَدَدْنا وتِهْنا ثم غيَّرنا الدَّهر

فقام وانصرف .

لم يرث الأمين استماعا لأبى العتاهية

وحكى الحُسين بن الضحّاك قال :

---

(١) فى الأغانى : « ما تسأل » مكان « ما ينزل » .

(٢) فى الأغانى : « فيك » مكان « قلبى » .

كنت عازماً على أن أرثى محمداً الأمين بلسانى كُله ، وأشفى لوعتى ، فلقينى أبو العتاهية فقال لى : يا حُسين ، أنا إليك مائل ولك مُحب ، وقد علمتُ بمكانك من الأمين ، وأنت حقيق بأن تَرثيه ، إلا أنك قد أطلقتَ لسانك فى التلهّف عليه والتوجُّع له بما صار هجاءً لغيره ، وثَلباً له ، وتَحريضاً عليه . وهذا المأمون مُنصبٌّ إلى العراق قد أقبل عليك ، فأبق على نَفسك . ويحك ياحسين ! أتَجْسُر على أن تقول :

تركوا حريمَ أبيهمُ[1] نَفَلاً والمُحْصناتُ صَوارخٌ هُتُفُ
هيهاتَ بعدكَ أن يدوم لهم عزٌّ وأن يبقى لهم شَرَف

اكفُفْ لسانَك ، واطْوِ ما قد انتشر عنك ، وتَلافَ ما فَرط منك . فعلمتُ أنه قد نصح لى ، فجزيتُه الخير، وقطعتُ القول . فنجوتُ برأيه ، وما كدت أن أنجو .

هو وعلى بن يحيي وقد سأله عن أمسه

وحكى علىّ بن يحيى قال :

جاءنى يوماً الحُسين بن الضحّاك ، فقلت له : أىّ شىء كان خبرك أمس ، فقال لى : أُسمعه شعراً ولا أزيدك على ذلك . فقلت : هات يا سيدى . فقال :

زائرةٌ زارت على غَفلة يا حبَّذا الزَّورةُ والزَّائرهْ
فلم أزل أخدعها لَيلتى خديعةَ السّاحر للسّاحره
حتى إذا ما أذعنتْ بالرِّضا وأنعمتْ دارتْ بها الدائره
بتُّ إلى الصُّبح بها ساهراً وباتتْ الجَوزاء بى ساهره
أفعل ما شئت بها ليلتى ومِلْءُ عينى نعمةٌ ظاهره
فلمْ نَم إلّا على تِسعة من غُلْمة بى وبها ثائره

---

(١) النفل : الغنيمة .

سَقْياً لها لا لأخى شِعْرة ... شِعْرتُه كالشّعرة الوافره

و بين رِجْليه له حَرْبةٌ ... مَشهورةٌ فى حَقْوه شاهره

وفى غدٍ تتبعها لحيةٌ ... تُلحقه بالكَرَّة الخاسره

قال : فقلت له : زنيتَ يعلم الله إن كنت صادقاً . فقال : قل أنت ما شئت .

هو وجارية تشكو

وذكر أن الحُسين بن الضحاك حَجَّ فمرّ فى مُنصرفه بموضع يُعرف بالقَرِيتين ، فإذا جارية تَطَّلع فى ثيابها وتنظُر فى حِرِّها وتقول : ما أضيعنى وأضيعك ! فأنشأ يقول :

مررتُ بالقَرْيتين مُنصرفاً ... من حيث يَقْضى ذوو النُّهى النُّسُكَا

إذا فتاةٌ كأنها قمرٌ ... للتِّمّ لما توسَّط الفَلَكا

واضعةٌ كفّها على حِرِّها ... تقول وضَيْعتى وضَيْعَتكا

فلما سمعتْ قوله ضحكت وغطّت وجهها ، وقالت : وافضيحتاه ! أوقد سمعتَ ما قلتُ !

هو وشفيع خادم المتوكل

وحكى مَيمون بن هارون قال :

كان حُسين بن الضحّاك صديقاً لأبى ، فكنت ألقاه معه كثيراً ، وكانت نفْسُه قد تَتَبَّعت شفيعاً خادم المُتوكل بعد انصرافه من مجلسه ! فأنشدنا لنفسه فيه :

وأَبيض فى حُمْر الثّياب كأنه ... إذا ما بدا نِسْرينةٌ (١) فى شقائقِ

سقانى بكَفَّيه رحيقاً وسامنى ... فُسوقاً بعينيه ولستُ بفاسق

وأَقسم لولا خشيةُ الله وحدَه ... ومن لا أُسمِّى كنتُ أولَ عاشق

وإنى لمَعذورٌ على وَجَناته ... وإنْ وَسَمَتنى شَيبةٌ فى المَفارق

(١) النسرين : ضرب من الرياحين .

ولا عِشْقَ لى أو يُحْدِثَ الدهرُ شِرَّةً تَعود بعادات السَّواد[١] المُفارق
ولو كنتُ شكلًا للصبا لأتبعتُه ولكن سنّى بالصّبا غيرُ لائق

له يسأل المتوكل رزق ابن له مات

وذكر أنه كان للحُسين الضحاك ابنٌ يُسمى محمد، له أرزاق، فمات فقُطعت أرزاقه . فقال يخاطب المُتوكل ويسأله أن يجعل رِزق ابنه المُتوفى لزوجته وأولاده :

إنى أتيتُك شافعاً بولىّ عهد المُسلمينا
وشَبيهك المعتز أو جِهِ شافعٍ فى العالَمينا
يابن الخلائف الأوّلين ويا أبا المُتأخّرينا
إن ابن عَبدك مات والأيام تخترق القَرينا
ومَضى وخلَّف صِبيةً بِعراصه[٢] مُتلدِّدينا
ومُهَيْرةً عَبْرى خِلافَ أقارب مُستَعْبِرينا
أصبحنَ فى رَيب الحوادث يُحسنون بك الظُّنونا
قَطع الوُلاةُ جِرايةً كانُوا بها[٣] مُتَمَسِّكينا
فامْنُن بردّ جميع ما قَطعوه غيرَ مُراقبينا
أعطاك أفضلَ ما تُؤمِّل أفضلُ المُتفضِّلينا

فأمر له المتوكل بما سأل . فقال يشكره :

يا خير مُستخلَف من آل عبّاس اِسْلَمْ فليس على الأيّام من باس
أحييتَ من أملى نِضواً تعاوَرَه تَعاقُبُ اليأس حتى مات باليأس

من ضربه من الخلفاء

وحكى الحُسين بن الضحّاك قال :

---

(١) فى الأغانى : « الشباب » .
(٢) المتلدد : المتحير .
(٣) فى الأغانى : « مستمسكينا » .

ضربنى الرشيدُ فى خلافته لصُحبتى ولَده ، ثم ضربنى محمدٌ الأمين لمُمايلة أبنه عبد الله ، ثم ضَربنى المأمون لمَيلى إلى أخيه محمد ، ثم ضَربنى المُعتصم لمودّة كانت بينى و بين العبَّاس بن المأمون ، ثم ضَربنى الواثق لشىء بَلغه من ذهابى إلى المتوكل ، وكُل ذلك يَجرى مَجرى الوَلع بى والتحذير لى . ثم أحضرنى المُتوكِّل يريد أن يضربنى ، وأمر شفيعاً بالوَلع بى ، فتَغاضب المتوكل علىّ . فقلت له : ياأمير المؤمنين ، إن كنت ترُيد أن تضربنى كما ضربنى أباؤُك فاُعلم أن آخر ضَرب ضُربتُه بسببك . فضحك وقال : بل أُحسن إليك ياحُسين وأصونك وأكرمك .

وحَكى محمد بن محمد بن مَرْوان الأَبزارىّ قال :

هو فى أواخر أيامه دخلتُ على الحُسين بن الضحاك فقلت له : كيف أنت ؟ جعلنى الله فِداءك ! فبكا ، ثم أنشأ يقول :

أصبحتُ من أُسراء الله مُحْتَبَسًا ... فى الأرض نحو قَضاء الله والقَدَر
إنّ الثمانين إذ وفّيتُ عِدَّتها ... لم تُبْق باقيةً منى ولم تَذَر

الشعر الذى فيه الغناء والشعر الذى فيه الغناء ، وافتتح به أبو الفرج أخبار الحسين بن الضحاك ، هو :

ألا أيها الشادنُ الأَكحلُ ... إلى كم تقُول ولا تَفعلُ
إلى كم تَجود بما لا نُريد ... منك وتَمنع ما نسأل

أبو زكار الأعمى

من قدماء المغنين

ثم ذكر أبو الفرج أبا زكار الأعمى ، وهو رجلٌ من قُدماء المُغنين ، وكان مُنقطعاً إلى آل برْمك .

فى مقتل جعفر ابن يحيى

وذكر مَسرور الكَبير قال:

لما أمرنى الرشيد بقَتل جَعفر بن يحيى دخلتُ عليه وعنده أبو زكار الأعمى الطُّنبورى يُغنِّيه :

ولا تَبْعد فكُلّ فتًى سيأتى عليه الموتُ يَطْرُق أو يغادِى

فقلتُ : فى هذا والله أتيتُك . ثم أخذتُ بيده وأقمتُه وضربتُ عُنقَه . فقال أبو زكار : نَشدتُك الله إلّا ألحقتنى به . فقلتُ له : وما رغبتُك فى ذلك ؟ فقال: إنه أغنانى عمّن سواه بإحسانه ، فما أحب أن أبقى بعده . فقلت : أستأمر أميرَ المُؤمنين فى ذلك . فلما أتيتُ الرّشيد برأس جَعفر أخبرتُه بقصة أبى زكار ، فقال : هذا رجل فيه مُصطنع ، فاضْمُمه إليك ، وانظُر ما كان جعفر يُجريه عليه فأتممْه له .

أخبار السّيد الحميرى

نسبه

هو إسماعيل بن محمد بن يزيد بن رَبيعة الحِمْيرىّ، المعروف بابن مُفرِّغ. والسّيد، لقبٌ غَلب عليه.

شىء عن جده

ويزيد بن مُفرِّغ جدُّه، هو الذى كان يَهجو آلَ زِياد ويَنْفيهم عن آل حرب. وحَبسه عُبيد الله بن زياد من أجل ذلك، ثم أطلقه معاوية بن أبى سفيان. وسنذكر ذلك فى أخباره إن شاء الله تعالى.

وقال ابن عائشة:

مفرِّغ، هو ربيعة نفسه، لقب بذلك لأنه راهن أن يُفرِّغ عُسًّا من لبَن، فشَربه حتى فرَّغه، فلقِّب مُفرِّغا. وكان شَعَّاباً[1] بسيالة[2]، ثم انتقل إلى البصرة.

قال: ومن قال: يزيد بن ربيعة بن مُفرغ، فقد أخطأ.

كنيته وأمه

ويكنى السّيد أبا هاشم. وأُمه امرأة من الأَزد.

قدره فى الشعر

وكان شاعراً مَطبوعاً مُكثراً. ويقال: إن أكثر الناس شعراً فى الجاهلية والإسلام بشّار، وأبو العتاهية، والسيد. فإنه لا يُعلم أن أحداً قَدر على جَمع شعر واحدٍ منهم حتى يَستوعبه كلَّه.

هجران الناس شعره

وإنما مات شعرُه، وهَجر الناسُ ذكره، لإفراطه فى سبِّ أصحاب رسول الله صلّى عليه وسلم وبعض أزواجه — رضى الله عنهم، ولَعن سابِّهم وقاذفَهم والطاعنَ عليهم — فتحامَى الرُّواة شِعره، وهَجروه لهذا خوفاً وتحوُّباً[3] وليس له شىء

---

(١) الشعاب: مصلح الشعب، وهو الصدع، يكون فى الإناء.

(٢) سيالة: أول مرحلة لإهل المدينة إذا أرادوا مكة.

(٣) التحوب: التأثم

من الشِّعر ، على كثرة تَصَرُّفه فيه وقولِه له، إلا وهو موصول بمدح أهل البيت عليهم السلام وذَمّ غيرهم من السَّلف .

أبواه

وذُكر أن أبَوَى السيّد كانا إبَاضيَّيْن — والإباضيّة : فرقة من الخوارج — وكان منزلُهما بالبصرة فى غُرفة بنى ضَبَّة ، فكان يقول : طالما سُب أمير المؤمنين على بن أبى طالب عليه السلام فى هذه الغُرفة . فإذا سُئل عن التشيُّع : من أين له ، قال : غاصت علىّ الرحمةُ غَوصاً .

مذهبه

وحكى السيّدُ أن أبويه لمّا عَلِما بمذهبه همّا بقتله ، فأتى عُقبةَ بن سَلْم الهُنائىّ فأخبره بذلك . فقال : الْزَمْنى ولا تَقْربهما . وأعطاه منزلاً وَهبه له ، فكان فيه حتى ماتا ، فَورثهما .

وذُكر أن السيّد كان يقول بمذهب الكَيْسانية — ومذهبُهم أنّ الإمامة صارت بعد الُحسين بن على عليهما السلام إلى أخيهما محمد بن الحنفية ، وأنه حىٌّ منتظر لا يموت ، حتى يظهر فيملأ الأرضَ عدلاً ، كما مُلئت جوراً — وله فى ذلك شعرٌ كثير .

ورَوى بعضُ من لا تصحّ روايته أنه رجع عن مَذهبه ، وأنه لقى جَعفر بن محمد الصادق ، فقال بإمامته ، ورَجع عن مذهب الكيسانيّة ، ورووا فى ذلك أشعاراً منها :

تجعفرتُ باُسم الله والله أكبرُ وأيقنتُ أن الله يعفُو ويَغْفِرُ

قال أبو الفرج :

ولم نَجد ذلك فى روايةٍ صحيحةً ولا قولَ مُحصَّل ، وإنَّ القصائد التى نُقلت عنه فى ذلك لا تُناسب فى جزالتها أشعارَه التى فيها الكيسانية .

من وصفه

وذُكر أن السيّد كان أسمر ، تامَّ القامة ، أشنب ، ذا وَفْرة ، حَسن الألفاظ ، جميل الخطاب ، إذا تحدّث فى مجلس قومٍ أعطى كُلَّ رجل فى المجلس نَصيبه من حديثه .

وقيل : إنه كان أشدَّ الناس نَـتَن إبطَـيْن ، لا يكاد أحد يقدر على الجلُوس معه لنتن رائحتهما .

رأى الأصمعى فيه

وحكى[١] النَّهدى قال : رأى معى الأصمعىُّ دفتراً فيه شعر السيِّد الحميرى، فقال : ما هذا ؟ فسترتُه عنه لِعلْمى بما عنــده . فأقسم علىّ أن أُخبره ، فأخبرتُه . فقال : أَنشدنى قصيدةً منه . فأنشدتُه قصيدةً ، ثم أُخرى ، وهو يَستزيدنى . ثم قال : ما أَسلـكه لطريق الفُحول ! لولا مَذهبُه ولولا ما فى شعره ما قدّمت عليه أحداً من طبقته .

مدح السفاح فحكمه

وقيــل : إنه لما أَفضت الخـلافةُ إلى بنى العبّاس قام السيِّد إلى السفَّاح أبى العباس ، حين نزَل من المِنبر، فقال :

دُونكمـوهَا يابنى هاشمٍ فجدِّدوا من عَهدها الدَّارسَا
دُونكموها لاعلا كعبُ مَن كان عليكم مُلْـكَها نافِسا
دُونكموهـا فألبسوا تاجَهـا لا تَعْدَ موامنكـم لهلابسا
قد ساسها قبلكمُ ساسةٌ لم يتركوا رَطْبا ولا يابسَا
لو خُيِّرَ المِنْبرُ فُرسـانَه ما اُختار إلّا منكمُ فارسا
فلستُ من أن تملكوها إلى مَهبْط عِيسى فيـكمُ آيسا

فسُرّ أبو العباس ، وقال : أحسنت ياإسماعيل ! سَلنى حوائجك .

أنشد جعفر بن محمد فأبكاه

وحكى بعضُهم قال :

كنت عند أبى عبد الله جَعفر بن محمد ، عليهما السلام ، إذ اُستأذن آذنه للسيد ، فأمر بإيصاله وأقعد حُرمه خَلف سِتْر ، ودَخل ، فسلّم وجَلس. فاُستنشده ، فأنشده قوله :

اُمْرُرْ على جَدَث الُحسَيْـ ن وقُلْ لأَعْظُمه الزَّكيَّهْ

(١) فى الأغانى : « التوزى» .

يا أَعظماً لا زلت من وَطْفاءَ (١) ساكبةٍ رويّه
وإذا مررتَ بقَــبره فــأَطِلْ به وَقْف المَطِيّه
وابْك المُطَهَّـر للمُطَهَّــر والمطهَّرة التَّقيّــه
كبُكاء مُعْولة أتت يوماً لواحــدها المَنِيَّه

قال : فرأيتُ دموع جعفر بن محمد تَنحدر على خدَّيه ولِحْيته ، وارتفع الصُّراخ والبُكاء من داره ، حتى أمره بالإمساك ، فأمسك .

هو ورجل سأله عما يدين به

قيل :

وكان السيِّد يَدين بالرَّجعة، فجاء رجلٌ إليه ، فقال: بلغني أنك تقول بالرَّجعة ؟ فقال : صَدق الذى أخبرك ، وهذا دِينى . قال : فتُعطينى دينـاراً بمائة دينار إلى الرجعة ؟ قال السيد : نَعم ، وأكثر من ذلك إن وثَّقْتَ لى بأنك تَرجع إنساناً . قال : وأىَّ شى أرجــع ؟ قال : أَخشى أن ترجع كلباً أو خِنزيراً فيذهبَ مالى . فأفحمه .

شعر نسب لهو ولكثير

والسيِّد هو الذى يقول فى إمامة ابن الحنفيّـة — ورُوى لـكُثير، عَزَّه ، وكان أيضاً كيسانيًّا — :

ألا إن الأَئمـــة من قُريش وُلاةُ الحـــقِّ أربعةٌ سَواء
علىٌّ والثــلاثة من بَنيه هُمُ أَســباطُه والأَوليــاء
فأَنَّى فى وصيتـه إليهـم يكون الشكُّ منّا والمِـراء
به أوصاهُم ، ودعا إليــه جميعَ الخلق لو سُمع الدُّعاء
فسِبْطٌ سِبْط إيمــانٍ وحِلْمٍ وسِبْطٌ غيَّبته (٢) كَرْبلاء
وسبطٌ لا يَذوق الموتَ حتى يقُود الخيل يَقدُمها (٣) اللِّواء

استجاد العتبى قصيدته اللامية

وحــكى أنّ العُتبى قال يوما :

(١) الوطفاء : السحابة الثقيلة بما تحمل . (٢) سبط الايمان : الحسن بن على . والسبط الذى غيبته كربلاء : الحسين بن على وقد قتل بكربلاء بالعراق . (٣) هو محمد بن الحنفية .

ليس فى عصرنا هذا أحسن مذهباً فى شعره ، ولا أنقى ألفاظاً ، من السيد . ثم قال لبعض من حضر : أنشدنا قصيدته اللامية التى أنشدتناها اليوم . فأنشده :

هل عند من أحببتَ تَنْويلُ ... أم لا فإن اللَّوم تَضْليلُ
أم فى الحَشَى منك جوًى باطنٌ ... ليس تُداويه الأباطيل
عُلِّقتَ يا مَغْرورُ خَداعةً ... بالوَعد منها لك تخْييل
يَشْفيك منها حين تَخْلو بها ... ضَمٌّ إلى النَّحر وتَقْبيل
وذَوْقُ رِيقٍ طيِّبٍ طعمُه ... كأنّه بالمِسك مَعْلُول
فى نِسْوةٍ مِثل المَهَا خُرَّدٍ ... تَضِيقُ عنهن الخَلاخيل
أُقسم بالله وآلائه ... والمرءُ عمّا قال مَسْئول
إنّ علىّ بن أَبى طالبٍ ... علىٰ التُّقَى والبِرِّ مَجْبول

فقال العتبى :

أحسن والله ما شاء ! هذا والله الشعر الذى يهجُم على القلوب بلا حجاب .

جمعه لفضائل على كرم الله وجهه وشعره فى حادثة العقاب

وذُكر أن السيد كان يأتى الأعمشَ فيكتب عنه فضائلَ علىّ بن أبى طالب رضى الله عنه ، و يخرج من عنده و يقول فى تلك المعانى شعراً . فخرج ذاتَ يومٍ من عند بعض أُمراء الكوفة ، وقد حمله على فرس وخَلع عليه خِلعة ، فوقف بالكُناسة [1] ثم قال : يا معشر الكوفيين ، من جاءنى منكم بفَضيلة لعلىّ بن أبى طالب رضى الله عنه لم أقل فيها شعراً فله فرسى هذا وما علىّ . فجعلوا يُحدثونه و يُنشدهم ، حتى أتاه رجل فقال : إن أميرالمُؤمنين علىّ بن أبى طالب رضى الله عنه عَزم على الرُّكوب ، فَلبس ثيابه وأراد لُبْس الخفّ ، فلَبس أحد خُفَّيه ثم أهوى إلى الآخر ليأخذه ، فانقضّ عُقابٌ من السماء فحلّق به ثم ألقاه فسقط منه أسودُ ، فانساب فدخل جُحْراً . فلَبس علىٌّ رضى الله عنه الخف . ولم يكن قال السيّد فى ذلك شيئاً ، ففكّر هُنيهةً ثم قال : قد قلت :

(١) الكناسة : محلة بالكوفة .

ألا يا قَـومِ للعَجب العُجابِ ... لخفِّ أبي الحُسين [1] وللحُبَابِ
أتَى خُفًّا له فانساب فيه ... لينهش رجلَه منه بناب
فخرّ من السماء له عُقابٌ ... من العِقْبان أو شِبْهُ العُقاب
فطار به فحلّق ثم أهوَى ... به للأرض من دون السَّحاب
إلى جُحْرٍ له وانساب فيه ... بعيدِ القَعْر لم يُرْتَج بباب
كريهُ الوَجه أسودُ ذو بَصيصٍ ... حديدُ الناب أزرقُ ذو لُعَاب
ودُوفِع عن أبي حسنٍ عليٍّ ... نَقيعُ سِمامه بعد انسياب

ثم حرّك فرسه ومَضى ، وجعل تشبيبها بعد ذلك:

صبوتُ إلى سُليمى والرَّبَابِ ... وما لأخِي المَشيب وللتَّصَابِي

مثله مما روى عن النبي صلى الله عليه وسلم

قال أبو الفرج :

وقد رُوى مثل ذلك عن رسولِ الله صلّى الله عليه وسلّم . رَوى ابنُ عباس قال :

كان النبيُّ صلي الله عليه وسلّم إذا أراد حاجةً تباعد حتى لا يَراه أحد، فنزَع خُفَّه فإذا عقاب قد تدلّى فرفعه ، فسقط منه أسودُ سالخ . فكان النبيّ صلى الله عليه وسلّم يقول : اللهم إنّي أعوذ بك من شر ما يَمشى على رجلَيْن ، ومن شر ما يَمشى على أربع ، ومن شر الجن والإنس.

شعره فى تدليل رسول الله صلى الله عليه وسلم للحسن والحسين

وقيل :

سمع السيدُ الحِميريُّ محدِّثاً يحدِّث أن النبي صلى الله عليه وسلم كان ساجداً ، فركب الَحسن والُحسين عليهما السلام ظَهره ، فقال عمر رضى الله عنه : نِعْم المطىّ مطيّكما ! فقال النبي صلّى الله عليه وسلم : نعم الراكبان هما ! فانصرف السيد من فَوره فقال فى ذلك :

---

(١) الحباب : الحية .

أتى حَسناً والُحسينَ النبىُّ وقد جلسا حَجْرةً[1] يَلعبانِ
ففدّاهمــا ثم حيّاهمــا وكانا لديه بذاكَ المَكانِ
فَراحَا وتحتهمــا عاتقاه فنِعْمَ المطيّــةُ والراكبان
وَليدان أُمهمــا بَرَّةٌ حَصَانٌ مُطهَّرة للحصَان
وشيخُهما اُبن أبى طالبٍ فنِعْم الوليــدان والوَالدان

عارضه سوار وهو ينشد المنصور فهجاه

وذُكر أن أبا جعفر المَنصور جلس با لِجسر الأكبر ، حــين عُقد له على دجلة البصرة ، [2] ، وسوّار بن عبد الله قاضى البصرة جالس عنده ، والسيّد الِحمْيَرى بين يديهِ يُنشده قولَه :

إنّ الإلٰهَ الذى لا شيءَ يُشبِهه أعطاكمُ الملْك للدُّنيا وللدِّينِ
أعطاكمُ اللهُ مُلكاً لازَوالَ له حتّى يُقادَ إليكم صاحبُ الصِّين
وصاحبُ الهِنْد مأخوذاً برُمَّته وصاحبُ التُّركِ محبوساً على هُون

والمنصورُ يَضحك مسروراً بما ينشده . فحانت منه اُلتفاتةٌ فرأى وجه سَوّار يترَبَّد غيظاً ويَسْودّ حَنَقاً ، ويدلُك إحدى يديه بالأُخرى ويتحرّق . فقال له المنصورُ : مالك ! أرابك شيء ؟ فقال : نعم ، هذا الرجل يُعطيك بلسانه ما ليس فى قَلبه ! والله يا أمير المؤمنين ما صَدَقك عمّا فى نفسه ، إن الذين يواليهم غيرُكم. فقال له المنصور : مهلاً ، هذا شاعرُنا وولّينا ، وما أعرف منه إلّا الصدق والمحبّة والإخلاص فى الطاعة . فقال له السيد : يا أمير المؤمنــين ، ما زلتُ مشهوراً والله بمُوالاتكم فى أيام عدوكم ، ولكنّ هذا وأهْلُوه أعداء الله ورسوله قديماً ، والذين نادَوْا رسولَ الله صلّى الله عليه وسلم من وراء الُحجرات[3] ، فنزل فيهم القرآن (إن أكثرَهم لا يَعْقلون) . وقال السيد قصيدته ، التى أولها :

قِفْ بنا ياصاحِ وأرْبَعْ بالمَغانى المُوحشاتِ

(١) حجرة : ناحية .
(٢) العبارة فى الأغانى : « وهو بالجسر وهو قاعد مع جماعة على دجلة البصرة » .
(٣) يعنى وفد تمــيم

ومنها :

يا أمين الله يا منـ ـصور يا خير الولاة
إن سوّار بن عبد الله من شرّ القضاة
نعثلىّ[1] جملىّ لكمُ غيرُ مواتي
جدّه سارقُ[2] عنز فجرةً من فجرات
لرسول الله والقا ذفه بالمنكرات
وابنُ من كان ينادى من وراء الحجرات
يا هناةُ اخرجْ إلينا إننا أهلُ هنات
مدحنا المدحُ ومن نرْ م يُصَبْ[3] بالفاقرات
فاكفناه[4] لا كفاه الله شرّ الطارقات

فشكاه سوّار إلى المنصور ، فأمره بأن يصير إليه معتذراً ، فصار إليه فلم يعذره . فقال :

أتيتُ دعىَّ بنى العنبر أروم اعتذاراً فلم يعذرِ
فقلتُ لنفسى وعاتبتها على اللؤم فى فعلها أقصرى
أيعتذر الحرُّ مما أتى إلى رجلٍ من بنى العنبر
أبوك ابنُ سارق عنز النبىّ وأمك بنت أبى جحدر
ونحن على رغمك الرافضو ن لأهل الضلالة والمنكر

هو وسوار وقد طلب إلى شهادة عنده

وذكر أن السيد تقدّم إلى سوّار القاضى ليشهد عنده ، وقد كان دافع المشهودَ

(١) نعثلى : نسبة إلى نعثل ، يهودى من أهل المدينة . وقيل : هو رجل طويل اللحية من أهل مصر ، كان يشبه به عثمان . رضى الله عنه إذا نيل منه . وجملى : نسبة إلى وقعة الجمل .
(٢) يعنى : جده : عنزة بن نقب . وكان يقال له : سارق العنز . وكانت لآل رسول الله صلى الله عليه وسلم .
(٣) فى الأغانى : « بالزفرات » مكان « بالفاقرات » . والفاقرات : الدواهى .
(٤) فى الأغانى : « فاكفنيه ».

له بذلك ، وقال : أَعفنى من الشَّهادة عند سوّار ! وبَذل له مالاً ، فلم يُعفِه . فلما تقدَّم إلى سوّار فشهد ، قال له : ألست المعروفَ بالسيّد ! قال: بلى . قال : أستغفر الله من ذَنب تجرّأت به على الشّهادة عندى ، قُمْ لا أرضَى بك . فقام مُغضباً من مجلسه ، وكتب إلى سوّار رُقعةً ، فيها يقول :

إنّ سوّار بن عبد اللّــه من شَرّ القُضاةِ

فلما قرأها سوّار وَثب من مجلسه وقصد أبا جعفر المنصور ، وهو على الجسر ، وسَبقه السيّد إليه فأنشده :

قُل للإمام الذى يُنْجَى بطاعتــه ... يومَ القيـامة مِن بُحْبوحةِ النّـارِ
لا تَستعينَنْ جَزاك الله صالحــةً ... يا خـيرَ من دَبّ فى حُـكم بسوّار
لاتَسْتعينَنْ بواهى الرَّأى[1] ذىصَلَفٍ ... جَمِّ العُيوب عظيمِ الكِبر جَبّار
تُضْحى الخُصـوم لديه من تَجبُّره ... لا يَرفعون إليه لَحْظ أبصـار
تِيهاً وكِبراً ولولا ما رفعتْ له ... من ضَبعه[2] كان عينَ الجائع العارى

ودخل سوّار ، فلما رآه المَنصور تَبسم وقال : أما بلغك خبرُ إياس بن معاوية حين قَبل شهادة الفرزدق [3] واستزاد من الشهود ، فما أحوجك إلى التعرُّض إلى السيّد ولسانه ! ثم أمر السيدَ بمصالحته .

منع المنصور سواراً أن يحكم له أو عليه

وذُكر أن السيد بلغه أن سوّاراً القاضى قد لَفّق جماعةً يشهدون عليه بالسَّرق أن ليقطعه. فشكاه إلى المَنصور. فدعا بسوّار وقال : قد عزلتُك عن الحُكم للسيّد أو عليه ، أو النظر فى شىء من أمره ، فلا تَعرِض له بسُوء . فلم يَعْرِض له سوّار بشىء حتى مات .

هو وامرأة إباضية تزوجها

وحَكى إسماعيل بن الساحر قال :

---

(١) فى الأغانى : « لا تستعن بخبيث الرأى » . (٢) الضبع : العضد. ورفع بضبعه ، أى نوه باسمه.
(٣) يشير إلى رفق إياس فى رفض شهادة الفرزدق فلم يغن بها وطلب شهوداً . وسيأتى خبر ذلك.

خرجتُ من منزل نَصر بن مسعود ، أنا وكاتب عُقبة بن سَلم والسيد ، ونحن سكارى ! فلما كُنّا بزَهْران لقيتْنا بنتُ الفُجاءة بن عمرو بن قطرىّ بن الفجاءة ، وكانت اُمرأة بَرْزة حسناء فصيحةً ، فواقفَها السيد وتَخاطب عليها ، وأَنشدها شعراً من شعره بتَجْميش . فأعجب كلٌّ واحد منهما صاحبَه . ثم خَطبها ، فقالت : كيف يكون هذا ونحن على ظَهر الطريق ؟ قال : يكون كنكاح أُم خَارجة ، إن قيل لها : خِطْب . قالت : نِـكْح ·فاُستضحكتْ وقالت : ننظر فى هذا ، وعلى ذلك فمن أنت ؟ فقال :

إن تسألينى بقومى تسألى رجلاً ... فى ذِرْوة العِزّ من أحياء ذى يَمَنِ
حَوْلى بها ذو كَلَاعٍ فى مَنازلها ... وذو رُعَيْنٍ وهَمْدانٌ وذو يزَن
والأزْدُ أزدُ عُمَانَ الأكرمون إذا ... عُدَّت مآثرهم فى سائر [1] الزَّمن
بانت كريمتُهم عنى فدارُهمُ ... دارِى وفى الرّحب من أوطانهم وَطنى
لى مَنزلان بِلَحْجٍ منزلٌ وَسَطٌ ... منها ولى منزلٌ فى العِزّ من [2] عَدَن
ثم الوَلاء الذى أرجو النجاةَ به ... من كَبَّة النار للهادى أبى حَسن

فقالت : قد عرفناك ، ولا شىء أعجبُ من ذلك : يَمانٍ وتميميّة ، ورافِضىّ وإباضيّة ، فكيف يجتمعان ! فقال : بحُسن رأيك فىّ تَسخو نفسُك ، ولا يذكر أحدُنا سَلَفاً ولا مذهبا . قالت : أفليس التزويجُ إذا تجلّى اُنكشف معه المستور ، وظهرت خفيّات الأُمور . قال : فأنا أعرض عليك أُخرى . قالت : وما هى ؟ قال : المُتْعة [3] التى لا يَعلم بها أحد . قالت : تلك أُخت الزِّنا . قال : أُعيذك بالله

(١) فى الأغانى : « سالف » .
(٢) فى الأغانى : « ولى منزل للعز فى عدن » .
(٣) المتعة : أن يتزوج الرجل امرأة على شرط بأجل معلوم ، ثم يخلى سبيلها ، من غير تزويج ولا طلاق . وكانت مباحة صدر الإسلام ثم حرمت . وهى مباحة جائزة عند الشيعة .

أن تكفرى بالقرآن بعد الإيمان ! قالت : فكيف؟ قال: قال الله تعالى: (فما اُستَمتَعْتُم به منهنّ فآتوهُنْ أُجورهنّ فَريضةً ولا جُناحَ عليكم فيما تَرَاضَيْتُم به مِنْ بعد الفَريضة) . فقالت : أستخير الله وأُقلِّدك أنْ كنت صاحبَ قِياس . ففعلتْ . واُنصرفتْ معه وبات مُعرِساً بها . و بلغ أمرُها أهلَها من الخوارج ، فتوعَّدوها بالقَتل وقالوا : تزوجتِ بكافر ! فَجحدت ذلك . ولم يعلموا بالمُتعة . فكانت مدةً تختلف إليه على هذه السبيل و يُواصلها [1] حتى افترقا .

فى مرضه

وحكى أبو داود و إسماعيل بن الساحر أنهما حضَرا السيّد عند وفاته بواسط ، وقد أصابه شَرًى [2] وكَرب . فجلس ثم قال : اللهم هذا كان جزائى فى حُب آل محمد ! فكأنها كانت ناراً فطُفِئتْ عنه .

المنصور وقد بلغه مــوته

وذُكر أن أبا جعفر المَنصور قال :

بلغنى أنّ السيد مات بواسط فلم يَدْفنوه ، والله لئن كان هذا حقًّا لأحْرقنّها .

جعفر بن محمد وقد بلغه موته

وحكى عبّاد بن صُهيب ، قال :

كنت عند جَعفر بن محمد ، وأتاه نَعى السيّد ، فدعا له . فقال له رجل : يا بن رسول الله ، تدعو له وهو يَشرب الخمر و يُؤمن بالرَّجعة ! فقال : حدّثنى أبى عن جدّى: أن مُحبِّى آل محمد لا يموتُون إلّا تائبين ، وقد تاب . ورَفع مصلًّى كان تحته ، فأخرج كتاباً من السيّد يُعرِّفه أنه قدتاب و يسأله الدُّعاء له :

مــوته

وقيل :

مات فى خلافة الرَّشيد .

حديث تــكفينه

وحَــكى بَشير بن عمّار قال:

---

(١) فى الأغانى : « وتواصله » .

(٢) الشرى : داء يأخذ فى الجلد أحمر على هيئة الدراهم .

حضرتُ وفاة السيّد فى الرُّميلة ببغداد ، فوجّه رسولاً إلى صفّ الخرازين [(١)] الكوفيّين ، يُعلمهم بحاله و وفاته . فغلِط الرسولُ فذَهب إلى صفّ السنُّوسيين ، فشتموه ولعنوه . فعلم أنه قد غَلِط، فعاد إلى الكُوفيين . فوافاه سبعون رجلاً معهم سَبعون كفناً . قال : وحضَرناه جميعاً ، و إنه ليتحسّر تحسُّراً شديداً ، و إن وجهه لأسودُ وما يتكلّم ، إلى أن أفاق إفاقةً ، وفَتح عينيه و نَظر إلى ناحية القِبلة وقال : يا أمير المؤمنين ، أتفعل هذا بوليّك ! قالها ثلاث مَرّات ، مرّة بعد أُخرى . قال : فتجلّى والله فى وجهه [(٢)] عِرْق بَياض ، فما زال يتّسع و يَلْبس وَجْهَه حتى صار كُلَّه كالبدر . وتُوفِّى . وقمْنا فأخذنا فى جِهازه ، فدفنّاه فى الجُنينة ببغداد، وذلك فى خلافة الرشيد .

اطراح ابن واصل لبعض شعره

قلت :

وَقد ذكر أبو الفرج أشعاراً وأخباراً فيها تَعريض بالسَّلف رضى الله عنهم ، فطرحتُها تنزيهاً للكتاب عنها ، و إن كان حاكِى الكُفر ليس بكافر .

شعره الذى فيه الغناء

والشِّعر الذى فيه الغِناء وافتتح به أبو الفرج أخبار السيد هو:

ما جرَتْ خَطرةٌ على القَلب منّى ... فيكِ إلّا استترتُ عن أَصحابى
من دُموع تَجرى فإن كنتُ وحدى ... خالياً أسعدتْ دُموعى انتحابى
إن حُبّى إيّاكِ قد سَلَّ جسمى ... ورمانى بالشيب قبل الشَّباب
أرحمى اليوم هائماً بكِ [(٣)] صبًّا ... هائمَ القلب قد ثَوى فى التراب

(١) فى الأغانى : « الجزارين »
(٢) فى الأغانى : « فى جبينه »
(٣) فى الأغانى : « لومنحت اللقا شفى بك »

البردان

(١) ثم ذكر أبو الفرج البردان ، وهو مغنٍّ من أهل المدينـة ، ولم أختر من أخباره شيئاً .

(١) ليس هذا مكان البردان فيما هو بين أيدينا من أصول الأغانى المطبوع منها والمخطوط وظاهر من هذا وما سبق من خلاف بين التجريد وأصول الأغانى فى ترتيب التراجم ان ابن واصل كان يعتمد على أصل آخر يختلف عن هذه الأصول .

انتهى الجزء الثانى

من القسم الأول من تجريد الأغانى

ويليه الجزء الثالث من القسم الأول وأوله

أخبار عبد الله بن علقمة

فهرست أول

لتراجم الجزء الثـــانى

من القسم الأول من تجريد الأغانى

(١) ذكر خطأ باسم : فليح بن العوراء

فهرست تام

لتراجم الجزء الثانى

من القسم الأول من تجريد الأغانى
